عبد الغنى النابلسى

حيـــاتـــه، آراؤه

أ. د
علي معبد فرغلي

مكتبة الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع
٤ ش أحمد سوكارنو - العجوزة
ت: ٣٤٥٢٣٠٢

الطبعة الثالثة
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع
٢٠٠٥/١٦٥٨

مكتبة الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع
٤ ش أحمد سوكارنو - العجوزة
ت: ٣٤٥٢٢٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وقائد الغر المحجلين محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ويسير لنا العمل كماعلمتنا واهدنا سواء السبيل وافتح لنا بالحق بابا نصل منه اليك انك أنت على كل شيء قدير.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب



مقدمة

إن دراسة تاريخ العلوم وتتبع الأدوار التى مرت بها منذ طفولتها إلى أن تكامل نموها واستوى عودها هى دراسة لهذه العلوم. فدراسة تاريخ الفقه الإسلامى جزء من الفقه ودراسة تاريخ الفلسفة واللغات دراسة لها وهذا اللون من الدراسة نوعان:

النوع الأول:

دراسة الأطوار التى اجتازتها نظريات العلم ودراسة كل مرحلة من المراحل دراسة تكشف النقاب عن خصائصها واتجاهاتها وأهدافها. ومدى تأثرها بالمراحل التى سبقتها ومقدار تأثيرها فى المراحل التى تليها وهذه الدراسة تعنى كذلك بالبيئات التى احتضنت هذه النظريات وتبين الظروف التى ساعدت على بعثها وأسهمت فى تكوينها مع مقارنة كل مرحلة بغيرها فى خصائصها واتجاهتها ومقدار ما أحرزت من تقدم فى تكوين – النظريات العلمية، ولا تعنى هذه الدراسة بالشخصيات التى أسهمت فى هذه العلوم إلا بقدر الضرورة الملحة والإشارة العابرة التى تعرف القارئ بهذه الشخصيات معرفة مجملة.

النوع الثانى:

دراسة الشخصيات التى أسهمت فى بناء هذه النظريات العلمية دراسة تحليلية تتناول العصور التى عاشوا فيها و سماتهم وأهدافهم. ومناهجهم التى سلكوها لتحقيق هذه الأهداف كما تدرس آراءهم دراسة علمية تكشف عن وجه الصواب أو الخطأ فيها بحيث تكون دراسة حرة نزيهة خالية من التحيز هدفها انصاف الحقيقة وحدها. وإذا كان النوع الأول يعنى بدراسة الأطوار التى مرت بها العلوم فإن النوع الثانى يعنى بدراسة المحاولات التى بذلها العلماء فى هذه العلوم والنظريات المتعددة.

وموضوع هذه الرسالة (عبدالغنى النابلسى) من النوع الثانى ولهذا دافع وغاية ومنهج.

أما الدافع فهو رغبة صادقة فى احياء التراث الفكرى الإسلامى الذى خلفه رجال صدقت عزائمهم وأخلصت نياتهم فكان لهم من صدق عزائمهم واخلاص نياتهم آثار دلت عليهم ومعارف كتبت لهم الخلود والبقاء وإذا كانت طبيعة الأشياء تقضى بتقديم الأهم على المهم فإن أولى الباحثين بالدراسة والكشف عن مناهجهم وأهدافهم وبيان السمات التى امتازوا بها عن غيرهم هؤلاء الرواد الأحرار من المفكرين والمصلحين الاجتماعين الذين عاشوا لاممهم وضحوا براحتهم فى سبيل مبادئهم السامية وبذلوا المهج والأرواح من أجل اصلاح عقيدة أو قضاء على بدعة ...

كما كان الدافع للكتابة فى هذا الموضوع اتجاه نفسى وشوق بالداخل إلى تحقيق رغبتى فى الوصول لأصل هذه القضايا.

وبحث هذه الشخصية المصلحة فى بلاد العام والذى عاش فى فترة انحطاط الثقافة فى الدولة العثمانية وكان الرائد الأول فى بلاد الشام يقاوم الحكام ويعمل على اصلاح الحياة العلمية والثقافية وغيرها.

أما الغاية من هذا الموضوع فهى عرض الامام النابلسى أمام الباحثين عرضا أمينا يكشف النقاب عن سماته التى امتاز بها عن غيره ويبين اهدافه التى كان يسعى لتحقيقها ومدى موافقتها لروح الإسلام ومبادئه، ويرشد كذلك إلى منهجه الذى اتبع لتحقيق هذه الأهداف وطريقته التى سلكها فى معالجة المسائل العلمية كما يبين مدى تحمسه لتقدير مبادئ الدين وتنقيتها مما اصابها من انحراف وما اعتراها من تغييرباسم الدين والدين من هذا وذاك برئ.

هذا مع الحرص على دراسة بعض آرائه وبيان ما فيها من وجوه الصواب والخطأ. كى يتسنى للدارس الوقوف على التراث الفكرى الذى خلفه الإمام عبدالغنى النابلسى والاستفادة منه استفادة مبنية على الاسس التى انتهينا إليها فى بحثنا هذا كما أنها توفر على الباحث الكثير من الجهد والوقت وتعرض أمامه الحقائق العلمية عرضا منظما يأخذ بعضه بحجز بعض وكل فقرة مها تتصل بما سبقها وما لحقها بسبب وثيق وإلى جانب هذا فهى دراسة تزيح الستار عن الحقائق العلمية التى طال عليها الزمن دون ان يصلوا فيها

إلى رأى فاصل – ولى كبير الأمل فى أن يتأثر الباحثون بالروح العلمية العامة التى غلبت على الامام النابلسى. صدر عنها فى كل ابحاثه وهى التحرر الفكرى الذى أدت دعوته إلى تفهم روح الدين.

فإذا اكتسب الباحثون صفة الحرية استطاعوا أن يكونوا احرارا فى أبحاثهم العلمية فلا يجمدون على الآراء الموروثة فإذا توفرت الحرية العلمية والحرية فى المجال العملى استطاع المجتمع الإسلامى أن يسير قدما وأن يساير ركب الحضارة متخذا من الماضى عبرة ومن الحاضر عدة للمستقبل.

وأما منهج البحث فهو الخطة التى اتبعتها فى اخراجه بعد أن عشت معه زمنا ليس باليسير حتى تمثلته ثم أخرجته فى هذه الصورة التى هو عليها الآن.

وقد أخرجت هذا البحث فى تمهيد وتسعة فصول أتحدث فى التمهيد عن الحالة السياسية والعلمية والاجتماعية كما أتحدث عن تاريخ التصوف وابين معناه واطواره المختلفة ودراسة هذه المقومات ضرورية للباحث لأن الإنسان نتاج البيئة وهو كذلك مجموعة من المواهب الطبيعية والصفات المكتسبة من البيئة العامة والخاص ولا يمكن جحد أثر الظروف السياسية والنهضات العلمية والحالات الاجتماعية فى صبغ الأفراد والمجتمعات صبغة خاصة وتلوين أهدافهم واتجاهاتهم تلوينا يتناسب والظروف التى يحيون فيها.

وأما الفصل الأول فقد قصرته على حياة الإمام عبدالغنى النابلسى واحقق تاريخ وفاته حيث ذكر الدكتور أبو العلا عفيفى أن النابلسى توفى فى عام ١١٤٤ هـ والحقيقة أنه توفى عام ١١٤٣هـ وأنبة على ذلك حيث اعتبر النابلسى عاش ٩٤ عاما هجرية كما أتكلم عن مولده وأحقق ذلك كما اذكر ثقافته وأبرز عدة نواحى فى ثقافته إذ كان على دراية تامة باللغة العربية والشعر والفقه وغير ذلك من العلوم المختلفة من علوم الحديث والتفسير والرؤيا وعلم التجويد والقرآن ويكاد يكون من المفردين فى الحديث وخاصة كتب الأطراف إذ كتابه ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الأحاديث من أعظم كتب الأطراف.

كما أبين ما امتاز به من قوة الشخصية فهو كان حنفيا لأنه يدرس دراسة مقارنة غير ملتزم بمذهب معين وخاصة فى الفتوى.

كما أحقق نسبه وبينت القول الفصل فى ذلك.

وذكرت رحلاته العديدة..

أما الفصل الثانى وهو شيوخ الامام النابلسى.

وتحدث فيه عن اساتذته الذين تلقى عنهم العلوم وبيان مقدار ما حصله من العلوم على يد هؤلاء وشهادتهم له بالمقدرة العلمية وقوة الشخصية وقد ذكر بعضا من شيوخه مبينا تاريخ ولادته وما أخذه الامام عنه من اصناف العلوم. المختلفة. وكما أوضح ما كان عليه هؤلاء الشيوخ من علو الهمة وسعة الافق وغزارة العلم.

أما الفصل الثالث فقد أتحدث فيه عن مؤلفاته وبينت أنه صنف في مختلف العلوم والفنون وأوضح قيمة هذه المؤلفات ورتبتها على النحو التالى، مؤلفاته فى التصوف - الشعر - الفقه - الحديث.

وأنى أذكر أنه ألف أكثر من ثلثمائة مؤلف حسب اشارات المراجع إلى ذلك وأعطيت فكرة عن بعض مؤلفاته مما وقع فى يدى وبينت موضوع كل مؤلف منها وفيم يبحث وأوضحت موضوع هذه المؤلفات وأنها قيمة ومفيدة.

أما الفصل الرابع وهو المعرفة عند الإمام النابلسى فقد أتحدث فيه عن حقيقة المعرفة وأبين وسيلتها وطرقها المختلفة وذكرت أطوارها. وهل المعرفة كشفية أو الهامية كشفية ثم أوضحت من هو المريد ووقته ومع تعريف وتأيده بالكرامة ثم بيان طريق العلم الإلهى وكيفية الوصول إلى الله ومناجاة شيخا النابلسى لربه مع ذكر بعض الأوراد التى استعملها فى وصوله إلى ربه معتمدا على الكتاب والسنة.

أما الفصل الخامس وهو موقف النابلسى من علم الكلام.

فقد أتحدث فيه عن تعريف علم الكلام وفائدته وموضوعه ثم ابنت معنى الحقيقة سر الغيب وأوضحت كيف كانت الحقيقة سر الغيب عند النابلسى.

ثم أتحدث عن نقده لعلماء الكلام الذين يخلطونه بالفلسفة كما أبين أصل الدين ومعنى العقيدة الصحيحة وكيف استدل عليها الامام النابلسى ثم ذكرت رأيه فى أوصاف لله تعالى كما تعرضت للمذهب الحق واختلاف العلماء فى علم الكلام والعقيدة الصحيحة ومدى اطلاق المتشابه على الله تعالى. ثم تحدثت عن الفرق بين الوجود والموجود وبينت ما هى عقيدة الخيال التى يدين بها بعض الناس. وأبطلت ذلك. ولئن مظاهرة واضحة فى كل شىء وضرورة وجوب تقليد الشرع.

أما الفصل السادس فهو – وحدة الوجود.

وأتحدث فيه عن أصل هذه النظرية التى تنتسب فى الأصل إلى العبادات الهندية والديانات البوذية وبينت المراد منها. كما تعرضت مرة أخرى للفرق بين الوجود والموجود لضرورة ربط الموضوع وهو أساس فى نفى نظرية وحدة – الوجود عند النابلسى ومبنى تفسيره لها.

ثم أتحدث عن موقف النابلسى من وحدة الوجود والمراد بها وبينت وحدة الوجود فى الميزان.

كما ذكرت رأى ابن تيمية فى وحدة الوجود وتلميذه ابن القيم.

وذكرت مذهب ابن عربى بايجاز فى وحدة الوجود كما ذكرت نقد المتأخرين من علماء الإسلام – ثم أوردت دفاع النابلسى عن نظرية وحدة الوجود. وان الإمام محى الدين لم يفهم البعض كلامه ولذا طعنوا عليه. ثم ذكرت رأيى الخاص فى ذلك ثم ختمت الموضوع ببيان أثر الامام النابلسى فيمن أتى بعده من التلاميذ والمريدين وعلماء التصوف.

أما الفصل السابع. فهو الحلول والاتحاد:

وأتحدث فى هذا الفصل على الوجه الآتى.

أولا الفرق بين وحدة الوجود والحلول والاتحاد ثم بينت معنى الحلول والاتحاد. ثم ذكرت شرط الحلول وان الإمام النابلسى ينفى الحلول والاتحاد كما أبنت أن القول بهما مخالف للشريعة وكل ما خالف الشريعة فهو مردود. ثم ذكرت بعض أقوال تلاميذ الامام

النابلسى وهو الكورانى وأنهم يسيرون على نهج استاذهم النابلسى. ثم بينت دفاع النابلسى عن علماء الإسلام والتصوف ثم عقبت على ذلك.

أما الفصل الثامن فهو فى بيان الشريعة والطريقة والحقيقة وأوضح المراد من هذه الالفاظ الثلاث.

ثم أذكر رأى الامام النابلسى فى علماء الشريعة وعلماء الطريقة والحقيقة كما أوضحت رأى معتدلى الصوفية والفقهاء وأخذت منهم ابن تيمية وابن الجوزى وابن القيم ثم ذكرت الجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة، ثم وضحت رأى الدكتور زكى مبارك فى ذلك.

وجئت فى نهاية هذا الفصل بالنتيجة والرأى مع ذكر كلمة أخيرة رجحت فيها رأى النابلسى فى حرية ونزاهة تامة.

أما الفصل التاسع فهو مدرسة الإمام النابلسى.

وأتحدث فى هذا الفصل عن أخص تلاميذه الذين يمثلون مدرسته أخص تمثيل. وأن الامام النابلسى له تلاميذ يفوقون العد والحصر. كما ذكرت فى نهاية هذا الفصل بعض آرائه فى علوم الحقيقة لتلميذه حسين بن طعمة البيتمانى والذى يمثل مدرسته الحقيقة وكذا محمد الدكركجى إلا أنى اقتصرت على رأى الأول.

أما الخاتمة فقد اثبت اهم النتائج التى توصلنا إليها من خلال بحث هذه الشخصية الاصلاحية بالشام فى فترة ركود العلم واهمال الدولة العثمانية العلم والعلماء وكما تضمنت الاقتراحات وبالجملة فالامام النابلسى جدير بالعناية والدراسة والبحث حيث كان باحثا وعالما موفقا دعا إلى تفهم روح الدين والغوص على حقائق الأمور وأنه باحث ذو أهداف يسعى لتحقيقها وصاحب علوم كثيرة تبحر فيها وانه سار على منهج السلف ويرى أن الدين يجب أن ينقى من الشوائب. ودعا إلى مسايرة التطور ومراعاة مصالح العباد كما حارب الانحراف فى العقائد و حارب الذين يدعون أنهم متصوفة بالدين ويخالفون الكتاب والسنة وبخاصة المغالين منهم المتشددين والذين لا يسيرون فى الطريق القويم.

والله اسأل التوفيق والسداد ومنه استمد العون والرشاد. وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

موجز عن البيئة السياسية والعلمية والاجتماعية لعصر النابلسى

الحالة السياسية:

عاش الإمام النابلسى فى الدولة العثمانية التى نشأت عام ١٥١٦م نشأة الامارة العثمانية – وجدت عدة روايات عن نشأة الدولة العثمانية أشهرها الرواية العثمانية التى وضعت فى القرن الخامس عشر والتى ظهرت بأشكال مختلفة فى كثير من المؤلفات التركية والعربية والغربية[1] منذ بداية القرن السادس عشر. وتذكر الرواية الرسمية أن الدولة العثمانية أسستها قبيلة تركية هاجرت من أواسط آسيا إلى الأناضول. بضغط المغول فى مطلع القرن الثالث وكان يقودها شخص يسمى سليمان. وهو والد أرطغول وجد عثمان الذى سميت الدولة بالنسبة إليه. وتذكر الرواية لعثمان هذا اثنين وخمسين جدا ينتهون بنوغ ومنهم أوغور خان. الذى عرف قومه بالأفز والغز وهى قبائل تركية أشتهرت ببأسها فى أسيا الغربية فى القرن العاشر وتضيف الرواية أن سليمان كان حام ما هان فى بلاد المرو بين خراسان وتركستان. وقد هرب منها بضغط المغول وهم شطر بلاد الروم.

إذا نظرنا إلى هذه الرواية الرسمية والتى تبناها مؤرخو الدولة العثمانية وجدنا أنها وضعت وشاعت بعداحتلال القسطنطينية حين أصبحت الدولة العثمانية قولا وفعلا امبراطورية كبرى. وليس بغريب فى التاريخ أن ينسب أو يزور فى كثير من الأحيان أصل مجيد ليتفق والحاضر المجيد الذى وصلت إليه دولة أو أسرة ما. والرواية فى نشأة الدولة العثمانية كثيرة ونحن لسنا بصدد الكتابة عن هذه الدولة بالتفصيل وإنما نأخذ الفترة التى عاش فيها شيخنا النابلسى من حيث أن لها دخلا كبيراً فى النهضة وتطورها.

مظاهر الإدارة العثمانية:

مما هو جديدر بالذكر أن قوانين الدولة العثمانية كانت تفرق بين طبقتين فى الدولة. طبقة العسكرين. وطبقة الرعايا. وتشمل طبقة العسكرين جميع موظفى الدولة على اختلاف أنواعهم وما عدا ذلك فهم من الرعايا. ويرأس هاتين الطبقتين السلطان العثمانى.

(١) انظر ابن طولون مفاكهة الخلان جـ١ ص٣٤٢، ٣٥٤، ٣٥٧.

اسلوب العثمانيين فى الفتح:

لجأ العثمانيون فى أغلب الأحيان إلى فرض سيطرة مباشرة على الدول التى فتحوها واكتفوا أحيانا بفرض نوع من السيادة على الدول المفتتحة كأن يذكر اسم السلطان فى الخطبة وعلى النقود مع الابقاء على الامراء المحلين بصفة تابعين وعلى التنظيمات المحلية. وكان فرض السيطرة المباشرة يعنى بالضرورة تسجيل السكان والموارد فى الدولة[1] فى سجلات خاصة رسمية وتسمى دفاتر. ويستفاد من ذلك فى تقدير الضرائب ومنع الاقطاعات وتثبيت الملكية. كما لجأ العثمانيون لضمان سلامة فتحهم إلى نقل جماعات من السكان من مكان إلى آخر.

السلطان العثمانى:

وكان يشار إليه أحيانا بلقب باديشاه وهو تعبير فارسى يعنى الحاكم الأعلى كما أشير إليه بصورة أكثر بلقب خنكر إلى غير ذلك من الألقاب.

أما لقب خليفة فلم يتخذه السلاطين العثمانيون إلا فى وقت متأخر من القرن التاسع عشر.

الحكم العثمانى:

تميز حكم سلاطين آل عثمان بصفات القوة أو الضعف حسب الظروف. ونلاحظ أن السلاطين من بداية امارة الغزاة إلى نهاية حكم السلطان سليمان القانونى كانوا اقوياء بصورة عامة يقودون جيوشهم فى الحروب ولكن الاتجاه نحو الضعف بدأ يزداد منذ نهاية حكم السلطان سليمان القانونى وانعكست فترات القوة والضعف على كيفية اختيار السلاطين. فقبل عهد السلطان محمد الثانى (الفاتح) كان السلطان العثمانى يعين بعض ابنائه واخوته وغيرهم من الأسرة الحاكمة أمراء على الولايات العثمانية. ولكن هؤلاء الأمراء الحاكمين كثيرا ما كانت تحدثهم نفوسهم بالثورة لانتزاع حكم الولايات الأخرى أو السلطنة ذاتها كما حدث مثلا إثر معركة انقرة فى عام ١٤٠٢م. وقد أصدر محمد الفاتح قانونا حول خلفاءه بموجبه قتل اخوتهم أثر اعتلائهم العرش وذلك للتخلص من منافستهم.

(١) ص ٣١ جـ٢ انظر اجراءات العثمانيين في دمشق أثر فتحهم لها (ابن طولون مفاكهة الخلان).

وفى مطلع القرن الرابع عشر وحتى أوائل القرن السابع عشر توارث السلطنة العثمانية الابن عن الأب على التوالى.

الوزير الأعظم:

كان غالبية من يشغل منصب الوزير أو الصدر الأعظم حتى فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م من المسلمين الأحرار الذين برز من بينهم أفراد أسرة جندولى. ولكن ازدياد الاعتماد على المجندين من أصل مسيحى (أفراد الدقشرية) فى الوظائف جعل مشغل المسلمين الاحرار لهذا المنصب لا يتفق والاتجاه الجديد فى الدولة ولم يكن للوزير الأعظم أية سلطة مباشرة على القصر السلطانى أو على العلماء. وفيما عدا ذلك تمتع بسلطة قوية فى الادارة المركزية وفى الولايات وكان عليه تنظيم أمور الجيش وقيادته إلى الحرب فى بعض الحالات.

لقب وزير:

منح لقب وزير فى القرن الخامس عشر إلى عدد من حكام الولايات الكبرى وإلى بعض موظفى الدولة الكبار فى استانبول الذين نابوا أحيانا عن الوزير الأعظم أثناء غيابه وغياب السلطان وبازدياد ضعف السلاطين برز الوزراء العظام فى تصريف أمور الدولة وبلغ بعضهم شهرة كبيرة فى ذلك مثل أفراد أسرة الكوبرلى. الذين تولوا الوزارة العظمى بصورة وراثية تقريبا خلال النصف الثانى من القرن السابع عشر. وكان عهدهم فترة قوية نشطت فيها ادارة الدولة العثمانية.

الكزلار أغا:

كانت وظيفة الكزلار أغا ، ويدعى أحيانا أغا دار السعادة متعلق بالاشراف على الحريم فى القصر السلطانى ويساعده عدد من الخصيان الطواشية.

الديوان:

استخدمت لفظة ديوان قبل عهد العثمانيين ، للدلالة على دائرة معينة أو على الإدارة بكاملها. ولكن الديوان فى عهد العثمانيين يطلق على الاجتماع الرسمى الذى يرأسه الوزير الأعظم.

حكام الولايات:

كان حكام الولايات والصناجق يعينون فى البدء من بين أصحاب الاقطاعات أو كانوا يعطون اقطاعات حين تعينهم لهذه المناصب. وحين أصبح غالبية هؤلاء الحكام يعينون فيما بعد من أفراد الدفشريا. بدأوا يأخذون نفقاتهم غالبا من واردات الاقطاعات المخصصة لمناصبهم.

الموظفون الدينيون:

لعب كبار الموظفين الدينيين كالمفتى والقاضى ونقيب الاشراف دورا هاماً فى الدولة العثمانية وان تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية يقتضى بالضرورة - معالجة مختلف القضايا فى الدولة العثمانية[1].

١- المفتى أو شيخ الإسلام:

أقام السلاطين العثمانيون القضاة فى البلاد التى فتحوها لتنظيمها وفق مبادئ الشريعة الإسلامية وللمساعدة على استقرار وتوطيد حكمهم فيها، وقد أنشأ فى عهد مراد الأول سنة ١٣٦٠ منصب قاضى العساكر والتسمية إلى مرافقة هذا القاضى للجيش العثمانى.

٢- القاضى:

يلى شيخ الإسلام فى الرتبة فى استانبول كل من قاضى عسكر روميليه وقاضى عسكر الاناضول. ثم يأتى فى المرتبة بعد ذلك هذين عدد من القضاة الكبار فى بقية مراكز الولايات ورغم وجود قضاة معترف بهم لمختلف المذاهب كان القاضى الرسمى فى الدولة هو القاضى الحنفى وكان يعين فى مراكز الولايات الهامة من قبل شيخ الإسلام فى استانبول.

٣- نقيب الاشراف:

أسس منصب نقيب الاشراف فى عهد السلطان بيازيد الثانى. وكان السلطان يعين النقيب من بين كبار القضاة. وقد تميز الاشراف باتخاذ العمامة الخضراء ويلقب سيد -

---

(١) ص ٣٧ من التحف البهية - تأليف محمد البكرى الصديقى.

وكان لنقيب الاشراف فى استانبول سلطة على نقباء الاشراف فى الولايات. وتمتع الاشراف بامتيازات كبيرة ليس أقلها نظرة الاحترام التى حباهم بها بقية السكان. وكانوا لا يقتصرون على مذهب معين ولا على طبقة اجتماعية معينة وقد لعب الاشراف فى بلاد الشام دوراً هاماً. وقد برز الاشراف على الصعيد السياسى فى بلاد العام. ويمكننا اعتبار ظهور الاشراف بهذه القوة وخاصة فى ولاية حلب وبدرجة أقل فى ولاية الشام جزءاً من ظاهرة عامة تتلخص فى فرض النفوذ المحلى باشكال مختلفة فى الولايات العربية[1].

بلاد الشام عام ١٦٦٠م

التطورات التى حدثت فى دمشق:

لم يحدث فى هذه الفترة أى تبدل فى هوية الولاة العثمانيين والقضاة الحنفيين فى دمشق فجميعهم تقريباً كانوا من أصل رومى ريثما عين القضاة عادة لسنة واحدة عين الولاة فى دمشق لمدة أكثر من ذلك.

أسباب ضعف الولاة العثمانيين

ومن أسباب ضعف الولاة فى هذه الفترة وزيادة تسلط الانكشارية رغم البطش الذى حل بأفرادهم، ضعف السلطة المركزية العثمانية أثر وفاة السلطان مراد الرابع سنة ١٦٤٠ كما أن الفترة التى تلت القضاء على فخر الدين المفتى الثانى لم تظهر فيها تحديات قوية من قبل الامراء المجاورين على غرار تحديات فخر الدين لسلطة ولاة الشام مما جعل مختلف القوى فى دمشق تتلهى بخلافاتها الداخلية وافسح المجال للانكشارية ليثأروا لقتل زعمائهم ولا أدل على ذلك من ازدياد نفوذهم أثر تعينهم أمراء للحاج الشامى.

ظهور الاضطرابات:

ظهرت الاضطرابات فى أواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر آثارها متمردون محليون شمالى حلب. وليست هذه الاضطرابات فى هذه المنطقة والفترة

(١) انظر: محمد الأمين المحبى: خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر ص٣٠ جـ١.

بالذات بالأمر الغريب. فقد كانت تسكن منطقة الحدود بين سورية والاناضول أقوام وأقليات مختلفة يعود أصل بعضها إلى الفترة التى كانت هذه المنطقة تعج بالثغور وأجمل هذه الأسباب فأقول:

(١) ثورة الاقليات فى شمال حلب التى كان يساعدها موقعها الجغرافى والجبلى

(٢) ضعف السلطة المركزية بسبب انشغالها فى الحروب على جبهتين الصفوية والاوربية.

(٣) ازدياد نفوذ الانكشارية.

(٤) ثورة العساكر فى مصر والشام. وخاصة حسين باشا.

التطورات التى حدثت فى بلاد الشام من عام ١٦٤٠ إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر.

استمر فى هذه الفترة الولاة يعينون من أصل رومى، وكانوا عادة يبقون فى مناصبهم مدة سنة أو سنتين خلافا لما كان يحدث فى القرن السادس عشر وتعكس هذه الظاهرة من ناحية وجود كثرة من المرشحين لوظيفة والى الشام.

حدث فى هذه الفترة اضطراب فى توازن القوى فى دمشق فبعد قدوم قول عززت سلطة الوالى وضعفت بالتالى سلطة الانكشارية .

وشهدت بلاد الشام فى هذه الفترة تطورا هاماً يتعلق بانتقال امارة الحاج إلى دمشق وتعيين ولاة الشام باستمرار لهذا المنصب منذ ١١٢٠هـ - ١٧٠٨م وقد نتج عن نقل مركز امارة الجاج إلى دمشق وعن غياب ولاة الشام بهذه الامارة باستمرار، تطورات هامة تركت آثارها على تاريخ بلاد الشام بكاملها. وكان تعيين ولاة الشام لمنصب امير الحاج ذروة تطور سياسى وتسارع على النفوذ فى بلاد الشام فى القرن السابع عشر.

ونتج عن تعيين ولاة الشام فى هذا المنصب تغيبهم عن دمشق لفترة طويلة. وكان الوالى أمير الحاج يغادر دمشق مع القافلة عادة فى النصف الأول من شهر شوال ويعود

إليها من الحجاز فى حوالى النصف الأول من شهر صفر وقد تتأخر عودته أكثر من ذلك إذا ما هدد البدو الحاج وأعاقوا سيره وكثيرا ما عاد الحاج فى مثل هذه الحالات بواسطة الطريق الفرعى عبر غزة، وهكذا وجب على والى الشام أمير الحاج أن يتغيب عن دمشق مع قافلة الحاج قرابة أربعة أشهر. واستلزم ذلك غيابه فترة أخرى وألقيت عليه المسئولية المباشرة لاعداد قافلة الحاج وتمويلها بالمال اللازم.

ونتج عن غياب الوالى عن دمشق أن ضعفت السلطة الحاكمة فيها ولم يتمكن غالبية المستلمين الذين نابوا عن الولاة، من ممارسة سلطة حازمة.

تحدثنا باختصار عن الدولة العثمانية: كيف نشأت والتطورات فى بلاد الشام فى فترات مختلفة من القوة والضعف ولم اتعرض إلى التطورات الخارجية من حروب وتطاحن على السلطة: وغير ذلك مما حدث فى البلاد وخاصة بلاد الشام .. وأننى لست بصدد دراسة الدولة العثمانية وتطورها كاملا إنما المقصود بيان البيئة التى عاش فيها الإمام النابلسى وكان له الفضل الأكبر فى بعث الحياة فى بلاد الشام. وكانت كلمته مسموعة ويخشى بأسه ونفوذه القوى وتمتعه باحترام أهل الشام وكان يقضى دائما فى المسائل حسب ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة : وسنرى ذلك فى الحالة العلمية فى عصر الدولة العثمانية وكيف كان النابلسى رائد هذه الحركة وقبل انهاء الحالة السياسية أتعرض لأهمية نتائج الفتح العثمانى بالنسبة للبلاد العربية . فيما يلى:

١ – انتقل الحكم من حاكم عربى إلى حاكم عثمانى.

٢ – انتقلت الخلافة العثمانية إلى بلد غير عربى.

٣ – أصبحت لغة الدولة الرسمية غير عربية.

٤ – استفادة العثمانيون من فتحهم لبلاد العرب.

أ- أصبحوا يحكمون مراكز اسلامية عربية تقليدية مثل دمشق والقاهرة وبغداد وغيرها.

ب- أصبحوا حماة الحرمين الشريفين.

ج- حافظوا على الوجه الإسلامى لامارتهم وتحت ظل ذلك أخذوا يفتحون بلاد الغرب.

٥- ان انشغال العثمانيين بحروبهم فى أوربا وبلاد فارس أضعف قبضتهم على البلاد العربية.

٦- بعد الفتوحات العثمانية لاوربا بقيت البلاد العربية نقطة الثقل فى الامبراطورية العثمانية.

٧- الاخطار التى كانت تتعرض لها الدول العربية منفردة من قبل الدول الأوربية والدولة الصفوية فى الشرق.

(أ) دفع الاتراك الخطر الصفوى عن البلاد العربية بسبب ضعف المماليك انذاك.

(ب) تهديد البرتغاليين للسواحل العربية لتأمين خطوط مواصلاتهم.

(جـ) ابعاد الخطر الأوربى عن الاماكن المقدسة.

٨- لم يصبغ العثمانيون البلاد العربية بصبغة تركية ولم يتجاوز اثرهم بعض الطبقات. ويعود ذلك إلى افتقار الاتراك أنفسهم إلى تراث حضارى.

٩- اعتمد الاتراك على الشريعة الإسلامية وانظمتها كما طبقها العرب.

١٠- ازدادت أهمية الموظفين تبعا لذلك مثل مفتى الاناضول والقاضى.

١١- نظراً للوحدة الدينية بين الاتراك والعرب أكتفى العثمانيون بهذا الولاء لذا لم تنقل الحكومة جاليات تركية كبيرة إلى البلاد العربية.

١٢- من أهم اهداف الحكم العثمانى فى البلاد العربية الابقاء على الوضع الراهن بها مع أخذ مال الميرة لهم.

هذه هى الحالة السياسية تحدثنا عنها بايجاز وننتقل للحديث عن الحالة العلمية والفكرية فى بلاد الشام اثناء حكم العثمانيين لها فنقول:

الحالة العلمية والفكرية فى عصر النابلسى

عاش النابلسى فى القرن الحادى عشر والثانى عشر من الهجرة السادس عشر والسابع عشر الميلادى وكان العالم العربى فى هذه الفترة فى ظل الحكم العثمانى الذى حكم البلاد العربية باسم الإسلام ابتداء من سنة ١٥١٦ – ١٧٩٨م ورغم أن العصر المملوكى كان عصر نشاط علمى وفكرى فى مصر والشام بعد أن نجح العرب المسلمون بقيادة (المظفر قطز) فى هزيمة التتار وحماية المقدسات من اجرامهم، .. لذا اصبحت مصر والشام تموجان بالحركة العلمية والفكرية واشتهر هذا العصر بأنه عصر الموسوعات العلمية .. نقول رغم ذلك إلا أن بعضا من العصر العثمانى كان عصر ركود علمى وفكرى بسبب أن عاصمة الدولة أصبحت (القسطنطينية) ولغة الدولة أصبحت اللغة التركية والسلطان سليم الأول قام بحركة مسح علمى وفكرى – للبلاد العربية عندما أخذ معه خيرة العلماء فى مصر والشام واخذ الصناع المهرة وكل ذى حرفة أو فن وترك البلاد العربية وخاصة مصر والشام خاليتين من الاساتذة الذين كان يربى كل منهم تلاميذه فى فنه وقد تدهورت الحياة العلمية والفكرية نتيجة لذلك يقول الدكتور الشيال أصبحت القسطنطينية بعد انتقال الخلافة – الإسلامية إليها مركز الثقل ومحور الارتكاز فى العالم الإسلامى ولعل هذا يفسر لنا بعض التفسير ركود الحركة العلمية فى مصر والشام طيلة القرون الثلاثة التى خضعا فيها للحكم العثمانى فقد أصبحت القسطنطينية هى مركز النشاط العلمى فى الدولة العثمانية فهى مقر السلطان والخليفة بل هى عاصمة الدولة الإسلامية والدولة كانت تركية اللسان فمن البديهى اذن أن تنشط حركة التأليف بين علماء الاتراك وباللغة التركية وان تضعف حركة التأليف باللغة العربية .. يضاف إلى هذا أن السلطان سليم الأول كان قد صحب معه حين خروجه من مصر عدد من كبار العلماء وكل ماهر فى فن أو صنعة كما حمل معه معظم ما كانت تذهو به مكتبات القاهرة من نوادر الكتب – والمؤلفات[1]

(١)

هذا بالاضافة إلى العزلة التى فرضها العثمانيون على العالم العربى مما أدى إلى قطع الصلة بينه وبين العالم الخارجى وبالاضافة إلى انقطاع الصلة بين مصر والشام والعالم الخارجى فإن الدولة العثمانية عاشت فى قلاقل داخلية بسبب توزع السلطة وانشغال الدولة العثمانية بحروبها الخارجية مع روسيا والنمسا لكل هذه الأسباب فإن الحركة العلمية والفكرية فى الشام ومصر أصبحت راكده. إلا أن فساد الحكم كان سببا فى لجوء الشعب إلى العلماء الذين كانوا بدورهم يعملون على حل مشكلات الشعب لدى الحكام.

«وبذلك أصبحت للعلماء زعامة تقليدية تستمد مقوماتها من روح الإسلام ومن الشريعة الإسلامية وكان لعلماء الأزهر الصدارة فى مصر .. أما فى الشام فقد كان التعليم أقل مركزية فإلى جانب المركزين الرئيسيين حلب ودمشق كانت توجد مدارس اقليمية فى مدن أخرى كثيرة وخاصة فى بيت المقدس ونابلس وإلى جانب المساجد الجامعة فى دمشق وحلب التى كانت تعتبر المراكز الكبرى- للدرسات الدينية كان يوجد فى المدينتين عدد من المدارس والمساجد التعليمية بعضها متصل بالمسجد الجامع معتمد عليه والبعض الآخر منفصل عنه والمرادى يشير إلى وجود مالا يقل عن ٤٥ مدرسة فى دمشق بما فيها المساجد فى القرن الثامن عشر ومن المرجح أن عددها فى حلب لم يكن أقل من هذا» وقد كان طلاب العلم يرحلون طلبا للعلم فى مصر أو الشام أو مكة أو المدينة. وقد كانت الدراسة فى معاهد العلم لا تعنى إلا بالعلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وعروض وبالفقه وعلوم الشريعة والمنطق ومبادئ االحساب.

كما أن وظائف التدريس كانت تؤخذ أحيانا بالوارثة وكانت من عيوب التعليم أيضا أن بعض المدرسين كان يوكل إليه التدريس فى أكثر من مدرسة وكان الجمود طابع هذه الفترة العلمية ، بحيث أصبح المدرسون يرددون ما قاله السابقون - ويدرسون المتون

(١) ص ٧ من كتاب (الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الأوسط للدكتور جمال الدين الشيال.
(٢) ص ٨ الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى الحديث.
(٣) ص ٩، ١٠ المرجع السابق.
(٤) ص ١١ المرجع السابق.

والكتب القديمة دون أن يؤلفوا أو يكتبوا جديداً فانعدم الابتكار وأثر هذا بالتالى فى الطلاب فأصبحو يعيدون ما يسمعون ويعنون بالمسائل الشكلية التافهة ويعتمدون على الإستذكار والحفظ على ظهر قلب دون الفهم أو الوعى السليم،[٢] وقد كانت الحياة الثقافية عموما فى الشرق الإسلامى فى هذا العصر متأخرة عما كانت عليه فى العصور السابقة وهذا يشمل كل أنواع العلوم كالطب والتاريخ والأدب وكل أنواع العلوم.

بوادر النهضة الاصلاحية فى الشام فى عصر النابلسى

كان من نتائج الحكم العثمانى للعالم العربى جمود الفكر فى العالم الإسلامى وقل الابتكار والتجديد وخمود الهمم وخفوت الأصوات التى كانت تطالب بالاصلاح إلا فى حالات نادرة وذلك عندما كان العلماء يتصدون للمطالبة برفع الظلم عن الشعب. وقد بدأ هذا الجمود يذوب ببطء فى القرن الثامن عشر وبدأت تظهر فى مصر والشام بوادرنهضة اصلاحية جديدة ،وتبدو مظاهر هذه النهضة واضحة فى مظاهر ثلاث:-

(١) فى المواقف الجريئة المشرفة التى بدأ يقفها العلماء من الأمراء والحكام لردعهم ومنعهم من الظلم وللدفاع عن مصالح الشعب وحقوقه.

(٢) وفى الحركات التى قام بها بعض الأفراد والجماعات لمهاجمت الأولياء والدراويش ومحاربة البدع والخرافات التى أشاعوها فى المجتمع والمناداة بهدم الأضرحة وعدم التمسح بها أو الاستعانة بأصحابها والاعتقاد فى كراماتهم.

(٣) وفى ظهور عدد من العلماء والمفكرين يعتبرون بحق طلائع - نهضة ثقافية جديدة[١]

وقد كانت عوامل النهضة فى عصر النابلسى فى مصر والشام متقاربة إذ أن الظلم واقع فى مصر والشام ودفاع العلماء عن قضايا الشعب كامن هنا وهناك كما أن ما يحدث فى مصر يحدث تأثيره أو مثله فى الشام مثل مواقف المشايخ الشيخ سليمان المنصورى والشيخ الدرديرى والشيخ الشرقاوى والشيخ على الصعيدى والشيخ الأمير .. كما أن

(١) انظر أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء محمد راغب الطباخ عدد جزئين ص ٣٥٢ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤.

محاربة البدع والخرافات بدأت تعود فى هذا العصر لصالح «الدين فطرة الله التى فطر الناس عليها، وفوق ذلك كله بدأت الحركة الإصلاحية فى بدايتها تتسم ببعض مظاهر العنف كما كان للنهضة الثقافية التلقائية أثر كبير فى ارتقاء الحياة العلمية و الفكرية فى الشرق الإسلامى خاصة فى بلاد الشام.

الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى بلاد الشام

الناس طبقات ثلاث:

الحكام - العلماء - الشعب

تولى أمر الشام أثناء الحكم العثمانى كثير من الولاة من مختلف الاجناس – والطوائف وكانت الدولة لا تبقى الحاكم فى منصبه مدة طويلة حتى تستطيع أن تبقى لها السيادة والقوة على هذه البلاد، وكان الولاة فى هذه الفترة يستغلون الشعب ويضطهدون العلماء ولهذا نجد أن الشعب فى فترة ضعف الدولة العثمانية تحول إلى العلماء وكره الحكام لقسوتهم وأثرت حالة الفوضى فى الشعب وغيرت المفاهيم(١)

أثر الفوضى فى مفاهيم الشعب:

أثرت حالة الفوضى هذه على مفاهيم الشعب عن الحكم والحكام ولكثرة ما عانى أفراد الشعب من الظلم بدأوا يستخفون باصحاب السلطة. (التى كان من شيمة أهلها القسوة والطغيان).

الظلم فى العهد العثمانى:

ليس ايقاع الظلم فى العهد العثمانى بالمحكومين بالأمر الجديد فى تاريخ المنطقة ولهذا بات تكرار المظالم أمرا طبيعياً بالنسبة للشعب وقد تركزت النقمة ضد العثمانين دون غيرهم نظرا لنشوء الوعى القومى العربى فى أواخر عصرهم ومحاولة القوميين إبراز – مساوئ الحكم التركى لتعميق الاختلاف بين الحاكمين والمحكومين – ومما لاشك فيه أن

(١)

الأمثلة التى رأها الناس أمامهم فى الجهود العثمانية عن ظلم المسئولين لهم وعن مصادرة الدولة لأموال الولاة إثر عزلهم. شجعتهم على الاستخفاف بالسلطة وبأصحابها وغزت فيهم الشعور بالسخط والنقمة وهذا دعا إلى تكتل السكان المحليين لما رأوا الفوضى وضعف السلطة العثمانية.

تكتل السكان الأصليين فى دمشق:[1]

اعتمد السكان المحليون على أنفسهم وعلى منظماتهم التقليدية للدفاع عن مصالحهم مثل النقابات الحرفية والتكتلات على أساس الاحياء وكان ولاء السكان المباشر لهذه المنظمات التى تدافع عن حقوق أفرادها. ويعكس تسرب السكان المحليين إلى طائفة الانكشارية فى دمشق التى أصبحت تعرف تبعا لذلك بالطائفة

انتقال زمام المبادرة فى الدفاع المحلى إلى السكان المحليين وبلغ النفوذ المحلى درجة كبيرة من القوة بتعيين الولاة من أصل محلى مع مطلع القرن الثامن عشر من اسرة العظم ولكن الدولة العلية لم تترك الأمر على هذا بل اخذت فى تغيير الولاة من أجل اضعافهم لصالحها وكان بعضهم يشترى المنصب بالمال.

تعيين الولاة:

بازدياد ضعف الدولة وفسادها أصبح يعين على الولايات اناس غير أكفاء اشتروا مناصبهم أحيانا بالمال وحاولوا التعويض عما انفقوه باللجوء إلى ابتزاز أموال الأهليين والضغط عليهم وعمد أفراد الشعب وكذلك الأفراد الذين تعرضوا بدورهم إلى مصادرة الدولة لأموالهم إلى تخبئة ما جمعوه من مال وأدى اختفاء النقد عن هذا الطريق بالاضافة إلى الازمات المالية التى تعرضت لها الدولة وتوقف الفتوح من اجل ذلك وادى ذلك إلى تمرد الانكشارية واعتدائهم على الشعب وكثرت الرشوة بين الموظفين، وارتفاع مستوى المعيشة بالمقارنة مع الرواتب وانخفاض قيمة النقود وحين تعم الفوضى يصعب ايقافها. وعلى اثر ذلك انقسم فى دمشق طائفة اليرلية الضعفاء من ناحية وطائفة القابى قول

(١) تاريخ العرب الحديث فى بلاد الشام ومصر للدكتور عبد الكريم طبقة دمشق.
(٢) ص ٣٦ جـ٢ انظر البدير (بويل).

والدالاتيـة والمغاربة من ناحيـة أخرى ومن أجل ذلك قـاست دمـشق الوان العـزاب من هؤلاء.

ما قاسته دمشق اجتماعيا:

قاست دمشق اجتماعيا من تعدى هذه القوات الغريبة التى ازدادت بقوتها فقد تبجح الدالاتية واعلنوا فسقهم وفجورهم بقضائهم على اليرليبة وعاد القابى إلى القلعة وإلى ممارسة نفوزه واعيد المغاربة إلى دمشق بعد طردهم منها وكثرت تعدياتهم وازداد الفسق والفجور فى البلاد تبعا لازدياد فوضى هذه القوات ومن أجل هذا انكر الشيخ عبدالله السويدى الذى كان بدمشق فى هذه الفترة من كثرة الخلاعة وجرئة الزناة والوانى فى المدينة وعاشت دمشق فى هذا المجال واستمر الخلاف بها مدة من الزمن ونظراً لمقاومة هذا العلماء هذا الظلم والفساد تعدي عليهم الولاة واذاقوهم ألوان العذاب .

التعدى على العلماء:

بلغ بطش الولاة بدمشق أن تعدوا على العلماء وعلى سبيل المثال ما حدث للسيد على أفندى العجلانى نقيب الاشراف بدمشق والسيد أفندى المرادى من كبار العلماء واطلق النار على هذا الشيخ ومن هذا اجتمع العلماء والأعيان واصدروا فتوى بقتل (العفصة) أحد اتباع أسعد باشا الذى ناب عنه أثناء امرته للحج ولكن لم يترك على ذلك بل قام أبوطوق حاكم دمشق بكثير من المظالم وابتزاز المال معتمدا على دعم السلطان والصدر الأعظم فى استانبول والتضامن حوله جماعة من العوانية مارسوا الظلم على الأهلين وقد اعتقل ابو طوق عـددا من الأشـخـاص حـاولوا منعـه من الظلم وكـان من بينهم أفـراد المتـغلب أصحاب الطريقة الشيبانية الصوفية مما أثار الرأى العام الدينى فى دمشق .

القاضى الحنفى وجهوده:

لم يتمكن القاضى الحنفى الرومى من عمل شىء لايقاف أبى طوق عند حده كما لم تجد محاولة ارسال وفد يمثل القطاعات المتنفذة فى دمشق إلى استانبول للاحتجاج ولذلك ذهب المفتى الحنفى محمد خليل البكرى الصديقى لنجدة المظلومين وقادهم فى ثورة ضد

أبى طوق وفى أثناء ذلك قتل من أعوان أبى طوق عدد كثير ولم يستطع السلطان تجاهل نقمة الدمشقيين على واليهم فعزله وعين اسماعيل باشا العظم مكانه وأدى ذلك إلى ثورة الفقراء بدمشق .

ثورة الفقراء بالشام:

قام الفقراء بثورة على الولاة بالشام من الغلاء الذى حل بالبلاد من سلب ونهب الجند لكل الأمتعة والأموال وقد هاجم الفقراء المخابز والمحكمة بسب مسئولية القاضى فى تطبيق قواعد الشرع وقيامه بدور المحتسب وعلى أثر ذلك تدخل سليمان باشا فأمر بتخفيض الأسعار ولم يدم ذلك إلا فترة قصيرة ولذا قد خفف من النقمة ضده بأن ألغى كثيرا من المظالم التى فرضت على أصحاب الحرف والصنائع والحارات كما أنه احسن إلى الفقراء وتودد إلى العلماء لينال تأيدهم ورضاهم تلك نماذج من الحالة الاجتماعية فى دمشق أثناء حكم الدولة العثمانية لها ويدخل ضمن ذلك الحالة الاقتصادية ولذا سوف اذكر مثالا عن انهيار الاقتصاد فى دمشق .

انهيار الاقتصاد فى دمشق:

انهارت قيمة النقد أثر ثورات العساكر التى حدثت فى فترة الحكم العثمانى ويبدو أن الأزمة الاقتصادية كانت مسئولة بجانب عوامل طبيعية وطبقية فالقحط والطاعون وغلاء الحبوب فى بلاد الشام كل ذلك أدى إلى ارتفاع الخبز إلى حد أدى إلى استغراب المؤرخ السورى[1] . وازدحم الناس على الأفران فى دمشق ولم تفلح جهود الدولة فى – استيراد القمح من مصر وقبرص وطرحه فى الأسواق إذ سرعان ما ارتفعت اسعاره وكان جشع التجار واصحاب الأفران مسؤلا إلى حد ما عن تفاقم الأزمة ولكن جزورها كانت أعمق من ذلك بدليل انها لم يقض عليها بالقضاء على جشع التجار وزادت من حدة الأزمة فى دمشق وجود عملة نقدية خاصة بها تصك فيها وقد اختلفت قيمتها بالنسبة لقيمة النقد السلطانى فى استانبول ولم يدرك الشعب فى دمشق الأسباب العميقة للأزمة فظنوا أن

(١) شرف الدين موسى فى كتابه الوضع الاقتصادى فى دمشق ص ٣٣٥ .

المسئول عن ذلك هو تهاون القضاه الذين كانوا يقومون عادة بتطبيق قوانين الشريعة فى عدم التلاعب بالأسعار واحيانا بدور المحتسب فهاجموه واشتكوه وقد حدث مثل ذلك فى مناسبات أخرى - ويبدو أن الانكشارية قد انتفعوا بفعل هذه الأزمة الاقتصادية بالإضافة إلى الأسباب الأخرى من ابتزاز أموال الفلاحين فى الأرياف لسهولة ذلك وإذا كان ولاة حلب قد حدوا من سلسلة الانكشارية بدمشق بالقوة فإن هذا لم يقدر على استفحال الفوضى بين الانكشارية فى دمشق فإلى هذا الحد كانت الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى بلاد الشام وتحدثنا عن طبقات ثلاث.

أولاً- الحكام: وهم أصحاب كل شىء فى البلاد وهم الاسياد وبيدهم مقاليد الأمور.

ثانياً - العلماء الذين كانوا يقاومون الظلم والفساد وقد رأينا كيف تعرض بعضهم للقتل - واطلاق النار والتعذيب ولم يمنع كل هذا العلماء من آداء رسالتهم والوقوف بجانب الشعب وشيخنا النابلسى كان رائد النهضة الاصلاحية للمجتمع الدمشقى بل والبلاد العربية المجاورة وغيرها وكان يهابه الحكام وهو الذى ارسل له بعض حكام دمشق كثيرا من الأموال والهدايا وكان يردها ولا يقبلها دليل على قوته وصلابته ووقوفه بجانب الحق دائما.

ثالثاً - طبقة الشعب ورأينا كيف قاس الشعب فى فترة الحكم العثمانى من الظلم والاستبداد بالمظلومين.

هكذا كانت البيئة التى عاصرها شيخنا النابلسى سياسيا وعلميا واجتماعيا واقتصاديا واننا سنتحدث بعد ذلك عن التصوف بصفه عامة. فيما يلي:

نبذة عن التصوف

تمهيد:

الحمد الله الذى أيقذ قلوب خواصه باشراق شمس شهوده حتى سطعت أنوار معرفته في آفاقها فهبت على أرواحهم نسائم قدسه وأشهدهم عوارف فضله في شهود انعامه وزج بهم فى عوالم الملكوت فلم يلتفتوا بل سبحوا فى بحار التجليات وشربوا من كؤوس القرب وذهب عنهم وحشة الغربة بنداء المحبة فوقفوا فى صحوة أدب ذل العبودية ينادون مناجين (سبحانك لا تحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) فالعجز أوصلهم والوصول أدبهم وذل التعبد كملهم سائرين على طريق المصطفى صلوات الله وسلامه عليه المبعوث خاتم والمرسل رحمة الذى أقام الله به معالم الهداية إلى وحدانية الوجود الأقدس وأقدره بسر قيوميته فانكشف له حقائق التجليات الصمدانية انكشافا انفرد به فى مقام (مازغ البصر وما طغى)[1] وكانت له بذلك (منزلة الحبيب) فرأى ما رأى وسمع ماسمع وشهد ماشهد وعلم ماعلم وتحقق بأقرب مشاهد القرب فكان (قاب قوسين أو أدنى)[2] فأوحى إلى عبده ما أوحى) وتطابق مشهد الفؤاد بمرأى البصر حيث لاكيف ولا أين وتمت له وعليه نعمة ربه الكبرى وسجد تحت عرش الجلال فى مقام لعلك ترضى فكان الاغر والحبيب الأحب صلوات الله وسلامه وبركاته عليه إمام – المرسلين وسيد العابدين المخلصين خاتم النبيين.

وبعد: فاننا سنذكر موجز عن التصوف وبيان منابعه الأصيلة مع بيان أطواره المختلفة ونقوم بحصر شامل له لأننا لسنا بصدد استفاء ماكتب عن التصوف وانما نحن نعطى المامة عنه باعتبار أننا نكتب عن علم من أعلام التصوف الاسلامى والذى صال وجال فى ميادين مختلفة منه وشيخنا النابلسى هو مقصودنا فى الرسالة التى نكتبها.

والتصوف هذا قد اختلف الناس فيه قديما وحديثا اختلفا بعيد المدى واسع الصدى فى معنى التصوف وقد حصر بعض الباحثين المحدثين أنه درس خمسة وستين تعريفا

(١) الآية رقم ١٧ من سورة النجم.
(٢) الآية رقم ٩، ١٠ من سورة النجم.

للتصوف أو أكثر فلم يجد معنى عاما منها مشتركا بينها اشتراكا يجمع خصائصها ويوحد حقيقتها والذى ينظر فى كتب التصوف ويطيل النظر يجد أنه أمام مئات من التعريفات للتصوف وكل تعريف منها ينحو إلى نحو خاص وشاهد ذلك نجده قريبا بين أيدينا فى كتاب الحلية لأبى نعيم وهو كتاب مشهور من أجمع ماكتب فى التصوف رجالا ونعوتا وأقوالا وحكما وتعريفات وحسب القارئ أن يعلم أن هذا الامام ترجم لأكثر من ثمانى مائة شخصية صوفية من رجال ونساء ترجمة تختلف أختلافا بينا فى الايجاز والاسهاب وهو يذكر فى كل ترجمة معنى أو أكثر من معنى للتصوف يختلف عما يذكره قبلا أو بعدا.

وكما اختلف الناس فى معنى التصوف اختلفوا فى تحقيق هل التصوف علم من علوم الاسلام الاصلية النابعة من العقيدة الاسلامية المنزلة فى كتاب الله على خاتم النبيين محمد ﷺ والماثلة فى سنته المطهرة قولا وعملا باعتبارها وحيا من الله تعالى موجبا للإيمان بهذا الوحى على راتبه فى درجات الطلب سلبا وإجابا.

أو هو علم من العلوم الطارئة فى تاريخ الاسلام نتيجة لتفاعل السنن بين عقائد الأمم التى استظلت بظل الأمم وأخلاقها وأفكارها وسلوكها؟

أو هو طريق من طرائق السلوك فى الحياة اختطها طائفة من الناس بعد أن نصبوا معالمها وأناروا مناراتها من أصول الشريعة المطهرة.

واننا سوف نبدأ ببيان معنى كلمة صوفى وتصوف ثم نتحدث بعد ذلك عن تطور هذه الكلمة.

أصل الكلمة: "تصوف"

التصوف: مصدر الفعل الخماسى المصوغ من (صوف) للدلالة على لبس الصوف.

ومن ثم كان التجرد لحياة الصوفية يسمى فى الاسلام صوفيا.

وينبغى رفض ماعدا ذلك من الأقوال التى قال بها القدماء والمحدثون فى أصل الكلمة – كقولهم أن الصوفية نسبة إلى أهل الصفة: وهم فريق من النساك كانوا يجلسون فوق

دكة المسجد بالمدينة لعهد النبى ﷺ - أو أنهم من الصف الأول من صفوف المسلمين فى الصلاة - أو من بنى صوفة - وهى قبيلة بدوية - أو أنهم نسبوا إلى (الصوفانية) وهى بقلفة أوالى (صوفة القفا) وهى الشعيرات النابتة عليه - أو أن اللفظ مشتق من صوفى مطاوع صافى والأصل صفا.

وقد استعمل هذا اللفظ المطاوع منذ القرن الثامن الميلادى للتورية مع كلمة صفى بمعنى المتنسك لابس الصوف ومع الكلمة اليونانية (سوفى) التى حاولوا فيها المحال بالمعادلة بين معنى كلمة فوسوفيا و(تصوف) وقد رد (نولدكيه) هذا المذهب الاخير فى اصل كلمة صوفى مبينا أن السين اليونانية تكتب باطراد فى العربية سينا لاصادا وأن ليس فى اللغة الأرية كلمة متوسطة للانتقال من (سوفيا) اليونانية إلى صوفى العربية.

وورد لفظ الصوفى لقبا مفردا لأول مرة فى التاريخ فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى اذ لقب به (جابر بن حيان) وهو صاحب كيمياء شيعى من أهل الكوفة له فى الزهد مذهب خاص (انظر خشيش النسائى المتوفى عام ٢٥٣هـ الموافق ٨٦٧ ميلادية الاستقامة - وأبو هاشم الكوفى المتصوف المشهور).

أما صيغة الجمع (الصوفية) التى ظهرت عام ١٩٩هـ ٨١٤ ميلادية فى خبر فتنة قامت بالاسكندرية[1] فكانت تدل قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الاسلامى يكاد يكون شيعيا نشأ فى الكوفة وكان عبدك الصوفى آخر أئمته[2] واذا فكلمة - (صوفى) كانت أول أمرها مقصوره على الكوفة وقدر لهذا الاسم أن يكون له شأن خطير فيما بعد فما أنقضى خمسون عاما حتى أصبح يطلق على كافة الصوفية بالعراق فى مقابل الملامتية وهم الصوفية بخرسان.

ثم أخذ هذا الاسم يطلق بعد ذلك بقرنين على كافة أهل الباطن من المسلمين كما هو حالنا اليوم فى اطلاق كلمة صوفى، صوفية.

(١) الكندى قضاة مصر بعت غست ص ١٦٢، ٤٤٠.
(٢) مكاسب - مخطوط فارس ٨٧ والجاحظ (البيان والتبيين جـ١ ص ١٩٤).

وفى غضون ذلك أصبحت لبسة الصوف أى عباءة من الصوف وما برحت من أخص أزياء المسلمين من أهل السنة واصبح هذا الزى حوالى عام ١٠٠هـ سنة ٧١٩ ميلادية فقيل أنه نصرانى دخيل فى الإسلام وقد عابوا على (فرقد السنجى) تلميذ الحسن البصرى هذه اللبسة وروى الجويبارى عن النبى أحاديث لعلها من وضعه يستحب فيها لبس الصوف لرجال الدين.

نشأة كلمة صوفى ومتصوف:

كان الاقبال على الدين والزهد فى الدنيا غالبا على المسلمين فى بدأ الاسلام فلم يكونوا فى حاجة إلى وصف يمتاز به أهل التقى والعكوف على الطاعات والانقطاع إلى الله تعالى ولم يتسم أفاضلهم فى الجيل الأول بتسمية سوى صحبة رسول الله ﷺ اذ لاأفضلية فوقها فقيل لهم الصحابة ولما ادركهم أهل الجيل الثانى سمى من صحب الصحابة بالتابعين.

فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة المتاع الدنيوى قيل للخواص ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد.

ثم ظهرت الفرق الاسلامية فادعى كل فريق أن فيهم زهاداً وعبادا - هنالك - انفرد خواص أهل السنة المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة واشتهر هذا الاسم قبل المئتين من الهجرة فهو اسم حدث بعد عهد الصحابة والتابعين ويقول بعض العلماء أن هذا الاسم معروف فى الملة الاسلامية من قبل ذلك بل يذهب بعض إلى أنه لفظ جاهلى عرفته العرب قبل ظهور الاسلام.

قال أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى المتولى سنة ٣٧٨هـ فى كتاب اللمع.

وأما قول القائل أن التصوف اسم محدث أحدثه البغداديون محال لأن فى وقت الحسن البصرى كان يعرف هذا الاسم وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ رضى الله عنهم وقد روى عنه أنه قال رأيت صوفيا فى الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معى اربعة دونيق فيكفينى مامعي.

وروى عن سيفان الثورى أنه قال لولا أبو هاشم الصوفى ماعرفت دقيق الرياء وقد ذكر فى الكتاب الذى جمع أخبار مكة عن محمد بن اسحق بن ياسر عن غيره يذكر فيه حديثا: أنه قبل الاسلام قد خلت مكة فى وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد وكان يجئ من بلد بعيد رجل صوفى فيطوف بالبيت وينصرف – فان صح ذلك يدل على أن قبل الاسلام كان يعرف هذا الاسم وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح وعلى ذلك فاستعمل لفظ صوفى ومتصوف لم ينتشر فى الاسلام الا فى القرن الثانى وما بعده سواء أكان هذا التعبير عن الزهد (بالصوفى) حدث فى اثناء المائة الثانية كما هو رأى ابن خلدون المتوفى عام ٨٠٦هـ فى مقدمته أم كان هذا التعبير معروفا فى الإسلام قبل القرن الثانى أم كان لفظا جاهليا على ماذكره (صاحب اللمع) الذى يحاول أن يبرأ الصوفية من انتحال اسم مبتدع لم يعرفه الصحابة ولا التابعون ويقول ابن تيمية فى رسالته (الصوفية والفقراء).

أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهورا فى القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالامام أحمد بن حنبل وأبى سليمان الدارانى وغيرهما وقد روى عن سفيان الثورى أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصرى.

أما الاستاذ (ماسنيون   ) فيقول[1]

صاحب العزلة بغدادى وهو أول من لقب بالصوفى وكان هذا اللفظ يومئذ يدل على بعض زهاد الشيعة بالكوفة وعلى رهط من الثائرين بالاسكندرية يعد من الزنادقة بسبب امتناعه عن أكل اللحم.

ويريد الاستاذ – ماسنيون أن أول من لقب بالصوفى فى بغداد كما يؤخذ مما نقله فى نفس الكتاب عن الهمزانى ونصه (لم يكن المالكون لطريقة الله فى الامصار السالفة

(١) فى كتابه المطبوع بباريس سنة ١٩٢٩ عند كلمة (عبدك) الصوفى المتوفى حوالى سنة ٢١٠هـ – ٨٢٥ ميلادية.

والقرون الأولى يعرفون باسم المتصوفة وانما الصوفى لفض اشتهر فى القرن الثالث - وأول من سمى ببغداد بهذا الاسم (عبدك) الصوفى وهو من كبار المشايخ وقدمائهم وكان قبل بشر بن الحارث الحافى والسرى بن المفلس السقطى.

وأرجح الأقوال وأقربها إلى العقل - مذهب القائلين بأن الصوفى نسبة إلى الصوف أوأن التصوف مأخوذ منه أيضا - فيقال: تصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فلهذا القول وجه سائغ فى الاشتقاق وهو مختار كبار العلماء من الصوفية مثل صاحب اللمع وشارح الرسالة القشيرية وغيرهم كابن خلدون وابن تيمية، وجمهرة الصوفية يميلون إلى رد اسمهم إلى الصفاء وإن لم يكن لذلك وجه ظاهر فى قواعد اللغة.

ثم ننتقل إلى الحديث عن اساس التصوف وما مربه من أدوار:

أساس التصوف وما به من أدوار:

أطلق لفظ الصوفى والمتصوف بادئ الأمر مرادفا للزاهد والعابد والفقير ولم يكن لهذه الألفاظ معنى يزيد على شدة العناية بأمر الدين ومراعاة أحكام الشريعة، فإن الفقر والزهد ولبس الصوف مظهر ذلك.

وكانت أحكام الشريعة تتلقى من صدور الرجال لافرق بين عباداتها ومعاملتها وعقائدها ثم تحدث الناس فى الأمور الدينية على نظام علمى ونشأ التدوين فكان أول - ماتوجهت إليه الهمم وانصرفت إليه الأفكار علم الشريعة بمعنى الأحكام العملية حتى حسب الناس أن الاشتغال بهذا العلم والعمل به هو غاية الدين.

هنالك تطور معنى التصوف إلى مايناسب الكمال فى الدين الذى وضع له اللفظ أولا وأدى هذا الطموح إلى نشأة علم دينى الى جانب العلم الفقهى.

وفى مختصر جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى المتوفى سنة ٤٤٣ قال سفيان: كاتب ابن منبه إلى مكحول انك أمرء قد أصبت فيما ظهر من علم الإسلام شرفا فاطلب بما بطن من علم الاسلام عند الله محبة زلفى.

وأعلم أنها احدى المحبتين سوف تمنع منك الأخرى.

وقد ذكر ابن تيمية فى رسالته الصوفية والفقراء: أن الأمور الصوفية التى فيها زيادة العبادة والأحوال خرجت من البصرة فافترق الناس فى أمر هؤلاء الذين زادوا فى أحوال الزهد والورع والعبادة على ماعرف من حال الصحابة – فقوم يذمونهم وينتقصونهم وقوم يبغلون هذا الطريق من أكمل الطرق وأعلاها. والتحقيق انهم فى هذه العبادات والأحوال مجتهدون كما كان جيرانهم من أهل الكوفة مجتهدين فى مسائل القضاء والادارة ونحو ذلك.

وزاد ابن تيمية هذا الرأى بيانا فقال:

واذا عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة وان مكان فيها من يسلك من طريق العبادة والزهد ماله فيه اجتهاد كما كان فى الكوفة من يسلك من طريق الفقة والعلم ماله فيه اجتهاد – وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة وهى لباس الصوف فقيل فى أحدهم صوفى – وليس طريقهم مقيدا بلبس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به لكن أضيفو إليه لكونه ظاهر الحال.

فكلام ابن تيمية يشير إلى مابين التصوف والفقه من صلة ولكن نرى أن علم الشريعة انقسم إلى قسمين:-

الأول: علم يدل ويدعوا إلى الأعمال الظاهرة التى تجرى عن الجوارح والأعضاء الجسمية وهى العبادات كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم إلى آخره، وأحكام المعاملات كالحدود والزواج والطلاق والعتق والبيوع والفرائض والقصاص.

وسمى هذا العلم علم الفقه وهو مخصوص الفقهاء وأهل الفتيا فى العبادات – والمعاملات.

الثانى: علم يدل على الأعمال الباطنة ويدعو إليها والأعمال الباطنة هى أعمال القلوب – وسمى هذا العلم الثانى علم التصوف وسمى المتصوفون انفسهم ارباب الحقائق وأهل الباطن وسموا من عداهم أهل ظواهر وأهل رسوم.

وأهل الرسوم طائفتان: القراء – والفقهاء – فالقراء هم أهل التنسك والتقيد سواء كانوا يقرأون القرآن أم لا يقرأونه وهمتهم محصورة على ظاهرة العبادة دون أرواح – المعارف واعمال القلوب والفقهاء هم المشتغلون بالفتيا وعلوم الشريعة وهؤلاء وهؤلاء عند الصوفية أهل رسوم – فريق مع رسوم العلم وفريق مع رسوم العبادة والتصوف.

فهذا الدور عبارة عن الأخلاق الدينية ومعانى العبادة قال ابن القيم المتوفى فى سنة ٧٥٦هـ سنة ١٣٥٥ ميلادية فى كتابه مدارج السالكين واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم أن التصوف هو الخلق وقال فى موضع آخر ان هذا العلم مبنى على الارادة فهى اساسه ومجمع بنائه – وهو يشتمل على تفاصيل أحكام الارادة وهى حركة القلب – ولهذا سمى علم الباطن كما أن علم الفقه يشتمل على تفاصيل احكام الجوارح ولهذا سمى علم الظاهر.

وبذلك يتبين أن أول خطوات التصوف فى سبيل التكون العلمى كانت عبارة عن نشأة علم الأخلاق الإسلامى وهذا التدرج فى معنى التصوف طبيعى بسيط لاتبدوا فيه دلائل تأثير خارج عن العبادات الإسلامية ولا تجهد المفكرين فى فهم معانيها وآثارها الروحية واتصالها بالقلوب ثم اتسعت انظار الباحثين فى العلوم الدينية وترامت هممهم إلى الكلام فى اصول الدين بعقولهم – ولطفت أذواق المراقبين منهم لمعانى العبادات وحركات القلوب – فأخذ التصوف يتسامى إلى نظرية خاصة فى المعرفة وسبيل الوصول إليها وهذه النظرية على ما بينة الغزالى فى كتاب احياء علوم الدين هى السعادة التى وعد الله بها المتقين – هى المعرفة والتوحيد والمعرفة هى معرفة حضرة الربوبية المحيطة بكل الموجودات اذ ليس فى الوجود شئ سوى الله تعالى وافعاله والكون كله من أفعاله فما تجلى من ذلك للقلب هو المحبه بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق، وتدون سعة نصر للانسان ومعاونه جسمه بسعة معرفته وبمقدار مايتجلى له من الله وصفاته وأفعاله وانما مراد الطاعات كلها وأعمال الجوارح تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه.

وهذه المعرفة تجعل للانسان وجهين أحدهما طريق الاستدلال والتعلم ويسمى اعتبارا واستبصارا ويختص به العلماء والحكماء.

والثانى: مالا يكون بطريق التعلم ولا الاستدلال ولكنه يهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدرى وهو ينقسم إلى مالا يدرى العبد كيف حصل له، ومن أين حصل - وإلى ما يطلع معه على السبب الذى استفاد منه ذلك العلم- وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب على أنه فى المثالين موقن بأن العلم جاءه من الله، والعلم فى الحالين بواسطة الملك.

والأول: يسمى الهاما ونفثا فى الروع ويختص به الأولياء.

والثاني: يسمى وحيا ويختص به الأنبياء.

وأهل التصوف يؤثرون العلوم الالهامية دون التعليمية ويعدونها المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية التى يستحيل معها امكان الخطأ. ولذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة بل قالوا إن الطريق إلى تحصيل تلك الدرجة بتقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقلع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى.

فطريق الصوفية يرجع إلى تطهير محض وتصفية وجلاء ومحاسبة للنفس ثم استعداد وانتظار للتجلى - والمريد فى مجاهداته وعباداته لابد أن تنشأ له عن كل مجاهدة حالة نفسية نتيجة لتلك المجاهدة - وأصل المجاهدات كلها الطاعة والاخلاص ويتقدمها الإيمان ويصاحبها، وتنشأ عنها الأحوال والصفات نتائج وثمرات، ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى إلى مقام التوحيد والعرفان.

ولابد للمريد من الترقى فى هذه الأطوار النفسية المسماة بلسان أهل التصوف المقامات أو المنازل والأحوال.

وللصوفيين اختلاف فى بعض منازل السير أهى من قسم المقامات أم من قسم الأحوال كما اختلفوا فى الرضا أهو مقام أم حال بل أنهم ليختلفون فى الفرق بين المقام والحال؟ بل المقام بفتح الميم هو فى الأصل موضع القيام وبضمها موضع الاقامة وبمعنى القيام المقام بالفتح والضم ما يتحقق به المريد من الصفات المكتسبة بالرياضة والعبادة

كمقام الخوف من الله الذى يحصل بترك الكبائر فالصغائر، فالمكروهات فالشبه، فالتوسع فى الحلال إلى أن ينتهى إلى ترك كل ما يشغل عن الله.

والحال معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب كالطرب والحزن والشوق والهيبة - فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب بمواهب لأنها انما تنال بالكسب مع الموهبة والعبد بالأحوال يترقى إلى المقامات ولا يلوح له حال من مقام أعلى من مقامه إلا وقد قرب ترقية إليه، وليس للمريد أن يتشوق إلى مقام فوق مقامه مالم يستوف أحكام ذلك المقام وأحواله، ومنهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات والمقامات نتائج الأعمال، فكل من كان أصلح عملا كان أعلى مقاما وكل من كان أعلى مقاما كان اعظم حالا ويقول صاحب اللمع ان معنى المقام مقام العبد فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل - أما معنى الأحوال فهو مايحل بالقلوب وتحل به القلوب وليس الحال من طريق المجاهدات والرياضات كالمقامات.

أما ابن القيم فيقول فى كتابه مدارج السالكين والصحيح أن هذه الواردات والمنازل لها أسماء باعتبار أحوالها فتكون لوامع وبوراق عند ظهورها وبدوها كما يلمح الباريق ويلوح على بعد - فاذا نازلته وباشرها فهى أحوال فاذا تمكنت منه ثبتت له من غير انتقال فهى مقامات وهى لوامع ولوائح فى أولها وأحوال فى أوسطها ومقامات فى نهايتها - فالذى كان بارقا هو بعينه الحال - والذى كان حالا هو بعينه المقام - وهذه الأسماء له باعتبار تعلقها بالقلب وظهوره له وثباته فيه، ولهذا كان التصوف طريقا من طرق العبادة فتناول الأحكام الشرعية من ناحية معانيها الروحية وأثارها فى القلوب، فهو يقابل علم الفقه الذى يتناول ظواهر تلك - العبادات ورسومها.

ثم انتقل التصوف فأصبح طريقا للمعرفة يقابل طريق أرباب النظر من المتكلمين قال الامام الغزالى فى الاحياء:

إن للإيمان والمعرفة ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض.

المرتبـة الثـانيـة: ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع الاستدلال ودرجته قريبة من درجات إيمان العوام.

المرتبة الثالثة: إيمان العارفين - وهو المشاهد بنور اليقين.

وكما كان الصوفية خصوم الفقهاء فى الدور الأول - اصبحوا خصوم المتكلمين أهل النظر فى هذا الدور.

ولعل علم التصوف إنما صار علما مدونا فى هذا الدور وصار موضوعه ما يوصل إلى درجـة العرفـان من أنواع المجـاهدات ومـا ينشأ عنهـا من الأذواق والمواجـيد التى هى المقامات والأحوال وقد جدت للقوم عبارات يدلون بها على ما اكتشفوا من دقائق المعانى فضمنوا علمهم أيضا مـشرع هذه الاصطلاحات - وكثـرت أسمـاء هذا العلم فسمى علم القلوب وعلم الأسرار وعلم المعارف وعلم الباطن، وعلم الأحوال والمقامات، وعلم السلوك، وعلم الطريقة وعلم المكاشفة.

واذا كان غير منكور أن التصوف فى هذا الدور لم يخل من التأثر ببعض ما وصل إلى المسلمين من معارف الأمم القديمة، فاذا لانزال نجد الصبغة الإسلامية غالبة فى هذا العلم الوليد ولا نستطيع أن نقـول مع جولد زيهـر وكذلك يجب عند النظر فى التصـوف نظراً تاريخيا تقدير النصيب الهندى الذى ساهم فى تكوين هذه الطريقة الدينيـة المتولدة من المذاهب الأفلاطونية الجديدة.

ثم انصرفت عناية قوم من المتأخرين لكشف حـجاب الحمى الذى هو نـهاية مراتب الصوفية ولما وراء ذلك من المداراء والمعارف واختلفت طرقهم فى الرياضة والمجاهدة - وإمـاتت القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالعبادات والذكر وتعرضوا للكلام فى حقائق الموجودات العلوية والسفلية على وجـه لايفهمه من لم يشاركهم فى أذواقهم ومـواجدهم ثم قالوا: ان أهل المجـاهدة يدركون كثيرا من الوقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم وقوى نفـوسـهم فى الموجـودات السـفليـة وتصـيـر طوع اردتهم وتوغلوا فى ذلك كله مـتـأثرين بمذاهب الاسماعيلية واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر فى كلام المتصوفة القول

بالقلب ومعناه رأس العارفين – وهو بعينه ما تقوله الرافضة وبلغ تأثرهم بهذه المذاهب المفرطة من مذاهب التشيع أنهم لما أرادوا أن يجعلوا لباس خرقة التصوف أصلا لطريقتهم رفعوه إلى على بن أبى طالب رضي الله عنه ثم يقول ابن خلدون: ولم يختص على من بين الصحابة بطريقة فى لباس ولا حال هنالك حدث تطور جديد فى موضوع علم التصوف فأصبحت كتب القوم تتناول أربعة ابحاث:

١ – المجاهدات وما يحصل عنها من الأذواق والمواجد ومحاسبة النفس عن الأعمال لتحصيل تلك الأحوال والترقى منها إلى غيرها.

٢ – الكلام فى الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش – والكرسى والملائكة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وترتيب الأحوال فى صدورها عن موجدها.

٣ – التصرفات فى العوالم والأكوان بأنواع الكرامات.

٤ – الفاظ موهمة اللظاهر صدرت من كثير من أئمة القوم يعبرون عنها فى اصطلاحهم بالشطحيات – والشطح لفظة مأخوذة من الحركة – يقال – يشطح اذا تحرك – وهو عبارة مستغربة فى وصف وجد فاض بقوته وهاج لشدة غليانة وغلبته – فهى حركة أسرار الواجدين اذا قدس وجدهم فعبروا عن وجدهم بعبارات يستغرب مامعها – ومن ذلك مايروى عن ابى يزيد البسطامى المتوفى سنة ٢٦١هـ (٨٧٥م) أنه قال:

(رفعنى مرة فأقامنى بين يدية رقال لى:) : يا أبا يزيد: أن خلقى يحبون أن يروك فقلت: (زينى بوحدانيتك والبسنى أنانيتك، وارفعنى إلى أحديتك حتى اذا – رآنى خلقك قالوا: رأيناك فتكون انت ذاك ولا أكون أنا هناك).

ولكن الغلاة من متأخرى المتصوفة المتكلمين بالمواجيد خلطوا مسائل الكلام والفلسفة الالهية بنفسهم مثل كلامهم فى النبوات والاتحاد والحلول ووحدة الوجود.

ولما كانت حكمة الاشراق أو الحكمة الذوقية هى من الفلسفة بمنزلة التصوف من العلوم الإسلامية وكان السالكون طريقة الرياضة والمجاهدة لمعرفة المبدأ والمعاد ان وافقوا فى رياضتهم أحكام الشرع فهم الصوفية والا فهم الحكماء الاشراقيون.

لما كان الأمر كذلك سهل التدانى بين التصوف والفلسفة وتفتحت له الأبواب فى هذا الدور والمتأمل فى هذه الأدوار التى تداولت التصوف يلاحظ أن اللفظ استحدث أول الأمر للعبارة عن معنى الكمال الدينى بالتمسك بالشرع والزهد فى الدنيا حينما أخذ الناس فى مخالطة الزخارف الدنيوية وكاد يلغى حب المال على ماغرسه الدين فى النفوس من الورع – فكان الصرفى مخالفا للجماهير بفقره وورعه على حين يلتمس غيره المال ويطمع فى المغنى – ثم حدثت العلوم الدينية وأقبل الناس على الفقه يتنافسون فى تدارسه وفى العمل بأحكامه – فأصبح الكمال الدينى الذى يعبر عنه المتصوف شيئا وراء ما يدعو إليه الفقيه ويصرف إليه جهده – هو صفاء القلب وتأثره بالعبادة وحسن الخلق.[1]

ولما نشأ البحث فى العقائد والتماس الإيمان من طريق النظر أوالنصوص المقدسة وتوجهت هم المسلمين إلى التماس المعرفة على أساليب المتكلمين أصبح الكمال – الدينى التماس الإيمان والمعرفة من طريق التصفية والمكاشفة وأصبح التصوف عبارة عن بيان هذه الطرق وسلوكها.

وشاعت بعد ذلك أقاويل الفلاسفة والمتكلمين فى الصانع وصدور الموجودات عنه وما إلى ذلك من عوالم الأرواح وشئون الآخرة فتلكم الصوفية فى كل ذلك على منهجهم الذى لايعتمد على نظر ولاعلى نص ولامعرفة إلا من ذاق ماذاقوا – وهم يرون ما تكلموا به حق اليقين الذى لا يقبل شكا ولا يلحقه بطلان ولا يدركه إلا من بلغ رتبة الفرقان – سئل ابن الجلا مامعنى قولهم (صوفى) ؟ فقال: ليس نعرفه فى شرط العلم ولكن نعرف أن الصوفى من كان فقيرا مجردا من الأسباب وكان مع الله بلا مكان ولايمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان فالتصوف نشأ معبرا عن المثل الدينى الأعلى وظل فى ادواره كلها يعبر عن ذلك المثل مخالفا ماعليه العامة والقراء والفقهاء وأهل السنة والمتكلمين والمتفلسفين متعرضا لعداوتهم واضطهاداتهم من غير أن تخرجه العداوات والاضطهادات عن حدود الحب والتسامح.

---

(١) وهذا كلام الإمام الكتانى فى التصوف بأنه صفاء القلب ومشاهدة الرب المنقذ من الضلال.

فالتصوف كان وحده من بين معترك المذاهب تسامحا صرفا وسلاما من كل مامر به من الأدوار والصوفى لايكره شيئاً ويصفوا به كل شئ.

هكذا نشأ التصوف وتلك أدواره المختلفة تحدثنا عنها فى ايجاز واننا سوف نذكر أحول التصوف وأول المتصوفين فيما يأتى.

"أصول التصوف":

التفاسير الصوفية للقرآن والأحاديث الصوفية عن حياة محمد الباطنة التى لانعلم عنها الا القليل متأخرة فى الزمن بعض الشئ حتى ليشك فيها على أن النزوع إلى التصوف لم يخل منه قطر من الأقطار أو أمة من الأمم لم يعوز البلاد العربية الإسلامية فى القرنين الأولين للهجرة فاذا ما استبعدنا الأساطير المتأخرة فانا نجد الجاحظ وابن الجوزى وهما من القصاص قد حفظا لنا نيفا وأربعين زاهدا عاشوا حقا فى ذلك العهد وكان فى ابطانهم العبادات دلائل بينة على حياة التصوف على أنه لم يعد من الجائز أن يقال أن أحداً من المتصوفة ابتداء من الجماعة الإسلامية اذ لايخفى على أحد اليوم أن الحديث المشهور (لارهبانية فى الإسلام) الذى ذهب (شبرنجر) فى تفسير هذا المذهب إلى أنه – حديث موضوع – وليس من شك أنه وضع فى القرن الثالث الهجرى على أكثر تقدير تحبيذا وتدعيما لتفسير جديد للآية السابعة والعشرين من سورة الحديد التى ورد فيها ذكر الرهبانية وهو تفسير يحرمها ويعيذ الاسلام عنها.

وكان فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة أمثال – مجاهد وأبى أمامة الباهلى والمتصوفة القدامى الذين عرفوا بالحرص قد أجمعوا على تفسير هذه الآية تفسيرا يجيز الرهبانية ويمتدحها قبل أن يشيع التفسير المعارض الذى غلبه الزمخشرى على جميع التفاسير.[1]

ويجوز للمتصوفة المسلمين أن يزعموا أنه كان بين الصحابة رجلان يعدان بحق السابقين إلى التصوف هما – أبو زر، وحذيفة – ولم يثبت ثبوتا قاطعا أن أويسا وصهيبا كانا على شاكلة هذين الصحابيين، وجاء بعد هؤلاء النساك والزهاد والعباد والقصاص

(١) أنظر الجنيد – دواء الأرواح.

وكانوا أول أمرهم متفرقين لارابط بينهم ثم تجمعوا فريقين شأنهم فى ذلك شأن بقية المتفقهون فى سائر العلوم الإسلامية وكان مركز الفريقين على حدود أرض - الجزيرة من صحراء العرب أحدهما فى البصرة والآخر فى الكوفة، وكان العرب الذين استوطنوا البصرة من بنى تميم مفطورين على النقد ولا يؤمنون إلا بالواقع كلفوا بالمنطق فى النحو والواقع فى الشعر والنقد فى الحديث وكانوا على مذهب أهل السنة مع جنوح إلى المعتزلة والقدرية، وكان شيوخهم فى التصوف (الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠هـ (٧٢٨م) ومالك بن دينار، وفضل الرقاش ورباح بن عمرو القيس وصالحا المرى وعبد الواحد بن زيد المتوفى عام ١٧٧هـ (٧٩٣م) صاحب طائفة الزهاد فى عبادان أما العرب الذين استوطنوا الكوفة فكانوا من اليمانية أصحاب مثل وتقاليد يستهويهم الشواذ فى النحو الخيال فى الشعر والظاهر فى - الحديث وكانوا على مذهب الشيعة مع ميل إلى المرجئة وشيوخهم فى التصوف -- ربيع بن خيثم المتوفى عام ٦٧هـ (٦٨٦م) وأبو اسرائيل الملائى المتوفى سنة ١٤٠هـ (٧٥٩م) - وجابر بن حيان وكليب الصيداوى - ومنصور بن عمار - وأبو عتاهية وعبدك - وقضى منصور بن عمار وأبو عتاهية وعبدك الشطر الثانى من حياتهم فى بغداد قصبة الدولة الإسلامية التى غدت مركز الحركة الصوفية بعد عام ٢٥٠هـ - وهو العام الذى بدأت تعقد فيه الاجتماعات والحلقات للتناظر فى شئون الدين وتلقى فيه أول الدروس الصوفية فى المساجد.[1]

"الصوفية فى المساجد"

وهو أيضا العهد الذى اشتجر فيه الخلاف، جهرة ولأول مرة بين المتصوفة والفقهاء وسيق فيه أمام قضاة بغداد ذو النون المصرى عام ٢٣٠هـ والشورى وأبو حمزة مابين عامين ٢٦٢هـ - ٢٦٩هـ (٨٧٥ - ٨٨٢م) فى رواية ابن - الجوزى - هكذا كانت اصول التصوف فى البلاد الإسلامية فى أول عهدها.

وننتقل بعد ذلك للحديث عن مصادر التصوف وسماته المختلفة:

(١) ص ١٨٣ تلبيس أبليس - وأخبار الحلاج.

"مصادر التصوف"

التصوف مأخوذ من القرآن الكريم لأن من آياته نرى أن الصوفية استمدوا طريقهم فى الاعراض عن الدنيا والاقبال على ربهم اقبال رجاء ومحبة وفناء.

فكثير من الآيات تصف الدنيا بأنها متاع الغرور، وبأنها لهو ولعب وتفاخر وتكاثر بالأموال والأولاد وتكالب على التافه الزائل من ألوان الشهوات والأهواء، ثم الجميع إلى ذهاب: قال تعالى: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1].

وهل استمد الصوفية فلسفتهم الزاهدة وازدراءهم بالدنيا الا من هذا الفيض الربانى الكريم الحكيم.

والقرآن فى كل آية من آياته يتبعه بالنفس البشرية وجهات روحية خالصة، هدفها الدار الباقية حيث النعيم الدائم المقيم ويفسر لغز الحياة والغاية من الخلق تفسيرا واضحا لا لبس فيه ولاغموض فيقول: ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾[2].

فالغاية من الخلق هى أن يعبد الانسان الله هذا هو الهدف، وهذا هو الفصل فيما يختلف فيه الناس ويتجادلون وكل ما فى الوجود يسبح بعظمة الله وحمده لأن ذلك فطرة وطبيعة ولأن الكون بما حوى تنتظمه روح مؤمنة طائعة عابدة قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[3] ويصف الله سبحانه وتعالى ملائكته المقربين وصفا عظيما كريما بقوله: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾[4] تلك هى رسالة الملائكة، فهل يلام الانسان المؤمن اذا سلك مسلكهم ونهج نهجهم.

(١) الآية رقم ٢٠ من سورة الحديد.
(٢) الآية رقم ٥٦ من سورة الذاريات
(٣) الآية رقم ٤٤ من سورة الأسراء.
(٤) الآية رقم ٢٠ من سورة الأنبياء.

ويقول العلى العليم لنبيه قولا يجب أن تستمع له كل أذن - لأن به تطمئن قلوب المؤمنين قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1].

ها هو القرآن الكريم يأمر الرسول، ومن كالرسول بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه، مع أهل الصفة لأنهم صفوة مختارة يحبون الله ويحبهم الله.

وعلى ذلك فالمتصوفة استمدوا مذاهبهم فى الحياة وعلى ضوء فهمهم لآياته الكريمة قامت فلسفتهم وبها تلونت أعمالهم وانطبعت حركاتهم قال تعالى: ﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾[2] أى أن الله وحده هو الفاعل المطلق الذى تصدر عنه وتقوم به جميع أفعال العباد وهو المصدر لكل مايحيا به الانسان أو يوجهه إلى مختلف الغايات والأغراض: فالعبد من الرب كما يقولون بمثابة القلم من الكاتب فالكاتب هو الذى يمسك به ويحركه ويجرى به يده فيكتب ما يشاء ويسطر مايملى عليه.

يقول سبحانه: ﴿الله نور السموات والأرض﴾[3] وايضا قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم﴾[4].

فالصوفية يتخذون من هاتين الآيتين ونظائرها فى القرآن دعامة يقيمون عليها مذاهبهم فى تجلى الحق سبحانه على مخلوقاته، وتجليه على الكون تجلى إحاطة وشمول.

ويقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[5].

وقد بنى الصوفية على تلك الآية وأمثالها مذاهبهم فى الحب الالهى حب الله للانسان وحب الانسان لله وهو الحب الذى تقوم به الحياة ومذاهبهم فى الساعة والجهاد - جهاد

(١) الآية رقم ٢٨ من سورة الكهف.
(٢) الآية رقم ١٧ من سورة الأنفال.
(٣) الآية رقم ٣٥ من سورة النور.
(٤) الآية رقم ١١٥ من سورة البقرة.
(٥) الآية رقم ٥٤ من سورة المائدة.

النفس وجهاد الظلم حتى تعلو كلمة الله ويكون الدين كله لله قال تعالى: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾[1] أي انقطع إليه انقطاعا كاملا وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[2] وقوله تعالى ﴿أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ورزق كريم﴾[3] وقوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾[4].

اعبد الخالق العظيم، اعبده دائما وأبدا بالغدو والآصال، اعبده في الجهر والسر تضرعا وخيفة ولاتكن من الغافلين عن ذكره المعرضين عن طاعته، فان فعلت تكن من المؤمنين حقا، وللمؤمنين عند ربهم درجات ومغفرة قال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾[5].

جعل الصوفية التقوى أساسا للعلم ومصدرا للاشراق والالهام والفيض الرباني العظيم.

ولا يمكننا أن نحيط بكل آية قرآنية من الآيات التى تحمل الملامح الصوفية فالقرآن تشريع وعبادة والتشريع فيه تمهيد للتعبد والطاعة وكل آية من آياته تحمل تلك المعانى فلينظر أصحاب القلوب إلى معانى التصوف كيف كان مصدره القرآن وعمل الصحابة رضوان الله عليهم وان كان الأمر كذلك فهل بقى التصوف دون أن يكون له خصوم وأنصار، ولذا نجدنا أمام تيارين فى هذا المبدأ الأول تيار الخصوم والثانى تيار الأنصار واننا سوف نذكر فيما يأتى هذين التيارين.

"التصوف بين خصومه وأنصاره"

لم يحدثنا تاريخ الفكر الإسلامى عن معارك أعنف ولا أقصى من تلك المعارك التى دارت حول التصوف ورجاله قد هوجموا هجوما عنيفا متواصلا من رجال الفكر والعلم

(١) الآية رقم ٨ من سورة المزمل.
(٢) الآرية رقم ٢٠٥ من سورة الاعراف.
(٣) الآية رقم ٤ من سورة الأنفال.
(٤) الآية رقم ٩٩ من سورة الحجر.
(٥) الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة.

والفقه على تعدد ألوانهم ومذاهبهم واختلاف توجيهاتهم وآرائهم هوجموا من - اليمين والشمال من العقليين والدينيين حتى اضطر رجال التصوف إلى الحرب فى جميع الجهات والساحات[1].

وهذه الحرب على قسوتها وعنفها خدمت الفكر والعلم خدمات كبرى تتجلى فى هذا التراث الضخم الذى تزخر به مكاتب الفكر الإسلامى، ولذا هاجمهم الماديون - الذين لايؤمنون بالروح ولا بالله ولابيوم الحساب والعقاب.

الماديون الذين قالوا: إنما هى حياتنا الدنيا ثم نموت فلا نحيا ولايهلكنا الا الدهر، وألحدوا بكل مافى الوجود من روحانيات ورسالات.

وهؤلاء الماديون لسنا فى حاجة إلى نقاشهم، فقد أفلسوا وأفسلت مذاهبهم فى سائر أنحاء الكوكب الأرضى، وعليهم وزر مااجترحوا من سيئات، فهم كما أسماهم تولستوى (بؤساء روحانيون) وكما عبر عنهم هكسلى (بالمنتحرين الضالين) وكما وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَام بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[2].

وهاجم التصوف رجال الفلسفة وأصحاب المذاهب العقلية فعابوا على رجاله طريقهم إلى المعرفة، وأنكروا أن يكون التفرغ والتجرد من متع الحياة والزهد فى شهواتها ونعيمها سبيلا إلى المعرفة بل سبيل المعرفة عندهم وهو تغليب أرقى أجزاء النفس على الحواس وهم يتصدون بذلك قوى العقل وإرادته كما وصفوا الإنتصار العقلى على الحواس بأنه أرفع مراتب السعادة كما يقول ابن رشد وهم بذلك يؤيدون الصوفية أكثر مما ينقدونها أو ينقصونها، لأن فى سعيهم إلى تغايب العقل نزوع إلى الصوفية واختلف الوضع فتنادوا بالعقل وتنادى المتصوفون بالروح.

وقد رفض الصوفية فى نقاشهم مع الفلاسفة الإيمان بعصمة العقل البشرى قائلين إن العقلاء أوالفلاسفة قد اختلفوا وتعارضوا ولم يتفقوا فيما بينهم على رأى واحد فى الالهيات

---

(١) كان أبو الحسن الشاذلى يقول - لقد ابتلى الله هذه الطائفة الشريفة بالخلق خصوصا أهل البدال.
(٢) الآية رقم ٤٤ من سورة الفرقان.

وغيرها فأى عقل من عقولهم نتبع؟ وأى عقل من عقولهم هو المعصوم وأى عقل من عقولهم نعترف بأنه العقل الشافى الكامل الذى سما حتى وصل إلى الحقائق التى يأتى منها الوحى.

ولا جدال فى أن العقل الانسانى يخطئ ويصيب، ولاريب فى أن مايأتى به العقل من هدى عرضة للنقص والتغيير فكيف نطمئن إليه وكيف نؤمن بآرائه فى الالهيات وما وراء الطبيعة.

وعلماء الإجتماع ورجال الأخلاق تهكموا بالصوفية وأساليبها، وأسرفوا فى التهكم والتجريح لأنها فى نظرهم لاتصلح للحياة العملية ولا يقوم بها نظام المجتمع ولايمكن أن تقوم على نظمها الزاهده المسالمة الأمم والشعوب وتلك شهادة للتصوف لا عليه فهى تدل فيما تدل على أن المتصوفة لاينشدون مظهرا فى الحياة ولا غلبة فى مضمارها الدامى الحقود، ولا يبغون مأربا من مآربها ولا يلتمسون مغنما من مغانمها، وانما ينشدون طهرا وقربا من الله وفوزا ورضوانه وعبادته ومحبته.

والصوفية لايقولون بأن طريقتهم للناس جميعا لأن المثالية لم تكن يوما من الأيام شرعة مباحة لكل من يخلو بقدمين على الكوكب الأرضى وليس فى استطاعة الناس جميعا أن يكونوا ملوكا ولا أن يكونوا فلاسفة وأولياء مثلا لأن التصوف مثل عليا، والمثل العليا لايطبقها ولايقوم بها إلاصفوة مختارة من أولى العزم وأصحاب العقول والقلوب، فهل يلام الانسان لتخلقه بالاداب العليا التى لا يطيقها إلا القطيع الكبير واما الفقهاء وعلماء الكلام فقد هاجموا المتصوفة هجوما عنيفا وأفرطوا فى اتهامهم بالمروق ومخالفة امر الشرع[1].

وفى هجوم الفقهاء الشئ الكثير من هوى النفس والدفاع عن الحياة وأرزاقها فقد تنادى رجال التصوف بأن الفقيه هو العابد أولا ثم العالم بحدود الله وشريعته لأن التعبد شرط العلم الدينى وكثير من الفقهاء لم يوفى فى نظر الصوفية بهذا الشرط فنبذوه.

(١) كانت الخصومة بين رجال التصوف وجمهور الفقهاء أما الأئمة من رجال الفقه فان لم يكونوا من رجال التصوف فقد أجملو اربابه واعترفوا بالفضل والطائه الغالية لهؤلاء حتى كان الإمام أحمد يسأل شيبان الراعى فى الفقه وكذلك الشافعى كان يرسل دقائق للمسائل إليه.

ثم يأتى بعد ذلك أمر أخر اشد خطر وأبعد أثرا، فان رجال التصوف انتزعوا الجماهير من قبضة الفقهاء وتزعموها دونهم كما انتزعوا اعجاب الخلفاء وتقدير الولاة، فأعلنها الفقهاء حربا وتشهيرا بمختلف الأسلحة علهم يزلزلون مكانة التصوف ورجالة ولعلهم يستردون الأرض المفقودة وقد اتخذ الفقهاء تكأة فى حروبهم استغلوها استغلالا كبيرا، وهى أن فريقا ممن انتسبوا إلى التصوف زورا وبهتانا أفرط وغالى فى الغرور والمروق والتحلل من الآداب والاخلاق.

والتصوف الصادق لايعترف بهؤلاء ولا يلقى اليهم سمعا بل يبرأ منهم ويهاجمهم بأشد ما يهاجم به رجال الفقه وعلم الكلام.

قال سهل التسترى أصول طريقتنا سبعة: التمسك بالكتاب والاقتداء بالسنة وأكل الحلال وكف الأذى، وتجنب المعاصى ولزوم التوبة وأداء الحقوق.

هذا هو التصوف، وهذه أهدافه وأصوله، فمن انحرف قيد انملة عن هذا الدستور القرآنى فقد انحرف عن التصوف انحرافه عن الايمان بالله تعالى ايمانا صادقاً خالصاً.

هكذا كان التصوف من بدايته إلى نهايته ومهما كتبنا عن التصوف والمتصوفين فاننا نجد أنفسنا فى بداية الطريق ولكن أقول ان التصوف مأخوذ من الكتاب وسنة رسوله ﷺ وكل من يدعى خروجا على تعاليم الإسلام باسم التصوف فاعرف أنه خارج الدين زنديق ملحد منحرف عن الطريق المستقيم والتصوف فى أصله كما ذكرنا؟

"النابلسى والتصوف"

واذا تحدثنا عن مركز النابلسى من الحركة الصوفية بوجه عام فاننا لنرى أن النابلسى كان أحد رجال المدرسة النقشبندية النابهين المتأخرين.

لقد كان النابلسى مؤمنا حق الإيمان بما أسماه الدستور القرآنى وهيمنته على التصوف جملة وتفصيلا، ومن ثم فإن آية بادرة للخروج عن هذا الخط العام تعتبر عند النابلسى خارجة عن التصوف نفسه.

واذا كان للنابلسى تفسيرا خاصا لوحدة الوجود عند ابن عربى، فانه يحاول بهذا التفسير أن ينقى هذه النظرية مما قد يشوبها من عناصر ربما تبدوا خارجة عن الدستور القرآنى، مقتربا بها من الخط السنى المحافظ.

أعتقد النابلسى إذن أن طريق التصوف هو الطريق الجدير بالإتباع، ومن ثم بدأ أن من الواجب عليه أن يعرض لنا التصوف عرضا مقبولا لدى جمهرة المسلمين مدافعا عن آراء المتصوفة مما قد يوجه إليها من اعتراضات، ومفندا ما قد يبدوا من انتقادات لهذه الصفوة المنتقاة من المسلمين.

ونحن إذ نذكر النابلسى ههنا فانما لنذكر دفاعه عن الصوفية ولنرى منه كيف كان النابلسى مدافعا بحق عن هذا الطريق الذى رأى أنه يمثل الصحة والصدق والصواب.

"دفاع النابلسى عن الصوفية"

تمثل دفاع شيخنا النابلسى عن الصوفية فى ذكر أراء العلماء من الفقهاء والمحدثين وغيرهم: ثم أجمل هذه الآراء التى تجيب على ما يطعن به فى الصوفية الأخيار وكانت التساؤلات كثيرة حول الذكر والرقص والدوران والتوسل وغيرها من الأمور التى أنكرها كثير من العلماء وطعنوا بها على المتصوفة وعلى التصوف وبعد أن استعرض شيخنا النابلسى ما أجاب به العلماء على هذه التساؤلات: قال فى هذا الشأن: انى قد اطلعت على الأسئلة التى وجهت إلى العلماء فوجدت أن أئمة الإسلام قد كتبوا فيه وهم المعول عليهم فى الأحكام وقد أجابوا وأجادوا وهذا مما يجب على أهل الدين الدفع عنه مما يرد عليه من الشبه والضلال ولاشك أن من عارض السادة الصوفية فيما هم عليه من ذكر وعبادة وغيرها سواء كانوا السادة الخلوتية أو غيرهم انما مراده إبطال نظام الإسلام ولاشك أن هذا إبتداع يجب رده وزجر من أراده وتنكيل بما يليق بحاله ثم لايخفى أن المعترض لايخلو إما أن يكون اعتراضه لغرض نفسى فهذا لانظر إلى اعتراضه وما يترتب عليه.

وأما أن يكون لحسد أهل الطريق وبغضهم فلا يخفى ابتداعه وضلاله فإنهم على حق وطريقهم صحيح مبنى على التفويض والتسليم بما جاء به الرسول ﷺ من ربه.

وأما قول القائل أن الذاكرين على تلك الحالة يكفرون، فان من قال بكفرهم عن تصميم واعتقاد فلا يخفى اثمه بل كفره لأن من كفر مسلما عن عمد بلا تأويل كفر وإن قال ذلك لما اشتمل عليه فعلهم من الرقص والهوى (التمايل) فهذا لا يقتضى التأثيم فضلا عن التكفير، فقد صرح أئمتنا بأن الرقص لاحرمة فيه ولا كراهة لما فى الصحيحين[1] أن رسول الله ﷺ وقف لعائشة رضى الله عنها يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفون، والزف الرقص مجرد حركة على استقامة واعوجاج، نعم إن كان الرقص بتكسر حرم وهم لايفعلونه كما هو مشاهد منهم، ثم لايخفى على كل أحد أن الذكر بسائر أنواعه محمود سواء كان بتسبيح أو تقديس، أوذكر الله تعالى أو غير ذلك، قال الله تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ لهذا نرى شيخنا النابلسى فى دفاعه عن الصوفية فى مسألة الذكر والرقص والدوران فى حلقة الذكر ثم نجد كثيرا من المفسرين الذين فسروا هذه الآية وغيرها يقولون ان المراد بالذكر فى الآية سواء كان بالقلوب أو بالالسنة ولذا قال البيضاوى بقلوبهم والسنتهم أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيرا﴾ قال البيضاوى يعم ماهو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾، قال أول النهار وآخره خصوصا وقد قال ﷺ كما رواه أبو داود عن إبى هريرة رضي الله عنه ماإجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة النبى ﷺ الا قاموا عن انتن من جيفة، رواه الطيالسى والبيهقى فى شعب الإيمان والضياء عن جابر رضي الله عنه والأحاديث والآيات فى هذا المعنى كثيرة جداً.

وأما قول المعترض أقضوا صلاتكم فهذا كلام ظاهر البطلان، وما وجه الارتباط بين الصلاة والذكر، فان كانوا يحسنون الفاتحة وأركان الصلاة وما يطلب لها فلا وجه لبطلان صلاتهم ولا صلاة من صلى خلفهم، فقد قال أئمتنا تصح الصلاة خلف كل بر وفاجر ولو كان من أهل البدع، لأنا لانكفر أحد من أهل القبلة.

وأعلم أن من قال يا أهل الشريعة الغراء كان فى معزل عن الاعتراض والانتقاد ألا ترى أنه ﷺ كان يحمل الناس على أحسن الأحوال[2] وقال لمن أقر عنده بالسرقة: ما

(١) المراد بهما البخارى ومسلم.
(٢) ص ٦٦ من كتاب جمع الاسرار فى منع الاشرار من الطعن فى الصوفية الاخيار مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٦٣٩٤.

أخالك سرقت أى ما جعلك سرقت، فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا وقال لماعز لما أقر عنده بالزنا بالغامدية لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت رواه البخارى.

فانظر كيف كان ﷺ يحمل الناس على أحسن الأحوال ولو حصل منهم ماظاهره المخالفة.

فكيف بقوم مجتمعين على طاعة وعبادة؟

أما قولهم بعدم جواز التوسل بالأنبياء والأولياء فهذا كذب وافتراء كما يقول شيخنا النابلسى قد نص أئمتنا على أنه يجوز التوسل بأهل الخير والصلاح[1].

والحق أن العبرة بالنيات والمقاصد التى تنطوى عليها القلوب، إذ رب سامع قولا قبيحا يصرفه إلى الحسن، وعكسه، ومن ثم يعامل كل حسب قصده ونيته.

والذى ينبغى فى نظر النابلسى - أن يقلع المرء عن الاعتراض على الصوفية طالما وجد لأحوالهم وأعمالهم محملا صحيحا يخرجهم عن ارتكاب المحرم.

ومن وجهة أخرى فانه لايجوز الإنكار إلا على من ارتكب أمر ظاهر لمخالفته للشريعة أو منابذا لها من الأفعال والأقوال كالكشف عن العورة مثلا أو ترك الواجبات والفرائض أو الإتيان بمنكر من المنكرات.

واذا كنا قد تحدثنا عن التيار الصوفى فى جملته منذ دور النشأة حتى وصلنا إلى آراء شيخنا النابلسى ودفاعه عن رجاله، فانه ليحق لنا بعد أن أوضحنا الاطار العام للمجتمع الذى عاش فيه، ثم دخلنا فى أعماق التيار الصوفى نفسه أو الاطار الخاص لحياته: أن نعرج على هذه الحياة التى عاشها شيخنا النابلسى متأثرا بكلتى التربتين وأعنى بهما:

أ- تربية المجتمع العام متمثلا فى جوانبه السياسية والاجتماعية والفكرية.

ب- ثم تربية المجتمع الخاص متمثلا فى الأفكار السائدة داخل التيار الصوفى ومركزه الخاص به داخل هذا التيار.

وهذه الحياة هى موضوع حديثنا فى الفصل التالى بأذن الله تعالى.

(١) ص ٦٨ نفس المرجع السابق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول:

"فى تحقيق مولده ونشأته وحياته وثقافته"

شيخنا النابلسى قبل أن أتحدث عن مولده ونشأته وحياته وثقافته ورحلاته العديدة لابد أن نعرف بيت النابلسى.

"بيت النابلسى"

بيت انفرد بآحاد الرجال وأعيان الكمال من أهل دمشق الشام هذا البيت الذى ضم الكثير من العلماء الافاضل منذ عرف هذا البيت فهو بيت يشع نوره على أهل الشام وكان علماؤه غواص الافكار وكانوا ملتقى العلماء من الشرق والغرب واشتهروا فى هذه الفترة ببيت العلم وأصلهم من نابلس ثم انتقلوا إلى دمشق الشام.

وعلماء هذا البيت آية اعجاز البيان وحقيقة مجاز التبيان ومحجة طريق سلوك الاتقان وهم أئمة أعلام تجرى علومهم مجارى الكلام وتتلون عباراتهم تلون الماء بالألوان، طلعوا فى سموات الفضل بدرا منيرا واطلعوا فى رياض الآداب زهرا على وتسربلوا بحلل الكمالات وتفردوا بها ولم يدعوا بابا من أبواب العلم ألا وطرقوه فهم فضلاء ولذا قيل:

ورد الفضائل كابرا عن كابر ... ورقى إلى العلياء وهو عظيم

وشيخنا النابلسى سلالة هذا البيت ولعمرى لم يدع هذا العالم فضيلة الاودت ان تتقرب إليه ولارتبة الاتمنت ان تتشرف بتقبيل يديه.

وحاز من الاخلاق ما هو الطف من مر النسيم فى السحر وأذكى من نفح العبير وعرف الزهد فكأنما جبلت طينته من الفضائل وتجسم من لطف الصبى الشمائل اذ جلس مجلس بالتحقيق وأظهر كل عويص وعميق بأفصح لسان.

وكان ذا علم كامل وفضله لاينكر وعقله اخذ ظواهر العلوم عن اربابها وتمسك من البواطن بأنسابها فبلغ فى كل الغاية وأخذ من حده النهاية بفيض ربانى ووهب صمدانى

لم يزل فردا فى الزمان منزها عن أن يشاركه فى كمال صفاته ثان يتصرف فى كل لسان من الألسن ويأتى بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين باعتبار اتصاله الإلهى وله فى كل تآليف كادت ألا يدركها الحصير وتصانيف لم يبلغ حدها أحد من أهل العصر ولطائف أشعار لو رأيت جمعها الأقلام لغرقت فى أبحرها ولم تنل منها مرام هذا بيت النابلسى الذى ولد فيه شيخنا وتربى فما مولده.

"مولد النابلسي"

ولد شيخنا النابلسى فى يوم الأحد فى الرابع من ذى الحجة الحرام سنة خمسين وألف من الهجرة النبوية كما ذكره الاستاذ النابلسى فى رسالته المسماة بالحوض المورود فى زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود وكان موافقا لسابع يوم فى آزار وكان والده مسافرا إلى الروم وكان موضع ولادته فى دارهم الكائنة بباطن دمشق فى زقاق المبنة الكونية هذا ما ذكره الامام نجم الدين الغزى العامرى فى كتاب الورد الأنسى والوارد القدسى فى ترجمة العارف بالله النابلسى[١] ولكن تحقيقا لمولد النابلسى قد وجدت عدة مصادر تحدد مولده بأنه ولد فى الخامس من ذى الحجة سنة خمسين والف من الهجرة النبوية وهو الموافق يوم الاثنين وقد اورد هذه الرواية السيد جمال الدين ابن العظم فى كتابه عقود الجوهر فيمن صنف خمسون كتابا فمائة فأكثر[٢] كما ذكر ذلك الأب انطنيوس شبل البنانى الذى علق على كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى وذكر أن مولد الشيخ النابلسى فى الخامس من ذى الحجة سنة خمسين وآلف الموافق سنة ١٦٤٠ ميلادية[٣] كما اورد هذه الرواية ايضا العلامة محمد خليل المرادى فى كتابه سلك الدور قال ما نصه ولد النابلسى رضي الله عنه بدمشق فى خامس ذى الحجة سنة خمسين والف.

(١) الورد الانسى والوارد القدسى فى ترجمة العارف بالله النابلسى لنجم الدين الغزى مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٩٨٢.

(٢) ص ٤٨ من كتاب عقود الجوهر فيمن صنف ٥٠ كتابا فمائة فأكثر مطبوع بدمشق تحت يدنا.

(٣) ص ٨ من كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى مطبوع بلبنان مخطوط من نسخة مطبوع تحت يدنا.

وكان والده مسافرا إلى الروم وهو حمل فى بطن أمه فبشر والدته به المجذوب الصالح الشيخ محمود المدفون بتربة الشيخ يوسف القمينى[1] وهناك بعض المصادر التى ذكرت أن مولد الامام النابلسى كان سنة خمسين والف بدون تحديد اليوم الذى ولد فيه وهذه المصادر هى:

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى[2] وكذا ذكر البستانى أن النابلسى ولد سنة خمسين والف هجرية الموافق سنة ١٦٤٠ ميلادية[3].

كما وجدت مصدرا آخر يعد مولد النابلسى فى الخامس من ذى الحجة سنة خمسين والف وهذا المصدر للدكتور/ جمال الدين الشيال[4] فى كتابه الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الأوسط قال مانصه:

ولد عبد الغنى ابن اسماعيل النابلسى فى دمشق فى الخامس من ذى الحجة سنة الف وخمسين هجرية اى فى بداية النصف الثانى من القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى وعمر طويلا قد عاش ثلاثة وتسعين عاما.

هذه مجمل الآراء فى مولد النابلسى وتاريخ ولادته وقد رأينا أن هناك اختلافا فى مولده فمصدر واحد يحدد مولده برابع ذى الحجة الحرام وأربعة مصادر تتفق على مولده أنه فى خامس ذى الحجة سنة خمسين والف ومصدرين يذكران ولادته بأنها سنة خمسين والف بدون ذكر اليوم ولكن الجميع قد اجمع على ان ولادته فى عام خمسين والف من الهجرة النبوية ولم يختلفوا فى هذا ولكن وقع الخلاف فيما بينهم فى تحديد اليوم وانى لم اعثر على مصدر يحدد تحديداً قاطعا أن مولده فى رابع ذى الحجة أو فى الخامس ذى الحجة غير المصادر التى ذكرتها وان كنت ارجح ان مولد النابلسى فى رابع ذى الحجة نظرا لأن هذا المرجع هو أول مؤلف عن الشيخ النابلسى اذ قام بتصنيفه حفيده نجم الدين

---

(١) ص ٣١ جـ٣ من كتاب سلك الدرر للعالم الفاضل المرادى مطبوع بمكتبة الأزهر تحت رقم

(٢) ص من كتاب عجائب الآثار للتراجم والاخيار مطبوع تحت يدنا.

(٣) ص ٦١٠ دائرة المعارف للبستانى جـ ١١ مكتبة الأزهر.

(٤) ص ٨٣ من كتاب الحركات الاصلاحية للدكتور الشيال بمكتبة الجامعة بالأسكندرية تحت يدنا.

الغزى وهو مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وكذا نسخة أخرى فى بيت النابلسى تحت يد أحد أحفاده بمسجد الامام النابلسى بصالحية دمشق وكذا نسخة ثالثة بدار الكتب المصرية والنسخ الثلاثة المنقولة عن أصل هذه النسخة فى بيت النابلسى تتفق على ان ولادته فى رابع ذى الحجة وأما بقية المصادر فكلها مصنفة بعد هذه النسخ وهذا مما يقوى أن مولده فى رابع ذى الحجة وتعتبر هذه النسخة هى المصدر الوحيد لهذا قلت بأن ما ورد فيها اوثق من غيره فى النسخ التى اوردت تاريخ ولادته.

واذا كنا قد تحدثنا عن مولد شيخنا النابلسى وعن بيته الذى نشأ فيه وتربى، فما نشأته؟ هذا ماسنتحدث عنه فيما يلى:

"نشأة النابلسي"

ذكرنا ان النابلسى نشأ فى بيت علم منذ عرفت أسرة النابلسى وهى رائدة فى مجال العلم ومن كان بيته بيت علم فلا شك أن نشأته تكون كذلك وان كان شيخنا النابلسى كما يقول البستانى فى كتابه دائرة المعارف نشأ الامام النابلسى يتيما[1] واشتغل بقراءة العلم على كثير من العلماء ولم يزل يتلقى العلم حتى برع فيه ونظم فى أول أمره بديعة فى مدح الرسول ﷺ فاستبعد بعض المفكرين أن تكون من نظم النابلسى فاقترحوا عليه أن يشرحها فشرحها فى مدة شهر شرحا لطيفا فى مجلد ثم نظم بديعة أخرى ولم يذل فى أول أمره هكذا.

وقد صدرت منه فى أول الأمر احوال غريبة وأطوار عجيبة واستقام فى داره بقرب الجامع الأموى سبع سنوات واسدل شعره ولم يقلم اظفاره وبقى فى حالة عجيبة وصارت تعتريه السوداء وتكلم الحساد فيه بكلام لايليق به من أنه يترك الصلوات الخمس وأنه يهجوا الناس وهو رضي الله عنه برئ من ذلك كله وقام عليه أهل دمشق واساءوا إليه حتى أنه هجاهم ولم يذل حتى أظهره الله للوجود وأشرقت به الأيام ورفل فى حلل الاقبال

(١) أخطأ البستانى والأب انطنيوس فى قوليهما ان النابلسى نشأ يتيما كيف يكون ذلك وأن والده كان أول اساتذته وذكرت بقية المراجع أن النابلسى تلقى عن والده .

والصعود وبادرت الناس بتمنى اجتلاء بركاته والترجى لصالح دعواته ووردت عليه أفواج الواردين وصار كهف الحاضرين والوافدين واستجيز من سائر الأقطار والبلاد[1] هــذا ماذكره البستانى فى نشأة النابلسى وانى أرى أن أذكر ما قاله الأب أنطنيوس الذى علق على كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى للنابلسى اذ ذكر نشأته وتحدث عنها فقال:

نشأ يتيما[2] موفقا واشتغل بقراءة العلم وقرأ الفقه وأصوله وغيرها..... كما أدمن المطالعة فى كتب الشيخ محى الدين ابن عربى وكتب السادة الصوفية كابن سبعين والعفيفى التلمسانى فعادت عليه بركة انفاسه فأتاه الفتح اللدنى فنظم قصيدة فى مدح الرسول ﷺ[3] وهى التى ذكرها البستانى ثم ينتقل صاحب هذا الرأى ويقول ثم شرع الامام النابلسى فى القاء الدروس بالجامع الاموى وصدر له فى أول أمره أحوال غريبة وأطوار عجيبة.

وأن ماذكره الأب أنطينوس بعد ذلك هو نفس ماذكره صاحب كتاب دائرة المعارف البستانى ثم ذكر مؤلف كتاب عقود الجوهر نفس الكلام الذى تحدثنا عنه سابقا[4].

ثم بعد ذلك يتحدث صاحب كتاب سلك الدرر ويذكر فى نشأته نفس النصوص التى سبق أن ذكرناها[5].

هذه نشأة شيخنا النابلسى نشأة بيت علم، تلميذ تربى وترعرع ونهل من المعين الصافى للعلم اللدنى وكيف ظهر للوجود وأصبح كهف الواردين وملتقى العلماء.

فمن كانت هذه نشأته فما حياته هذا ما سنتحدث عنه فيما يأتى:

---

(١) ص ٦١٠ من كتاب دائرة المعارف للبستانى جـ١١.
(٢) أخطأ البستانى والأب انطيوس فى قولهما أن النابلسى نشأ يتيما كيف يكون ذلك وأن والده كان أول اساتذته وذكرت بقية المراجع أن النابلسى تلقى عن والده.
(٣) ١، ٢ ص ٨ من كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى تعليق الأب انطنيوس.
(٤) ص عقود الجوهر فى تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر.
(٥) ص ٣١ من كتاب سلك الدرر جـ٣ بمكتبة الأزهر الشريف.

"حياته وثقافته"

شيخنا النابلسى الذى ولد فى دمشق الشام فى بيت علم حفظ القرآن العظيم وهو فى سن السابعة من عمره وختمه فى السنة التاسعة على مشاهير قراء الشام فى هذا العصر ونشأ فى بيت عز وعلم كما تربى وترعرع فيه وقد شغف شيخنا النابلسى منذ صباه بالتصوف وراقه الزهد والعبادة فاتصل بشيوخ الطريقتين القادرية والنقشبندية ولم ينصرف فى شبابه إلى ماكان ينصرف إليه انداده من حياة اللهو والمتعة وانما اتخذ لنفسه خلوة فى منزلة ولزم هذه الخلوة سبع سنوات طوال عكف فى اثنائها إلى جانب صلاته وتعبده على دراسة مؤلفات ثلاثة من كبار المتصوفة الذين مزجوا الفلسفة بالتصوف وهم محى الدين بن عربى وابن سبعين وعفيفى الدين التلمسانى.

وكان عبد الغنى النابلسى أديبا مرهف الحس وشاعرا مطبوعا ولهذا كان الشعر فى معظم أحواله وسيلته للتعبير عن نفسه وعن أحساسيه الدينية والصوفية وقد بدأ فى شبابه فنظم قصيدة طويلة فى مدح الرسول ﷺ أسماها البديعات وهى اول انتاجه الفكرى وقد أعجب الناس بالبديعة اعجابا شديدا فقد كانت قصيدة قوية معبرة رائعة ولهذا ساورهم الشك فى أن يكون عبد الغنى هو ناظمها ومنشئها ولكنه استطاع أن يسكت هذا الشك حين ألف شرحا لقصيدته وقد اتصل بأعلام الفكر والأدب والتصوف الذين قابلهم والتقى بهم ولهذا نجد رحلاته العديدة تلقى أضواء كثيرة على الحياتين الثقافية والدينية فى بلدان الشرق الاسلامى فى عصره وقد كانت هذه الرحلات نموذجا احتزاه الرحالة من العلماء والأدباء الذين أتوا بعده ويعتبر الشيخ عبد الغنى بحق شيخ مشايخ الشام فى عهده وقضى حياته كلها اماما متعبدا ومدرسا ومؤلفا ولهذا كثرت مؤلفاته وقد ألقى محمد أبى الفضل المرادى ضوءا على حياة النابلسى وثقافته فى كتابه سلك الدرر وعبر عن ذلك أصدق تعبير فقال: تتلمذ على النابلسى كل علماء عصره فما منهم الا من أخذ عنه أو حضر دروسه أو قرأ عليه أو كان من مريديه لأنه كان عالما مالكا أزمة اليراعة فقيها متبحرا يدرى الفقه ويقرره والتفسير ويحرره غواصا على المسائل خبيرا بكيفية الاستدلال والدلائل ذا طبع منقاد وبديهة مطواعة كما قيل:

اذا أخذ القرطاس خلت يمينه ... تفتح نورا وتنظم جوهرا

وكان مصون اللسان عن اللغو لايشتم ولايخوض فيما لايعنيه ولا يحقد على أحد يحب الصالحين والفقراء وطلبة العلم ويكرمهم ويجلسهم ويبذل جاهه بالشفاعات الحسنة لولاة الأمور فتقبل ولاترد معرضا عن النظر إلى الشهوات لالذة له الا فى نشر العلم وكتابته فى رحب الصدر كثير السخاء وله كرامات لاتحص وكان لايحب أن تظهر عليه ولا أن تحكى عنه هذا مع أقبال الناس عليه ومحبتهم له واعتقادهم فيه ورأى فى أواخر عمره من العز والجاه ورفعة القدر مالا يوصف ومتعه الله بقوته وعقله فكان يصلى النافلة من قيام ويصلى التروايح فى داره اماما بالناس إلى أن مات ويقرأ الخط الدقيق ويكتب فى تصانيفة كشرح البيضاوى وغيره بعد أن جاوز التسعين من عمره(١) هكذا كانت حياة النابلسى وثقافته بحرا زاخرا بالعلوم وعلما من أعلام القرن الحادى عشر الهجرى ممن يشار إليهم بالبنان حياته مصونة عف اللسان قوى العزيمة محبا للصالحين ورواد العلم وكذلك فان كافة المراجع التى تحدثت عن حياة وثقافة النابلسى تكاد تكون مجمعة على ماذكره المرادى فى ثقافته وحياة النابلسى ولهذا اقتصرت على رأى المرادى فى هذا الموضوع واذا كان النابلسى هكذا فما شمائله وما فضائله..

"فضائلة وشمائله"

يقول المرادى اما احصاء فضائله فلا تقع تحت حصر ولكن أقول وبالجملة فهو الأستاذ الأعظم والملاذ الأعصم والعارف الكامل والعالم الكبير والعامل القطب الربانى والغوث الصمدانى من أظهره الله فأشرقت به شموس الارشاد والعلوم وأظهر خفيات مادق عن الافهام وصير المجهول معلوما وقد حاز كمال الفخر حيث احتوى هذا الامام على كثير من العلوم وكان فريد دهره الذى أنجبه ذلك العصر وهو أعظم من ترجم له علما وولاية وزهدا وشهرة ودراية(٢).

(١) ص ٣٥ من كتاب سلك الدرر للمرادى جـ٣ بمكتبة الأزهر.
(٢) ص ٣٥ مننفس المرجع السابق.

هكذا كانت حياة شيخنا النابلسى وثقافته المتعددة الجوانب ومن كانت حياته وثقافته هكذا فما نسبه هذا ماسنتحدث عنه فيما يلى:

"نسبة"

شيخنا النابلسى الذى نشأ فى بيت علم وتربى فيه وترعرع اختلف الكتاب فى ذكر نسبة والمصادر التى استطعنا الحصول عليها تكاد تكون متقاربة الإجماع على نسبه خلاف مرجع واحد اختلف فى تحديد هذا النسب.

فنرى صاحب كتاب الأعلام يتحدث عن نسبه فيقول: هو عبد الغنى بن اسماعيل بن عبد الغنى بن أحمد العالم المتصوف على الطريقة النقشبندية وأصله من نابلس الشام وصل إلى بغداد ثم عاد إلى لبنان ودخل مصر وحج ثم عاد إلى دمشق وكان عالما جليلا لقب بأستاذ الاستاذة هذا ماذكره صاحب كتاب الاعلام[1] فى هذا النسب.

ثم يتحدث صاحب سلك الدرر عن نسب النابلسى فيقول هو الشيخ عبد الغنى بن اسماعيل بن عبد الغنى بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم المعروف كأسلافه بالنابلسى الحنفى الدمشقى النقشبندى القادرى استاذ الاساتذة وجهبز الجهابزة الولى العارف بالله تعالى الامام الوحيد العالم الهمام الحجة شيخ الإسلام صدر الائمة الأعلام صاحب المصنفات التى اشتهرت شرقا وغربا وتداولها الناس عجما وعربا ذو الاخلاق الرضية قطب الأقطاب الذى لم تنجب مثله الأحقاب العارف بربه والفائز بقربه وحبه ذو الكرامات الظاهرة والمكاشفات الباهرة ولذا قال الشاعر:

هيهات لايأتى الزمان بمثله ... ان الزمان بمثله لبخيل

هذا نص ماذكره العالم الفاضل أبى الفضل المرادى فى كتابه سلك الدرر[2]

---

(١) ص ١٤٧ من كتاب الأعلام تأليف محمود مصطفى استاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية بمطبعة الأزهر مطبوع سنة ١٣٥٤هـ الموافق سنة ١٩٣٥ بالمطبعة الرحمانية بمصر.

(٢) ص ٣٠ من كتاب سلك الدرر للمراد جـ٣.

ثم تحدث النجم الغزى عن نسبه ويذكر أنه اعتمد على ماهو بآصله الشريف الصحيح فيقول: هو قطب الزمان وعلم العرفان شيخ الإسلام عبد الغنى بن الشيخ اسماعيل بن الفاضل أحمد شهاب الدين بن الفاضل الفهامة إبراهيم بن شيخ الإسلام العلامة اسماعيل أبى النداء عماد الدين بن العلامة إبراهيم بن برهان الدين بن شيخ الإسلام عبد الله جمال الدين بن العلامة محمد بن عبد الرحمن بن العلامة ابى اسحق بن برهان الدين بن أبى الفضل سعد الله بن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن مضر بن عبد الله الكنانى الحموى الأصل المقدس الشهير بابن النابلسى.

ووقع بخط الاستاذ النابلسى فى بعض كتبه عن سوق نسبه سعد الدين بدل سعد الله والذى وجدناه فى عدة من التواريخ بخطه أيضا فى غير موضع سعد الله ولعل لفظ الدين من سهو القلم وهذا النسب كما ترى مبرأ عنه وصحة الاطراء فى المديح والافتراء فياله من نسب فاح من نشر لوائه نشرا مسك[1]

هذا جملة ماذكره صاحب كتاب الورد الانسى والوارد القدسى فى ترجمة العارف بالله النابلسى.

ثم عرج على ذلك موضحاً أن هذا النسب مرآة آفاق أرباب السعادة فهو كما قال الشاعر:

نسب كأن عليه من شمس الضحى *** تاجا ومنطلق الصباح عمودا

مافيه إلا سيد من سيد *** حاز المكارم والتقى والجودا

خصوصا وقد انتظم فى سلك هذا المعارف واندرج فى طيه هذا الامام الذى هو فى ابواب الفضائل أعرف المعارف على أنى بحق أقول فيه ولست مؤديا معشار ما يجب له أن أوفيه.

(١) ص ٢٦ من كتاب الورد الانسى والوارد القدسى فى ترجمة العارف بالله النابلسى رقم ١٩٨٢ دار الكتب المصرية.

ان كانت الناس بالأنساب مفخرها *** ففيك تفتخر الأنساب والناس

وان تساموا بأوراق حوت مدحا *** ففيك تسموا تواريخ وقرطاس

وما لايورث اختلافا بين اثنين أن جميع من اندرج فى سلك هذا النسب وانسحب فى عداد هذا الحسب قد علو ذكرا ونبلوا قدرا بهذا السيد الإمام والسند العارف الهمام وخاصة أنه ينسب إلى رسول الله ﷺ

بعد هذا العرض لنسبه والذى تحدث عنه الكثير من الكتاب ممن ذكرناهم وممن سنذكرهم أمثال الأب انطنيوس فى تعليقه على كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى[1].

كما تحدث الدكتور/ جمال الدين الشيال عن نسبه فى كتابه الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق وأيضا جمال الدين المعلم صاحب كتاب عقود الجوهر فيمن صنف خمسين كتابا فمائة فأكثر والكل قد ذكر النسب الذى تحدثنا عنه فى بداية حديثنا عن نسب النابلسى ولكن وقع تحت يدنا مخطوط بيد النابلسى وهذا المخطوط الذى وجدته فى نسب النابلسى فى اول مقدمته شرح النابلسى لكتاب الاشباه والنظائر يقول:

أما بعد فيقول هذا العبد الفقير إلى مولاه العليم الخبير عبد الغنى بن المرحوم العلامة الصمد الفهامة بن الشيخ اسماعيل الندى شارح شرح الدرر والغرر له التأليف البديعة فى علوم هذه الشريعة بن المرحوم الشيخ الكامل المعتنى بلطائف النضل الهمنى والعمل الصالح السنى المسمى بالشيخ عبد الغنى بن المرحوم الشيخ الامام ركن شريعة الاسلام اسماعيل المولود فى دمشق الشام صاحب التآليف المفيدة والتحريرات العديدة منها حاشية على تفسير القاضى البيضاوى وله الحاشية على مغنى اللبيب لابن هشام وحاشية على شرح جمع الجوامع فى أصول الشافعية وحاشية على عبارات القاموس فى اللغة العربية بن الشيخ أحمد بن الفاضل الشيخ إبراهيم بن الكامل الشيخ اسماعيل بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد بن اشيخ عبد الرحمن بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد

(١) ص ٩ من كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى مخطوط بالكمتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ١٣٠٥.

الرحمن بن الشيخ إبراهيم بن سعد الله بن جماعة المقدسي النابلسي الكناني نسبة إلى بنى كنانة بن خزيمة بن مدركة أحد افرع النسب النبوى الشريف عليه الصلاة والسلام من جناب المتين القوى وهذا النسب من جهة الأجداد الاوائل على مقتضى الشعوب العربية والقبائل وربما كان لنا النسب المحمدى الفاخر[1]

هذا نص ما وجدته فى مقدمة شرح كتاب الاشباه والنظائر الذى قام بشرحه شيخنا النابلسى والذى حدد نسبه بخط يده وانى اذ أرجح هذه الرواية الأخيرة عن نسب النابلسى ويعتبر هذا المرجع من أصدق المراجع التى تحدثت عن نسبه والذى يقوى مانقول أن هذه النسخ المخطوطة بيد النابلسى والموجودة بالمكتبة الظاهرية بدمشق لم أجد عليها تعليقات ولا شراح لها بعد النابلسى وانى اعتبر ان كل الذين نقلوا نسب النابلسى أوتحدثوا عنه ولم يرجعوا إلى هذا المخطوط يعتبر كلامهم أوحديثهم غير دقيق فى تحديد نسبه الذى ينتمى فيه إلى أفضل الخلق وأكرمهم على الاطلاق محمد بن عبد الله ﷺ.

واذا كنا قد ذكرنا نسب شيخنا النابلسى وحددنا النسب الحقيقى له وقد ذكرنا فيما ذكرنا أنه كان واسع الثقافة ذا آفاق بعيدة متعددة الرحلات مما أفاده وأفاد به فما هذه الرحلات والمزارات التى رحل إليها شيخنا النابلسى.

"رحــــلاته"

شيخنا النابلسى كان محبا للرحلة وكانت له عدة رحلات كثيرة زار فيها معظم أجزاء العالم الإسلامى وقد تحدث عن رحلاته كثير من الكتاب وكلهم يجمع على هذه الرحلات ويبين الفائدة منها وانى اذ أجمل كلام هؤلاء فأقول أولا رحلته الاولى إلى استانبول عاصمة الدولة فى سنة ١٠٧٥هـ (١٦٦٤م) وهو بعد فى الخامسة والعشرين من عمره وبعد خمس وعشرين سنة أخرى الموافق عام ١١٠٠هجرية (١٦٨٨م) زار البقاع وبلاد لبنان وفى سنة ١١٠١هـ (١٦٨٩م) زار بيت المقدس.

---

(١) ص ١ من مقدمة كتاب الاشباه والنظائر مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧٢١١ بخط يد المؤلف (النابلسى).

وفى سنة ١١٠٥هـ (١٦٩٣م) زار مصر والحجاز وبلاد الشام، وفى سنة ١١١٢هـ (١٧٠٠م) زار طرابلس الشام وفى كل هذه الرحلات والاقطار والبلدان التى زارها كان دائم الصلة بالعلماء والمتصوفة يأخذ عنهم ويأخذون عنه وقد ألف شيخنا النابلسى كتبا فى وصف هذه الرحلات غير أنه لم يعن فى هذه الرحلات بوصف المدن والمشاهد والأماكن التى زارها من النواحى التاريخية والجغرافية والأثرية والطبوغرافية وانما عنى شأنه فى ذلك شأن غيره من الرحالة فى العصر العثمانى – بوصف تجاربه الصوفية الشخصية واتصالاته بأعلام الفكر والأدب والتصوف الذين قابلهم فى رحلاته.

لهذا تلقى هذه الرحلات أضواء كثيرة على الحياتين الثقافية والدينية فى بلدان الشرق الإسلامى فى عصره وقد كانت هذه الرحلات نموذجا احتزاه الرحالة من العلماء والأدباء الذين أتوا بعده وخاصة تلميذه الرحالة والعالم الدمشقى مصطفى البكرى والرحالة والأديب المصرى أسعد اللقيمى.

وانى قد ذكرت أن كل المراجع التى تحدثت عن رحلات النابلسى متفقة فى ذكر هذه الرحلات[1].

ثم فى عام ١١١٩هـ عاد إلى دمشق الشام حيث استقر فى دارهم بصالحية دمشق الشام حيث استقام بين تلاميذه ومريديه وأخذ منذ هذه الفترة يكرس حياته لطلاب العلم والوافدين عليه كما أخذ فى التصنيف والشرح لكثير من الكتب والعلوم المختلفة واذا كنا قد تحدثنا عن رحلات النابلسى وبينا هذه الرحلات وأنها افادته الكثير واطلعته على أحوال العباد والبلاد وما فيها من عادات وتقاليد فاننا بعد هذا نرى أن نذكر تاريخ وفاة هذا العالم الجليل فنقول:

---

(١) يراجع كل من: أ- ص ٨٤ الحركات الأصلاحية ب- الورد الانسى والوارد القدسى مخطوط رقم ١٩٨٢ دار الكتب جـ – عقود الجوهر د- الفيض الرحمانى والفتح الربانى هـ – دائرة المعارف ص ٦١١ بمصر.

"وفـــاته"

شيخنا النابلسى توفى فى عام ١١٤٣هـ ويذكر المرادى أنه انتقل بالوفاة عصر يوم الأحد الرابع والعشرين من شعبان سنة ١١٤٣هـ وجهز يوم الاثنين الخامس والعشرين من هذا الشهر وصلى عليه بداره ودفن بالقبة التى انشأها فى أواخر سنة ثلاث وأربعين ومائة وآلف وغلقت البلد يوم موته وانتشر الناس فى جبل الصالحية بدمشق لكون البيت أمتلأ وغص بالخلق وبنى حفيده الشيخ مصطفى النابلسى إلى جانب ضريحه جامعا حسنا بخطبة والآن يتبرك بالشيخ النابلسى ويزار سيما فى صبيحة يوم السبت رضي الله عنه[1] وان كل المراجع وكافة الكتاب الذين اوردوا تاريخ وفاته متفقين على هذا اليوم وانى اثناء مطالعتى كتاب شرح فصوص الحكم بتعليق أبو العلا عفيفى وجدت أنه يذكر أن النابلسى توفى فى عام ١١٤٤هـوقد بحثت عن حقيقة هذا التاريخ فلم أجد ان الاستاذ أبو العلا عفيفى قد استند فى تحقيق ذلك إلى مصدر موثوق به وانا وجدته يذكره دون الرجوع إلى المصدر الذى أخذ عنه والحق أن: وفاة الشيخ النابلسى كانت فى عام ١١٤٣هـ وهذا مااتفقت عليه سائر الكتاب وما وجدته أنه فى بعض المخطوطات[2] بالمكتبة الظاهرية بدمشق الشام يثبت أن وفاة الشيخ النابلسى كانت فى التاريخ المذكور هكذا تنتهى حياة هذا العالم الجليل نشأ فى بيت علم وتربى فيه ودرج وسلك طريق العلماء ووصل إلى ربه وكان عالما فذا لايضارع وصالحا ورعا يتبرك الناس به ويهابه الحكام والأمراء.

وهكذا تكون حياة العلماء والأتقياء المخلصين لربهم العاملين بكتابه وسنته، وسننتقل الآن إلى الحديث عن شيوخه فى الفصل الآتى:

(١) ص ٣٧، ٣٨ من كتاب سلك الدرر للمرادى جـ٣.

(٢) وجدت ذلك القول فى بعض كتب مخطوطة بيد تلاميذه ممن نسخوا كتبه أمثال إبراهيم الكورانى ومحمد الدكدكجس.

الفصل الثانى:

شيوخ الإمام النابلسى

لقد تتلمذ الشيخ عبد الغنى النابلسى على كثير من علماء عصره الاجلاء الذين لهم قدم راسخ فى العلوم والمعارف، حتى نالوا الدرجة الرفيعة بعلومهم فى الوصول إليه تعالى مستمدين ذلك من الكتاب والسنة.

وأننى سوف اقتصر على ذكر بعض أساتذته الذين سهروا على تعليمه وتربيته والمجال يضيق عن ذكر أساتذته جميعا وذكر علومهم وذكر مناقبهم وأحوالهم مستمدا ذلك من الكتب التاريخية كما سأذكر أحواله معهم وكيف تلقى عنهم العلم.

وهو رضي الله عنه قد أعطى العلم اللدانى والفيض الالهى ولنشرع الآن فيما نحن بصدده من ذكر مشايخه ومن الطبيعى أن نبدأ بوالده الذى هو أول أستاذ له لنشأته فى كنفه وهو الذى قام بتربيته وله عليه الولايتين الدينية والدنيوية.

ووالده هو الشيخ اسماعيل أفندى بن عبد الغنى بن اسماعيل وإنى سأقتصر فى ترجمته إلى هذا الحد حيث أن ترجمة ابنه الشيخ عبد الغنى النابلسى تفى بالغرض المطلوب ويكفى أنه ذو نسب عال يتصل بالنسب النبوى الشريف المسلسل بالائمة الأعلام واننا سنذكر بعض مآثره ويكفى فى هذا الشأن أن نشير إلى ما أخذه عنه ابنه الاستاذ عبد الغنى النابلسى من قراءة العلم وتعليمه وتربيته فقد قرأ الاستاذ على والده مقدمات الفنون ولازمه فى مجالس الافادة وحضر دروسه التفسيرية فى المدرسة السالمية وفى شرحه على الدرر فى جامع بنى أمية ودخل فى عموم أجازاته واندرج فى سلك طالب افادته وكان الشيخ عبد الغنى رحمه الله كثير البر بوالده كما هى عادة أسلافه أبا وجدا حرصا على الاقتباس من مشكاة علومه ومعارفه والاستسقاء من بحر فوائده وعوائده مع حداثة سن شيخنا النابلسى تقتضى خلاف ذلك وقرب عهد الطفولة ولكن مع كل هذا كان الابن حريصا كل الحرص على ملازمة والده والنهل من ينبوع معارفه والتخلق بأخلاقه الحميدة حتى ينال مطلوبه ومراده.

ووالده كان يحبه حبا كثيرا ويفضله على اخوته ويقول انى ارى علامات الدجابة عليه لائحة وهذا توفيق من الله العلى القدير لذلك الصبى الصغير الذى حفظ القرآن عن والده الشيخ اسماعيل وهو فى التاسعة من عمره واتقن حفظه فنا وتجويدا مما جعل والده يزيد فى حبه ويكثر فى اكرامه ويغدق عليه مما كان له أكبر الأثر فى نبوغ الامام الشيخ عبد الغنى النابلسى الملقب فى عصره بأستاذ الاساتذة وجهبز الجهابزة وتوفى والده وعمر الأستاذ عبد الغنى أحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وواحد وعشرون يوما.

والشيخ اسماعيل والد الاستاذ عبد الغنى كان يميزه كما ذكرنا فى حال حضرته على جميع اخوته ويخصه بالدعوات الصالحات وهكذا كان الشيخ اسماعيل صاحب العلوم المتعددة والفنون المختلفة البحر الزاخر الذى يفيض علمه على سائر الطلاب فى عصره كان رائدا أول لابنه الاستاذ عبد الغنى النابلسى ومعلما وموجها ومرشدا له إلى الطريق المستقيم مما جعل الشيخ النابلسى يقتدى بوالده فى كل خطواته وسيره إلى طريق الله ناشرا العلم مدرسا ومعلما وكاتبا ومهذبا لايبخل بما علمه الله ولا يكتم منه شيئا بل يرى أن واجب على المعلم أن ينشر علمه ولايكتمه فان نشر العلم سنة على طلاب العلم حسنة يثاب المرأ على فعلها وينال الثواب من الملك الوهاب.

ثم ننتقل إلى معلمه الثانى المرحوم العلامة الحجة النجم الغزى العامرى.

الثانـى

المرحوم العلامة الحجة الحافظ العارف بالله تعالى شيخ الإسلام نجم الدين محمد بن شيخ الإسلام بدر الدين بن شيخ الإسلام رضى الدين محمد بن شيخ الإسلام رضى الدين محمد ايضا ابن شيخ الإسلام شهاب الدين العامرى القرشى الدمشقى الشهير كأسلافه بابن الغزى.

ويقول عن هذه الترجمة مؤلف كتاب الورد القدسى والوارد الأنسى إن هذه الترجمة منقولة عن المحب فى تاريخه[1] فقد ترجم له ترجمة مطولة واننا اقتصرنا فيها على

(١) ص ٨٩، ٩٠ من كتاب الورد القدسى والوارد الانسى فى ترجمة العارف بالله النابلسى مخطوط تحت رقم ١٩٨٢ بدار الكتب المصرية.

مالابد منه وذلك رغبة فى الاختصار وخوفا من الاسهاب فقال المحب مترجما: هو شيخ الإسلام مفتى الأنام، وملحق الأحفاد بالأجداد والمنفرد بعلو الاسناد.

مولده: ولد يوم الاربعاء الحادى عشر من شعبان سنة سبع وسبعين وتسمائة، وتوفى والده البدر وهو صغير فنشأ يتيما موفقا وقرأ القرآن العظيم على العلامة الشيخ عثمان اليمانى، ثم على الشيخ العلامة يحى الغمارى وقرأ على والده مع صغره مقدمات فى فنون العلم وحفظ عليه معظم القرآن العظيم ثم أخذ فى طلب العلم مشمرا عن ساعد الجد والاجتهاد فقرأ على الشيخ زين الدين عمر بن سلطان مفتى الحنفية بدمشق، وقرأ الفقه على العلامة المحقق القاضى محب الدين الحموى الحنفى، وقرأ التفسير على العلامة السيد محمد بن حسن المسعودى قاضى القضاة، وكلهم أجازوه بالافتاء والتدريس وسنه دون العشرين وأجازه من مصر العلامة الشمس الرملى شارح ا لمنهاج، وسمع الحديث من محدث الديار الحابية الشيخ محمد البيلونى الشافعى حين قدم دمشق الشام وأجازه بمروياته اجازة مطولة كما اخذ عن محدث مكة المكرمة الشيخ محمد بن عبد العزيز الزمزمى، وفضل فى سائر العلوم وتقدم على أقرانه ومعاصريه، وصار علامة الآفاق، وسلك طريق السادة العارفين ونبل قدره وارتفع صيته وذكره.

وكانت له أحوال ومكاشفات لايفى بسرد بعضها هذا المبحث، ثم يقول صاحب كتاب الورد القدسى، وقد أعلى العز والجاه ورفعه القدر مالم يسبق إليه نصار مرجع أهل دمشق فى سائر الأقطار والف المؤلفات البديعة نذكر منها على سبيل المثال (حسن التيه فى التشبيه) فى سبع مجلدات، وهو كتاب بديع يعرف مقداره من اطلع إليه منها منبر التوحيد ومظهر التفريد، وهو شرح منظومة جده العلامة رضى الدين المسماه (بالجوهر الفريد فى آداب الصوفى والمريد) فى مجلدين وقد قرظه الأستاذ عبد الغنى النابلسى حين طالعه بقوله:

ثق بهذا الكتاب وافهمه واعمل *** بالذى فيه حسب جهد جهيد

يدخل القلب منك جامع علم *** خاطبا فوق منبر التوحيد

ومن مؤلفاته ايضا عقد النظام لعقد الكلام وتحبير العبارات فى تحرير الاطارات واتقان مايحسن فى بيان الأحاديث الدائرة على الألسن، وجلاء الخواطر بشرح جواهر الزخائر فى الكبائر والصغائر وهى منظومة والده البدر وله كتاب حافل أسماه زجر الاخوان عن أبواب السلطان والرسالة المحمدية فى الرد على السادة السعدية، والكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة وذيله المسمى بلطف السمر وقطف الثمر فى تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر، وله غير ذلك من المؤلفات العديدة ذات النفع العظيم ولا أرى داعيا لاثباتها فى هذا البحث ويكفى ماذكرناه عن مؤلفاته.

وكان من كبار العلماء العاملين اذ اشتغل بالفتوى والتدريس فى كافة العلوم والفنون.

وكان يقوم فى الجامع الأموى بقراءة صحيح البخارى وكانت مدة جلوسه سبعة وعشرين سنة، ثم درس فى غالبية مدارس دمشق الموجودة فى عصره، وانتفع به كثير من الناس وأخذوا عنه طبقة عن طبقة، وقد أخبر بعض الثقاه أنه سأل بعض الصالحين عن الأبدال بالشام.

فعد ثلاثة منهم العلامة النجم الغزى وكان اماما فى معرفة علم الحديث من متونه ومعرفة علله وأسماء رجاله.

وفاته: وكانت وفاته يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة احدى وستين وألف عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة أشهر وأربعة أيام وصلى عليه بمقصورة جامع بنى أمية ودفن بمقبرة الشيخ ارسلان، ووقع قبل وفاته بيومين أنه جمع الفلاحين فى بستانه واستبرأ ذمتهم وفى اليوم الثانى دار على أهله وأصحابه وزارهم، وأتى إلى منزل بيت زوجته أم القاضى يحى بن عبد الحميد إلى أن صلى المغرب، ثم جلس لقراءة الاوراد وهو يسأل عن آذان العشاء ويذكر لا إله إلا الله مستقبلا القبلة تسمع منه وهو يقول بالذى أرسلك ارفق بى فدخلوا عليه فوجده قد قضى نحبه.

وقد رثاه شعراء عصره وعلماؤه بقصائد وكلمات كثيرة بعد أن اخذ عنه الاستاذ الكثير من العلوم والمعارف تحت القبة بالجامع الأموى الشريف وكان شديد الصلة به ودخل فى

عموم اجازاته حتى ختم الدروس عليه، وكان يعزه ويجله ويقدر فى الشيخ النابلسى ذكاؤه وفطنته واستعداده العلمى وتفوقه على اقرانه فى مختلف فنون العلم مما يشهد للنابلسى بسعة الأفق وقدرته على تحصيل العلم وأخذه من منابعه الأصيلة نفعنا الله بهم جميعا، وجعل الجنة متقلبهم ومثواهم.

"الثالث"

على بن على الإمام العلامة الحبر الفهامة المحدث خاتمة المحققين أبو الضياء نور الدين[١].

مولده: ولد سنة تسع وثمانين وتسعمائة وكف بصره وهو ابن ثلاث سنين وقدم إلى مصر بصحبة والده سنة ثمان والف، وتلا جمع القرآن العظيم من طريق التيسير والشاطبية وختمه سنة عشر والف، ثم قرأه كله للعشرة وختمه سنة خمس وعشرين وألف على شيخ القراء الشيخ عبد الرحمن اليمنى، وقد حضر هذا الشيخ وتتلمذ على يد كثير من علماء عصره مما جعله يتصدى للاقراء بالجامع الأزهر فانفرد بجميع العلوم وانتهت إليه الرئاسة وكان بحرا من بحور العلم، لا يضجر من البحث فى الدرس ويمرض ان لم يبحث معه الطلبة ومن كلماته المأثورة قيراط من أدب خير من أربعة وعشرين قيراطاً من علم[٢].

"مؤلفاته"

كانت للمترجم له مؤلفات كثيرة نافعة نذكر منها على سبيل المثال حاشيته على المواهب الدنية وحاشيته على شرح الشمائل للعلامة بن حجر وحاشيته على شرح الورقات الصغيرة لابن القاسم، وحاشية على شرح المنهاج المسمى بالنهاية للعلامة الشمس الرملى وغير ذلك ما تبدد بأيدى الطلبة.

وكان اذا ترك المطالعة تأتيه الحمى، وأخذ عنه جمع لايحصون عدا.

(١)، (٢) ص ٩٤ من كتاب الورد القدسى والوارد الأنسى مخطوط تحت رقم ١١٨٢ بدار الكتب المصرية – كمال الدين الغزى العامرى.

وفاته: توفى ليلة الخميس ثانى عشر من شوال سنة سبع وثمانين وألف وتولى غسله تلميذه أحمد البنى الدمياطى، وحكى عنه أنه لما وضأه ظهر منه نور ملأ البيت بحيث لم يستطع أحد أن ينظر إليه بعد ذلك ودفن بالقرافة بمصر.

وقد أجاز المترجم له لتلميذه الشيخ عبد الغنى النابلسى إجازه مطولة من مصر كتابة وهذه الاجازة تشهد للنابلسى بوفرة العلم وسعة الأفق وقدرته على التدريس والافتاء اذ أن الشيخ النابلسى تلقى عن استاذه كثيرا من العلوم وهو بالشام وعند زيارته لمصر فى الرحلة الكبرى رض الله عن الجميع.

الـــرابـع:

عبد الباقى بن عبد الباقى بن عبد القادر بن عبد الباقى بن إبراهيم بن عمر بن محمد البعلى الحنبلى الدمشقى[1].

مولده: ولد رحمه الله تعالى ببعلبك ليلة السبت ثامن شهر ربيع الثانى سنة خمس بعد الآلف وقرأ على والده القرآن ثم ارتحل لدمشق وأخذ بها الفقه عن القاضى محمود بن عبد الحميد الحنبلى الدمشقى وأخذ طريق الصوفية عن ابن عمه الشيخ نور الدين البعلى خليفة الشيخ محمد العلمى.

ثم ارتحل إلى القدس وأجازه الشيخ محمد العلمى بقراءة الاوراد والأزكار ثم ارتحل إلى مصر فى سنة تسع وعشرين وألف والتقى بعلمائها ومحدثيها وكانت له رحلات متعددة فى مختلف البلاد الاسلامية واستقر فى دمشق وجلس للتدريس والافتاء فى الجامع الأموى وكان فيه نفع عظيم وأخذ عنه جمع كثير وله عدة مؤلفات فى مختلف العلوم ذات نفع عظيم.

وفاته: توفى ليلة الثلاثاء سابع عشر ذو الحجة سنة احدى وسبعين والف ودفن بتربة مرج الدحداح وقد قرأ عليه الشيخ عبد الغنى النابلسى مصطلح الحديث كشرح النخبة للحافظ بن حجر وشرح ألفية العراقى وحضر عليه فى كتب الأحاديث المتعددة.

(١) ص ٩٤، ٩٥ من كتاب الورد القدسى والوارد الأنسى مخطوط رقم ١٨٢ دار الكتب المصرية.

وقد أجاز للشيخ النابلسى بالتدريس والمحاضرة والمطالعة مما يعطى أن النابلسى قد استفاد من علم هذا الشيخ المتعدد الجوانب فى كثير من علوم الحديث وغيره.

الخامس:

العلامة النبيل/ محمد بن كمال الدين بن محمد الشهير بن حمزة نقيب الأشراف بدمشق، عالما محققا غواصا في المسائل عارفا بكيفية سوق الدلائل علي قدر كبير من المعارف والعلوم والفنون بالغا من الفضل والجاه المرتبة التي قصر عنها السابقون[1].

مولده: ولد في غرة شهر رجب سنة اربع وعشرين والف وربي في حجر والده وقرأ القرآن العظيم علي الشيخ أبي بكر السلمي وأعاده علي الشيخ عبد الباقي الحنبلي، وأحضره والده علي المسند المعمر الشيخ محمد بن منصور بن محب الدين وأجازه بالتدريس والافتاء كما حضر مجلس الشمس الميداني تحت القبة فسمع منه بعض صحيح البخاري وأجازه بسائر العلوم.

كما حضر علي كثير من علماء عصره واستفاد منه الكثير من العلوم والمعارف كما قرأ علم الكلام علي العلامة الملا عبد الكريم الكوراني نزيل دمشق وقرأ كتب التوحيد والحديث علي العلامة أحمد المقري المغربي، والجميع أجازوه في سائر العلوم التي تلقاها عنهم، وحج في سنة خمسين والف واجتمع بمحدث مكة محمد بن علان وقرأ عليه قطعة من كتاب الشفاء كما اجتمع بمحدث المدينة المنورة صلي الله وسلم علي أشرف ساكنها محمد بن عبد الله وقرأ عليه العديد من علوم الحديث وقد أجيز من كافة مشايخه وأساتذته الذين أخذ عنهم العلوم والمعارف وصار بآخرته سند عصره فحدث وولي نيابة القضاء الكبري بدمشق ولما توفي والده ولي مكانه النقابة، والف المؤلفات الحسان فمنها حاشية علي شرح الألفية لابن الناظم وتحريرات علي الهداية وغير ذلك من المؤلفات العديدة.

وفاته: توفي في ختام صفر سنة خمس وثمانين والف ودفن بمقبرة الفراديس، وقد حضر عليه الاستاذ عبد الغني النابلسى دروس عديدة في شتي العلوم والمعارف وقد أجاز

(١) ص ٩٦ من كتاب الورد القدسى والوارد الأنسى مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٢.

للنابلسي أجازة خاصة تشهد للنابلسي بقدرته في العلم وتفوقه فيما أخذه عنه من العلوم المختلفة نفعنا الله بهما.

السـادس:

الامام المحقق الكبير عبد القادر بن مصطفي الدمشقي الشافعي الشهير بالصفوري كان من أفاضل عصره المشار إليهم بالبنان فقيها مفسرا محدثا أصوليا نحويا جامعاً لكل فن[1].

مولده: ولد سنة عشرة والف وأخذ في طلب العلم فقرأ في عدة علوم وفنون علي مشايخ الشام ومصر والحجاز وأجازوا له بالافتاء والتدريس وأن مشايخه الذين تلقي عنهم العلوم والمعارف يفوقون الحصر والعد ولنقتصر علي أهمهم وهم الشمس الميداني والنجم الغزي، والشيخ نور الدين العلاف والشيخ عبد الرحيم الشعراني وابراهيم الكردي والمحدث حسن العجمي وغيرهم[2].

وأعطي المدرسة البلخية ودار الحديث الأشرفية وسكنها ودرس بها إلي أن توفي رضي الله عنه وكانت وفاته في شهر رمضان سنة احدي وثمانين والف ودفن بمقبرة الباب الصغير وقد قرأ الاستاذ عبد الغني النابلسي عليه كثير من العلوم والمعارف كما أجازه اجازة خاصة تشهد لعبد الغني النابلسي بعمق التفكير وكثرة الدرس والبحث وغزارة في العلم وذكاء حاد.

كما أجازه بالافتاء والتدريس فيما أخذ عنه.

السابع:

العلامة المحقق الفهامة المدقق الشيخ محمد بن تاج الدين المحاسني الدمشقي الحنفي كان جامعا لأشتات العلوم وامامها في كل منطوق ومفهوم وكان آية باهرة في علم التفسير غواصا علي المسائل الدقيقة عارفا بحل مشكلاتها.

(١) ص ٩٨ من كتاب الورد الأنسى والوارد القدسى فى ترجمة العارف بالله مخطوط بالمكتبة المصرية تحت رقم ١٨٢.

مولده: ولد في سنة اثني عشر والف بدمشق ونشأ بها وقرأ علي من بها من العلماء كالشريف الدمشقي والشيخ عبد اللطيف الجالقي، وشيخ الاسلام النجم الغزي وجميع أساتذته أجازوه بالتدريس بالجامع الأموي وبعدة مدارس أخري.

وولي تدريس الحديث تحت القبة بالجامع الأموي كما تولي قسمة العسكرية مرتين وكان فصيح العبارة وله تحريرات كثيرة تدل علي غزارة علمه وسعة افقه.

وفاته: توفي عشية يوم الأربعاء غرة شعبان سنة اثنين وسبعين والف ودفن بمقبرة الفراديس وقد رثاه الاستاذ عبد الغني النابلسي بقصيدة جيدة مطلعها قوله:

ليـسهن رعـاع الناس وليـفرح الجـهل *** فـبـعدك لا يرجـوا البـقـا من له عـقل

أيا جنة قــرت عــيــون أولي النهي *** بهــا زمنا حــتي تداركــهــا المحل

وكان بينه وبين الأستاذ من المحبة والملاطفة والمودة مالا يسعه نطاق قلم ولا يبليه عقل وقد آخذ عنه الاستاذ النابلسي علم التفسير والنحو وانتفع به في عدة فنون وعلوم وقد أجاز للنابلسي أجازة خاصة وعامة تبين مدي صلة النابلسي به وقدرته علي تحصيل العلم وتوصيله للطلاب علما مفيدا للمجتمع الاسلامي كله.

الثـامـــن:

الإمام الفقيه أحمد بن محمد المعروف بالقلعي الحمصي المولد الدمشقي الدار الحنفي المذهب.

كان عالما بالفقه متبحرا فيه ومقدما في معرفته واتقانه مع اللمام ببقية الفنون وكان حسن التفهيم جيد التعليم وله نفس مبارك علي المتعلمين وانتفع به خلق كثير.

قدم مع والده لدمشق واستقر بها وطلب العلم مشمرا عن ساعد الجد فقرأ علي الأفاضل عمر القاري والشيخ عبد الرحمن العمادي والشيخ يوسف بن أبي الفتح وصار معيدا لدرس السلمانية وكان مدرسها اذ ذلك مفتي دمشق، وسكن في آخر أمره في قلعة دمشق ونسب إليها وصار امامها.

وفاته: توفي في حدود سنة سبع وتسعين والف وقد قرأ الاستاذ عبد الغني النابلسي علي صاحب الترجمة الفقه وأصوله ولازمه في ذلك الملازمة الكلية واستفاد منه كثير من العلوم والمعارف.

التاسع:

الشيخ الفاضل كمال الدين محمد بن يحي الدمشقي الشافعي الشهير بالفرضي كان من أتقياء العلماء وأكثرهم انقطاعا إلي الله تعالي نحويا رياضيا اماما في ذلك لايشق له غبار مهابا ذا بشاشة وتواضع وقرأ علي ابيه العربية والفرائض والحساب والقرآن وغيرها.

وكان له قدر عظيم في العلوم والمعارف الأخري تلقاها عن علماء عصره بدمشق وغيرها.

وفاته: توفي في منتصف ذي القعدة سنة ثمان وثمانين بعد الألف ودفن بتربة الباب الصغير.

قرأ عليه الاستاذ عبد الغني النابلسي في العربية والحساب والفرائض وغير ذلك من العلوم والمعارف وشهد للشيخ عبد الغني النابلسي بسعة الأفق لتبحره في العلوم وأجازه فيما أخذ عنه من العلوم والمعارف بالتدريس والافتاء.

العاشر:

الفاضل نجم الدين محمد بن يحى، كان عالما وزاهدا وفاضلا ورعا وله حسن تفهيم للطلبة وحرص على تهذيب قرائحهم وجبر خواطرهم وكان نفسه عليهم مباركا ماقرأ عليه أحد الا انتفع ببركته واخلاصه وسلامه طويته وله التفوق فى علوم العربية وغيرها من الفنون وخاصة الفقه والفرائض والحساب.

قرأ بدمشق على علمائها وله شرح على إلاجرومية مشهور بين الطلبة وانتفع به خلق كثير يعجز الاحصاء عن عدتهم.

وفاته: توفى الى رحمة الله تعالى نهار الجمعة ثان عشر صفر سنة تسعين وألف ودفن بتربة الباب الصغير.

قرأ عليه الاستاذ عبد الغنى النابلسى فى مبادئ العلوم وأرتشف من زلال افادته فى كل منطوق ومفهوم وأجازه اجازات عدة تبين ماللنابلسى من قدر عظيم فى العلوم ورسوخ قدم فى سائر العلوم والمعارف المختلفة.

الحادى عشر:

محمد بن أحمد بن حسين الاسطوانى الدمشقى الحنفى الشيخ الإمام الفقيه الواعد اعجوبة الزمان ونادرة الوقت والأوان أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

مولده: ولد ليلة الاثنين سابع عشر المحرم سنة ستة عشر بعد الألف وقرأ على عدة مشايخ من علماء عصره كالشمس الميدانى والحافظ النجم الغزى وأخذ العربية والمعقولات عن الشيخ عبد الرحمن العمادي وأخذ الحديث عن العلامة أحمد المقرى حين قدم دمشق الشام ثم رحل إلى مصر وأخذ بها عن الشيخ إبراهيم اللقانى والشيخ عبد الرحمن اليمنى ثم رحل إلى دمشق سنة تسع وثلاثين والف ودرس بها وكان ورعا ناسكا شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لايقنع فى آمر الله تعالى بغير اظهاره.

وفاته: توفى قبيل ظهر يوم الاربعاء سادس عشر المحرم سنة اثنين وسبعين والف وأرخ وفاته الاستاذ عبد الغنى النابلسى بقوله:

قد مات حاوى العلوم طرأ *** محمد كعبة الوفود

الأسوانى طور علم *** ومن تسلمى بقر الجود

انقد كل الانام أرخ *** ممات علامة الوجود

وقد أخذ عنه الشيخ النابلسى الكثير من العلوم والمعارف ولازمه عدة سنين ونهل من علمه الغزير وأجاز للنابلسى بالافتاء والتدريس، وشهد له بطول الباع وعمق التفكير مما يدل على أن النابلسى كان حريصا علي تلقى العلوم من مصادرها الحقيقية وروادها الأول في عصره.

الثانى عشر:

العلامة الشيخ محمود الكردى نزيل دمشق الشام، كان أعجوبة الزمان فى التضلع من العلوم والاستحضار العجيب وقوة الحافظة التى لم تشاهد فى غيره وقد أقام بدمشق نحو ستين سنة ينشر العلم، وكان في غاية من الصلاح والزهد والتواضع معرضا عن الدنيا وملزاتها، وكان لكثرة انشغاله بالعلم وتفكره الكثير فى مسائله انه اذا اتم الدرس واراد التوجه إلى داره يسأل عنها من يلقاه فى طريقه مع استحضاره التام في دقائق الفنون والعلوم وهذا يدل علي انشغاله التام بالعلم وأهله وتركه ماعداه وقد أخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة.

وفاته: توفي سنة اربع وتسعين وألف عن مائة وخمس وعشرين سنة يقينا وخمس وثلاثين ظنا، ودفن بمرج الدحداح.

وهو أول من فتح باب التحقيق بدمشق وأول من قرأ كتب الاعاجم وقد قرأ عليه الاستاذ النابلسى النحو والمعانى والبيان والصرف والمنطق وانتفع به فى سائر العلوم والفنون الأخرى وقد أجاز للنابلسى بتدريس العلوم بالجامع الأموى وغيره من المدارس الموجودة اذ ذاك.

الثالث عشر:

الشيخ الفاضل الإمام محمد بن محمد بن أحمد المنشاوى الدمشقى الشافعى كان علامة عصره فى العلوم الشرعية والعربية والأصول والمنطق مع التحقيق والنظر الى الحق عند تلاطم أمواج الخلاف.

مولده: ولد بدمشق وأخذ عن علمائها كشيخ الاسلام الحافظ النجم الغزى والشيخ أحمد البهنسى والمحقق حسين الكردى وغيرهم وانتفع به خلق كثير وكان ممن لاتأخذه فى الله لومة لائم يعامل الحكام بشدة وتكرر منه أنه يأخذ بحجز الوزير وأهل المناصب ويفاجئهم بالكلام مع نفاذ الكلمة واجابتهم طلبه بوجه الحق مع بقاء مهابته وجلالته عندهم.

وله تحريرات فائقة فى كثير من العلوم كالتفسير والحديث وباشر درس الحديث تحت القبة فى الثلاثة أشهر أواخر عمره وتوفى ليلة الخميس رابع عشر ربيع الاول سنة ثمانين وألف بدار الاستسقاء ودفن بتربة الباب الصغير.

وأخذ عنه الشيخ النابلسى كثيرا من العلوم والفنون المختلفة وأجازه بالافتاء والقاء الدروس ونشر العلم بين الناس، وقد استفاد منه الأستاذ النابلسى الكثير.

الرابع عشر:

الشيخ الصالح محمد بن بركات بن مفرج الحموى الأصل الدمشقى الشافعى الشهير بالكوانى.

كان من العلماء العاملين والصالحين الكاملين قدم من بلده لدمشق أيام كهولته وقطن فى المدرسة الطبية مدة أربعين سنة وبه اشتهرت تلك المدرسة بالكوانية وأخذ عن علمائها كالحافظ النجم الغزى وغيره وهو صوفى المشرب قادرى الطريقة وأعيان دمشق يقصدون زيارته ويتبركون به لايخرج الا لصلاة الجمعة ويؤذن للصلوات الخمس فى مدرسته ويصلى بمن يحضر من جماعة المسلمين ملازما القرآن ليلا ونهارا مداوما على الصيام والذكر والأوراد والتسبيح ولم يكن أحد أمهر منه فى التعليم وكتب بخطه كثر من الكتب وختم القرآن العظيم ختمين وتم ختمه فى يوم واحد.

مولده: فى سنة خمس وألف وتوفى بعد عشاء ليلة الأحد سابع عشر شوال سنة ستة وسبعين وألف ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان رحمه الله وأخذ عنه الاستاذ عبد الغنى النابلسى الكثير من العلوم وقد أجاز للنابلسى اجازات خاصة وعامة تبين قدره فى العلوم والمعارف التى نبغ فيها الشيخ النابلسى.

هذا وللشيخ النابلسى كثير من الأساتذة الذين تتلمذ على أيديهم ونهل من علومهم الصافية وتربى التربية الفريدة فى نوعها وكان يحترم أساتذته ويجلهم لعلمهم الوفير، وهذا يدل على عراقة أصل النابلسى وشغفه بحب أساتذته المتعددين والذين اقتصرنا منهم على ذكر اليسير خوفا من الوقوع فى التطويل.

ومرادنا فى البحث أن نعطى فكرة يسيرة عن أساتذته ولو أردنا الحديث عن جميع مشايخه لاحتجنا إلى مجلدات نذكر فيها أساتذه الأفاضل فى العلوم والفنون المختلفة واننا سوف نستعرض أساتذته الروحيين للطريقتين النقشبندية والقادرية.

وقبل أن أذكر مشايخه الروحيين لابد أن أنوه عن هاتين الطريقتين فأقول:

أولا: الطريقة النقشبندية:

وللأستاذ فيها طريقان طريق الباطن وطريق الظاهر، فأما طريق الظاهر فقد أخذها عن الإمام المسلك المربى الربانى صاحب الفيض اللدنى الشيخ أبى سعيد البلخى البخارى النقشبندى.

واننا سوف نفصل طريقه فيما بعد للنقشبندية وكيف صار فيها الشيخ النابلسى إلى نهاية الطريق.

والآن أذكر إمام هذه الطريقة الشيخ سعيد البلخى فأقول: هو الإمام العامل العالم والمرشد الكامل الفقيه العابد والعارف الزاهد ولد ببخارى ونشأ بها واشتغل بالأخذ والاقراء على أساتذتها وقدم البلاد الحجازية ثم ارتحل منها إلى الديار الرومية وقطن دار القسطنطينية مدة من الزمن وسكن فى محلة أبى أيوب خالد الأنصارى واشتهر أمره بين أهلها وأخذ عنه خلق كثير من الروم وغيرهم، ثم قدم دمشق سنة سبع وثمانين والف فاجتمع به الاستاذ النابلسى وأخذ عنه الطريقة وألبسه الخرقة الصوفية وهي قلنسوة بيضاء قال الاستاذ النابلسى قدس الله سره واتفق لنا مواعدة اجتماع مع شيخنا العلامة الزاهد الشيخ ابى سعيد البلخى النقشبندى سلمه الله تعالى وذلك فى بيت بعض الناس، فحين دخلنا عليه وكان وقت المغرب قال منشدا لنا على البديهة فى هذه القضية النزيهة من شعره الفائق باللغة الفارسية:

نطق لا لم كن نوانى *** بذكر تعريف شما[1]

مغربى ماهج صادق *** شدا وتشريف شما

كان قدس الله روحه ينتسب للأستاذ العلامة الشيخ عبد الرحمن الجامى ويقول انه من ذريته ومن نسله الطاهر الشامى وله اثار وأخبار وتعاليق كثيرة.

ثم قصد صاحب الترجمة العودة إلى ديار الوطن وارتحل من دار السلطنة المذكورة فصادفته المنية وهو فى البصرة وكانت وفاته سنة اثنين وتسعين وألف من الهجرة.

ثم ان صاحب الترجمة اختار الأستاذ وطلبه للمبايعة على الطريقة النقشبندية مبايعة فوق رأس نبى الله يحى عليه السلام بجامع بنى أمية بدمشق وأعطاه العكاز من يده والرسالة المتعلقة بالطريقة وأمره أن يشرحها فشرحها الأستاذ عبد الغنى النابلسى شرحا نفيثا أسماه مفتاح المعية فى شرح الطريقة النقشبندية وكان ذلك بإذن من النبى ﷺ قال الأستاذ رضي الله عنه فى اجازة تلميذه العلامة محمد بن إبراهيم الدكدكى.

أما اتصال مدد السادة النقشبندية والعهد الوثيق لبيان هذه الحقيقة الالهية فهو من طريقين الباطن والظاهر.

فأما طريق الباطن – وهو طريق الروحانية فقد اتصل عهدنا ومبايعتنا واقتداؤنا فى واقعة رأيناها ومطارحة وجدانية وجدناها من روحانية الإمام الجليل والشيخ الكامل صاحب التكميل الخوجة علاء الدين عطار قدس الله روحه ونور الله ضريحه وهو آخذ هذه الطريقة المحروسة والحقيقة المأنوسة عن الشيخ بهاء الدين النقشبندى رضي الله عنه التى سميت هذه الطريقة بالنقشبندية نسبة إليه ومعنى نقشبندية باللغة الفارسية يعنى اثبات نقش التوحيد فى لوح القلب، وتحقيق القلب به وادامة استحضاره بحيث لاينفك عنه.

والخوجة بهاء الدين أخذ عن المولى الهمام الكامل المعروف بأمير كامل وعن الشيخ محمد المعروف بباقى السماسى وتستمر سلسلة الاخذ عن أصحاب هذه الطريقة إلى أن تصل إلى الشيخ أبى القاسم الكركانى عن الشيخ الكامل أبى عثمان المغربى سعيد بن سلام وهذا الشيخ فى أخذه الطريقة له طريقان – فانه أخذ عن أبى الحسن الخرقانى عن شيخه أبى يزيد البسطامى عن طريق الالقاء الروحانى دون الجسمانى فان أبا يزيد مات قبل ولادة الخرقانى بكثير وأبو يزيد أخذ عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه من طريق

الالقاء الروحانى والجسمانى إلى أن يصل فى الطريقة إلى محمد بن أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

وأما أخذه أيضا عن الإمام محمد الباقر فله طريقان أيضا عن الإمام القاسم عن سلمان الفارسى عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه وهو الخليفة الأول لرسول الله ﷺ وهو رأس السلسلة النقشبندية وبه تسمى هذه الطريقة بالبكرية نسبة إلى أبى بكر وهى طريقة السر الذى وقر فى صدره رضي الله عنه بشهادة النبى ﷺ حين قال لم يفضلكم أبى بكر بكثرة صوم ولاصلاة ولكن بشيء وقر فى القلب وفى رواية أخرى وقر فى صدره[1] بمعنى سكن فيه من الوقار وهو الحلم والرزانة كذا فى نهاية ابن الأثير وأبى بكر رضي الله عنه أخذ عن النبى ﷺ والنبى عليه السلام أخذ عن جبريل وجبريل الأمين أخذ عن رب العالمين جل جلاله وعظم افضاله وعم نواله.

وأما طريق محمد الباقر فانه أخذ عن الإمام زين العابدين على عن أبيه عن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه رضي الله عنه ومن بقية الصحابة أجمعين ومنه تفرعت طرق الصوفية كلها لأنه بابا مدينة العلم كما يشير إليه حديث النبى ﷺ فى قوله (أنا مدينة العلم وعلى بابها)[2] والإمام على رضي الله عنه أخذ عن النبى ﷺ والنبى عليه السلام أخذ عن جبريل عن رب العالمين جلا وعلا هذا طريق أبى الحسن الخرقانى عن شيخه أبى يزيد البسطامى.

وأما طريق أبى القاسم الخرقانى عن أبى عثمان المغربى عن أبى على الحسين ابن أحمد الكاتب وتستمر السلسلة إلى أن تصل إلى أبى القاسم الجنيد سيد الطائفة قدس الله سره وهو آخذ عن الإمام سرى الدين السقطى عن الإمام معروف الكرخى عن الإمام على رضي الله عنه فله طريقان.

أما طريقة عن على الرضى عن موسى الكاظم عن جعفر الصادق وأما طريق داوود الطائى عن حبيب العجمى عن الحسن البصرى عن الإمام على رضي الله عنه عن النبى عليه

(١) أخرجه

(٢) أخرجه السيوطى فى شرح الجامع الصغير للإمام العزيزى حرف الألف ورمز له بالحسن .

السلام عن جبريل عن رب العالمين، هذا ماوقع لنا من طريق الباطن فى أخذ هذه الطريقة النقشبندية للشيخ عبد الغنى النابلسى مع الاختصار والايجاز فى تلقى هذه الطريقة من الناحية الروحانية.

وأما الطريق الظاهر فقد أخذها الشيخ عبد الغنى النابلسى من حيث الاجتماع الجسمانى عن الشيخ العارف أبى سعيد البلخى رحمه الله تعالى عن أمير عابد الملقب بحافظ خادم وتستمر سلسلة الأخذ إلى أن تصل إلى الشيخ العارف بهاء الدين النقشبندى قدس الله سره وقد أوردنا سنده فيما تقدم .

والآن ننتقل إلى الطريقة القادرية التى أخذها الأستاذ عبد الغنى النابلسى والتى تنسب إلى الشيخ الإمام والكامل الهمام مجمع التنزيل الربانى الشيخ عبد الرازق بن السيد شرف الدين انمتصل النسب بالشيخ عبد القادر الكيلانى.

قال الأستاذ عبد الغنى النابلسى فى الرحلة الكبرى اجتمعنا به رحمه الله تعالى، يعنى السيد عبد الرازق المذكور فى سنة خمس وسبعين وألف وكان حيا فى حماه أثناء ذهابنا إلى الروم فى ذلك العام ووصل لنا فى معاهدته الشريفة كمال النفع التام.

كان رحمه الله تعالى صاحب هيبة وجلال ومؤانسة ويرتدى الملابس الفاخرة والغالب عليه الجذبة الالهية وعمل أهل الآخرة وقد أتى بعد ذلك إلى بلادنا دمشق قاصدا الحج إلى بيت الله الحرام فاجتمعنا به أيضا وكان أول كلام له معنا قوله:

الحب لايكون إلا لله وكلمات أخرى تؤذن بعلو مقامه وكمال عنايته بالطريقة.

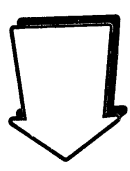
وأما بيان الطريقة القادرية وسندها التى أخذناها عن شيخنا هذا رحمه الله تعالى فاننا تلقينا العهد الوثيق وخرقة العلم الالهى والتحقيق عن شيخنا المذكور وهو تلقى عن والده السيد شرف الدين عن والده السيد أحمد عن والده السيد قاسم وهو عن والده وتستمرا سلسلة التلقى إلى أن تصل إلى السيد شرف الدين يحى الملقب بسيف الدين وهو أول الذين جاءوا إلى حماة من بغداد وذلك فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، واستوطن حماة وكانت وفاته ببغداد والسيد شرف الدين المذكور تلقى ذلك عن والده شهاب الدين عن والده

شمس الدين عن والده السيد عبد الرازق أبى بكر عن والده وشيخه القطب الربانى والنور الرحمانى السيد محى الدين أبى صالح عبد القادر الكيلانى رضي الله عنه المشهور بهذه الطريق وهو رضي الله عنه تلقى ذلك عن شيخ الإسلام أبى الحسن على بن حمد الهكارى عن الشيخ أبى الفرج الطرسوسى عن أبى الفضل عبد الرحمن بن عبد العزيز التميمى عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى بكر دلف بن مجد الشبلى وهو تلقى ذلك عن سيد الطائفة أبى القاسم الجنيد البغدادى وهو تلقى ذلك عن سرى الدين السقطى عن معروف الكرخى عن داود الطائى عن حبيب العجمى عن الحسن البصرى عن الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه عن النبى ﷺ عن أمين الوحى جبريل عليه لاسلام عمن ليس كمثله شىء وهو السميع البصير هذا ماذكره الحافظ النجم الغزى نقلا عن الشيخ النابلسى فى رحلته الكبرى ذكر ذلك الأستاذ فى رحلته المذكورة فيقول مرة أخرى كان شيخنا المرحوم الشيخ عبد الرازق المذكور رضي الله عنه بعد أن أخذنا عنه ذلك العهد والمصافحة والاجازة عن طريق القادرية ونحن فى ذلك المجلس نزع عمامته فى الحال عمامته الخضراء الكبيرة عن رأسه وأمر فقيها أن يفتق تاجه القادرى ويخيطه فى عمامتها ففعل كذلك وتعجب الحاضرون منه وعلموا أنه كان بالهام من الله تعالى واشارة جلية واضحة وحين المبايعة أعلى الشيخ عبد الرازق لحضرة الأستاذ عبد الغنى النابلسى سيفا وأخبره انه تلقاه عن آبائه واتصل هذا السيف برجال الطريق حين الأخذ والمبايعة وما زال باق عند اولاد الشيخ النابلسى يتوارثونه جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا[1].

بعد أن أوضحنا باختصار ذكرمشايخ النابلسى الذين تلقى عنهم العلم وأجازوه بكافة العلوم والمعارف بالدرس والافتاء لتلاميذه ولعامة الناس وخاصتهم وذكرنا أيضا مشايخه فى الطريقتين النقشبندية والقادرية وأوضحنا كيف تسلسل أخذ كل طريق وأن الأستاذ النابلسى قد شرح الطريقة النقشبندية شرحا وافيا سوف نوضح هذا عند كلامنا على طريق النابلسى ودعوته إلى الله تعالى وهو صاحب المؤلفات العظام وجلس للافتاء والتعليم لابد

(١) شاهدت ذلك أثناء رحلتى إلى دمشق وزيارتى لأسرة النابلسى بصالحية دمشق عام ١٩٧٠.

اذن من ذكر مؤلفاته العديدة التى تدلنا على غزارة علمه وسعة أفقه ودقة بحثه وهو تكلم فى كثير من المعارف والعلوم ولم يقتصر على فن دون سواه بل تبحر فى كل العلوم والفنون وسيظهر ذلك جليا عند الكلام عن مؤلفاته فى الفصل التالى مع الاشارة بأننا اعتمدنا فى ذكر مشايخه على أوثق المصادر المؤلفة عنه ولم نجد أوثق وأدق من كتاب الورد القدسى والوارد الأنسى فى ترجمة العارف بالله الشيخ عبد الغنى النابلسى لمؤلفه صهره (محمد كمال الدين افندى الغزى العامرى وهو مخطوط بمنزل الأستاذ النابلسى بصالحية دمشق تحت يد أحفاده وبدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٨٢ تصوف وأن كل من كتبوا عن النابلسى آخذين عن هذا الكتاب وما جاؤ بجديد فى هذا الصدد بل كل منهم ناقل عنه.



الفصل الثالث:

"مؤلفات الشيخ عبد الغنى النابلسى"

قضى شيخنا النابلسى حياته كلها اماما متعبدا ومدرسا ومؤلفا ولهذا كثرت مؤلفاته فى شتى العلوم والفنون ولم يترك مجالا من مجالات العلوم إلا وصنف فيها وكتب فيها المجلدات العديدة والكراسات الكثيرة ولذلك نستطيع أن نصنف هذه المؤلفات الي مجموعات:

أولا: كتب فى التصوف.

ثانياً: دووابن شعرية.

ثالثا: كتب فى الرحلات.

رابعا: كتب فى الفقة.

خامسا: كتب فى الحديث.

سادسا: كتب فى التوحيد.

كما أن له عدة مؤلفات فى الفنون الأخرى المختلفة التى لانستطيع حصرها واننا سوف نذكر معظم كتب النابلسى مرتبة على الترتيب الذى ذكرته حسب الاستطاعة وقدر الطاقة.

أما كتبه الصوفية فانه لم يأت فيها بجديد وإنما هى فى معظمها تعليقات وشروح للكتب نفر ،ن كبار الصوفية السابقين من أمثال ابن عربى والجيلى وبن الفارض وهو فى هذه الشروح لايلخص ولايجمل آراء هؤلاء المتصوفة الـ [illegible] ـه يفسرها ويشرح غامضها ويأتى فى هذا التفسير والشرح بكثير من الجديد [illegible] ـرجعا هاما لدراسة آرائه الدينية والفقهية بوجه عام.

ودراستنا للشيخ النابلسى من خلال كتبه الصوفية نتبين أنه قد تأثر فى آرائه الصوفية بتيارين من تيارات التفكير الصوفى.

وهما: التيار المغربى الأندلسى الذى يمثله أبو مدين وابن مشيش والششترى والتيار الفارسى التركى الذى يمثله أوحد الدين نورى ومحمود الأسكودارى ومحمد برجالى.

وإلى جانب هذه الشروح كتب الإمام النابلسى كذلك عن الطرق الصوفية التى كان ينتمى اليها من النقشبندية والقادرية والمولدية وان كان خص الأخيرة بمزيد من الاهتمام.

والذى نلاحظة أنه فى آرائه الصوفية كان أكثر تأثرا بابن عربى وبفكرة وحدة الوجود ويبدوا هذا التأثير واضحا فى الجزء الأول من ديوانه الكبير المسمى بدوان الدواوين[1].

وهذا الديوان يشمل أصلا إلى جانب هذا الجزء الأول فى الشعر الصوفى أجزاء ثلاثة أخرى تضم أشعار كثيرة فى مدح الرسول ﷺ ومدائح ومراسلات أخري وأشعارا فى الغزل غير أن هذه الأجزاء الثلاثة لاتزال مخطوطة لم تطبع بعد وهذا الديوان يمثل المجموعة الثانية من مؤلفات النابلسى وهى دواوين الشعر، ويبدوا شغفه بالشعر واضحا كذلك فى الشرح الذى وضعه لشعر ابن هانئ الأندلسى ولشعر ابن الفارض.

ولهذا استمر الإمام النابلسى فى حياته وبعد مماته كشاعر وتحدث عنه مؤرخوا الأدب العربى عند حديثهم عن الشعراء.

هذا من ناحية كتبه الصوفيه ودواوينه الشعرية.

أما رحلاته فكثيرة متعددة وان كنا قد ذكرنا فى فصل حياته عند الحديث عن رحلاته تاريخ كل رحلة وبينا أن أهمها رحلة طرابلس -الذهب الابريز فى الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز- الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز - الحضرة الأنسية فى الرحلة القديسية.

واننا سوف نعطى نبذة مختصرة عن كل رحلة وبيان مكان كتب هذه الرحلات وأرقامها فى المكتبات المختلفة ليستطيع طالب العلم الوصول إليها فى سهولة ويسر.

(١) طبع فى القاهرة سنة ١٣٠٢هـ.

أما كتبه فى الفقه فكانت كلها شروح وتعليقات على بعض الفروع والأحكام مع شىء من التصوف قدر الاجتهاد وهذه المؤلفات تزيد على الخمسين مؤلفا وسوف نتعرض لاعطاء فكرة عن غالبية هذه الكتب وبيان أماكنها فى المكتبات المختلفة.

أما كتبه فى الحديث فتعتبر من أعظم ماكتب فى الحديث إذ أنه ألف كتابا جمع فيه اطراف كتب الحديث الست وقد أجمعت لجنة التأليف والنشر بالأزهر الشريف على أن كتاب زخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الأحاديث للشيخ النابلسى من أعظم كتب الحديث وأسهلها إذ خلى من التطويل مع ايجاز وسهولة فى العبارة ولهذا قررت اللجنة اختيار هذا الكتاب لطلاب العلم ومرجعا للجنة الحديث لكونه أدق وأسهل ماكتب فى الحديث، علاوة على أن ماكتبه فى الحديث أيضا من أعظم وأجمل الكتب.

واننا سوف نعطى فكرة عن غالبية هذه الكتب وبيان أماكن وجودها فى المكتبات المختلفة.

وللنابلسى مؤلفات أخرى كثيرة تقع فى عدة مجلدات فى علوم مختلفة كالتفسير وعلم الكلام، بل لقد ألف الإمام النابلسى فى علوم وفنون أخرى غير العلوم الدينية والصوفية فقد ألف كتابا فى علم الفلاحة وثانيا فى تفسير الأحلام وثالثا فى بيان شرب الدخان ورابعا فى الموسيقى وغير ذلك مما يدل على أنه كان موسوعى الثقافة والانتاج العلمى.

ولذا سوف نضع مااستطعنا الوصول إليه من مؤلفاته بين يدى القارئ ليسهل عليه الوصول إليها فى سهولة مع اعطائنا فكرة عن كل مؤلف من مؤلفات شيخنا النابلسى مما وقع عليه يدنا واستطعنا مطالعته سواء فى المكتبة الظاهرية بدمشق أو بمصر أوببلاد أخرى ضمت بعض مؤلفات شيخنا النابلسى.

وانى اذ اعتذر عن تحصيل كافة كتب النابلسى نظرا لوجود الكثير منها فى بلاد أوربا والرسالة التى نكتبها اليوم عن شيخنا النابلسى توضح من هو النابلسى وكيف الف ودرس وعلم وما وقع تحت يدنا من مؤلفات يكفى لبيان حقيقة هذا العالم الجليل الشيخ الإمام النابلسى واليك فكرة عن كل مؤلف للنابلسى وبيان مكانه ورقمه تسهيلا لطالب العلم وهذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

أولا: مؤلفاته فى التصوف:

أنوار السلوك فى أسرار الملوك فى عشرين ورقة كتبت سنة ١١١٣هـ ضمن مجموعة التصوف تحت رقم ٥٧ تصوف بالمكتبة الظاهرية ونسخة أخري فى ٤٦ صفحة بخط اسماعيل ابن الإمام ألفت سنة ١١٠٣هـ تحت رقم ٩٩ تصوف.

أبان شيخنا النابلسى فى هذه الرسالة طريق أهل الصفوة الإلهية وكشف عن مراتبهم وأوضح الحكم فيما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه أهل التقوى والمغفرة فى جميع أحولهم وأطوارهم كما أبان أن ذلك لايتيسر لأحد من بعده.

كما ذكر فى هذا المؤلف الفرق بين الدين الاسلامى والديانات الأخرى فإن الملة الإسلامية لايدخلها النسخ بخلاف الملل الأخرى، وأن الانبياء وأصحاب الرسالات والديانات السابقة قد أرسلوا إلى أممهم خاصة أما رسولنا ﷺ فكانت رسالته عامة.

٢ – أيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود تقع فى ٨٧ ورقة تصوف ألفت عام ١٠٩١هـ تحت رقم ٥٩٥٢ ونسخة أخرى تحت رقم ٥٥٦٤ كتبها محمد شكرى الأسطوانى نسخا عن النسخة الأصلية ١٣٠٣هـ ونسخة أخرى كتبها محمد الشماع سنة ١١٥٦هـ تحت رقم ٥٥٥٥ تصوف ونسخة أخرى تحت رقم ٩١٠٠ ألف عام ١١٣٠هـ ونسخة أخرى برقم ٨١٣٨، مع العلم أن هذه النسخ جميعها أصلها النسخة الأولى التى مازالت بخط المؤلف وسبب كثرة هذه النسخ لهذه الرسالة أن الذين اطلعوا عليها أعجبوا برأى الإمام النابلسى فى وحدة الوجود فأكثروا منها النسخ ولذا نجدها وقد طبعت هذه النسخة عدة مرات وتوجد منها نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحت رقم ٣٣٨٧الفة سنة ١٠٩١هـ تصوف تبحث هذه الرسالة فى بيان معنى وحدة الوجود وما المقصود منها وهل الوجود واحد أم اثنان وهل المخلوق والخالق شيء واحد أم أنهما مختلفان، فشيخنا النابلسى يرى أن أصل الوجود واحد باعتبار أن وجود الانسان من وجود الله الذى أوجده وهو الذى يحى ويميت وإليه المرجع والمآب.

وعنده ليس الخالق والمخلق شيء واحد والا لكان الحادث قديما والقديم حادثا وهذا قلب للحقائق.

٣ – التنبيه من النوم فى حكم مواجيد القوم: تقع فى عشرين ورقة ألفت عام ١١٠٢هـ تحت رقم ١٠٠ تصوف وتبحث هذه الرسالة فى أن الله سبحانه وتعالى خلق رسوله محمدا مشتملا على مرتبتين عظيمتين جليلتين لاينال شىء منها بالاحساب ولو عمل الانسان قدر عبادة أهل الثقلين وحصل على جميع الثواب وإنما ذلك هبة من الله عز وجل الكريم الوهاب، ثم بين هاتين المرتبين الأولى: التلقى عن الله عز وجل والثانية: الإلقاء، وقد قام الرسول ﷺ بهذا العمل علي أكمل وجه كما أمره الله ثم فى نهاية هذه الرسالة أوضحت أن الرسالة ختمت بسيدنا محمد ﷺ وأن الأولياء ورثة الأنبياء، وعرف الولاية وبين علوم الشريعة الخمس، كما فرق بين الولاية والنبوة والرسالة ولكل منها علامة تدل عليها.

٤ – الجواب المقصود عن سؤال المعبود فى صورة كل معبود: عدد أوراقها ١٠٦ ورقة تحت رقم ٦٠٩٩ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

وتبحث هذه الرسالة فى الأسئلة التى وردت على شيخنا النابلسى من البلاد النائية وهذه الأسئلة ورد منها سؤال على قول الشيخ الكامل الملا عبد الرحمن الجامى عند تفسيره لسورة الفاتحة التى آياتها كالنوافح الفائحة وذلك قوله: يامن هو معبود فى صورة كل معبود يخاطب بذلك حضرة الحق تعالى المنزه عن كل صورة القائم بنفسه فليست ذاته ولاصفاته ولا أفعاله بمقيدة ولا محصورة.

والإمام النابلسى أجاب عن ذلك وبين المعنى ووضحه وسمى ذلك الجواب المقصود عن سؤال المعبود متخذا أسلوب الاختصار دون التطويل بالالهام من الرب الكريم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وقال تعالى ﴿ولله يسجد من فى السموات ومن فى الأرض طوعا وكرها﴾ إلى آخر هذه الآيات.

٥ – الفتوحات المدنية فى الحضارات المحمدية: تقع فى ٤٨ ورقة ألفت أثناء زيارة الشيخ النابلسى لقبر الرسول ﷺ فى عام ١١٠٥هـ تحت رقم ٧٤٧٩ بمكتبة دمشق آداب وفضائل وهى منظومة من الشعر فى فضل وخصائص وفضل أهل بيته وبيان أن سلسلة

الرسول متصلة إلى يوم القيامة بالعلماء والأولياء الوارثين لعلومه ﷺ والجزء الأخير من هذا المؤلف منشور ويعتبر الجزء الغالب فيها والأهم ولذا وضعناها ضمن مؤلفاته فى التصوف.

٦ - اللؤلؤ المكنون فى الأخبار عما سيكون فى ٨ ورقات ألفت سنة ١٠٩٠هـ تحت رقم ٧٥٠٢ تصوف بدمشق ونسخة أخرى تحت رقم ١٠٠ نفس المكتبة.

فى هذه الرسالة يتناول الإمام النابلسى الغيب ويبين معناه ويحدد المراد منه ويقول بأنه الشيء الذى لانستطيع علمه يسمى غيبا وفى هذه الحالة يسمى الإنسان جاهلا اذا لم يعرف الغيب.

ثم يبين هل ينال ذلك بالفكر أو بالحس أو بغير ذلك وهل يسمى صاحبه عالما وقسم أسباب العلم إلى أربعة أقسام فقال:

القسم الأول: الوحى النبوى - القسم الثانى: الالهام الكشفى وهما خاصان بالأنبياو الأولياء - القسم الثالث: الاطلاع على حركات الأفلاك واقترانات الكواكب - القسم الرابع: معرفة الحروف الروحانية المنطقية وهى خاصة بكافة البشر من الناس.

٧ - الوجود ومرآة الشهود يقع فى ١٠٠ ورقة تحت رقم ٦٠٦٩ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيه يتناول الإمام النابلسى الدفاع عن وحدة الوجود والحلول والاتحاد ويتكلم عن المعرفة وبما تكون وعن الوصول إلى الله تعالى ويرد قول النصارى القائلين بنظرية التثليث وغير ذلك من الموضوعات الهامة، وهذا الكتاب يعتبر من أهم ماكتب الإمام النابلسى ومن أعظم مؤلفاته حيث عالج فيه كثير من المسائل الكلامية والعقائدية التى تتصل بالخالق والمخلوق وبين العلاقة بينهما.

٨ - الجواب العلى عن حال الولى: تقع فى عشرين ورقة تحت رقم ٤٠٠ فى مجموع تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهذه الرسالة كتبها الإمام النابلسى جوابا لسؤال ورد عليه من أهل جزر جاوة وحاصل هذا السؤال ماذا يقولون فى قول بعض أهل جاوة ممن

ينسب إلى العلم والورع بأن ا لله تعالى نفسنا ووجودنا ونحن نفسه ووجوده؟ هل له تأويل صحيح كما قاله بعض أهل جاوة أو هو كفر صريح كما يقول بعض العلماء الوارثين وقد أجاب الإمام النابلسى عن هذا السؤال اجابة اعتمد فيها أولا: على ماورد فى الكتاب والسنة ثم أورد الأدلة العقلية مرة أخرى مؤكدا رأيه وموضحا المعنى المراد من هذا السؤال وحدد المطلوب فى اسلوب سهل بليغ مقنع.

٩ - الفتح الربانى والفيض الرحمانى يقع فى ١٧٠٦ ورقة تحت رقم ٧١٤١ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق ونسخة أخرى تحت رقم ٩٣٠٥ وتوجد منه نسخ مطبوعة ببيروت وتحت يدنا ويتناول الإمام النابلسى فى هذا المؤلف عدة قضايا فيبين معنى الإيمان الحقيقى وكذا الإسلام والتوبة والإحسان والزهد ويدلل لكل واحد من الكتاب والسنة وأن من عمل بهذه المقامات كان متبعا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهذا المؤلف هام بالنسبة لمريدى التصوف الحقيقى كما أنه أهم كتاب من كتبه الصوفية وقد علق عليه كثير من العلماء وخاصة الأب أنطينوى الشيلى اللبنانى الذى نقل النسخة من عين تراز، ثم قام بتصويره وطبعه وراجعه على النسخة التى بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ولذا وصفه بأنه كتاب هام فى العقيدة الإسلامية.

١٠ - بقيت الله خير بعد الفناء فى السير يقع فى ١٤٤ ورقة تحت رقم ٩٠٦٩ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

وهذه الرسالة أولها الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى من أهل الصدق والوفاء ثم شرح المؤلف أبيات خمسة له لم توضع فى ديوانه وهذه الأبيات تتعلق بكيفية الوصول إلى الله تعالى وطريق السالكين إلى الحق جل وعلا وقد شرح هذه الأبيات شرحاً دقيقا وبين المقصود منها، وإليك هذا البيت منها.

وفوق مقام القصد للكل مقصد *** إليك أتى باعاً إذا جئته شبرا

١١ - بداية المريد ونهاية السعيد تحت رقم ٤٨٤٥٩ مخطوط بمكتبة الأزهر الشريف ونسخت سنة ١٣٣٧هـ نسخه المؤلف.

ويتحدث الإمام النابلسى فى أول هذه الرسالة فيقول: هذه بداية المريد ونهاية السعيد ياحائر هذا الطريق المستقيم يامنهوش بسم الله الرحمن الرحيم

ثم أورد أبياتاً تبين من هو السعيد ومابدايته ونهايته ومن هذه الأبيات قوله:

عيون العلا نحو السعيد نواظر *** لأن له ثوب من العز فاخر

وللكون معنى دق عن فهم عارف *** تشير إليه الكائنات الظواهر

ومعنى لمعنى ليس معنى له *** ومالسرى الكون معنى وهو للعقل باهر

يناديك يامدهوش لوكنت سامعا *** فناهيك عن طيب الندى الخواطر

وكنت بعيدا ثم جئت فلم تكن *** لانك عن معنى القصور لقاصر

ومن تحت تحت التحت عند اشارة *** فوق فوق الفوق والغير حائر

إذا قلت حرفا جاء معنى لها *** وان سكت بموج البحر تبعد الجواهر

هذه الأبيات التى ذكرناها النابلسى ترى فيها بداية المريد وكيفية دخوله إلى الطريق ونهاية السعيد الوصول إلى الله عز وجل وقد شرح هذه الابيات شرحاً يبين عن دقة معناها وعظيم قدرها بالنسبة للمريد.

١٢ – تحقيق الذوق والرشف فى معنى المخالفة الواقعة بين أهل الكشف: عدد أورقاها ٣٠ ورقة تحت رقم ٧٤٩٠ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق الفت فى عام ١٠٨٩ وشيخنا يتناول فى هذه الرسالة بيان هل هناك مخالفة واقعة بين أهل الكشف من حيث طريق وصول كل إلى الله عز وجل أم أن الجميع يسيرون على درب واحد هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى يصلون إلى مراد واحد هو الله عز وجل وشيخنا وضح هذا كله وبينه فى هذه الرسالة.

١٣ – تنبيه من يلهو عن صحة الذكر بالاسم هو وعدد أوراقها ٨٥ ورقة تحت رقم ٩١٢١ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق كتبت عام ١١٠٢هـ.

وهناك عدة نسخ منها ضمن مجموعات مختلفة بنفس المكتبة وتبحث هذه الرسالة فى حكم أن الذى يلهو عن ذكر الله سبحانه وتعالى فهو عاص ثم بيان معنى الذكر وفائدته وأن الذى يذكر الله بغير لفظ الجلالة هل يعتبر ذكره كاملا وعند شيخنا النابلسى أن الذكر بلفظ الجلالة هو الأفضل ثم يبين الحكمة من لفظ هو التى هى ضمير فصل وأنها فى بعض الأوقات تخرج عن هذا المعنى ويتعلمها الصوفية علما بالغلبة التحققية فى اصطلاحهم الذى لاتشابه فيه مطلقا بحيث إذا ذكروه يريدون به اسم الله فهو عندهم علم على ذات الله عز وجل إلى غير ذلك من الموضوعات.

١٤ - توثيق الرتبة فى تحقيق الخطبة وعدد أوراقها ١٥٨ ورقة تحت رقم ٩٢١ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق ألفت عام ١١٠٢هـ.

وفى هذه الرسالة يتناول الإمام النابلسى الخطبة التى وردت له من بلاد المقدس الشريف لعالم معروف بها وطلبوا من شيخنا النابلسى شرحها وهذه الرسالة تبحث فى علوم الذوق وأسماء الله الحسنى ومختلف العلوم كاالاستخلاف والتسمية وغير ذلك وقال فى المقدمة منها أنها تضمنت علوما كثيرة لاتدخل تحت حصر العبد واحصائه منها علوم غيبية لاتدخل فى قوالب المعانى الحسية والعقلية إلا بطريق التنزل وضرب من التشبيه ومنها علوم شهودية وملكية وعلوم تشهدية برزخية، ومنها علوم حسية دنيوية وعلوم حسية أخروية وعلوم حسية برزخية ومنها علوم عقلية شرعية وعلوم عقلية عادية ومنها علوم حرفية وفعلية، وعلوم الرحمة الخاصة وعلوم الرحمة العامة، وعلوم ظهور الرحمة وبطونها فى المرحومين إلى غير ذلك مما يطول ذكره فى هذا الحديث.

١٥ - كتاب نتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم تحت رقم ٦٩٧٩ تصوف مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يتناول المؤلف معرفة الله ومعناها وهل تأتى هذه المعرفة عن طريق الحس أوعن طريق العقل أم أنها تأتى عن طريق أمر ثالث غير الحس والعقل ثم يتحدث عن الحقيقة المحمدية ويفرق بين الحقيقة النورانية والجسمانية ثم يعقد فصلا لتعريف الولى والفرق بينه وبين النبى والرسول ثم يتحدث عن الكرامة وعلى

يد من تظهر وهل النبى أفضل من الولى أم أن الولى أفضل إلى آخر ماذكره فى هذه الرسالة والتى يجب على كل مسلم أن يطلع عليها نظرا لأهمية الموضوع الذى يتحدث فيه.

١٦ – جمع الأسرار فى منع الأشرار من الطعن فى الصوفية الأخيار يقع فى ٥١ ورقة تحت رقم ٥٢٤٠ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يبين الإمام النابلسى من هم الصوفية وما حقيقتهم وما حكم الطعن فيهم من الناحية الشرعية ويبرهن على أن الصوفى الحقيقى هو الذى يعمل بما فى الكتاب والسنة وأن الذى يحيد عن ذلك فهو خارج عن الإسلام طاعن فى دين الله متستر بستار الصوفية وهى منه براء إلى غير ذلك من الأدلة والبراهين العديدة التى توضح معنى هذه الطائفة وما تسير عليه من مسلك هدى رسولنا الكريم وكتاب الله العظيم.

١٧ – جواهر النصوص فى حل كلمات الفصوص: وهذا شرح لفصوص الحكم لابن عربى عدد أوراق هذا الشرح ٧٦٠ ورقة تحت رقم ١٢ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد قام الإمام النابلسى بشرح كلمات الفصوص من أولها إلى آخرها موضحا ما أبهم على القراء فهمه كما ألقى ضوءا على كلمات ابن عربى والمقصود منها ولم يتناول الشارح تغيرا لأصل من أصول هذا الكتاب بل كل مافى الأمر جل المعنى ووضح لطلاب العلم وتوجد من هذا الشرح عدة نسخ وقد طبع مرارا وتوجد منه نسخة مطبوعة بمكتبة الأزهر تحت رقم عام ٢٤٢١٥ تصوف.

١٨ – رد المتين على منتقص العارف محى الدين فى ٦٧ ورقة وهى بخط المؤلف حتى الآن تحت رقم ٩٨٧٣ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق فى هذه الرسالة يتولى الإمام النابلسى الدفاع عن إمام العارفين الشيخ محى الدين ويرد طعن الطاعنين ويوضح أن الكثير منهم لم يفهم كلام الإمام لقصور عقله وقلة علمه ونفى نفيا قاطعا عن محى الدين القول بالحلول والاتحاد وبين المراد من وحدة الوجود عند ابن عربى واستمد ذلك من شهادة محى الدين على نفسه بقوله: نشهد أن الله واحد إلى آخر ماقال فى هذا النص ومنه أخذ الشيخ عبد الغنى النابلسى تأويل كلامه وبيان مراده.

١٩ - رسالة فى الانتصار لابن عربى تصوف تحت رقم ١٠٠ بالمكتبة الظاهرية بدمشق تقع فى ٩٤ صفحة أولها الحمد لله أسعد من شاء بالتوفيق والعرفان وأشقى من شاء بالافتراء والكذب والبهتان إلى آخر هذه الرسالة التى ألقها الإمام النابلسى ردا على من طعن فى ابن عربى ونال منه وقد كتب هذه الرسالة فى عام ١١٠٤هـ وقد برهن النابلسى على مدى قدرته فى الرد على أعداء الشيخ محى الدين.

٢٠ - رسالة فى قول ابن الفارض عرفت أم لم تعرف: تقع فى ٣٨ صفحة تحت رقم ٥٥٦٤ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يتناول الإمام النابلسى الرد على سؤال معنى قول ابن الفارض روحى فداك عرفت أم لم تعرف مالمراد بهذا القول وما معناه وما المقصود به ثم عند بيان الجواب قال فى أوله أن أنوار المعرفة والشهود لاتدخل تحت الموازين العقلية ثم أن الموجودات متعددة وانتقل بعد ذلك إلى تحديد معنى الصحو والمحو وهما حالتان ومتى تكونان وهما عنده بالنسبة للعارف أمران لازمان وصحيحان إلى غير ذلك من أمور تخص المعرفة والشهود والكشف والغيب بما احتواه هذا السؤال ولازمه الجواب.

٢١ - رفع الريب عن حضرة الغيب: رسالة فى ١٣ ورقة كتبت عام ١١٠٤هـ وهى بخط المؤلف تحت رقم ١٠٠ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتناول الإمام النابلسى حقيقة المغيبات عن الإنسان وهل يستطيع أن يدركها أم لا كما وضح كيفية الوصول إلى الله تعالى وما طريق ذلك ونسخ أخرى غير هذه قال فى أولها: اعلم يا أخى أن التوفيق الذى ذكره علماء العقائد وغيرهم أمره عظيم وشكله جسيم وهو لا يحصل للمكلف بالتحصيل وليس له سبب إلا التضرع إلى الله تعالى ثم بين كيفية الوصول إلى الله تعالى والطريق إلى ذلك وهذه رسالة هامة فى علوم التصوف والأخلاق من أراد المزيد فعليه بمراجعتها والاطلاع عليها.

٢٢ - زيدة الفائدة فى الجواب عن الأبيات الواردة عدد أوراقها ٦ ورقات تحت رقم ٦٥٤٨ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتحدث الإمام النابلسى مجيبا على السؤال

الذى ورد له من بعض الاخوان عن معنى الأبيات الأربعة لشيخنا محى الدين بن عربى وأول هذه الأبيات هو قوله:

صلاة العصر ليس لها نظر *** جمع الشمل فيها بالحبيب

إلى آخر الأبيات وشيخنا قد أجاب عن ذلك بعشرة أبيات ثم شرح الجواب شرحاً وافيا فى اثنى عشرة صفحة.

٢٣ – زهرة الحديقة فى ذكر رجال الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية مرتبة على حروف المعجم وعليها تعليقات وشروح كثيرة وتقع فى ٨٦ ورقة تحت رقم ٧١٩١ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد قام شيخنا النابلسى وشرح هذه الطريقة ويعتبر شرحه هذا مهم جداً لأنه محص رجال الطريقة المحمدية وبين المراد بهم وأنهم يسيرون على كتاب الله وسنة نبيه ومن كان كذلك فهو الناجى الواصل إلى الحقيقة وهذا الكتاب ألفه البركوى.

٢٤ – زيادة البسطة فى بيان العلم نقطة وتقع فى ١٦ صفحة تحت رقم ٩٩ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وتبحث هذه الرسالة فى بيان العلم والفرق بينه وبين علم الله وأن علم الإنسان بالنسبة إلى علم الله كالنقطة من بحر وقد بسط الكلام فى ذلك ووضح معنى العلم نقطة وفرق بين العلم القديم الذى هو الله تعالى والعلم الحادث الذى للبشر كما بين أن علم الله واحد وعلم المخلوق متعدد متجدد فى كل وقت حسب ارادة الله وقدرته فى كل زمان ومكان.

٢٥ – شرح التحفة المرسلة عدد أوراقها ٢٧ ورقة كتبت عام ١١١١هـ تحت رقم ٦١٨٥ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهذه الرسالة للشيخ محمد بن فضل الله الهندى وقد قام شيخنا النابلسى بشرحها شرحاً أبان عما فى هذه الرسالة من معانى سامية وأمور تتعلق بالشريعة والطريقة والحقيقة وصار شيخنا النابلسى فى شرحه لها بايراد النص أولا ثم بيان الشرح لهذا النص فى فصول كثيرة واننا سنورد نصا فى الفصل الأول من هذه الرسالة فنقول قال: اعلموا اخوانى اسعدكم الله بسابق عنايته أن الذات الإلهية هى الوجود

المحض الخالى عن قيود الماهيات لهاوالمحسوسات والمعقولات وليس له تعالى ماهية أصلا غير الوجود المحض لأنه لو كان له ماهية غير الوجود المحض للزم ثلاثة أمور مستحيلة عليه تعالى:

الأمر الأول: يلزم أن يكون الله مركبا من ماهية خاصة ووجود عام ليكون حادثا

الأمر الثانى: يلزم أن تكون ماهيته مفتقرة إلى الوجود وهى غير الوجود وكل مفتقر إلي الوجود حادث.

الأمـر الثـالث: يلزم أن يكون تعالى مشابها للحوادث لأن الحوادث كلها ماهيات متصفة بالوجود وهو تعالى لايشابه الحوادث والا لكان حادثا مثلها.

ثم بعد أن عرض هذا النموذج بدأ شيخنا النابلسى فى بيان معنى الشريعة والطريقة والحقيقة والمراد منها جميعا فى اسلوب سهل سلس.

٢٦ – شرح ديباجة المثنوى وتقع فى ٤٦ صفحة تحت رقم ٣٩٧ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق والأصل للشيخ المثنوى والشرح لشيخنا النابلسى وتشتمل هذه الرسالة على ثلاث ديباجات:

الديباجة الأولى: تبحث فى علم الحقيقة وبيان المراد منها ومعناها، وأن علم الحقيقة عنده هو أصل المعرفة المستمدة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ومن لا حقيقة عنده لايدرى مالكتاب ولا الايمان.

والديباجة الثانية: تبحث فى الزهد وكيف يصل الإنسان إلى هذا المقام وبأى طريق يصل إلى ربه ثم ينتقل إلى الديباجة الثالثة ويتحدث فيها عن كيفية السلوك فى طريق الله تعالى وبيان المريد وآدابه ومعرفة الطريق عنده من أوجب الواجبات.

٢٧ – شرح رسالة فى أدب المريد وعدد أوراقها ١٤٩ ورقة وما زالت بخط مؤلفها الشيخ النابلسى حتى الآن كتبها عام ١٠٨٧هـ تحت رقم ٩١٢١ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وتبين هذه الرسالة آداب الطريق فى الظاهر والباطن للمريد السالك طريقه إلى

الله عز وجل ثم بين معنى الطريقة ظاهرا وباطنا وكيف يتحقق الإنسان بها ليصل إلى الله عز وجل بقلب مطمئن بالإيمان وعقل مستنير منور بالعرفان وهدى القرآن.

٢٨ – عـزر الأئمـة فى نصح الأمـة تحت رقم ٦٩٧٩ تصـوف مـخطوط بالمكتبـة الظاهرية بدمشق وفيها يتناول الإمام النابلسى حقيقة الاصلاح مابين علماء الشريعة وعلماء الحقيقة أصحاب الأبحاث الغامضة الرفيعة وعبر عن الحقيقة فقال: ان الحقيقة أصل والشريعة فرعها والحقيقة طهارة القلوب والشريعة طهارة الإنسان من دنس الذنوب ثم يدلل على ذلك ويبين أن الشريعة والحقيقة لفظان مترادفان ثم قسم علماء الأمة المحمدية إلى أقسام لكل قسم فى علمه اصطلاح خاص به لايعرفه إلا من عرفه وصار فيه وتعمق ولايصح لإنسان أن يطعن على أخيه إلا بعد معرفة علومه حتى يستطيع أن يطعن ويكون على بينة من علم المطعون عليه حتى يكون دليله مقنعا ورده قاطعا بالنسبة لمن طعن عليه ويكون جوابه كافيا ورده شافيا والاسقط كلامه وخرج من دائرة العلماء.

٢٩ – قطرة السمـاء ونظرة العلمـاء عـدد أوراقـهـا ٤٦ ورقـة تحت رقـم ٦٧٨ تصـوف مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يبين شيخنا النابلسى بداية الطريق للسالكين وكيفية السلوك للوصول إليه تعالى وقد قسمها إلى بابين الباب الأول فى حقيقة الوجود الموصل إلى معرفة المعبود وقد بدأ هذا الباب بقوله:

ان الوجـــود حـــقـــيـــقـــة لاتدرك *** وقف المحـــقق عندها والمشـــرك

والناس فـيـهـا فـرقـتـان فـعـارف *** حـاز الكمـال وجـاهل يسـتـدرك

وأما الباب الثانى فهو فى حقيقة الوجود الباطل وهو العلم قال: وانما عبرنا عنه بالوجود الباطل لأنه فى مقابلة وجود الله تعالى الحق.

وقد أوضح شيخنا النابلسى الفرق بين هذين الوجودين وقرر كيفية الوصول إلى الله عز وجل وربط ذلك بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٣٠ – كشف النور عن أصحاب القبور وتقع فى ٢٤ ورقة ألفت عام ١١٠٦هـ ضمن مجموعة تصوف تحت رقم ٥٧ مخطوط بدمشق بالمكتبة الظاهرية وفيها يتحدث شيخنا

النابلسى عن كرامات الأولياء الأحياء منهم والأموات وانها واقعة ويستدل على ذلك بكثير من الأحاديث النبوية ثم بعد ذلك عرف الكرامة وعلى يد من تظهر وفرق بينها وبين المعجزة والمعونة والشعوذة وغيرها وجزم بضرورة وقوعها فى الدنيا والآخرة ورد على المنكرين لها ثم انتقل إلى تعريف الولى والمراد به وغايته الوصول إلى الله تعالى عن طريق الكتاب والسنة كما رد على منكرى الولاية وهذا المؤلف من أهم ماكتبه شيخنا النابلسى فى هذا الشأن اذ أنه لم يدع مجالا لأحد من المنكرين إلا وسد عليه باب الطعن بالدليل تلو الدليل وأضحم الخصم العنيد فى هذا الطريق المستقيم.

٣١ – كوكب الصبح فى إزالة ليل القبح وعدد أوراقها ٢٢ ورقة كتبت عام ١١٠٣هـ تحت رقم ٩٩ تصوف مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق الشام ويتحدث شيخنا النابلسى فى أولها فيقول: عند الكلام على شعاع الكواكب الغربى كل تحريك تراه وسكون بانتقال من حياة المنون وجميع الكون ان حقيقته إشارات إلى كن فيكون نظرة أعطت وأخرى أخذت كل شىء ثم تحدث بعد ذلك عن المراتب الأربعة التى يتكون منها الإنسان ويذكر أن مرتبة كلمة الله التى هى أعلى المراتب وأرقاها وإن أمر الله تعالى هو ذاته فالأمر حضرة من حضرات الذات العلية ثم ينتقل إلى الحديث عن المقامات والأحوال وفى النهاية يصل العبد إلي مقام القرب الخاص بأهل الله تعالى فعند ذلك يصبح العبد ربانيا أمره من أمر الله سائرا بقدرته تعالى وتوفيقه.

٣٢ – لمعات البرق النجدى فى شرح تجليات محمود أفندى تقع ١٠٢ ورقة الفت عام ١٠٨٩هـ تحت رقم ٥٤٧٩ تصوف مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتناول شيخنا النابلسى معنى التجلى لهذا الشيخ وكيف وضعه وما الأصل فيه وصاحب هذا الأصل عالم متصوف أحد علماء دمشق المشهود لهم بسعة الأفق وكثرة العلم ويبين شيخنا النابلسى أن هذا العلم كان أحد الأقطاب الواصلين إلى الله تعالى مباركا دعواته مستجابة.

٣٣ – مختصر فصوص الحكم لابن عربى تحت رقم ٨٠٧٨ تصوف مخطوطة بدمشق وقد قام شيخنا النابلسى باختصار فصوص الحكم اختصاراً غير مخل بايجاز وبين

المراد منه وفى نهاية هذا المختصر أجمل آراء الإمام محى الدين فجاء هذا المختصر واضحا شاملا بايجاز كل ماورد فى كتاب فصوص الحكم.

٣٤ – مناجاة الحكيم ومسافات القديم عدد اوراقها ١٠٢ تحت رقم ٩٠٥٧ تصوف مخطوطة بدمشق بالمكتبة الظاهرية وتشتمل هذه الرسالة على ثمانية عشر فصلا كل منها مناجاة ومحادثة بين العبد والرب عند انكشاف الستر ورفع الحجب عن البشر الواصلين وعلى سبيل المثال قال شيخنا فى أول هذه الرسالة: قال لى ربى: أنت تصلح لى فقلت كيف أصلح لك وأنا فانى فقال: ولايصلح لى إلا الفانى فقلت: كيف أصلح لك وأخلاقى أخلاق سوء فقال الله أكملها بأخلاقى الحسنة ثم قال لى ياعبدى أنا أنت وأنت لست أنا ياعبدى أنا الوجود ولا أنت ياعبدى كل الناس عبيد نعمتى وأنت عبد ذاتى فقلت ياربى وكيف أنا عبد ذاتك فقال: أنت عبد الوجود لاعبد الموجود والوجود أنا والموجود غيرى لأنهم موجودون بى وأنا موجود بنفسى فلذا قلت أنا الوجود.

هذه واحدة من مناجاته ﵁ بينه وبين ربه وكل فصول هذا المؤلف على غرار هذا وهى سامية فى غاية السمو الروحانى فمن اطلع عليها مرة نسى نفسه بأنه موجود لأنه يناجى رب الوجود سبحانه وتعالى.

٣٥ – هدية الفقير وتحية الوزير رسالة تقع فى خمس ورقات كتبت عام ١١١٢هـ تحت رقم ٧٤٩١ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وإمامنا النابلسى بين فى هذه الرسالة ذكر الله وبأى نوع يكون واعتبر الذكر بايمان صادق هو ذلك مايوافق عليه أهل السنة والجماعة وعلى العبد الموفق أن يتمسك بقول المحققين فانه يثلج فؤاد الموحد ويحرك ساكن الغرام فى قلوب العاشقين لرب العالمين سبحانه وتعالى وهذه الرسالة مع صغرها فى الحجم ولكنها كبيرة فى المعنى تشتمل على فوائد علمية عديدة وسننتقل للحديث عن مؤلفاته الشعرية.

ثانيا: مؤلفاته فى الشعر:

٣٦ – ديوان الدوواين الثلاثة: وفى ديوان الالهيات وديوان الغزليات وديوان المدائح والمراسلات عدد أوراقها ٣٥٦ ورقة كتب بخط المؤلف شيخنا النابلسى ومازالت به حتى

الآن تحت رقم ٧٢١٠ مجامع شعرية منها نسخ مطبوعة وتوجد تحت يدنا نسخة مطبوعة والنسخ المخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد جمع شيخنا النابلسى فى هذه الدواوين معظم آرائه العلمية فتكلم بالنظم مدافعا عن وحدة الوجود والحلول والاتحاد ومعرفة الله عز وجل والفرق بين الوجود والموجود وأبطل قول النصارى القائلين بالتثليث كما ذكر عدة آراء فى علم الكلام والتصوف وعلم النفس والكرامات وغير ذلك من العلوم والفنون ويعتبر هذا الكتاب من أعظم دواوينه الشعرية الموجودة فى عصره وهو درة ثمينة فى العلم لما حوى بين دفتيه من آراء علمية قيمة.

٣٧ – ديوان الحقيقة وسلك الطريقة ويقع فى ٨٢ ورقة تحت رقم ٩٢٣٤ عام مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وبه يتناول شيخنا النابلسى الحقيقة الإلهية وصفاتها ثم يسلك الإنسان طريقه فى الوصول إلى الله تعالى إلى غير ذلك من السبل الموصلة إلى طريق اله المستقيم وكل ذلك بالنظم.

٣٨ – السر الغامض فى شرح ديوان ابن الفارض ويقع هذا الشرح فى ٤١٥ ورقة تحت رقم عام ٥٢٣٧ بالمكتبة الظاهرية بدمشق ومطبوع عدة مرات وتحت يدنا نسخة مطبوعة وقد شرح الإمام النابلسى هذا الديوان بعد أن وضع مقدمة له أوضح بعد هذه المقدمة غامضه وكشف عن معانيه كشفا دقيقا مما يدل علي غزارة علم شيخنا النابلسى وتعمقه فى الشرح ولم يترك بيتا من الديوان إلاوشرحة وعلق عليه وبين المراد منه.

٣٩ – شرح البديعة المسماة بنفحات الأزهار على نسمات الأسحار فى مدح النبى المختار وتقع فى ٣٥٩ ورقة تحت رقم ٨٠٣٩ عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق وشيخنا النابلسى بعد أن الف هذه القصيدة اعترض عليه أهل الشام وقالوا انها ليست من انشاده وذلك بعد أن فرغ منها وشرطوا عليه شرحها اذا كانت من انشاده ولكنه رضي الله عنه شرحها فى مدة شهر شرحا بليغا دقيقا وبعد أن اطلعوا على الشرح آمنوا وصدقوا بأنها من انشاده وهذا الشرح أعظم الشروح لفظا ومعنى ولهذا أعجب بها أهل الشام من العلماء العاملين وافتتنوا بها.

٤٠ – شرح ديوان بن هانيء الأندلسى تحت رقم ٩١٢١ أدب وشعر ويقع فى ١٣٩ ورقة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد قام شيخنا النابلسى بشرح هذا الديوان شرحا سهل لطلب العلم بأسلوب سهل موجز وأول هذا الديوان البيت الآتى قال:

الاطرقتنا والنجوم ركود *** إلى آخر ماأنشد فى هذا المجان

وقد علق على هذا الشرح فى نهاية كلامه بأسلوب بليغ.

٤١ – شرح القصيدة المضرية فى مدح خير البرية وتقع فى ٣٣ ورقة تحت رقم ٩٨٨٤ عام مخطوط بدمشق وشيخنا النابلسى شرح هذه القصيدة شرحا دقيقا يطرب القلوب ويحرك الوجدان ويشنف الآذان مما جعل طلاب العلم وتلاميذه يطالعونه أكثر من مرة كما ذكر ذلك بعض مريده.

٤٢ – رد المفترى فى الطعن على الششترى تحت رقم ١٤١٣ عام مخطوط بمكتبة الأزهر وفى هذه الرسالة التى أولها: بسم الله الرحمن الرحيم وسلام على عباده الذين اصطفى.

والإمام النابلسى بعد ذلك شرح قصيدة الشيخ الششترى تلميذ عبد الحق بن سبعين وبين أن الدين عند الله الإسلام ثم وضع حقيقة مايريده الشيخ الششترى وأنه وارث محمدى عن الانبياء وأن الانبياء والرسل ختموا بمحمد ﷺ وبه قد انتهت الرسالات.

أما الولاية فهى إلى مشاء الله باقية إلى قيام الساعة.

٤٣ – الشمس على جناح طائر فى مقام الواقف السائر وقد شرح فيه قصيدة رائية للشيخ الأكبر قدس الله سره وتحدث الإمام النابلسى فى هذه الرسالة جوابا عن سؤال فى تفسير رؤيا ذكرها بعض تلاميذه فى مجلس علم من مجالس بعض العلماء وذلك لأنه رأى أن بعض من حضر مجلس العلم للنابلسى قام وأنشد بيتا قال فيه:

وما الفخر إلا بالجسوم وكونها *** مولدة الأرواح ناهيك من فخر

ولذا قام شيخنا النابلسى من توه وشرح هذه القصيدة الرائية لابن عربى وسمى ذلك المؤلف الشمس على جناح طائر مخطوطة بدمشق تحت رقم ٥٧ ضمن مجموعات عامة.

٤٤ – شرح قصيدة شمس الدين محمد الصديق المسماة نفخة الصور ونفخة الزهور وتقع فى ٨١ ورقة تحت رقم ٦٠٩٩ عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد تناول شيخنا النابلسى هذه القصيدة بالشرح فأوضح غامضها وأبان عن معانيها ومقصود ناظمها الشمس الصديق وكان فى شرحه لهذه موفقا.

٤٥ – شرح منظومة سعيد بن يوسف بن ابى الفتح وتقع فى ٦٢ ورقة تحت رقم ٧٢٠٣ عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد قام شيخنا النابلسى بشرح هذه القصيدة عام ١٠٩٠هـ وجاء شرحها فوق مايتصور الشراح من السهولة وبيان المراد من هذه المنظومة التى تعد فى وقتها فريدة بين المنظومات.

٤٦ – الكوكب المتلالى شرح قصيدة الغزالى وتقع فى ١٣ ورقة تحت رقم ٥١١٧ عام ونسخة أخرى تقع فى ٨٢ ورقة تحت رقم ٥١٢٩ عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

فشيخنا النابلسى قام بشرح هذه القصيدة الصوفية لأحد علماء التصوف الكبار بل شيخ المتصوفة فى الماضى والحاضر وقد اعجب الإمام النابلسى بهذه القصيدة فعلق عليها فى نهاية الشرح وبين مااحتوت عليه من معانى علمية.

٤٧ – لمعة النور المضية شرح الأبيات السبعة الخميرية الفارضية وتقع فى ٥٩ ورقة تحت رقم ٧٩١٥ عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد أبان الشيخ النابلسى فى شرحة لهذه الأبيات التى تعد من اسمى ما أنشد فى التصوف والصوفية وبين طرق الصوفية وكيف يسيرون من بداية حالهم مع أستاذتهم وشيوخهم إلى أن يصلوا إلى مقام القرب.

٤٨ – المعارف الغيبية شرح القصيدة العينية الجيلية وتقع فى ٣٧ ورقة تحت رقم ٩١١٨ عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق مخطوطة وقد شرحها سنة ١٠٨٦هـ وهذه القصيدة تحتوى على مبادئ الشيخ الجيلى وتصوفه ومراتب التصوف وبيان المريد وآدابه واتصاله

بشيخه وشيخنا النابلسى بعد نهاية الشرح علق عليها بأبيات تزيد على ٥٠ بيتا لما أعجب بها.

٤٩ - منظومة فى ذكر سلاطين آل عثمان وتقع فى ٥٧ ورقة ضمن مجموعة تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهذه من نظم شيخنا النابلسى ولم يذكر تاريخ نظم هذه القصيدة واشتملت على أوصاف سلاطين آل عثمان وماكانوا يتحلون به من صفات مختلفة.

هذه مؤلفات وشروح شيخنا النابلسى فى النثر واننا قد ذكرنا مولفاته الشعرية وشروحه التى تعد من أفضل مانظم فى الشعر وكذا شرحه الذى يعد فريدا فى نوعه فى عصره واننا سنذكر مؤلفاته اثناء رحلاته.

ماكتبه الإمام النابلسى اثناء رحلاته.

مؤلفاته من الرحلات:

٥٠ - الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز وتقع فى ٤٤٥ ورقة تحت رقم ٥٤ عام مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وكتبها شيخنا النابلسى عام ١١٠٥هـ وتناول فيها الكثير من حوادث وأخبار البلاد التى زارها ولقاءاته العلمية فى هذه الأماكن كما أنه ذكر فى هذه الرحلة أنه ألف كثيرا من المؤلفات واننى اورد بعض منها قال:

فى القسم الأول وهو الجولان فى بلاد الشام والتنقل فى محاسن هاتيك الاراضى المباركة المرضية قال: لما تحركت فينا دواعى الغرام وتوجهت الهمة إلى المسير فى جهات بلاد الشام وكان ذلك فى أواخر ذى الحجة الشهر الحرام.

وعند اذ ذاك فى بلادنا المحروسة *** ذلت الربوع المأنوسة

بلاد بها نبضت عليها تمائمى *** وأول أرض مس جلدى ترابها

كتب لنا بعض الأخوان من الصالحين هذه الأبيات وجاء بها الينا تحرك من القلب عزيمة وانبعاث فكانت شرح الحال وهى قول بعضهم والله دره حين قال:

عش عــــــــزيـزا ولاتـذل لخـلـق *** واطلب الرزق فى بلاد الحــــبيب

ثم سـر فى البــلاد شـرقــا وغـربا *** وتوكل على القـــريب المجـــيب

فـعـــسى أن تنال مـــاترتجــيـــه *** بيــد اللطف من مكان قـــريب

ثم انتقل شيخنا النابلسى يتحدث عن مواضع مختلفة سجلها فى هذه الرحلة أثناء انتقاله من بلد إلى بلد سواء فى بلاد الشام أوفى مصر أوفى بلاد الحجاز وما وقع له فى هذه الزيارات والعلماء الذين قابلهم واجتمع بهم واستفاد منهم وافادهم كما تحدث فيها عن غرائب الطبيعة وحوادث التاريخ فى هذه الأماكن إلى غير ذلك من الأمور التى لم تخطر على قلب بشر من الناس فى هذه الفترة وكذا المخاطرات التى قابلها والشدائد والصعاب التى لاقاها فى هذه الرحلة.

٥١ – حلة الذهب الابريز فى رحلة بعلبك والبقاع العزيز وتقع فى ٦٠ ورقة تحت رقم ٨٦٦٦ عام مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ألفت عام ١١٠٠هـ وفيها يتناول بيان عادات وتقاليد هذه الاماكن ومجالسته العليمة ومقابلته لهم وزياراته مع بيان أهم معالم هذه الاماكن إلى غير ذلك من الحوادث التى صادفها والأخبار التى رواها لنا فى هذا المؤلف.

٥٢ – الرحلة القدسية وتقع فى ١٤٩ ورقة تحت رقم ٦٨٤٤ بتاريخ سنة ١١٠١هـ وفى هذه الرحلة يروى الإمام النابلسى ماوقع له من أخطار وحوادث فى هذه البلدان عندما ذهب إلى بلاد القدس كما بين عادات وتقاليد هذه الشعوب وكيف التقى بكثير من العلماء كما اشتملت على فوائد تاريخية عظيمة مع ذكر الأماكن المقدسة والمعاهد العلمية الباهرة ومواقع البلدان القديمة بين دمشق والقدس الشريف مع بيان أهم الأضرحة والمساجد المكرمة وهى رحلة جليلة وقد ذكرنا ماحدث له فى اربعة واربعين يوما التى قضاها فى هذه الرحلة.

٥٣ – التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية وقد كتب هذه الرحلة عام ١١١٢هـ وتقع فى ٧٠ ورقة بدون رقم مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد أبان شيخنا النابلسى فى هذه الرحلة كافة المشاهد والمزارات والمجالس العلمية وغيرها فى هذه البلدان.

٥٤ – رحلته الاولى إلى استنبول عاصمة الدولة الإسلامية وقد كتب هذه الرحلة عام ١٠٧٥هـ وهو فى سن الخامسة والعشرين من عمره وتقع فى ١٠٠ ورقة وقد ذكر فيها لقاءاته مع الامراء والصناديد فى كل ولاية نزل بها كما وصف مجالس العلم فى هذه الأماكن وعادات وتقاليد كل قطر حل به كما وصف استقباله عندما وصل إلى عاصمة الخلافة وكيف قوبل باحترام وأعد له مكان للوعظ والتدريس والافتاء وقد أفاد فى هذه الرحلة الكثير من طلاب العلم.

٥٥ – مختصر الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز وتقع فى ٣٢ ورقة تحت رقم ٣٨٦ رحلات وتاريخ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذا المختصر يتناول الإمام النابلسى الإجابة على بعض الاسئلة التى وجهت إليه أثناء رحلته فى البلاد المذكورة وخاصة الاسئلة التى تهم الصوفية والتصوف فمنها سؤال وجه إليه وهو فى مصر عن دوران الصوفية فى حلقة الذكر والتواجد وقولهم اللفظ هو ماحكم ذلك من الشرع فأجاب الإمام النابلسى على ذلك بأنهم اذا كانوا يقصدون النشاط والمعونة على ذكر الله مع شدة الوجد والشوق لذلك والصيام والتزموا بما هنالك فليس بممنوع وهذا لايخالف ماورد على لسان الشارع الحكيم.

مؤلفاته الفقهية:

٥٦ – الابتهاج بمناسك الحج وتقع فى ٢٢٩ ورقة تحت رقم ٥٣١٦ فقه مخطوطه بالمكتبة الظاهرية بدمشق ألفت هذه الرسالة سنة ١١٠٥هـ وهى تبحث فى اركان الحج وواجباته وكيف تؤدى المناسك والرخص والعزائم وقد بين شيخنا فى هذه الرسالة مايجب على الحج أن يؤديه من فرائض وواجبات وسنن وغيرها مما يلزم فرض الحج المبرور.

٥٧ – الأبحاث المخلصة فى حكم كى الحمصة وتقع فى ٦٤ ورقة تحت رقم ١١٤٤ فقه مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ألفت عام ١٠٩٨هـ وتبحث هذه الرسالة فى بيان حكم علاج الإنسان بالكى فى بعض مواضع الجسم وكيف يتم ذلك كما بين الشيخ

النابلسى الطريقة الصحيحة لذلك والحكم الفقهى وهل الكى ينقض الوضوء أم لا وماحكم ماء الجرح اذا انتشر بعد الكى وهل هذا الماء يأخذ حكم ماخرج من أحد السبيلين سواء انتشر أم لم ينتشر.

٥٨ – الجواب الشريف فى الحضرة الشريفة فى أن مذهب ابى يوسف هو مذهب أبى حنيفة ويقع هذا الجواب فى ٥٣ ورقة ألفت عام ١١٠٥هـ وتقع تحت رقم ٥٣١٦ فقه ضمن مجموعة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ويتناول شيخنا النابلسى فى هذه الرسالة هل مذهب الإمام ابى يوسف هو مذهب أبى محمد وهما من تلاميذ الإمام ابى حنيفة وهما يسيران على مذهبه وأن مذهبهما نفس مذهب الإمام ولم يأتيا بجديد فى نفس الأحكام وجوهرها ولكن اختلافا مع استاذهم فى بعض الآراء إلى آخر ماذكر فى هذا الموضوع.

٥٩ – الرد الوفى على جواب الحصكفى فى مسألة الخف الحنفى وتقع فى ١٨٨ ورقة وهى تبحث فى فقه الأحناف وشروط المسح على الخف ورأي الإمام الحصكفى فى ذلك وهذه الرسالة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٣٦٦ عام فقه بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

٦٠ – الغيث المنبجس فى حكم المصبوغ بالنجس فى ٢٠٨ ورقة تحت رقم ١١٤٤ فقه عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق (مخطوطة) ويبين شيخنا النابلسى حكم الاشياء التى وصلت إليها النجاسة وكيف تزال وماحكم استعمال هذه الأشياء ومتى تطهر وفى أى شىء يمكن استخدام الأشياء النجسة.

٦١ – الفتح المكى واللمح الملكى تقع فى ٥٣ ورقة ألفت عام ١١٠٥هـ تحت رقم ٧٤٧٩ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يتحدث شيخنا النابلسى عن مكة المكرمة والكعبة المشرفة ويبين حكم الوقوف بعرفة والطواف وجميع الأمور المتعلقة بالحج ثم شرح معنى زمزم وفائدتها ومدى حرمة هذه الأماكن فى العبادة وبين المقامات ووجوب العمل لكل مقام من هذه المقامات.

٦٢ – الكواكب الدرية فى شرح المقدمة النابلسية وتقع فى ٨٤ ورقة ومازالت بخط المؤلف حتى الآن تحت رقم ٩١٢١ فقه حنفى مخطوطة بدمشق بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

وهذه الرسالة ألفها شيخنا النابلسى فى بيان أحكام الصلاة على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان رضي الله عنه.

٦٣ – النعم السوابغ فى احرام المدنى من رابغ وتقع فى ٢١٧ ورقة تحت رقم ٥٣١٦ ضمن مجموعة فقه مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ويتحدث شيخنا النابلسى فى هذه الرسالة عن الميقات وحكم احرام المدنى من رابغ وهل اذا غير ميقاته يصح منه الاحرام أم لا ومتى ذلك، كما تحدث عن كافة مواقيت الحج بالنسبة لداخل مكة.

٦٤ – اتحاف من بادر إلى حكم النوشادر وتقع فى ١٩٥ ورقة تحت رقم ٥٣١٦ ضمن مجموعة الفت عام ١٠٩٨هـ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتحدث عن حكم النوشادر الذى استخرج من كوة الحمامات فى مصر وغيرها المستجمع من أدخنة النجاسات وهل ذلك حرام أم لا.

٦٥ – اشراف المعالم فى أحكام المظالم عدد أوراقها ٢٠٤ ورقة تحت رقم ٥٣١٦ ضمن مجموعة فقة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وشيخنا تناول فى هذه الرسالة حكم من وقع عليه ظلم كيف يرد ذلك وماحكم الشرع وهل اذا نوى المأخوذ منه الزكاة هل تجزيه فى رد المظلوم أم لا وقد بين آراء فقهاء الأحناف فى هذه الأحكام وبين الراجحة منها.

٦٦ – الكواكب المشرقة فى حكم استعمال المنطقة من الفضة فى ٥٦ ورقة تحت رقم ٥٣١٦ فقه ضمن مجموعة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها أبان شيخنا النابلسى استخدام الفضة والتحلى بها بالنسبة للرجال والنساء وماحكم الشرع فى ذلك على مذهب الأحناف.

٦٧ – بغية المكتفى فى جواز المسح على الخف الحنفى وتقع فى ١١٣ ورقة تحت رقم ٥٣١٦ فقه ضمن مجموعة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يبين شيخنا النابلسى حكم المسح على الخف عند الأحناف ثم ذكر رأيه فى ذلك مفصلا.

٦٨– تحصيل الأجر فى حكم آذان الفجر وتقع فى ١٧٧ ورقة تحت رقم ٣٥٦١ فقه مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

وفيها يتحدث الإمام النابلسى عن حكم آذان الفجر والدعاء الذى يسبقه وثواب المؤذن لصلاة الصبح وحكم الآذان نفسه وغير ذلك من الأحكام.

٦٩– تحفة الراكع الساجد فى جواز الاعتكاف فى فناء المساجد وتقع فى ٢٦٢ ورقة ألفت عام ١١١٠هـ تحت رقم ٥٧ ضمن مجموعة فقه وفى هذه الرسالة يتناول شيخنا النابلسى معنى الاعتكاف وما حكمه عند مريدى الاعتكاف إذا حصل هذا فى فناء المساجد وهل له أماكن خاصة وكذا حكم ما إذا شغلت أماكن الاعتكاف الخاصة بالناسكين والذاكرين الله – وأصحاب الخلوة إلى غير ذلك من الأحكام.

٧٠– تحقيق القضية فى الفرق بين الرشوة والهدية وتقع فى ١٤٧ ورق ألفت عام ١١٠٦هـ تحت رقم ٦٣١٢ فقه.

وفى هذه الرسالة يتحدث شيخنا عن الفرق بين الرشوة والهدية وحكم كل ومعناها والمراد بها وقد أورد شيخنا النابلسى فى الاستدلال على حكم كل من الهدية والرشوة الكثير من آيات القرآن الكريم ثم ذكر آراء الفقهاء فى هذا الموضوع وبين اجماع الأئمة الأربعة المجتهدين من الفقهاء فى هذا الموضوع.

٧١– تحقيق النظرة فى تحقيق النظرة عدد اوراقها ٣٠٦ ورقة تحت رقم ٣٥١٦ ويبحث شيخنا فى هذا الكتاب كيف يتحقق الإنسان ويبتعد عن النظر إلى أمر غير شرعى عليه أن يقيس الأمور بالمقياس الشرعى ولا يصح له أن ينظر إلى ما فى يد غيره من الأمتعة وغيرها.

٧٢- تشحيز الأذهان فى تطهير الأدهان وتقع فى ٢٠٠ ورقة تحت رقم ١٦٥٣ فقه عام مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يبحث حكم تطهير الأدهان وبأى شيء يكون وبين من أى شيء تؤخذ الأدهان وحكم استعمالها بالنسبة للإنسان.

٧٣- تطيب النفوس فى حكم المقادم والرؤوس عدد أوراقها ١٠٠ ورقة تحت رقم ٥٣١٦ ضمن مجموعة فقه مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها تحدث شيخنا عن حكم مقدم الحيوان عند ذبحه وما حكم فصل الرأس عند الذبح وغير ذلك من الأحكام الفقهية.

٧٤- تكميل النعوت فى لزوم البيوت عدد أوراقها ٣٩٣ ورقة ألفت عام ١٠٩٦هـ تحت رقم ٥٨٧٣ فقه عام ويتناول الإمام النابلسى فى هذه الرسالة ضرورة لزوم البيت لكل إنسان إذا كثرت الفتن وعم الفساد وليتحقق بقوله عز وجل ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[1] كما يستدل بالعديد من الأحاديث النبوية الواردة فى هذا المعنى وعلى المرء أن يفر بدينه من أجل المحافظة عليه ولا يؤذى أحدا ولا يدخل مواطن الشبهات وإلا هلك كما بين حكم الشرع فى ذلك على مذهب الإمام ابى حنيفة رضي الله عنه وأرضاه إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية.

٧٥- جواب سؤال فى بدعة الحشيش (نظما) وتقع فى ٣٠ ورقة تحت رقم ١٠٥٢٧ فقه وفيها يتناول إمامنا النابلسى حكم تعاطى الحشيش وما يتبعه من أحكام هل هو حرام أم مكروه أم مباح أم واجب إلى آخر الآحكام وقد بين الإمام النابلسى حكم الشرع فى ذلك.

٧٦- خلاصة التحقيق فى بيان حكم التقليد والتلفيق ألفت عام ١٠٦٨هـ تحت رقم ٥٣١٦ ضمن مجموعة فقه بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتناول شيخنا النابلسى حكم التقليد والتلفيق على مذهب الأحناف.

٧٧- رفع الضرورة عن حج الصيرورة تقع فى ٢٠٨ ورقة تحت رقم ١٣٥٦فقه عام وفيها يتناول الإمام النابلسى حكم من ذهب ليحج عن غيره من الناس وهو لم يسبق له

(١) الآية رقم ١٠٥ من سورة المائدة.

آداء الحج عن نفسه ما حكم ذلك هل يلزم عليه الحج عن نفسه فى نفس العام أم يبقى فى مكة للعام القادم وبيان آراء العلماء فى هذا الموضوع مع العلم بأن شرط الاستطاعة قد تحقق له فى الوصول إلى مكة ولكن يبقى فاقد الزاد ولا يقدر على الكسب أم أنه قادر على الكسب وهل يمكث بمكة أو بأى بلد يجاور لها وما حكم ذلك كله ثم ذكر شيخنا النابلسى أن ائمة الاحناف لم يبحثوا هذا الموضوع بحثا وافيا وهو الذى تفرد بهذا العمل وجاء بالرأي القاطع فيه ومع ترجيح كلامه بالأدلة العقلية والنقلية.

٧٨- رسالة ابان النص فى مسألة القص فى ١٩٣ ورقة تحت رقم ٣١١٦ فقه عام مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهذه الرسالة تبحث فى بيان حكم قص شعر اللحية والشارب وغير ذلك من الأحكام.

٧٩- رسالة تتعلق بجواب سؤال فى الوقت فى ٣٠٧ صفحة تحت رقم ٦٢٥٣ فقه بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يذكر شيخنا النابلسى حكم الوقت ودخوله بالنسبة لكل فرض من فرائض الصلاة ويبين أوقات ومواعيد كل ركن من أركان الإسلام الخمسة.

٨٠- رسالة تتعلق فى بيان حكم التسعير فى ٨٠ ورقة ألفت عام ١١٠٣ هـ تحت رقم ٥٣١٦ ضمن مجموعة فقه مخطوطة بدمشق وفيها يتناول شيخنا النابلسى حكم تسعير الأطعمة والأشربة وما يلزم الإنسان وكيف يعود الإنسان بما زاد على السعر المقرر فى البلد التى حل بها وما حكم أهل البلد والقادمين إليها فى هذا الشأن والفرق بين المقيم وغيره كما نقل آراء كثير من أئمة الأحناف.

٨١- رسالة التنفير من التفكير فى حق من حرم نكاح المتعة فى الشريعة وتقع فى ٣٣٠ ورقة تحت رقم ٢٢١٦ فقه عام مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يتناول شيخنا النابلسى حكم نكاح المتعة وآراء العلماء فى ذلك ويرد القول بأن من قال أن نكاح المتعة ممنوع فى صدر الإسلام وفاعله كافر وعلى ذلك يرى شيخنا النابلسى لا يصح أن يكفر - مسلم بذلك وأما رأيه فى نكاح المتعة فإنه غير مباح ولا يصح فعله

بعد بيان حكمه من الشريعة ومن فعله يؤدب ولا يحكم عليه بالكفر بل هو مخالف للشريعة الإسلامية ويستتاب بأمر الحاكم.

٨٢- رسالة الدخان : رسالة فى حكم الدخان وتقع فى ٨٢ ورقة تحت رقم ٦٣٣٢ فقه عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتناول الشيخ النابلسى بيان حكم الدخان وشاربه من الشريعة الإسلامية وتحت أى حكم من أحكام الشريعة الخمس يدخل شاربه هل فى حكم المحرم أم المكروه أم المباح أم المندوب أم الواجب وهو يرى أنه فى حكم المكروه مادام غير ضار بالأسرة وصحة الإنسان وتوجد نسخة مطبوعة تحت يدنا وفى نهايتها يبين حكم تعاطى الحشيش فى الشرع وما يعتريه من أحكام.

٨٣- رسالة سرعة الانتباه فى مسألة الاشتباه تقع فى ٢٥٠ ورقة تحت رقم ١٤٤ فقه عام مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق يتحدث شيخنا فى هذه الرسالة على مسألة الاشتباه فى حلف اليمين واختلاف علماء الأحناف فى ذلك ومتى يحنث حالف اليمين وقد أوضح شيخنا النابلسى فى هذه الرسالة كل ما يتعلق بالحلف والإيمان وأنواعها كما ذكر آراء العلماء فى ذلك وبين القول الراجح منها.

٨٤- رسالة فى جواب سؤال ورد علينا من القدس الشريف وتقع فى ٧٨ ورقة ألفت عام ١١١٤هـ تحت رقم ٥٣١٦ ضمن مجموعة فقه عام مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يجيب شيخنا على سؤال وجه إليه فيما يؤخذ من أهل الكفر من العوائد مثل الشمع والسكر والجوخ وغيره ومع بيان حكم ذلك من الشرع وبيان مصارف هذه الأشياء فى الشريعة الإسلامية.

٨٥- رسالة الكشف والبيان عما يتعلق بالنسيان وتقع فى ٣٧ ورقة تحت رقم ٥٩٠٧ فقه عام مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق فى هذه الرسالة يبين شيخنا النابلسى حكم النسيان والسهو مايقع فى الصحة وما حكم ذلك فى الشرع وكيف تصح هذه الصلاة.

٨٦- رشحات الأقلام بشرح كفاية الكلام ويقع فى ٢٥ ورقة تحت رقم ٥٠٨٦ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وتناول شيخنا فى هذه الرسالة شرح منظومة فى أركان الإسلام الخمس وقد حل ما تعقد من الفاظها وما أشكل على العلماء من معانيها ثم

بين أن الإسلام مبنى على الشهادتين وهذا هو الركن الأول ثم شرح الركن الثانى وهو الصلاة ثم تحدث عن الزكاة والصوم والحج ودلل على كل ما ذكر.

٨٧- رفع العناء عن حكم التفويض والاسناد فى أوقات العباد وتقع فى ٥٩ ورقة ألفت عام ١١١٣هـ تحت رقم ٣٢٥٦ فقه عام بدمشق وفى هذه الرسالة يتحدث شيخنا النابلسى عن أوقات العباد وهل يجوز تفويض الواقف واسناد بعض التصرفات له أم هذا لا يجوز.

٨٨- شرح الأشباه والنظائر وتقع فى ١١٥ ورقة وهى مازالت بخط المؤلف وتقع تحت رقم ٧٢١١ فقه عام مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة بين الشيخ النابلسى ما هى الاشباه وما هى النظائر وما المقصود من ذلك وما حكم الشرع فيه.

٨٩- شرح القدورى فى ٣٠٢ ورقة تحت رقم ٩٩١٤ فقه عام مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق ويذكر الشيخ النابلسى أن هذا الكتاب من أعظم ما ألفه الأحناف فى الفقه وقد قام شيخنا النابلسى بشرحه عام ١١٠٦ هـ ووضح غامضه وأبان عن مزاياه.

٩٠- شرح هدية إبنَ العماد فى ٣٦٨ورقة ألفت عام ١٠٨٥هـ تحت رقم ٦٦٦٣ فقه عام مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق وشيخنا النابلسى قد ذكر فى أول هذا الشرح بعد الحمد والثناء والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قال: قد طلب منى بعض الأخوان والأصحاب وإن لم أكن من الطارقين لهذه الأبواب أن أشرح المقدمة العادية فى فقه الحنفية المنسوبة التصنيف إلى العلامة شيخ الإسلام عبد الرحمن أفندى العمادى مفتى الحنفية بدمشق لكونها مشتملة على بعض عبارات تصعب على المبتدئين وبعض أحاديث وآثار مفتقره إلى الإيضاح والتبين وقد أجبت إلى ذلك مستعينا بالله المالك القدير.

٩١- صدح الحمامة فى شروط الإمامة وتقع فى ٢٩ ورقة تحت رقم ٦٨٦٢ فقه عام مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد تناول شيخنا النابلسى فى هذه الرسالة معنى الإمامة وشروطها وما يجب أن يتوافر فى الإمامة من صفات إلى غير ذلك من الأحكام الفقهية.

٩٢- غاية الوجازة فى تكرار الصلاة على الجنازة وتقع فى ١٧٩ صفحة تحت رقم ٦١٣٥ فقه عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يتناول أمامنا النابلسى حكم تكرار الصلاة على الجنازة هل يصح ذلك أم لا وما حكم الشرع فى هذا إلى غير ذلك من الأحكام الفقهية فى هذا الموضوع.

٩٣- كتاب الأحكام بشرح دور الأحكام ويقع الجزء الأول والثانى فى ٤٧٠ ورقة والمجلد الثالث والرابع ٣٨٥ ورقة تحت رقم ٥١٨٤، ٥١٨٥ فقه عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهذا الكتاب يبحث فى مختلف أبواب الفقه.

٩٤- كشف الستر عن فرضية الوتر وتقع ١١٢ ورقة ألفت عام ١١٨٩هـ تحت رقم ٥٣١٦ - ضمن مجموعة فقه مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذا المؤلف يتحدث شيخنا عن الوتر وحكمه ومتى يقع ووقته مع ذكر آراء العلماء من الفقهاء الأربعة المجتهدين ورجح رأى الأحناف لكونه حنفيا.

٩٥- كفاية الغلام فى قواعد الإسلام منظومة فى فقه الأحناف وأولها:

الحمد لله على ما وفقنا *** ثم الصلاة والسلام مطلقا

إلى آخر هذه الأبيات وتقع فى ٧ صفحات تحت رقم ١٠٢٩ ونسخة أخرى فى ٦٤ ورقة تحت نفس الرقم مع الاحاطة بأن النسخة الثانية عليها شروح متعددة لشيخنا النابلسى وبعض تلاميذه.

٩٦- مناسك الحج وتقع فى ٢٢ ورقة تحت رقم ٥٤٧٨ فقه عام بالمكتبة الظاهرية بدمشق وشيخنا النبالسى يتناول فى هذا المؤلف الحج ومناسكه وبيان هذه المناسك مفصلة على المذاهب المختلفة مع ترجيح لما قاله الأحناف.

٩٧- نزهة الواجب فى حكم الصلاة على الجنائز فى المساجد وتقع فى ١٨٤ ورقة تحت رقم ٣٥٦١ فقه عام مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذا المؤلف يتناول شيخنا حكم صلاة الجنازة فى المسجد إلى غير ذلك من الأحكام.

٩٨- نقود الصور فى شرح عقود الدرر فيما يفتى من أقوال الإمام زفر وتقع فى ١٤٧ ورقة ألفت عام ١١١٢هـ تحت رقم ٥٣١٦ ضمن مجموعة فقه مخطوطه بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذا المؤلف يبحث شيخنا النابلسى آراء الإمام زفر أحد علماء الأحناف المجتهدين.

٩٩- هذه مؤلفات شيخنا النابلسى فى الفقه وبعض شروحه لكثير من الكتب والرسائل المتعددة لعلماء الأحناف كما توجد له بعض مؤلفات وشروح فى الفقه الإسلامى مذكورة فى بعض المراجع من غير بيان أماكن وجودها وليست لها أرقام تشير إليها ولم أستطع الحصول على ما يدل على مكانها ولذا لم أقم بتدوينها واعطاء فكرة عنها وقد اكتفيت بما استطعت الوصول إليه من مؤلفات فقهية لشيخنا النابلسى.

مؤلفات شيخنا النابلسى فى الحديث:

١٠٠- الأحاديث المنثورة والأخبار المأثورة ويقع فى ٩ ورقات بخط شيخنا النابلسى حتى الآن ولم أجد عليها تاريخا يدل على يوم تأليفها وتقع تحت رقم ٩١٢١ ضمن مجموعة أحاديث مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

١٠١- تمهيد السنة فى تجريد السنة وتقع فى ٣١٠ ورقة بخط مؤلفها شيخنا النابلسى تحت رقم ٧١٤٢ حديث مخطوط بالمكتبة الظاهرى بدمشق - وذكر شيخنا النابلسى فى مقدمة هذا الكتاب خلاصة الكثير من السنة والحديث ويعتبر هذا الكتاب من أعظم ما كتب فى الحديث فى هذا العصر .

١٠٢- زخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الأحاديث وعدد أوراقها ٤٣٧ ورقة كتبت سنة ١١١١هـ وهو كتاب من أنفس الكتب المؤلفة فى الحديث إذ جمع بين دفتيه الأحاديث وإليك نموذجاً منه وهو واقع فى أربعة أجزاء مطبوع تحت يدنا ومخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهذا الكتاب نسيج وحده فى سهولة المأخذ والوصول إلى المقصود منه مع خلوه مما فى غيره من حشو وتطويل ثم أن مؤلفه رحمه الله تعالى اطلع

على جميع ما ألف من قبله من مشهور كتب الأطراف وألف كتابه هذا فتفادى فيه كل ما أخذ على غيره فجاء بحمد الله لبنا خالصا سائغا للشاربين وهو مرتب على سبعة أبواب كل باب منها مرتب على ترتيب حروف المعجم تسهيلاً للاستخراج منه على أولى الألباب :

الباب الأول فى مسانيد الرجال من الصحابة أهل الكمال.

الباب الثانى فى مسانيد من اشتهر بالكنية.

الباب الثالث فى مسانيد المبهمين من الرجال على حسب ما ذكر فيهم من الأقوال.

الباب الرابع فى مسانيد النساء من الصحابيات.

الباب الخامس فى مسانيد من اشتهر منهن بالكنية الدجنة.

الباب السادس فى مسانيد المبهمات من النساء الصحابيات.

الباب السابع فى ذكر المراسيل من الأحاديث فى آخره ثلاثة فصول فى الكنى وفى المبهمين وفى مراسيل النساء .

١٠٣- كنز الحق المبين فى أحاديث سيد المرسلين تقع فى ١٤٧ صفحة تحت رقم ٣٢٣ حديث ألفت عام ١٠٩٧هـ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذا المؤلف يتناول - شيخنا النابلسى الأحاديث الصحيحة فى أول عهد الصحابة ورواتها وأسانيدها ممن حفظوها وسمعوها عن رسول الله ﷺ.

مؤلفاته فى التوحيد:

١٠٤- الأنوار الإلهية فى شرح المقدمة السنوسية: وتقع فى ٤١ ورقة تحت رقم ٥٢٠٨ توحيد وفيها يتناول شيخنا النابلسى بالشرح والتفصيل لهذه المقدمة صفات البارى عز وجل ويعرف التوحيد والمقصود منه مع بيان موضوعه وفائدته إلى أخر هذا الشرح.

١٠٥- التوفيق الجلى بين الأشعرى والحنبلى تحت رقم ٥٥٥٥ توحيد وتقع فى ٢٨ ورقة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتناول شيخنا النابلسى التوفيق بين معتقد الحنابلة والأشعرية فى كلام الله تعالى كما ذكر شيخنا النابلسى أن الطائفتين من أهل السنة والجماعة ولا فرق بين معتقد يهما وإنما الفرق والنزاع فى الألفاظ والكلمات التى يتكلمون بها فى وصف كلام الله تعالى القديم المنزل على نبينا محمد ﷺ كما أبان مدى لاإتفاق فى حقيقة التوحيد ولا خلاف بينهما فى شىء.

١٠٦- القول الأبين فى شرح عقيدة أبى مدين وتقع فى ٣ ورقات تحت رقم ١١٠٦٤ - توحيد مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد شرح شيخنا النابلسى هذه الرسالة التى قال أولها: الحمد لله الذى خلق جميع عبيده لأجل معرفته وتوحيده ليفرقوا بين وجودهم ووجوده وتعلموا إنعام وجوده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وهذا شرح لطيف وضعته على عقيدة الشيخ أبى مدين وقد بين معنى التوحيد ثم قال إن ذات الله ليست مثل ذواتنا وأن كلام الله ليس مثل كلام البشر ثم شرح الكرامة وبين معناها وهل هى واقعة بعد الموت أم لا.

١٠٧- الكوكب السارى فى حقيقة الجزءالاختيارى يقع فى ١١ ورقة تحت رقم ٩٣٠٤ توحيد مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذا المؤلف يتناول معنى الاختيار عند علماء الكلام وما المقصود وكيف يكون الانسان مختاراً ومن الذى يمنحه هذا الاختيار.

١٠٨- المطالب الوافية لشرح الفرائض السنية وشرح العقائد السنية وتقع فى ١٦ جزءاً الجزء الأول عدد أوراقه ١٠٢ ورقة تحت رقم ٨٤٩٤ توحيد، والجزء الثانى تحت رقم ٨٤٩٥ وبقية الأجزاء حتى السادس تحت أرقام ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٨٤٩٩ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذا المؤلف يتحدث الإمام النابلسى عن مذهب أهل السنة وعقائدهم إلى آخر ما ذكر.

١٠٩- الحاصل فى الملك المحمول فى الفلك فى اطلاق النبوة والرسالة والخلافة والملك مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧٣٠٠ توحيد تناول شيخنا النابلسى

فى هذا المؤلف بيان معنى النبوة وكيف تثبت مع ذكر آراء العلماء فى ذلك.

ثم تحدث عن الرسالة وفرق بينها وبين النبوة ثم ذكر مسألة الخلافة بعد الرسول ﷺ كما بين معنى الملك ونشأته فى الإسلام ويرى أنه بدأ بمعاوية ابن أبى سفيان إلى آخر ما ذكر فى هذا الموضوع.

١١٠- تحقيق الانتصار فى اتفاق الأشعرى والماتريدى على خلق الاختيار وعدد أوراقها ٢٥ ورقة تحت رقم ٧٢٠٥ توحيد وفيه يتناول شيخنا النابلسى أن الأشعرى والماتريدى اتفقا على أن فعل العبد الاختيارى مخلوق وبين أدلة كل فريق مع ذكر رأيه فى خلق الاختيار.

١١١- خمرة الحان ورنة الالحان شرح رسالة الشيخ أرسلان وتقع فى ٥٨ ورقة تحت رقم ٨٢٨٣ كتبت سنة ١١٢٩هـ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وتوجد منها - نسخ مطبوعة وشيخنا النابلسى يتناول بالشرح والبيان رسالة الشيخ أرسلان العالم الجليل علما بأن هذه الرسالة قد صنفها الشيخ أرسلان فى التوحيد وبدأها بالشرك ومعناه وقد بين الإمام النابلسى معنى هذا الشرك ووضحه وذكر اقسامه سواء كان خفيا أم جليا فقال فى أول شرحه: لهذه الرسالة أعلم أولا علمك الله تعالى كل خير وحفظك من الزلل فى كل وقت وسير، أن الشرك بالله تعالى من أقبح الذنوب ولا يغفره الله أبداً وقال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1] والشرك فى هذه الآية مطلق من غير تقييد بشرك دون شرك فيشمل الجلى والخفى منه ثم بعد ذلك بين صفات المشركين إلى آخر هذا الشرح.

١١٢- خمرة بابل وغناء البلابل تقع فى ٢٢٣ ورقة تحت رقم ٦١١٧ بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهذا المؤلف عبارة عن منظومة من الشعر ذكر فيها شيخنا النابلسى أبواب التوحيد كلها وما يتعلق به ثم ذكر معنى العقيدة الصحيحة وصلة الإنسان بربه كما تحدث عن صفات البارى عز وجل فى هذا المؤلف.

(١) الآية رقم ٤٨ من سورة النساء.

١١٣- رائحة الجنة فى شرح عقائد أهل السنة من كتاب اضاءة الدجنة وهو منظومة فى العقائد لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقرى التلمسانى القرشى- المالكى الأشعرى المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٤٣هـ ويقع هذا الكتاب فى ١٩٠ صفحة تحت رقم ٦٩٠٠٠ عام بمكتبة الأزهر الشريف ويبحث هذا المؤلف فى بيان الحكم وأقسامه ثم النظر العقلى وبيان أول واجب مع بيان الصفات النفسية وصفات المعانى المعنوية أيضا - والتعلق الذى لصفات المعانى وكذا يبحث فى الأمر الإلهى التكليفى وحدوث العالم مع بيان الجائز الذى يصح فى العقل وجوده وعدمه مع بيان رؤية الله تعالى ثم بين مايجب عقلا للأنبياء والرسل عليهم السلام وما يتسحيل عليهم مع ذكر عدد الرسل وبيان المعجزات ثم تحدث عن السمعيات مما يجب الإيمان به.

١١٤- رد الجاهل إلى الصواب فى جواز اضافة التأثير إلى الأسباب ويقع فى ٥٣ ورقة تحت رقم ٦٠٩ توحيد مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق يتناول شيخنا فى هذا المؤلف الأسباب التى يتخذها بعض العلماء هل لها دخل فى التأثير بالنسبة لفعل العبد مع بيان أن الأفعال كلها من عند الله أم بعضها مكتسب والآخر غير مكتسب وأن من يرد أن الأسباب كلها لها دخل وتأثير فى فعل العبد فهو جاهل ويجب أن يرد إلى صوابه لأن ذلك الفهم يعطل قدرة الله عز وجل فمن المعلوم أن كل شىء من عند الله وللإنسان كسب واكتساب على رأى الأشاعرة وشيخنا النابلسى قد بين ذلك كله.

١١٥- رسالة تتعلق بالإنسان هل هو هذا الهيكل المحسوس أم غيره وتقع فى ١٠ ورقات ضمن مجموعة تصوف تحت رقم ٥٧ وفيها يتناول شيخنا النابلسى حقيقة الإنسان هل هو هذا الهيكل المحسوس وهل هو باق بعد زوال الجسم أم فان وقيل أن الذى يبقى منه جزء صغير جداً يسمى عجب الزنب وقد بين شيخنا النابلسى حكم ذلك كله وآراء العلماء فيه والمراد منه.

١١٦- رسالة القبول وتقع فى ٤٢٢ ورقة تحت رقم ٣٥١٦ مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يتناول شيخنا النابلسى معنى الشرك والمراد بالشركاء وقد فسر الآيات الواردة فى هذا المعنى وذكر آراء المفسرين فى هذا الموضوع وربطه بكلام علماء

التوحيد مع بيان أقسام علماء التفسير وأنهم على ثلاثة لكل قسم رأى فى تفسير هذه الآية وبيان معناها وهل المراد بهاآدم وحواء أم المراد بهما غير ذلك ثم ذكر الرأى الراجح فى هذا وفى نهاية الموضوع بين رأيه فى الآية والمراد بها وما معناها وهو يرى تنزيه الخالق جل وعلا عن المشاركة لأى شىء من المخلوقات التى أوجدها الله عز وجل.

١١٧- رسالة مفتاح الفتوح فى مشكاة الجسم ورجاحة النفس ومصباح الروح عدد ٣٤ ورقة تحت رقم ٦٠٤٧ توحيد ألفت عام ١١١٠هـ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتحدث شيخنا النابلسى عن حقيقة الجسم ماهو والنفس وحقيقتها والروح وعلاقتها بالجسد وهذه الرسالة كما ترى تبحث فى الجسم وما حوى من مختلف الأشياء.

١١٨- رسالة النفحات المنتشرة فى الجواب عن الأسئلة العشرة وتقع فى ٨ ورقات كتبت سنة ١٠٨٥هـ تحت رقم ٧٤٨٨ توحيد مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة قد أجاب شيخنا عن الأسئلة العشرة الموجهة إليه والتى أولها قال: أما السؤالات العشرة فخمسة فى بيان البدعة الأولى: البدعة فى الاعتقاد وما حكمها، الثاني: البدعة فى العمل وما حكمها، الثالث : البدعة فى العبادات وما حكمها ، والرابع:البدعة فى نفس جسد الإنسان وماحكمها، والخامس: البدعة فى الله وما حكمها وأما الخمسة الأخرى فى بيان المراد بكشف سبحات الجلال من اشارة وبيان هتك الستر لغلبت السر وبيان محو الموثوق على صحو المعلوم وبيان درب الأحدية بصفة التوحيد وبيان النور الذى وقع وشيخنا النابلسى قد أجاب عن هذه الأسئلة ابلغ اجابة وكشف عن المراد من هذا كله.

١١٩- رسالة نور الأفئدة : وتقع فى ٩ ورقات ألفت سنة ١٠٨٤هـ تحت رقم ٦٥٨٨ توحيد مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وشيخنا النابلسى قد وضع شرحا وافيا لاعتقاد هذه لإمامنا السمرقندى وتبحث هذه الرسالة فى معرفة الله عز وجل أولا وفى بيان معنى الإيمان والإسلام وهل ذلك واجب بالعقل أو بالشرع وهل التكليف كاف فيه العقل أم أنه غير كاف وما الحكمة من ارساله الرسل.

١٢٠- مرافىء السيارات إلى مراق السموات فى علم التوحيد والعبادات وتقع فى ٩٢ ورقة تحت رقم ٩١٢١ توحيد مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق - وفى هذه الرسالة

يشرح شيخنا النابلسى ما هو التوحيد وما المراد منه وهل هو لازم من لوازم العبادات لدفع الشبه الواردة على الإسلام وحمايته من طعن الطاعنين وعقيدة الضالين المضلين وشيخنا النابلسى قد بين كل هذه التساؤلات فى رسالته هذه.

١٢١- شرح الاقليد الفريد فى تجريد التوحيد للتشتاوى وهى رسالة تقع فى ٣٨ ورقة تحت رقم ٩٨٦٦ توحيد مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وشيخنا النابلسى قد شرحها عام ١١٣١ هـ وها هى ماتزال بخطه إلى الآن بالمكتبة الظاهرية.

١٢٢- شرح وحدة الوجود المسماة بالظل الممدود فى معنى وحدة الوجود لعبد الرحمن الجامى وقد قام شيخنا النابلسى بشرح هذه الرسالة وبين المراد من وحدة الوجود وذكر آراء العلماء فى ذلك.

١٢٣- شرح ايضاح المقصود من وحدة الوجود لشيخنا النابلسى مطبوعة بمطبعة العلم بدمشق عام ١٩٦٩ والنسخة تحت يدنا وفى هذه الرسالة يتناول شيخنا النابلسى معنى وحدة الوجود والمراد منها كما بين رأى العلماء فى ذلك ورد طعن الطاعنين وفند زعم الزاعمين من أن الخالق والمخلوق واحد وفى النهاية فسر وحدة الوجود تفسيراً يساير النقل والعقل ونفى أن يكون الخالق والمخلوق واحد كما فرق بين الوجود والموجود.

١٢٤- قلائد المرجان فى عقائد الإيمان تحت رقم ٢٠ توحيد وتقع فى ١٣٠ ورقة ألفت عام ١١٠٤هـ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وأولها الحمد لله المنزه عن تشابه الأقوال وفيها يتحدث إمامنا النابلسى عن الإيمان الصحيح ويدفع الشبه الواردة عن الإيمان ثم يؤول ما ورد من الآيات التى توهم التشبيه والتجسيم أو مشابهة الله تعالى لأى صنف من المخلوقات ولهذا نرى شيخنا أيضا قد أول قول القائلين بهذا ونفى أن يشابه الله سبحانه وتعالى أى صنف من أصناف المخلوقات وأورد الدليل تلو الدليل.

١٢٥- كتاب الوجود الحق ويشتمل على جزئين ويقع فى ٢٨٣ ورقة تحت رقم ٥٣٦٥ وقد قمت بتصوير هذا الكتاب نظرا لخطورته وأهمية الموضوع الذى يبحث فيه وهذا الكتاب يبحث فى ذات الله تعالى وما يتعلق بها والعلاقة بين الله والمخلوقات وأوله بسم

الله الرحمن الرحيم وهو الفتاح العليم الحمد لله الموجود الحق القديم المتجلى فى كل محسوس ومعقول من غير حلول ولا اتحاد ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تجسيم والشكر له على ما أولانا من العلم فى هذا النشوء المستقيم يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم والصحة والسلام على النور الذى ظهر فى كل صوره فاختفى بأحوال أهل القبضتين وهو مستمد من ذلك ولا يبين.

١٢٦- كتاب الوجود ومرآة الشهود تحت رقم ٦٠٦٩ مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق توحيد ويقع فى ١٠٠ ورقة وهذا الكتاب يبحث فى الوجود والمعرفة ويبين كذلك معنى وحدة الوجود والحلول والاتحاد وكما يشرح معنى التوحيد ويرد فيه على علماء الكلام الذين خلطوا علم التوحيد بالفلسفة وفى نهايته يتكلم عن المعرفة بأنواعها المختلفة ويشرح اتصال ذلك بصفات البارى عز وجل كما بين ما هو المريد وكيف يتصل بشيخه.

١٢٧- التكاليف الباطنية تحت رقم ٢٢٠٥ مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة يتناول شيخنا النابلسى معنى القدرة والإرادة وبقية الصفات ويستدل عليها من العقل والنقل ويثبتها لله ثم يتكلم على اثبات الرسل وبقية الصفات ويستدل عليها من العقل والنقل ويثبتهالله ثم يتكلم على اثبات الرسل والمعجزة ويرتب على ذلك وجود اتباع الرسل عليهم السلام.

هذا ما كتبه شيخنا النابلسي فى التوحيد وكذا شروحه عليها هذه المؤلفات والشروح التى تعتبر من أهم ما كتب النابلسى فى هذا الفن علما بأن له شروحا ومؤلفات فى فن التوحيد أيضا قد ذكرتها المراجع المختلفة دون أن تشير إلى أماكن وجودها وبيان أرقامها ولذا لم أقم بوضعها بين مؤلفات النابلسى لأننى لم أستطع الإطلاع عليها واعطاء فكرة عنها ومجمل هذه المؤلفات ثلاثة عشر مؤلفا يمكن أن نذكر أسماءها فقط وهى تحريك سلسلة الوارد، وبذل الإحسان فى معنى الإنسان، وبسط الزراعين بالوصيد، وكتاب حق اليقين وتقريب الكلام، واسباغ الحنة فى انهار الجنة، حلة العامرى ورسالة العقائد، وركوب التقيد فى معنى التوحيد والحجج الضاحضة فى رد دعوى الرافضة وأنس الوافر فى من قال أن مؤمن فهو كافر واننا سوف ننتقل إلى ماكتبه شيخنا النابلسى فى الرؤيا.

مؤلفات النابلسي في الرؤيا:

١٢٨- تعطير الانام فى تعبير المنام ويقع فى ٣٠١ ورقة تحت رقم ٩٨٧٠ تعبير رؤيا وتوجد منه نسخة مطبوعة تحت يدنا وفيها يتناول شيخنا النابلسى معنى الرؤيا وحكمها بالنسبة للشرع وهل هى واقعة أم لا ومتى تكون الرؤيا صحيحة وهل هى جائزة الوقوع ومن هم أصحاب الرؤيا الصادقة وكيفية تفسير الرؤيا وتعبير المنام بما يوافق كتاب الله وسنته وهل يستطيع الشيخ أن يكون له دخل فى الرؤيا وتأثير فى الأشياء المرئية أم لا.

١٢٩- رسالة العبير فى التعبير عدد أوراقها ٩٣ ورقة تحت رقم ٨٧٧٢ رؤيا مخلوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهى تبحث فى تفسير الأحلام وقد رتبها شيخنا النابلسى على ثمانية فصول وهى منظومة ٣٢٠ بيتا ومطلعها:

الحمد لله المريح للجسد ... بالنوم وا النعاث من داء الحسد

إلي آخر هذه القصيدة.

١٣٠- روض الأنام فى بيان الإيجازة فى المنام وتقع فى ١٣ ورقة ألفت سنة ١١٠٦هـ وما هى ماتزال بخط المؤلف وتحت رقم عام ٩١١٩ تعبير الرؤيا والمنام وتبحث هه الرسالة فى الرؤيا المنامية وحكم وقوعها وجوازها وصحة ما يرى النائم إلى غير ذلك من الأحكام المتعلقة بالرؤيا.

هذه هى مؤلفات شيخنا النابلسى فى تعبير الرؤيا وله كتابان ذكرهما النجم الغزى دون أن يشير إلى مكان وجودهما وهذان الكتابان هما الفوائح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة والثانى رسالة فى تعبير رؤية سئل عنها رضى الله عنه النابلسى فى التفسير.

مؤلفات النابلسي في التفسير وعلوم القرآن:

١٣١- خمسون مجلساً من المجالس الشامية تقع فى ٧٢ ورقة تحت رقم ٩١٢١ بالمكتبة الظاهرية بدمشق مخطوط - وفى هذه المجالس يفسر شيخنا النابلسى القرآن فى

مجالس وعظ وخاصة أثناء وجوده فى بلاد الروم ففى هذه الفترة قد ألف هذا الكتاب بعد أن قام بالقاء الدروس التفسيرية وهى خمسون مجلسا كما ذكرنا فى الوعظ لهذه البلاد.

١٣٢- رسالة فى بيان عبارة وقعت فى حاشية المولى خسرو على تفسير البيضاوى وهى قوله فى الكتاب المذكور على اعراب البسملة أن الباء متعلقة بمحذوف ثم بين المراد من ذلك وصحح العبارة وعلق عليها ويقع فى ١٤ ورقة تحت رقم ٩٢١ تفسير عام مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

١٣٣- عنوان الآيات فى الكشف عن أوائل الآيات - وتقع فى ٧٠ ورقة تحت رقم ٤٢٦٧ علوم قرآن مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتناول شيخنا النابلسى كيف يستطيع الانسان أن يكشف عن أوائل الآيات وقد وضع طريقة فى مؤلفه هذا عن كيفية الوصول إلى كل آية من آيات الكتاب المبين فى سهولة ويسر وهذا المؤلف يعتبر فريد من مؤلفات النابلسى فى هذا الفن.

١٣٤- مجالس فى التفسير وتقع فى ٢٤٧ ورقة تحت رقم ٩٨٦٤ تفسير مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وأول هذه المجالس قوله رضى الله عنه: الحمد لله الذى كشف قناع الانغلاق عن آيات كتابه وكشف عن فصاحة الفصحاء ببلاغة البلغاء عند ظهور القرآن وزوال الضلال تعالى الله له الفتح على من شاء من عباده وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له.

هكذا كان شيخنا النابلسى يسير فى هذا المؤلف.

١٣٥- بواطن القرآن ومواطن الفرقان - نظم فى ١١٠ ورقة بخط المؤلف تحت رقم ٩٨٩٨ علوم قرآن مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق - وفيه يتحدث بالشعر عن القرآن ومعانيه وأنه من أعلى عليين ويفرق بينه وبين الكتب السابقة وأنه جمع بين دفتيه أحكام الدنيا والآخرة وقوانينها وأن الإنسان إذا عمل بما فى الكتاب والسنة من امتثال الأمر واجتناب النهى نجا وفاز فى الدارين كما بين المكى والمدنى من القرآن وأسباب - النزول وبيان هل القرآن نزل متجمعا أم مفرقا إلى غير ذلك من أحكام القرآن.

١٣٦- صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان - وتقع فى ٥٤ ورقة تحت رقم ٦٠٤٠ قراءات مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهى منظومة على قراءة حفص بن سليمان وقد شرحها شيخنا النابلسى شرحا مفصلًا.

١٣٧- رسالة المستفيد فى علم التجويد وتقع فى ١٤ ورقة تحت رقم ٤٩٣٣ قراءات - مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتناول شيخنا النابلسى أحكام التجويد والقراءات الصحيحة الواردة عن علماء القراءات ويبين حكم اخراج الحروف من مخارجها الصحيحة وكافة أحكام التجويد وقد فصل كل حكم فى هذا الفن على حدة وتعتبر هذه الرسالة فريدة فى نوعها لأنه لم يأتى أحد بمثالها ولم نجد غير النابلسى نسج على منواله وقد أخرجها وانتفع بها طلاب العلم ومريديه.

١٣٨- التحرير الحاوى شرح تفسير البضاوى وصل فيه من سورة البقرة إلى قوله تعالى ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله﴾[1] الآية فى ثلاث مجلدات ثم شرع فى المجلد الرابع والخامس وهو أعظم ما كتب فى التفسير مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٩٨٢٤ تفسير وله غير ذلك من كتب التفسير وعلوم القرآن التى ذكرتها كتب التراجم المختلفة دون أن تحدد أماكن وجودها وقد وصلت إلى أسماء هذه الكتب وهى:

القول العاصم فى قراءة حفص عن عاصم، رفع الكساء عن عبارة البيضاوى فى تفسير سورة النساء ، أنوار الشموس فى خطب الدروس مجموع خطب التفسير وصل به إلى ٦٠٠ - خطبة واثنين وثلاثين وزيادة، جمع الأشكال ومنع الإشكال عن عبارة فى تفسير البغوى فتح العين وكشف الغين عن الفرق بين البسملتين وايضاح معنى التسميتين ، تشريل التغريب وتنزيه القرآن عن الغريب هذه مجموع ما كتبه شيخنا النابلسى فى التفسيروالمواعظ وهذه تعتبر من أهم كتب التفسير وعلوم القرآن لأنها خالية من الحشو والتطويل وعبارتها موجزة سلسلة سهلة يفهمها الخاصة والعامة.

وبعد أن عرضنا كتب النابلسى فى التفسير وعلومه نذكر بعد ذلك كتبه المختلفة فى الآداب والفضائل والأدعية والأوراد.

(١) الآية رقم ٩٨ من سورة البقرة.

١٣٩- الحديقة الندية فى شرح الطريقة المحمدية - وتقع فى ٣٢٦ ورقة تحت رقم ٣٢٠ بمكتبة الأزهر مطبوعة ألفت عام ١٠٩٣هـ كما توجد نسخة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٩٢٠ تصوف وهذه الرسالة قد تناولها شيخنا النابلسى بالشرح والتفصيل لسائر الأبواب والفصول التى جمع فيه المؤلف كل ما يجب على الإنسان عمله من بداية الطريق إلى نهايته وقسم هذ الشرح إلى ثلاثة أبواب وكل باب إلى عدة فصول وقد ذكر فى مقدمة هذا الكتاب فقال شيخنا النابلسى كتاب الطريقة المحمدية كتاب لطيف وتأليفه شريف مزج فيه المسائل الفقهية بالمقامات والزهديات وجمع بين الفوائد والاعتقادات وتحريره متقن واضح وفيه ينصح الأمة بالأخذ بكتاب الله وسنة رسوله من اطلع عليه زالت عن قلبه الغمة وشرح النابلسى هذا الكتاب يكشف عن عباراته ويوضح ما اشكل على القاصرين من اشاراته وهو من أجل المصنفات فى علم الطريقة والاداب التى هى برزخ متوسط بين الشريعة والحقيقة وفى الحقيقة انى قد اطلعت على هذا الكتاب، وأقول أن من قرأه مرة يفهم كل ما فيه وعند نهايته يرى شوقا إلى معاودة قراءته لأنه جاء لعلاج كثير من المسائل التى ذكرناها بأسلوب سلس موجوز جذاب خال من الحشو والتطويل ولدينا منه نسخة مطبوعة تحت يدنا.

١٤٠- العقود اللؤلؤية فى طريقة السادة الملولوية وتقع فى ٢١ ورقة ألفت عام ١٠٩٦هـ تحت رقم ٥٨٩٩ تصوف وقد بين شيخنا النابلسى من هم الملولوية ومن أين استمدوا هذه الطريقة ثم أوضح أنها مأخوذة فى الأصل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن ما عليه أصحاب هذه الطريقة من ذكر وأوراد كلها توصل إلى الله عز وجل فى خشوع تام وصفاء قلب ونور بصيرة.

١٤١- الدعاء بأسماء الله الحسنى - منظومة تقع فى ٤ ورقات تحت رقم ١٠٦١١ أدعية وأوراد بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها تناول شيخنا النابلسى أسماء الله الحسنى مرتبة بادئاً باسم الله الأعظم جل وعلا حتى نهاية أسماء الله مع بيان فائدة ذكر كل اسم من أسماء الله تعالى وأن الدعاء بها من أفيد الطرق الموصلة إلى الله تعالى ولهذا قال فى أولها:

بأســـمـــاء رب العـــالمين ابتــدينا *** وبالحـمـد لا يحـصى وبالشكر وافـيـا

وكم من صــلاة مع ســلام تبــركــا *** أتى بهــا عــبــد الغنى مــوافــيــا

تلك هذه منظومة شيخنا النابلسى بأسماء الله الحسنى كما وضحنا.

١٤٢- أوراد النابلسى - عدد أوراقها ١١٥ ورقة تحت رقم ٦٤٠١ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الأوراد التى صنفها النابلسى خاصا به نراه قد بدأها بفاتحة الكتاب ثم ثنى بسورة البقرة وبعض السور الأخرى والآيات ثم انتقل إلى الصلاة على النبى وطلب الدعاء من الله تعالى بالتوفيق والهداية واتخذ أسلوبا فى اوراده حيث بدأ بذكر الله أولاً ثم بأوراد السجود والسماء والأرض وحدد لكل يوم ورد عقب كل صلاة ثم خص الفجر بورد خاص به فمن أوراده قوله - الدائم لك الحمد شكراً ولك المنة فضلا اللهم انى أسألك التوفيق لجنابك من الأعمال وصدق التوكيل عليك وحسن الإيمان بك ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين[1]﴾ اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

هذه نبذة يسيرة عن أوراد شيخنا النابلسى سوف نذكر الكثير عند حديثنا عن طريق النابلسى فى الوصول إلى الله تعالى.

١٤٣- ديوان خطب النابلسى: ويقع فى ٦٤١ ورقة تحت رقم ٦٤٣٤ آداب وفضائل مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذا المؤلف جمع شيخنا النابلسى جميع خطبه التى ألقاها فى مساجد البلاد المختلفة وغالبتها بدمشق وفى نهاية عمره أتم هذه الخطب وجمعها فى هذا الديوان وهى كلها مواعظ مفيدة مشتملة على تفسير بعض الآيات وكذا مشتملة على عدة أحاديث فى الأخلاق والآداب إلى غير ذلك مما حث عليه الدين وأمر به.

(١) الآية رقم ٢٣ من سورة الأعراف.

١٤٤- رد التعنيف على المعنف وإثبات جهل هذا المصنف: وتقع فى ٣٨ ورقة كتب عام ١١٠٤ هـ تحت رقم ٩١١١٩ أدب مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وتبحث هذه - الرسالة فى بيان الرد على أحد العلماء الذين ينسبون العصمة للبشر وينفون وقوع الخطأ من الناس ويستندون إلى أن كل الأفعال ليس للإنسان فيها دخل وهم فى ذلك يمثلون فرقة الرافضة وغيرهم من الفرق التى تذهب هذا المذهب وقد فند شيخنا النابلسى حجج هؤلاء ورد عليهم وأثبت فى أول هذه الرسالة البيت الآتى قال:

سمو محمودا وما أنصفوا *** ولو أنصفوا سموك مذموما

إلى آخر هذه الأبيات كما ورد على أخطاء اللغوين فى هذه الرسالة وأثبت جهل الجميع.

١٤٥- رسالة الورد المورود وفيض البحر المورود: شرح الصلوات المحمدية لابن عربى فى ٧٠ ورقة تحت رقم ٩٠١٣ أدعية وأوراد مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد قام شيخنا النابلسى بشرح هذا الورد وعلق عليه وأبان ما يشتمل عليه من فضائل حسنة وآداب وأخلاق حميدة.

١٤٦- وسائل التحقيق ورسائل التوفيق وتقع فى ٢١٩ ورقة تحت رقم ٩٠٧٨ أدب مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة تناول النابلسى وسائل التحقيق فى الشريعة المحمدية ورسائل التوفيق بين المسائل الكلامية والعقائدية والفقهية كما وفق بين بعض المذاهب المختلفة وأبان كيفية الطريق الصحيح لمن اتبع الكتاب والسنة.

١٤٧- رسالة يوانع الرطب فى بدائع الخطب وتقع فى ٩٦ ورقة تحت رقم ٦٠٥٧ أداب وفضائل مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذا المؤلف انتقى شيخنا النابلسى عدة خطب وضعها فى مؤلف وخص لها بعض البلاد التى زارها وترك تلاميذه ومريديه فى هذه الأماكن ليقوموا بالوعظ من هذه الخطب نيابة عنه.

١٤٨- رسالة نفحة القبول فى مدح الرسول الأعظم ﷺ وتقع فى ١٠٤ ورقة تحت رقم ٩٤١٧ مديح مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفيها يتناول الشيخ النابلسى فضائل

الرسول ﷺ والآداب التى كان يتحلى بها ﷺ وكيف كان أتباعه وأصحابه ﷺ ينهلون من نبع أخلاقه ﷺ.

١٤٩- رسالة الطريقة النقشبندية - وتقع فى ٦٤٠ورقة تحت رقم ٥٠٣٣ عام تصوف - وأخلاق مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهذه الرسالة تشتمل على بيان طريقة السادة النقشبندية والتى كان الإمام النابلسى يسير عليها ويتبعها كما بين فى شرحه لهذه الرسالة نشأة الطريقة النقشبندية ورجالها واستمدادها من الكتاب والسنة وقد أظهر فى هذا الشرح ما انطوت عليه الطريقة النقشبندية من الأسرار فى صدق الذين أوتوا العلم من الله عز وجل معتمدين فى أقوالهم وأفعالهم على قوله تعالى ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾[1].

وقد فصل شيخنا النابلسى كافة ما عليه أصحاب هذه الطريقة بأسلوب موجز سلس.

١٥٠- رسالة شرح الصلوات الكبرى.. وتقع فى ٣٦ ورقة ألفت عام ١٠٩٠هـ تحت رقم ٥٥٦٤ أدعية وأوراد مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهذا شرح وصنفه شيخنا النابلسى على الصلوات الكبرى للشيخ محى الدين بن عربى رضى الله عن الجميع.

١٥١- رسالة المبانى وموكب المعانى- شرح صلوات عبدالقادر الكيلانى وتقع فى ٧٩ ورقة تحت رقم ٨٥٧٤ أدعية وأوراد مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد شرح شيخنا النابلسى صلوات الشيخ عبدالقادر الكيلانى وبين ما تشتمل عليه هذه الصلوات من فوائد عظيمة.

١٥٢- رسالة فتح الانغلاق فى مسألة على الاطلاق وتقع فى ٣٢٤ ورقة ضمن مجموعة تصوف تحت رقم ٥٣١٦ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وفى هذه الرسالة ذكر شيخنا مسألة مطلقة فى أحكام مختلفة عبارة عن أسئلة وأجوبة كانت توجه إليه من التلاميذ والمريدين أثناء وعظه وهذه المسائل كانت مطلقة وبعد مدة من الزمن كتبها تحت هذا العنوان بأنها فى مسائل مطلقة ومختلفة.

(١) الآية رقم ١٩١ من سورة آل عمران.

١٥٣- رسالة ازالة الخفاء عن حلية المصطفى وتقع فى ٣٠ ورقة تحت رقم ٥٢٩٦ سيرة مخطوطة بدمشق وفى هذه الرسالة يتناول شيخنا سيرة النبى ﷺ منذ نشأته مع ذكر مدة حمله وولادته وتاريخ مولده وفى أي عام ولد ثم يذكر كفالته منذ ولادته حتى بعثته ﷺ مع بيان أول من أسلم وكيف انتشر الإسلام فى الجزيرة العربية فى مدة وجيزة بفضل قوة ايمان أصحابه الذين تلقوا عن الرسول ﷺ وتربوا فى بيت النبوة وورثوا العلم عنه ويرجع فضل ذلك كله إلى تأييد الله عز وجل ونصرته لأهل دينه على يد مرشدهم محمد ﷺ.

١٥٤- ايضاح الدلالات فى سماح الآلات وعدد أوراقها ٢٩٢ ورقة تحت رقم ٧٥٠٣ الفت عام ١٠٨٨هـ (موسيقى) مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وتوجد نسخة مطبوعة تحت يدنا وتبحث هذه الرسالة فى بيان حكم الموسيقى وسماع الآلات العازفة عموما من ناحية الحرمة والاباحة والندب والوجوب والكراهة وقد صرح الشيخ النابلسى بأن حكم الموسيقى قد يكون حراما وهو الغالب ويكون مباحا فى بعض الأحيان.

كما ذكر آراء العلماء من الفقهاء المجتهدين فى هذا الموضوع وبين الرأى الراجح من هذه الآراء.

١٥٥- كتاب علم الفلاحة ويقع فى ٣٧١ صفخة تحت رقم   مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق وتوجد منه نسخ مطبوعة تحت يدنا علما بأنه مطبوع بمطبعة نجح الصواب بدمشق سنة ١٢٩٩هـ.

تحدث شيخنا النابلسى فى هذا الكتاب فى الباب الأول عن الأرض ومعرفة الأراضى وأن الأرض الطيبة هى الحارة الرطبة وسواد الأرض دليل على الحرارة فإن الأرض السوداء تحمل الأمطار أكثر من غيرها.

وفى الباب الثانى يذكر سقى الأرض وأن السواقى التى يجرى بها الماء يكون حفرها فى أرفع مكان ليكون مسلطا على جميع الأراضى عند السقى.

وفى الباب الثالث يذكر غرس الأشجار فى الأرض وطريقة ذلك كما يوضح كيف تزرع الأزهار ووقت كل صنف من هذه الأصناف وفصل كل نوع على حدة، وأنه يختار للبساتين أخصب الأراضى وأعذبها ماءا ثم تحدث عن تقليم الأشجار وتذكيرها وتحسين حملها.

وفى الباب الرابع ذكر التركيب وأنواعه وهو المسمى بالتطعيم ثم تحدث عن الأشجار المتحابة والمتشابكة والمتنافرة والمتضادة وعلاج أمر هذه الأشجار.

ثم ذكر الحبوب وأنواعها – وفصول زرعها وكيفية التخزين مع ذكر الطوالع فهذه الأنواع المختلفة من الزروع والأشجار والحبوب والأزهار إلى غير ذلك من أنواع الزروع والأشجار فى هذا الفن الذى تناوله كثير من العلماء بالبحث فيه وفى فصوله وأنواعه المختلفةولكن شيخنا النابلسى قد جمع فى هذا المؤلف كل ما يحتاج إليه من أشجار وزروع وزهور وحبوب مرتبة حسب أماكن زراعتها والأرض الواجب توافرها لهذه مع ذكر فصولها – المناسبة لها.

١٥٦– رسالة تحفة ذوى العرفان فى مولد سيد بنى عدنان وتقع فى ١٥٠ ورقة تحت رقم ١٢٥١ سيرة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وشيخنا النابلسى تناول فى هذه الرسالة مولد الرسول ﷺ وحياته وأنه أشرف مولود وأكرم مخلوق من أشرف قبيلة وأكرمها من بنى هاشم وهذا المؤلف أوله:

محمد بن عبدالله الأجمل وخليله وحبيبه الأكمل فهو أول مولود وأشرف محمود حباه الله بالتأهيل لمعرفة الصفة الأحدية لأن الله تعالى أبدى قبل الكائنات نوره. وجعل رحمة للعالمين ظهوره ولم يكن قبل ذلك الوقت عرش ولا كرسى والنابلسى أورد بيتين بعد ذلك لحسان بن ثابت فى فضل النبى ﷺ.

قال حسان بن ثابت:

وأحسن منك لم تر قط عين *** وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرءا من كل عيب *** كأنك قد خلقت كما تشاء

١٥٧- رفع الاشتباه عن علمية اسم الله تحت رقم ٦٧٠ تصوف مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق وأول هذه الرسالة الحمد لله الهادى إلى الصواب والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وجميع أصحابه.

وفى هذه الرسالة أجاب شيخنا النابلسى فى أول المقدمة على سؤال فى معنى العلم وتعريفه والجواب عما ورد عليه من الأشكال وقد سار فى الرد على هذا السؤال كما سار أهل النحو فى تعريف العلم بأنه ما وضع على مشخص بعينيه غير متداول ما اشبه وقد شرح شيخنا هذا التعريف شرحا وافيا وبين المراد بالعلم وأقسامه إلى آخر ما ذكر فى هذه الرسالة التى تبحث فى اللغويات وخاصة العلم وتعريفه وأقسامه كما ذكرنا.

هذه مؤلفات شيخنا النابلسى فى الآداب والفضائل والأدعية والأوراد والفنون المختلفة ولكن وجدت بعض المراجع بها أسماء لكثير من الكتب تزيد على ثلاثين كتابا وهى كالآتى:

الأجوبة عن الأسئلة التى وردت إليه من البلاد النائية بدون بيان مكان لوجودها ولا رقم يشير إليها، رسالة فى أجوبة وأسئلة وردت إليه مجموعة فتاوى للشيخ النابلسى ، مجموعة رسائل للشيخ النابلسى، الاجوبه عن الأسئلة المائة والواحد والستين الجواب التام عن حقيقة الكلام، برهان الثبوت فى تبرائة هاروت وماروت، الجواب المنثور والمنظوم عن السؤال المفهوم، رفع الستور عن متعلق الجار والمجرور فى عبارة خسروا حاشية على تفسير البيضاوى، جواب سؤال ورد من بطريرك النصارى فى التوحيد، قبح التكبير لفتح راء التكبيره، جواب سؤال فى شرط واقف من المدينة المنورة رؤية النسيم وغنة الرخيم، الجواب عن الأسئلة القدسية، الأجوبة البتة عن الأسئلة الستة الكشف عن الأغلاط التسعة فى القاموس، سلوى النديم وتذكرة العديم، القول المختار فى الرد على الجاهل المختار، رفع الايهام ورفع الابهام ، جواب سؤال، رسالة خطبة المصباح المسمى - طلوع الصباح على خطبة ضوء المصباح، رسالة فى احترام الخبز ، اتحاف السارى فى زيارة الشيخ مدرك الفزارى، مليح البديع فى مدح الشفيع، رسالة الحوض المورود فى زيارة الشيخ

يوسف والشيخ محمود، مخرج المتقى ومنهج المرتقى غاية المطلوب فى محبة المحبوب، ثواب المدرك لزيارة الست زينب والشيخ مدرك ، رسالة وصفوة الضمير فى نصرة الوزير، رسالة فى قوله ﷺ من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرة، رسالة سؤال فى حديث نبوى، الجواب عن عبارة وقعت فى الأربعين النووية.

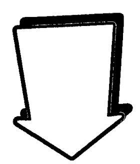
هذه المؤلفات التى ذكرها دون بيان لأماكن وجودها وجدناها فى مراجع مختلفة دون الإشارة إلى أماكن وجودها ولهذا أحببنا أن نثبتها لأنها من مؤلفات شيخنا النابلسى وقد حاولت جاهدا سواء بدار الكتب المصرية أو بمكتبة الأزهرأو بالمكتبة الظاهرية بدمشق الوصول إلى هذه المراجع أو ما يشير إلى أماكنها فلم استطع وان كان بعض المراجع قد أشار إلى أن جزءاً من مؤلفات النابلسى توجد بمكة المكرمة وبعضها يوجد ببرلين كما يوجد فى مكتبة غوطة ولندن كثير من مؤلفاته وقبل أن اسدل الستار على هذه المؤلفات أحب أن أشير إلى أن شيخنا النابلسى له أكثر من ثلثمائة مؤلف حسب ما بينت المراجع المختلفة وقد راجعت فى ثبت هذه المؤلفات إلى كل من:

١ - فهرس المخطوطات بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد وجدت هناك ما يقرب من مائة وسبعين مؤلفا ثم دار الكتب المصرية ووجدت له فى فهرس المخلوطات ٢٣ مخطوطاً بخلاف المطبوع - ثم فهرس المخطوطات وثبت المراجع بمكتبة الأزهر ووجدت له هناك ثمانية وكذا وجدت فى فهرس المخطوطات بمكتبة الاسكندرية سبع مؤلفات، وقد رجعت أيضا إلى كل من سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر وقد ذكر فى ترجمة النابلسى عند الحديث عن مؤلفاته أنه كتب أكثر من مائتى مؤلف كما ذكر البستانى فى الجزء الحادى عشر منه أن الشيخ النابلسى قد كتب أكثر من مائتى مؤلف كما ذكر جورج زيدان فى كتابه الأدب العربى للنابلسى أكثر من مائة مؤلف - وقد ذكر الدكتور الشوان فى محاضراته الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الأوسط أن الشيخ النابلسى ألف أكثرمن مائة وثمانين كتابا كما ذكر جمال الدين العظم صاحب كتاب عقود الجواهر فى تراجم من لهم تصنيفا فمائة فأكثر وقد ذكر للنابلسى نحوا من ذلك كما

ذكر أنطنيوس الشيلي اللبناني في مقدمته عند تعليقه على كتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني أن الشيخ النابلسي ألف أكثر من ثلثمائة كتاب ما بين مجلد ومجلدين وكراسة وشرح لكثير من العلماء.

كما ذكر حفيده النجم الغزي أن الشيخ النابلسي ألف أكثر من ثلثمائة مؤلف وقد أفرد لهذه المؤلفات تفصيلا في كتابه الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف بالله النابلسي وبعد هذا وجد بخط يد الإمام النابلسي ثبتا بمؤلفاته بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد نقلت هذه الثبت وقد وجدته مرتبا على حروف المعجم ويشتمل على مائتين وأربعين كتابا وقد أرخ كتابه هذا الثبت قبل وفاته باثنى عشر عاماً مما يرجح أن شيخنا النابلسي الذي ظل يؤلف ويقرأ ويدرس ويكتب حتى جاوز التسعين من عمره وهو مازال بصحة تساعده على ذلك وهذا يدل على أن شيخنا النابلسي قد جاوزت مؤلفاته الثمانمائة ونحن نرجح الروايات التي ذكرت مثل هذا العدد من المؤلفات وشيخنا النابلسي نستطيع أن نقول أن مؤلفاته قد صنف غالبيتها بعد أن جاوز سن الخامسة والثلاثين وحتى سن الثمانين من عمره كانت هذه الفترة فترة خصبة بالنسبة لشيخنا النابلسي في التأليف والشرح لسائر ما صادفه من الموضوعات والكتب ولذا فإننا قد وجدنا تاريخ تأليف معظم هذه المؤلفات هو ما بين خمس وثمانين وألف - ١٠٨٥ هـ إلى ١١٢٣هـ وبين هذين التاريخين ٩٠٪ من مؤلفات شيخنا النابلسي التي تعتبر فريدة في عصره وغذاء لمن أتى بعده ونبراساً لمن أراد السير على الطريق المستقيم لمن أتى بعده من العلماء العاملين وأننا اختصرنا في كلامنا على مؤلفات شيخنا النابلسي لأننا أخذنا ما نحتاج إليه في هذه الرسالة وما استطعنا الوصول إليه من مؤلفات هامة واني تركت ما وجدت في دار الكتب المصرية أو الاسكندرية مع عدم الإشارة إلى أرقامها نظراً لأنها مكررة مع المخطوطات التي بخطه بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهي في متناول طلاب العلم والباحثين عن تراث شيخنا وأستاذنا النابلسي.

تلك عجالة عن مؤلفات شيخنا النابلسى وسوف ننتقل بعد أن ذكرنا حياته وما اشتملت عليها وشيوخه وكيف تتلمذ عليهم ونهل من معينهم الصافى وتأدب بآدابهم وتربى على موائدهم وشرب من أخلاقهم واقتبس من عاداتهم ما أنار له الطريق وجعله منارة للعلم بعده وأصبح علما من أعلام الفكر والتصوف ومختلف العلوم والفنون فى عصره يرسم الطريق لمن أتى بعده لمن كان هذا حال فماذا هو قائل فى معرفة الله عز وجل هل هى بالحس أم بالعقل أم بغيرهما مع ذكر كيفية الوصول إلى الله تعالى وبيان المريد وحاله هذا ما سنتحدث عنه فيما يأتى بادئين بالمعرفة الإلهية.



الفصل الرابع

موقف النابلسى من علم الكلام

شيخنا النابلسى ألف فى علم الكلام كتباً كثيرة وشرح بعض المنظومات التى نظمت فى العقيدة وقد أشرنا إلى ذلك بالتفصيل عند كلامنا عن مؤلفاته وقبل أن أبين موقف النابلسى من علم الكلام ونقده لسعد الدين التفتزانى وفخر الدين الرازى.

أرى أن أتعرض لعلم الكلام ما هو وما موضوعه وما فائدته وأقسام العلوم وحكم الاشتغال بهذا العلم كما أوضح بعض آراء العلماء فى ذلك.

علم الكلام:

علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقاد عن مذهب السلف وأهل السنة والجماعة وإنما حدث هذا عندما عرض الخلاف فى تفصيل العقائد وكان أكثر مسارها الآيات الموهمة التشبيه فدعى ذلك إلى الخصام والتنافر والاستدلال بالعقل فوق الاستدلال بالنقل، فعند ذلك حدث علم الكلام وكان موضوعه العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترتفع البدعة وتذول الشكوك والشبهة عن تلك العقائد.

وإذا تأملنا حال هذا الفن فى حدوثه وكيف تدرج كلام الناس فيه صدرا بعد صدر وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والأدلة وعلى الجملة فينبغى أن يعلم أن هذا العلم ليس ضروريا على طلاب هذا العهد لأننا نرى أن الملاحدة والمبتدعة عند نشأتهم قد انقرضوا بعد ذلك ولم يبقى منهم إلا القليل والأئمة من أهل السنة والجماعة قد ردوا عليهم بالأدلة الشرعية والعقلية وأما الآن فلم يبقى سوى الكلام على تنزيه البارى عز وجل عن كثير ابهاماته واطلاقه ولقد سئل الجنيد رحمه الله عن قوم مر بهم بعض المتكلمين يفيضون فيه فقال ما هؤلاء فقيل له قوم ينزهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال:

نفى العيب عيب حيث يستحيل العيب[1] ولكن فائدته معتبرة إذا لا يليق لحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها والله ولى المؤمنين.

(١) ص ٤٦٧ مقدمة ابن خلدون مطبوعة بمصر.

وإذا كان الأمر كذلك فى الحديث عن علم الكلام الذى تحدثنا عنه وقلنا أننا سوف نذكر بعضا من العلماء الذين تحدثوا عنه ولم يحرموا الاشتغال به فمنهم شيخنا حجة الإسلام الإمام الغزالى أراه قد تحدث عن هذا العلم غير مرة فى كثر من كتبه فقال:

بما أنى ابتدأت بعلم الكلام فحصلت وعقلت وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما أردت أن أصنف وصادفته وافيا بمقصوده غير وافٍ بمقصودى وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدع فقد القى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هى الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار[1].

فالإمام الغزالى يرى أن علم الكلام غير وافٍ فى معرفة الحقيقة وأن طائفة من المتكلمين حركت دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ الكلام وأهله ولهذا قامت طائفة من أهل الله تعالى فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاه بالقبول من النبوة والتنفير فى وجه ما حدث من البدعة ولكن هؤلاء اعتمدوا فى ذلك على مقدمات تسلموها من قومهم وهذا يقتضى أما التقليد أو اجماع الأمة أو مجرد القبول من القرآن والأخبار المأثورة عن الرسول ﷺ ولهذا لم يكن الكلام فى حق الإمام الغزالى كافيا وليس لدائه الذى يشكوا منه وافيا ولما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاضوا فى البحث عن الجواهر والأعراض واحكامهما ولم يكن ذلك مقصود علمهم ولم يمحوا هذا ظلمات الحيرة فى اختلاف الخلق وكل ذلك مصحوب بالتقليد ولأن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء ولأن الإمام الغزالى رأى أن علم الكلام فى مشكلته غير كاف وعلاجه غير واف وأن منفعته وفائدته يتحدث عنها الإمام الغزالى فيقول:

وأما منفعته وفائدته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق وقوتها على ما هى عليه وهيهات فليس فى علم الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى وربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا من خير الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى

(١) ص ١٩ المنقذ من الضلال للغزالى مطبوع بمصر سنة ١٩٦٤ .

أن انتهى إلى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق فى علوم آخرى تناسب نوع الكلام وتحقق أكثر الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود[1].

وإذا كنا قد تحدثنا عن فائدته ومنفعته كما أوضحها الإمام الغزالى وهل تعلم علم الكلام ضرورى وما حكمه هذا ما سنذكره فيما يلى:

حكم تعلم علم الكلام:

هل تعلم علم الكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو هو مندوب إليه وللناس فى هذا غلوا واسرافا فمن قائل أنه بدعة وحرام وأن العبد إذا لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقى الله بالكلام ومن قائل انه واجب فرض أما الكفاية أو على العيان وأنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى فأما القائلين بالتحريم فنرى منهم الإمام الشافعى والإمام مالك وأحمد بن حنبل وجميع أهل الحديث، من السلف (ورد عن عبد الأعلى رحمه الله) قال: سمعت الشافعى رضى الله عنه يوما ناظر حفصا فالفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول: لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلى الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام كما يقول إذا سمعت الرجل يقول الإسم هو المسمى أو غيره فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له ولا إيمان[2]، هذا كلام الشافعى رضى الله عنه وأما ما يقوله الإمام أحمد بن حنبل فى علم الكلام فهو يرى أنه لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحد ناظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبى مع ذهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال له ويحك الست تحكى بدعتهم أولا ثم ترد عليهم الست تحمل النافى بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث وعلماء الكلام عند ابن حنبل زنادقة[3] ثم ننتقل إلى رأى الإمام مالك فى علم الكلام فنراه يقول أرأيت أن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت ويرى أن شهادة أهل البدع والأهواء لا تجوز وهو يريد بهم علماء الكلام[4].

(١) ص ٨٤ جـ١ علوم أحياء الدين للغزالى.

(٢) ص ٨٤ جـ١ الاحياء للزغزالى.

(٣) ص ٨٤ جـ١ الاحياء للغزالى.

(٤) ص ٨٤ جـ١ نفس المرجع السابق.

وإذا كنا قد ذكرنا آراء الفقهاء فى علماء الكلام فهل لعلماء الحديث رأى فى ذلك والحق أن أهل الحديث من السلف الصالحين ينحصر رأيهم فى أن الصحابة سكتوا عن الخوض فى هذا العلم مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح فى ترتيب الألفاظ من غيرهم لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبى ﷺ هلك المتنطعون هلك المتنطعون المتعمقون فى البحث والاستقصاء[1] كما أحتج السلف بأن ذلك لو كان من الدين لكان من أهم مايأمر به رســـول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثنى على أربابه لقد علمهم الكثير وندبهم إلى علم الفرائض ونهاهم عن علم الكلام والقدر والخوض فيه وقال امسكوا عن القدر وعلى هذا استمد الصحابة رضى الله عنهم الزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الأساتذة والقدوة ونحن الاتباع والتلاميذ فى هذا المجال[2] وإذا كان علم الكلام هذا قد تعرض للمنع من جانب الفقهاء والمحدثين فإننا لا ننسى أن له أنصاراً يؤيدون تعلمه لأن له نفعا فى الذب عن العقيدة ودفع شبه المشبهة والمقصود بهذه الشبه من جانب هذا العلم هو لفظ الجوهر والعرض والاختلاف فيها وهذه الاصطلاحات فى العربية لم يعدها الصحابة رضى الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات وعبارات لأجل التفهيم وزيادة الإيضاح كالحديث والتفسير والفقه كل هذه العلوم دخلتها عبارات النقد والتركيب والتعريه وغير ذلك من الأمثلة التى تورد على القياس وإلا لما فهم العلماء المقصود وحكموا على كافة العلوم بعدم التعلم ونحن نرى أن المحظور فى هذا العلم ليس اثبات الدليل على – وحدانية الخالق ووجوده وإنما المحظور الخوض فى ذاته تعالى ودليل حدوث العالم ووحدانية الخالق مما جاء فى الشرع فمن أين تحرم معرفة الله بالدليل.

أما إذا كان المقصود من العلم التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضى إليه الكلام فهو ما يصدق عليه التحريم ويجب الاحتراز منه، ولكن لا يمنع ذلك من العلم لأجل أدائه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالب بها والبحث عنها محظوراً قال تعالى: ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون إلا الظن وإن أنتم الا تخرصون﴾[3] وقـــال

(١) حديث هلك المتنطعون: أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير حرف الهاء من عند الإمام أحمد فى مسندة ومسلم فى صحيحه وأبو داوود فى سننه ورمز له بالصحة.
(٢) ص ٨٥ جـ٣ الاحياء للغزالى.
(٣) سورة الأنعام الآية رقم ١٤٨.

تعالى قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ألم ترى إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه إلى قوله فبهت الذى كفر﴾(٢).

وعلم الكلام لا حاجة إليه فى أول الأمر ولكن نشأت الفرق وكثرت المجادلات مما دعانا إلى الاحتجاج به عند الضرورة ووقت الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة إنما كان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة، لهذا كان علم الكلام لازما فى بعض المواقف وقد أوضحنا علم الكلام وموضوعه ومنفعته وغايته والمراد منه وحكمه فى وقت الحاجة إليه فهو إما مباح أو مندوب أو واجب كما يقتضيه الحال وأما باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار فهو حرام وممنوع العمل به لأنه يثير الشبهات ويحرك العقائد عن الجزم بها وهذا ما يحصل فى الابتداء والرجوع عنها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرورة فى الاعتقاد والحق وله ضررا آخر فى تأكيد اعتقاد المبتدعة بالبدعة وتثبيتها فى صدورهم إلى غير ذلك من الأمور التى تثير الشكوك فى العقيدة - الإسلامية وتفتح بابا أمام الزنادقة والملحدين وأن علماء الكلام بالنسبة إلى تعلمه فهم على أنواع فما هى هذه الأنواع؟

أنواع علماء الكلام:

فأما أنواع علماء الكلام فهم إما عوام فعلم الكلام لا يصح تعلمه لهؤلاء ويجب أن يترك هؤلاء على اعتقادهم الأول لأن فى تعلمهم هذا العلم زلزلة لاعتقادهم وأما الخاصة من العلماء فلا بأس بتعلمهم هذا العلم والسير فيه لأن عقيدتهم مأمونه وإيمانهم راسخ كما أشار إلى ذلك الإمام الغزالى فى مقدمة كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد والمنقذ من الضلال واحياء علوم الدين وغيرها من الكتب التى تحدث فيها الإمام الغزالى عن هذا الفن وإذا كنا قد بينا رأى شيخنا النابلسى فى المشتغلين بعلم الكلام وكيف نقدهم وخاصة الذين يخلطون هذا العلم بالفلسفة ويعتمدون على عقولهم فى معرفة الله عز وجل ونحن قد عرفنا هذا العلم وبينا موضوعه وفائدته كما ذكرنا سابقا واستعرضنا آراء بعض الفقهاء فى هذا العلم والمحدثين ممن لهم رأى فى هذا وقد أشرنا إليه وشيخنا النابلسى الذى تحدثنا عنه نراه لا يمنع الاشتغال بعلم الكلام إذا كان مأخوذا من الكتاب والسنة مبنيا على أصل

(١) سورة الأنعام الآية رقم ١٤٩.
(٢) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٨.

سليم فى العقيدة من غير لبس فيها وخير دليل على هذا القول ما وجدناه فى ديوانه من صريح القول لأن أصل الدين الكتاب والسنة هذا مجمل الآراء فى علم الكلام ولكن هل ترك شيخنا النابلسى هذه الفروق دون أن يتعرض لها والحق أن الشيخ النابلسى لم يترك هذا الميدان فنراه قد وفق بين الاشاعرة والماتريدية عند حديثه عن الكسب والقصد والاختيار والصرف واننى سوف أذكر رأى الإمام النابلسى وتوفيقه هذا بعد بيان نقده لسعد الدين التفتازانى والفخر الرازى وعلى الجملة فإننى سأذكر حاصل هذا كله فى نهاية هذا الفصل.

والآن ننتقل للحديث عن النصوص التى ينتقد فيها الإمام النابلسى فخر الدين الرازى والتفتازانى فى اعتمادهما على عقلهما فى تقرير المسائل الكلامية والعقائد التوحيدية فنقل: شيخنا النابلسى نقد هذين العالمين فقال:

نقد النابلسى لعلماء الكلام:

من أين للسعد ما ندرى وللرازى *** فيما نحاول من كشف وإبراز

هما يقولان عن ادراك عقلهما *** فى الله تقبيس بنيان بهنداز

من عصبة واجهوا بحر الشريعة مع *** دعوى النفوس فنالوا ملئ اكواز

وينقل البعض عن بعض ويكنز ما *** يروى فهم بين نقال وكناز

حتى إذا فهما أقوال من سلفوا *** وحرروها بتطويل وايجاز

قالوا الجهابزة النقاد نحن فمن لنا يساوى وأين اليوم والباز[1]

فالإمام النابلسى ينتقد علماء الكلام فى الاعتماد على العقل والأخذ عن الغير وعاب عليهم ذلك وخاصة سعد الدين التفتازانى وفخر الدين الرازى حيث أشار أن هذا الكلام من اين له كشف الحقيقة وابرازها بالعقل فقط والاعتماد على العقل عنده لا يوصل إلى الحقيقة فى رأى شيخنا النابلسى ويرى أنهما ينقلان هذه الآراء بعض عن بعض وليس

(١) ص ١١٠ من ديوان النابلسى مطبوع تحت يدنا ومخطوط بالمكتبة الظاهرية تحت رقم ٧٢١٠ شعر.

(٢) ص ١٩٠ نفس المرجع السابق.

ذلك بجديد عند أصحاب العقل فهم نقال ولكنهم إذا فهموا أقوال السالفين قاموا بتحريرها حسب ادراكهم العقلى من تطويل فى بعضها وسرد موضوعاتها وبين ايجاز فى موضوعات أخرى وعلم الكلام بخلاف ذلك إذ لا يعتمد على العقل وحده ورأى شيخنا أن الحقيقة تؤخذ من غير بحث ولا نقل عن الغير وهو يقول فى هذا المعنى:

والحق واجهنا فى كل ماعلمت *** حواسنا ثم لم نحتج لأجهاز
وزال لبس العمى عنا بطلعته *** بنا وهم البأس وألغاز

فالإمام النابلسى يرى أن الحق واضح فى كل ما تعلمه حواسنا وما نشاهده ولذلك لم نحتج إلى اجتهاد أواجهاد للعقل اجهادا كاملا وأن لبس العمى والجهل يزول عن أهل الحقيقة وأما أصحاب العقول الذين يعتمدون عليها فى معرفتهم لحقائق علم الله تعالى وكلامه فهم فى لبس وألغاز يحتاج ذلك إلى توضيح وبيان وهل أن الحقيقة التى هى سر الغيب ماذا قال عنها شيخنا النابلسى.

الحقيقة سر الغيب:

لنا الحقيقة سر الغيب نكشفها . . . عن المعانى التى فى طى اعجاز[1]

فالحقيقة إذا هى سر الغيب ومعلومة بالكتاب والسنة فالشريعة أولا والعقل ثانياً وأن معانيها التى فى طى الاعجاز لا تدرك بالعقل فقط ولو كان العقل كافيا فى إدراك – الأمور وتكليف البشر لكان ارسال الرسل غير مفيد وعبثا – وإنما ثبت أن العقل قاصر عن كل ذلك فلزم ارسال الرسل ضرورة لإنقاذ البشر من الجهل والضلال الذى يخوضون فيه وإنما عاب النابلسى وانتقد علماء الكلام الذين يخلطون هذا العلم بالفلسفة وهذا ما سيتحدث عنه النابلسى فيما يأتى:

نقد النابلسى لعلماء الكلام الذين يخلطونه بالفلسفة

يقول شيخنا النابلسى:

من رأى فلسفة حمقى مزخرفة *** بادت بسيف من الإسلام هزاز[2]
علم الكلام الذى باعوا به وشروا *** من الكلام كثيرا بيع بزاز
وقد نهى السلف الماضون عنه وهم *** لم ينتهوا حيث لا يغزوا وهو غاز

(١) ص ١٩٠ نفس المرجع السابق.
(٢) ص ١٩٠ نفس المرجع السابق.

فالإمام النابلسى إنما ينتقد علماءالكلام الذين خلطوه بالفلسفة الحمقى المزخرفة التى لا تفيد فى هداية البشر ولا توضح طريق اليقين ولاتنير السبيل أمام السالكين ولاتزيل الشبهة عن الدين والإسلام قد أباد هذه الفلسفة بسيف الحقيقة وأن علم الكلام المختلط بالفلسفة الذى باعوا به لعامة الناس فى كلامهم وشروا من الكلام كثيرا إنما ذلك وهم العقل والخيال وأن السلف الصالح قد نهو عن ذلك وعن علم الكلام المختلط بالفلسفة ولكن أصحاب العقول الضالة لم ينتهوا عن ذلك والدين الإسلامى ماأصله إلا الكتاب المبين وسنة سيد المرسلين وهذا هو رأى شيخنا النابلسى فيقول فى هذا الصدد ما أصل الدين وما مصدره وهذا ما ستتحدث عنه فيما يأتى:

أصل الدين عند النابلسى:

يقول شيخنا النابلسى موضحا معنى الدين ومبينا مصدره:

الدين ما أصله إلا الكتاب وما *** فى سنة المصطفى وعدا بانجاز
فخذ عن الله ما جاء الكتاب به *** من العقائد مع ايمانك الشاز
وما به السنة الغراء قد وردت *** على مرادهما ايقان فواز[1]

فالإمام النابلسى يرى أن الدين ما أصله إلا الكتاب المبين وأتم جميع العقائد والتعاليم فى الشريعة الإسلامية يجب الإيمان بها لورودها عن الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ وكذا ما فى سنه المصطفى عليه السلام هو أصل الدين والواجب أخذه والتمسك به من ألزم اللوازم وأن هذا وعد منجز والعقل يحتار فيما جاء به الكتاب فكيف نعتمد عليه نحن فى اعتقادنا الذى يجب أن ينزه عن كل شبهة ومعلوم أن العقل مخلوق ويجوز عليه القصور والنسيان والترك فكيف نعتمد عليه فى الاعتقاد الذى هو أساس الإيمان والإسلام إنما جاء لهداية العقل ولينير الطريق أمام أصحاب العقول وإذا كنا قد ذكرنا رأى النابلسى فى أصل الدين ومن أين مصدره فما هى العقيدة الصحيحة عند شيخنا النابلسى وهذا ما سنتناوله فيما يأتى:

(١) ص ١٩٠ نفس المرجع .

العقيدة الصحيحة عند النابلسى:

يقول شيخنا النابلسى مبينا عقيدته الصحيحة موضحا معنى هذه العقيدة قائلاً:

لى فى الاله عـــقـــيـــدة غـــراء *** هى والذى هو فى الوجـــود ســـواء

نور على نـور فـــهـــذا عندنا *** أرض وعند الله ذاك ســـمـــاء

قـد جـــاء نور منك عنك مـبلغـا *** بك لى فكان بأمـــرك الأصـــفـــاء

وتتـــابعت بشـــر الهـــواتف بالذى *** يعذوا لـه الالهـــام والإيحـــاء

بى نشأتان طفـقت أسـرح فـيـهـمـا *** فـــهـــذه صـــبح وتلك مـــســـاء[1]

إلى آخر ما قال فى هذا الصدد.

فشيخنا يوضح أن العقيدة الغراء الواجب الإيمان بها قلبيا فعليا هى فى هذا الوجود واضحة لا تحتاج إلى أعمال عقل وهى نور على نور وقد جاء الكتاب المبين بها على لسان سيد المرسلين محمد ﷺ واضعا أصل العقيدة ومؤسسا قواعد الإسلام الذى أنقذ البشرية جمعاء من جهلها وضلالها وشيخنا النابلسى يكتب عقيدته فيقول اشهدنى ربى بمنه وفضله على فشهدت بحوله وقوته لا بحولى وقوتى أنه هو الله الذى لا إله إلا هو، ذات قديمه لا تشبه الذوات ولا تماثيل شيئا من ذوات - الموجودات، وجودها عين ذاتها لا قدر زائد عليها ليست هى من شىء من الأشياء لا هى من قسم الإجسام ولا من قسم الأعراض ولا من قسم النفوس ولا من قسم العقول ولا من قسم الأرواح ولا من قسم العلوم ولا من قسم الأوهام ولا من قسم الخواطر ولا من قسم الأفهام ولا من قسم التخيلات ولا من قسم الأنوار، ولا من قسم الظلمات ولا من قسم اللمحات ولا من قسم القوى ، ولا من قسم الاستعدادات وليست فوق شىء من جميع ما ذكرنا ولا تحت شئ، ولا عين يمين شئ، ولا عن يسار شىء، ولا قدام شىء، ولا خلف شىء، ولا فى جميع جهات شىء، ولا متصلة بشىء، ولا منفصلة عن شىء، ولا داخلة فى شىء، ولا خارجة عن شىء، ولايخلوا عنها شىء من جميع ما ذكرنا، وليست بعيدة عن شىء من جميع ما ذكرنا ولا قريبة من شىء وهى منزهة عن جميع ما يخطر فى العقول والنفوس الكاملة المكتملة

(١) ص ٩٣ من كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى للنابلسى مطبوع تحت يدنا مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧١٤١ تصوف.

فضلا عن العقول والنفوس القاصرة ومنزهة عن هذا التنزيه أيضاً لأنه حادث فلا يليق أن يكون وصفا للقديم وكذا هى منزهة عن كل تنزيه يحكم به العقل السليم[1].

وإذا كان الأمر كذلك فصفات هذه الذات قديمة ازلية ليست عينها ولا أمراً زائداً عليها والعالم جميعه مقتضاها لا مقتضى الذات وهى منزهة أيضاً مثل تنزيه الذات المذكورة ولرا أنه تعالى وصف نفسه بها لما جرءنا أن نصفه بشئ منها، لأن لا نعرفه تعالى إلا من حيث عرفنا بنفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ[2].

فشيخنا قد وضح عقيدته فى الله عز وجل بهذه الشهادة مجليا رأيه بكل كلمة ذكرها مبعدا عن نفسه أى شبهة فى الله عز وجل أو فى رسوله الكريم من أن يطعن عليه طاعن فى اعتقاده وبيان سلوك طريقه فهو امام آمن بربه وعرف طريقه وكيفية الوصول إليه وهو بعد ذلك يقول أن جميع هذه الصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه إما فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، معانى قديمة أذلية قائمة بذاته العلية فكما أنها ليست عين الذات ولا غير الذات كذلك كل صفة منها ليست عين الصفة الأخري ولا غيرها فذاته تعالى لها الوحدانية والأحدية وفى هذا بيان من شيخنا النابلسى لمعنى الصفات وتعريفها والمراد بها وهى لا تركيب فيها بوجه من الوجوه وإنما الصفات كلها نسب بين الله تعالى وبين العالم لم يظهر العالم من العدم إلى الوجود عن تلك الذات القديمة إلا بواسطة اتصافها بهذه الصفات القديمة أيضا والله تعالى قد تعرف إلينا من حيث الشرع بترجمة تلك المعانى القديمة القائمة بذاته التى هى صفاته باللسان العربى فى كلامه القديم وعلى لسان رسوله ﷺ فجميع تلك الألفاظ العربية التى ترجمت لنا بها تلك المعانى التى هى صفاته تعالى حقائق موضوعة لتلك المعانى لا مجازات وأما الذى فهمنا الله تعالى إياه من تلك الألفاظ وخلقها فينا وسماه لنا بتلك الألفاظ فهو مجاز فى اللسان العربى فالقدرة مثلا معناها الحقيقى فى اللسان العربى الذى نزل به القرآن العظيم، فالله سبحانه وتعالى متصف به وأما ما خلقه فينا من القدرة الحادثة لنا على بعض الأشياء وفهمنا إياه من معنى القدرة فهو معنى مجازى للفظ القدرة فى اللسان العربى[3].

---

(١) ص ٩٥ من نفس المرجع السابق.
(٢) ص ٩٥ من نفس المرجع السابق.
(٣) ص ٩٦ من نفس المرجع السابق.

وشيخنا النابلسى يشرح كل هذا ويبين أن كل الصفات على هذا المنوال من المعنى الحقيقى بالنسبة لله عز وجل والمعنى المجازى بالنسبة لنا ويفرق تفريقا كاملا بين قدرته وقدرتنا ويبين أن الله سبحانه وتعالى علمنا تلك المعانى المجازية التى خلقنا متصفين بها ولم يعلمنا المعانى الحقيقية كتلك الألفاظ العربية التى هو سبحانه وتعالى متصف بها لعدم امكاننا فهم ذلك قال تعالى: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[1] فإذا أمنابه تعالى نظرنا إلى ما وصف به نفسه فى كلامه القديم وعلى لسان رسوله ﷺ ثم ينتقل النابلسى إلى بيان الأوصاف التى وصف الله تعالى بها نفسه فى كلامه القديم المنزل على محمد ﷺ وهذا ما سنتناوله بالحديث فيمايأتى:

أوصاف الله تعالى:

يقول شيخنا النابلسى أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بكثير من الأوصاف التى تدل دلالة قاطعة على وجوده عز وجل وتنزيه عن مشابهه المخلوقات وذلك لأنه تعالى وصف نفسه بأنه رب فقال (رب العالمين) وإنه مالك الملك ومالك ليوم الدين وانه يستهزئ بالمنافقين فقال تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم[2]· وإنه يمد المنافقين فقال: ﴿ويمدهم فى طغيانهم يعمهون﴾(١م) وانه يذهب بنورهم ويتركهم فى ظلمات، وإنه محيط بالكافرين وإنه على كل شىء قدير وإنه هو التواب الرحيم وانه عليم بالظالمين ، وأنه بصير بما يعملون ، وأنه عدو للكافرين وأنه ذو الفضل العظيم وان له ملك السموات والأرض وانه تعالى له فعال تعالى: ﴿كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾[3] ومن وجهه أينما تولوا قال: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[4] وانه بديع السموات والأرض وإنه إذا قضى امراً فإنما يقول له كن فيكون وأنه العزيز الحكيم وأنه يولى العهد لمن وفى بعهده فقال: ﴿وأفوا بعهدى أوفى بعهدكم﴾[5] وأنه بالناس لرؤوف رحيم وأنه يذكر من ذكره فقال تعالى: ﴿اذكرونى أذكركم﴾[6] وانه مع الصابرين، وانه شاكر عليم وانه إله واحد لا إله إلاهو الرحمن الرحيم، وإنه يبين آياته للناس لعلهم يتقون وأنه لا يحب

(١) ،(١م) الآية رقم ١٥ من سورة البقرة.
(٢) الآية رقم ٨٨ من سورة القصص.
(٣) الآية رقم ١١٥ من سورة البقرة.
(٤) الآية رقم ٤٠ من سورة البقرة.
(٥) الآية رقم ١٥٢ من سورة البقرة.

المعتدين وانه مع المتقين وأنه يحب المحسنين وانه سريع الحساب وانه لا يحب الفساد وإنه يحب التوابين ويحب المتطهرين، وأنه بكل شيء عليم، وأنه غفور حليم وأنه يقبض ويبسط ، وأنه الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وأنه العلى العظيم، وأنه ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، وأنه يحى ويميت، وأنه غنى حميد وأنه عزيز ذو انتقام، وأنه شهيد ، وأنه لا إله إلا هو قائم بالقسط ، وأنه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويزل من يشاء بيده الخير وأنه غنى عن العالمين، وأنه شهيد على ما تعملون، وأنه بما تعملون محيط، وأنه يمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين، وأنه يحب الصابرين، وأنه خير الناصرين، وأنه يحب المتوكلين وأنه له ميراث السموات والأرض وأنه ليس بظلام للعبيد، وأنه رقيب علينا[1] قال تعالى: ﴿ان الله كان عليكم رقيبا﴾ وانه على كبير.

هذه نمازج من الأوصاف التى أوردها شيخنا النابلسى فيما وصف الله به نفسه فى كتابه العزيز أو على لسان رسوله الكريم وأنى قد اقتصرت على هذه الأوصاف خوفا من الوقوع فى تيار التطويل وأيضاً أن ماذكرناه هو أهم ما أورده الإمام النابلسى فى أوصافه تعالى وإن كانت أوصافه عز وجل كثيرة لا حصر لها وكلها تنزه البارى عن النقصان وتثبت له الكمال الربانى وان كان شيخنا النابلسى لم يقتصر بمجرد ذكر الأوصاف بل بين رأى علماء الإسلام فى الأوصاف التى وصف الله تعالى بها نفسه، ولهذا سوف نذكر ماقاله السلف والخلف فى هذه الأوصاف وهذا ما سنتحدث عنه فيما يأتى:

رأى السلف والخلف فى أوصاف الله:

يقول شيخنا النابلسى انقسم علماء الإسلام فى جميع ما ورد من أوصاف الله تعالى فى القرآن والسنة على قسمين السلف والخلف.

أما السلف: فقد آمنوا بجميع ما وصف الله تعالى به نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ على حسب المعنى الحقيقى لذلك الوصف وهو المعنى الذى يعلمه الله تعالى ويعلمه رسوله ﷺ لا على حسب المعنى المجازى لذلك الوصف وهو ما تتخيله عقول المؤمنين وهو مذهب التسليم وهو أسلم فتقر بواطنهم بالعجز عن فهم المعنى الحقيقى من

(١) ص ٩٧ من كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى مخطوط رقم ٧١٤١.

ذلك الوصف ويكلون ذلك إلى الله ورسوله ليكون إيمانهم بتلك الأوصاف إيمانا بالغيب عند العقلى وقد مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾[1] فيصفون الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، ويؤمنون بجميع ذلك لكن على حسب المعنى الذى عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ لا على حسب المعنى الذى عند عقولهم، ولم يتحاشوا من اطلاق ذلك على الله تعالى لأن الله اطلق ذلك على نفسه وأطلق عليه رسوله ﷺ فهم فى ذلك الاطلاق تابعون لله ورسوله قال تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2].

فشيخنا النابلسى قد ذكر رأى السلف بوجه عام ولاشك أن ما قاله النابلسى على لسان أهل السلف من أن هذه الأوصاف فى حقه تعالى ما ورد النهى عن اطلاقها عليه تعالى فى كتاب ولا فى سنة وإنما وردت هى بنفسها مطلقة على الله تعالى ففى الكتاب والسنة كما أوضحنا ذلك عند كلامنا على أوصاف الله تعالى فيما سبق وقبل أن نذكر رأى الخلف نرى لزاماً أن نتعرض للظاهرية ورأيهم فى هذا الموضوع ويرى شيخنا النابلسى أن الظاهرية على قسمين:

الظاهرية ورأيهم:

يقول شيخنا أن الظاهرية على قسمين:

ظاهرية يتمسكون بظواهر الكتاب والسنة فى صحة اطلاق ما فيها من حيث القول لا من حيث الفهم ويكيلون فهم ذلك إلى ما هو عليه فى حقيقة الأمر لأنهم معترفون بعجز أنفسهم عن علم معانى كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على حسب ما يعلمه الله تعالى ورسوله من المعنى الحقيقى[3] قال تعالى: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[4] وهؤلاء الفرقة هم والصحابة رضى الله عنهم على حد واحد الذين قال الله فى خلافهم ﴿لاتسألون عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾[5] فكانوا لا يسألون النبى ﷺ عن شىء من الأشياء حتى

(١) الآية رقم ٢٠ من سورة البقرة.
(٢) الآية رقم ٧ من سورة الحشر.
(٣) ص ٢٠٢ من كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى ٧١٤١.
(٤) من الآية رقم ٢٣٢ من سورة البقرة.
(٥) الآية رقم ١٠١ من سورة المائدة.

يبدأهم، وفى ذلك كمال الأدب مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ، والإمام أحمد رضى الله عنه وأمثاله من هذه الفرقة التى تتمسك بالظاهر فقط من حيث القول فقط.

وأما القسم الثانى: فهم الظاهرية يتمسكون بظواهر الكتاب والسنة فى وصف الله تعالى بما وصف به نفسه فى كتابه العزيز وعلى لسان رسوله ﷺ ويفهمون ذلك ويؤمنون به على حسب المعنى الذى يتخيلون فى عقولهم من التجسيم والحلول والجوارح ويصفون الله تعالى بجميع ذلك، وهؤلاء الفرقة لا شبهة فى كفرهم حيث ينسبون إلى الله أوصاف المحدثات وينكرون ما ورد فى الكتاب والسنة أيضا من أوصاف التنزيه والتقديس والتسبيح[1].

هذا هو رأى شيخنا النابلسى فى الظاهرية وأقسامها وقد حدد لنا فرقتان ظاهرية يتمسكون بظواهر الكتاب والسنة فى صحة الاطلاق بحسب القول لا بحسب المعنى.

أما الفرقة الثانية فهم ظاهرية أيضا ويتمسكون بظواهر الكتاب والسنة فى وصف الله تعالى بما وصف به نفسه من حيث الظاهر والباطن ويترتب على رأى هؤلاء عدة أمور ينتج عن هذه الأمور مخالفات كثيرة لا يصح أن تطلق على الله تعالى وإذا كنا قد بينا رأى شيخنا النابلسى فى السلف وأقسامهم من ظاهرية وبيان أنواعها نرى لزاما أن نذكر رأى الخلف فى هذا وهو مجال حديثنا فيما يأتى:

رأى الخلف فى أوصاف الله تعالى:

يقول شيخنا النابلسى وأما الخلف فقد أخطأ من ظن أنهم قسموا أوصاف الله تعالى إلى قسمين محكم ومتشابه فآمنوا بالحكم على حسب ما هو عليه من التنزيه وردوا المتشابه إلى هذا المحكم وأولوه إليه فآلت أوصافه تعالى فى الكتاب والسنة المحكمة والمتشابهة عندهم إلى قسم واحد وهو المحكم وتحاشوا من اطلاق لفظ المتشابه على الله تعالى فنرى أحدهم إذا سمع إنسانا يقول: يد الله أو رجل الله أو عين الله أو أصبع الله استنكر ذلك واستكرهه، وإذا سمعه يقول قدرة الله أوامر الله أو علم الله لم يستنكره حتى أن بعضهم كفر بعضا بسبب هذا الإطلاق كما وقع فى حق ابن تيمية واتباعه من بعض علماء عصره وإن كان خطأ بن تيمية وأتباعه من جهة أخرى غير مجرد الإطلاق على الله

(١) ص ١٠٣ كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى ٧١٤١.

تعالى وما أرى استنكار ذلك الإطلاق واستكراهه إلا جهلا واضحا وتعصبا فى الدين كيف والله تعالى اطلق ذلك على نفسه فى كتابه العزيز ونبيه ﷺ اطلق عليه أيضاً من غير تحاش ولا استكراه واستنكاف[1] قال تعالى: ﴿والله لا يستحى من الحق﴾[2] فشيخنا النابلسى وضح رأى الخلف بالنسبة لأوصاف الله عز وجل وبين أنهم لم يرجعوا فى حكمهم على أوصاف الله تعالى على التقسيم إلى محكم ومتشابه حسب ظن بعض النقاد لهم فى التفريق إلى هذين الفريقين وإذا كان الأمر كذلك فما سبب وقوع بعض العلماء فى انكار هذا الإطلاق على من اطلق ذلك الجهل بمذهب الخلف فإن البدع لما ظهرت وانتشرت الفنون فى الدين بعد الثلاثمائة الأولى وانقرض الصحابة رضى الله عنهم كثر الكلام فى أوصاف الله تعالى بين أهل الإسلام ولم يرتضوا مذهب السلف فى ذلك وذهبوا فى رأيهم كل مذهب وعمدت طائفة من أهل السنة إلى تأويل جميع المتشابه وصرفه عن ظاهره والمتبادر إلينا أن ما يحتج به المبتدعة على مذاهبهم الفاسدة ولم يعتقدوا أن ذلك معنى كلام الله تعالى ولا كلام رسوله ﷺ وإنما كان تأويلهم ليدفعوا به حجج الخصوم فيما استولوا عليه من الزيغ لا ليعتقدوا ذلك التأويل وإنا مذهبهم مذهب السلف باطنا، ومن عرف معنى التأويل لم يحتج إلى مثل ذلك الإنكار فإن التأويل ارجاع اللفظ إلى أحد محتملاته مع الاعتراف ببقية المحتملات بخلاف التفسير ولهذا نرى الشيخ العينى قال رحمه الله تعالى فى شرح البخارى: يقول التأويل هو التفسير بما يؤول إليه الشىء وفى اصطلاح الأصوليين التأويل تفسير الشىء بالوجه المرجوح وقيل هو حمل الظاهر على المحمل المرجوح بدليل يصيره راجحا وهذا أخص منه.

وأما تفسير القرآن فهو المنقول عن النبى ﷺ وعن الصحابة وأما تأويله فهو ما يستخرج بحسب قواعد العربية.

وأما التأويل فهو منقول عن بعض السلف أيضاً، ولهذا نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول: الراسخون فى العلم يعلمون تأويل المتشابه وأنا ممن يعلم تأويله ولكن عامة السلف كانوا يعدون السؤال عنه بدعة وكانوا يسكتون عن معناه ولا يتكلمون فيه ومن تكلم فيه منهم لم يرد المعنى الحقيقى وإنما أراد الإيحاء على الشىء مما يفيده ذلك

(١) ص ١٠٤ من كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى ٧١٤١ مخطوط بدمشق.
(٢) الآية رقم ٥٣ من سورة الاحزاب.

اللفظ ظاهرا وهو محمل قول ابن عباس رضى الله عنه[1] وإذا كان الأمر كذلك فأرى أن أجمل حاصل هذا كله فأقول والحاصل إن أريد بالتأويل على مذهب الخلف ترك اللفظ إلى معنى من المعانى بحيث لا يحتمل ذلك اللفظ معنى آخر غيره حتى يرجع معنى المتشابه إلى معنى المحكم كما من زعم أن معنى قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾[2] وقوله: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾[3] معنى واحد حيث ارجع معنى اليد إلى القدرة فليس هذا مذهب الخلف ولا هكذا معنى التأويل وما هذا الزعم إلا تعطيل محض لصفة اليد التى لله تعالى وينفى ذلك التأويل قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد وان لموسعون﴾[4] وقوله تعالى: ﴿لما خلقت يدى﴾[5] إذ قدرة الله تعالى لا تعدد لها وأما أن أريد بالتأويل على مذهب الخلف صرف اللفظ إلى معنى من المعانى مع عدم القطع بأنه مراد من اللفظ وعدم حصر اللفظ فى ذلك المعنى وإنما ذلك من بعض محتملات ذلك اللفظ فإن هذا هو المراد بمذهب الخلف وهو المذهب الأحكم وعليه درج المحققون من أهل المعرفة فربما يتكلم الإنسان فى الآية من كتاب الله بكلام مخترع لم يسبق إليه ولا يخرج به عن سنن الاستقامة من أهل التحقيق العارفين بربهم فإن ذلك من قسم التأويل لا من قسم التفسير ومعنى ذلك قوله تعالى: ﴿وما يذكر إلا أولى الألباب﴾[6] لأن الله تعالى ندب إلى تدبير القرآن حيث قال: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾[7] وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[8] ولا شك معانى كلام الله تعالى لا نهاية لها لأنها قديمة أزلية قال تعالى ﴿ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾[9] وقال تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾[10].

(١) ص ١٠٥ من كتاب الفترح الربانى والفيض الرحمانى ٧١٤١ بدمشق.
(٢) الآية رقم ١٠ من سورة الفتح.
(٣) الآية رقم ١ من سورة فاطر.
(٤) الآية رقم ٤٧ من سورة الزاريات.
(٥) الآية رقم ٧٥ من سورة
(٦) الآية رقم ٢٦٩ من سورة البقرة.
(٧) الآية رقم ١٧ من سورة القمر.
(٨) الآية رقم ٢٤ من سورة محمد.
(٩) الآية رقم من سورة
(١٠) الآية رقم ١٠٩ من سورة الكهف.

وإذا كان شيخنا النابلسى قد بين العقيدة الصحيحة وبين رأى السلف والخلف فى ذلك وقد بينا نحن الحاصل فى هذه الآراء والمذاهب العلمية المختلفة فماهو المذهب الحق فى اطلاق المتشابه على الله وغير المتشابه من الأوصاف التى وصف الله بها نفسه فشيخنا يبين لنا المذهب الحق فى هذا وهو ما سنتحدث عنه فيما يأتى:

المذهب الحق:

يرى شيخنا أن المذهب الحق صحته اطلاق المشابه على الله تعالى كما أطلقه على نفسه وأطلقه عليه نبيه ﷺ وهو مذهب السلف والخلف رضوان الله عليهم أجمعين عندما يطلقون ذلك يصرفون المتشابه إلى معنى من المعانى مما يحتمله ذلك اللفظ وهو ما يسمى بالتأويل، وهذا مذهب الخلف مع عدم القطع به وهو الأحكم لأن فيه زيادة على مذهب السلف باعتبار فهم معنى وبتسليم بقية المعانى المحتملة إلى الشارع فهو تسليم وزيادة والسلف كان مذهبهم التسليم فقط من غير فهم شيء من محتملات اللفظ وهو الأسلم وحيث أجمع السلف والخلف على صحة الإطلاق فنقول فى وصف الله تعالى: إنه ذات قديمة تقدم الكلام على تنزيهها متصفة بصفات قديمة يفترض علينا[1] الإيمان بجميعها أما على المعنى الذى هو عليه من غير علم منا بشيء من بعض محتملاتها أو مع علم منا بشيء من بعض ذلك.

والأول هو التسليم والثانى هو التأويل، والحق هو أن صفات الله تعالى كلها متشابهة، أرأيت قدرته وارادته لا تعقل لها معنى أيضا، وجميع ما نفهمه من ذلك تأويل له فنؤمن أن الله تعالى له روح وله نفس وله عين وله أعين وله يد وله يدان وله أيدى وله قدم وله أصابع وله وجه وله ظل وله استهزاء وله سخرية وله ضحك وله فرح وله غضب وله رضا، وله كلام وله كلمة، وله كلمات، وله فكر، وله كيد، وله مجئ، وله نزول إلى غير ذلك من الأوصاف القديمة التى لا نفهم منها إلا ما نحن عليه من المعانى المجازية لها دون المعانى الحقيقية التى من أوصافه سبحانه وتعالى على حسب ما أخبرنا بذلك فى كتابه العزيز، وعلى لسان رسوله ﷺ.

(١) ص ١٤٦ من كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى مطبوع تحت يدنا.

وإذا كان شيخنا النابلسي قد تحدث عن علم الكلام وموقفه في هذا الصدد وبين حقيقته نعى على الذين خلطوا هذا العلم بالفلسفة مما أثار الشبه حول العقيدة الصحيحة التي أوضحها شيخنا ولم يكتف النابلسي بذلك إذ فرق بين الوجود والموجود ولهذا انتقد الذين يخلطون بين الوجود والموجود ويوضح شيخنا ولم يكتف النابلسي بذلك إذ فرق بين الوجود والموجود ولهذا انتقد الذين يخلطون بين الوجود والموجود ويوضح الفرق بينهما وهذا ما سنذكره فيما يأتي:

الفرق بين الوجود والموجود:

يرى شيخنا أن الوجود غير الموجود فيقول:

إن قلت أن الوجود نفس *** الموجود يا أشعرى فقل لى

كذاك أن الموجود نفس *** الوجود عكس بلا فحل

وقلت أن الوجود جنس *** والجنس تميزه بفصل

والفصل نفس الوجود أيضا *** فالكل جنس مثلا يمثل

فأين فصل الوجود ياذا *** مقتضى علمك الأجل[1]

فشيخنا يرى أن الوجود غير الموجود ولا يصح أن يكون نفسه ويوجه سؤالا للقائلين بأن الوجود عين الموجود، كيف نفرق بينه؟ وبأى نوع يكون ذلك؟ ولا يصح أن يكون الوجود جنس الموجود لأن الجنس لابد أن يتميز بالفصل ولو كان الفصل هو الوجود والموجود لكان جنسا ولا يصح ذلك عند علماء المنطق إذ حقيقته الجنس ما يقال على كثيرين مختلفين في الحقيقة أما الفصل فما به التمييز والفرق بينه وبين الأنواع والأجناس الأخرى وعلى هذا فلابد أن يكون الموجود غير الوجود لأن الموجود مخلوق حادث والوجود قديم مؤثر في غيره ثم علل ذلك النابلسي وأرجع السؤال إلى صاحب اتحاد الوجود بالموجود فقال:

(١) ص ٢٩٣ من ديوان النابلسي ٧٢١٠ مخطوط بدمشق ومطبوع تحت يدنا.

فـــان تقل فـــصله اعـــتـــبـــارا *** في العـــقل قـــبل اعـــتـــبـــار ظل
قلنا لك الاعـــتـــبـــار أمـــر *** له ثبـــوت في كل عـــقل
وعـنـه شـيء يـقـــال وهـو *** الموجـــود فـــارجـع لحكم كل
وان تـــقـــل أن كـــل شــيء *** وجـــوده حكم مـــســـتـــقل
مميـــز عنـه ســـواء ذاتا *** فليس فـيـه اشـتـراك جـعل[1]

هذا التصوير من القائل بأن الفصل اعتباري عند العقل مثل اعتبار الكل للأشياء ولكن الإمام النابلسي علل ذلك بأن الاعتبار المذكور أمر منفصل وله ثبوت في العقل وعلى ذلك فلا يصح أن يكون الفصل اعتباريا ولا يصح أن تقول أن كل شيء وجوده مستقل عن الآخر ومميز عن سواه ذاتا ولا يقع به الاشتراك ولا جنس هناك ولا فصل قال شيخنا النابلسي في هذا الصدد ما يلي:

نقـــول لا جنس فـــالوجـــود *** المراد جـــزئي وليس كلي[2]
خـــلاف مـــا حـــرروا وقـــالوا *** في حكم قـــانون علم شكل
أو قلت أن الوجـــود غـــيـــر *** الموجـــود والغـــيـــر أصل

بهذه الأبيات وضح الإمام النابلسي بعض المشاكل الكلامية وانتقدها كما بين رأيه في الفرق بين الوجود والموجود أنه لا يصح أن يكونا شيئا واحد كما ذكرناه سابقا ولم يكتف النابلسي في نقده لعلماء الكلام الذين خلطوه بالفلسفة بل نراه ينتقد الذين يعتمدون على عقولهم فقط ويعبدون الخيال أذلك من الدين أم هو اعتقاد باطل وحقيقة واهية هذا ما سنتحدث عنه فيما يأتي:

عقيدة الخيال:

يقول شيخنا لأصحاب هذه العقيدة الباطلة الذين اعتمدوا على عقولهم في اعتناقهم ويفند هذا الاعتقاد ويبطله فيقول:

---

(١) ص ٣١٢ من نفس المرجع السابق.
(٢) ٣١٣ من نفس المرجع السابق.

قل لعـــبـــاد الخــيـــال *** كم قـــيـــام فى الخـــيـــال
تعـــبـــدون الله مـــعـــقـــولا *** علـيـــه العـــقـل والى
وهو مـــعـــقـــول بمعنى *** خـــاطر فـــيكم بـبـــالى
عندكم حـــصلتـــمـــوه *** بـبـــــراهـين طـــوال
هـــى فـــى عـــلـم الـــكـلام *** عـــمـــدة بين الرجـــال
جـــادل الماضـــون فـــيـــه *** مع أهـل الاعـــتـــزال
صنفـــوه بخـــصـــام *** فـى المعـــانـى وجـــدال
وخـــيـــالات فـــهـــوم *** وتمـاثـيـل المـثـــال
وتـصـــاويـر وفـكـر *** وبـقـــيـل وبـقـــال
وهو لولا فـــيـــه ســمـعـيـــا *** تـه مـــحض ضـــلال
أفله العـــقل ومـــعـــقـــولاته *** مـــثل العـــقـــال
أيـهـــا الأقـــوام كـــفـــوا *** عـــقلكم عن رب عـــال
وبحكمكم قـــد عـــبـــدتم *** ولـدالـعـــقـل المـزال
وعـــهـــدتم أنـه الـلـه بـزور وتـغـــالـى
وهو لم يولد كـــمـــا قـــ *** ـــال بنفس التـــلالى
كـيـف مـا شـئـتم عـرفـتم *** ربكم مـــولـى المـوالـى[1]

يوضح شيخنا فى هذه الأبيات معنى الخيال وينتقد عباده الذين اعتمدوا على عقولهم وعبدوا الله على هذه الطريقة وحصلوا ذلك ببراهين طوال وأدلة كثيرة هى عند علماء الكلام عمدة فى الاستدلال العقلى وخاصة المختلط بالفلسفة الكلامية وأن أهل الاعتزل سبقوا هؤلاء وصنفوا فى ذلك الكثير وما فعله هؤلاء بعقولهم محل خيال وتصاوير فكرهم ونقل كلام وجدال بالقيل والقال والكتاب المبين فيه السمعيات القاطعة بضرورة الاعتماد على الشرع ويجب على أصحاب العقول الكف عن ذلك الجدال وأن شهود الله عز وجل

(١) ١١٣، ١٢٤ من نفس المرجع السابق.

وظهور آثاره لا تحتاج إلى هذه السفسطة الكلامية وأن الله سبحانه وتعالى الذى لم يلد ولم يولد كما ورد فى نفس الكتاب تجب معرفته بالشرع وأن مخلوقاته التى فى آثاره تدل عليه لأول وهلة فالسماء والأرض والجبال والأنهار والطيور والأشجار والخيل والبغال والنمل ودبيبه كل ذلك فعل رب العباد قد تجلى سبحانه وتعالى على عباده فهو ظاهر بالفضل منه ونحن ننزه الله سبحانه وتعالى عن المشاركة والمشابهة التى يجلبها العقل الذى يعتمد على الفكر وحده ويخلط علم الكلام بالفلسفة ويدعى أن ذلك برهان على وجود الله ويسلك ذلك طريق المعرفة إليه وإنما الله بالعقل ظاهرا وبالخيال ظاهرا والشرع قد حدد كل ذلك ولذا نرى شيخنا يقول:

إنما الله بعقل *** ظاهر وبخيال

وأنا أعرفه من *** قبل أيام خوال

ما درى المسكين أن *** الله يجلى بالمجال

ظاهر فى كل شىء *** ليس يخفى بانعزال

وهو حق وسواه *** باطل لمعة آل[1]

فالإمام النابلسى يرى أن الله سبحانه وتعالى قد عرفته الأمم السابقة ومعروف لدى البشرية منذ خلقها وأنه ظاهر واضح فى كل شىء وهو حق وسواه باطل سواء كان من العقل أو غيره وأن معرفة الله الحقيقية أصلها الكتاب والسنة وأنه خالق لكل شىء من الفوق والتحت والأمام والخلف والماء والنار ظاهر فى كل شىء ليس شىء عنه خال ولهذا فهو ظاهر فى كل شىء.

فإذا كان الأمر كذلك فما هى مظاهر الله عز وجل وهذا ما سنتحدث عنه فيما يلى:

مظاهر الله:

يرى شيخنا أن الله ظاهر فى كل شىء محيط بجميع مخلوقاته فيقول:

---

(١) ٣١٣ من نفس المرجع السابق.

ظـــاهـــر فــــى كـــل شــــىء *** لـيـس شـىء عـنـه خــــــــال
ثـــم عـــنـــه كـــل شـــىء *** هـــالــك بـــه جـــــــــــال
واقـــــرأ القـــــرآن وافــــهـم *** لا تـكـن عـنـه بـقــــــــال
واترك العـــقل لأصـــحــــاب *** عــــــــــذاب ونــكـــال
يفـــهــمـــوا الدين منه *** بشـــبـــاك وحــــبـــال
لــيـس هــذا ديــن ربـــى *** هو من قـــبـح الخـــصـــال
ديـنـه الحق تـعـــــالـى *** ذوا جـــمـــال وجـــلال
ولـه الأحـكـام فـــــينـا *** بحـــــرام وحـــــلال

هذه الأبيات التى ذكرها شيخنا النابلسى تبين مظاهر الله عز وجل فى سائر الأشياء كما أنها لا تدع مجالا لصاحب عقل فى الاعتماد على عقله أو خياله فى معرفة الله والإيمان به والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويجب عليه فهم القرآن وتدبر معانيه وترك العقل وهفواته وأن أصحاب العقول إنما يفهمون الدين مثلهم فى ذلك مثل الصياد الذى يطرح الشباك ويربط الحبال لتقع الفريسة فى شباكه وهل دين الله الحق المتين ذو الجلال والإكرام الذى فيه الحلال والحرام يتوصل إليه بالحبال والشباك، فشيخنا يرى أن العقل قاصر فى إدراك الله والخيال باطل فى الوصول إلى العقيدة الصحيحة والدين القويم والذى يعتمد على عقله وخياله إنما مصيره الطرد والبعد عن ساحة الرحمن ويجب عليه الرجوع والتوبة عن جريمته والعود إلى الله عز و جل كما يقول شيخنا النابلسى فى هذا الصدد.

التوبة من علم الكلام:

تـب إلـى الـلـه مـن عـلـوم الـكـلام *** وتـطهــــر وادخل إلى الإســـلام
سـلـم الـدين الـكـلام الـذى قــــد *** أنزل الله فــــهــو خــيــر كــلام
بـقـــــرآنـنا المـبين فـــــآمن *** بالذى جـاء فـيـه باسـتـسـلام
واطلب الفــهم من الهك فــيــه *** فــعليـه البـيــان للافـــهــام
واعــــرف السنة التى ثبــتت عن *** ســـيـــد المرسلين خــيـــر الأنام
وتأمل مـــا قـــال ربك فـــيـــهـــا *** تجـــد الحق والصــــواب النامى[1]

(١) ص ٣٤٧ من نفس المرجع السابق.

فالإمام النابلسى يرى أن صاحب العقل لابد له من التوبة مما وقع فيه ويجب عليه التطهر والدخول فى الإسلام حقيقة والاعتماد على القرآن الكريم وأن يطلب الفهم والارشاد من رب العالمين وأن يطلع على السنة المحمدية التى ثبتت على لسانه ﷺ وأن يتأمل ماقاله الله عز وجل فى كتابه العزيز يجد الحق والصواب وعليه الاحتراز من آراء أهل العقول الضالة التى تحكم عن الله عز وجل دون الرجوع إلى الكتاب والسنة ولهذا نرى شيخنا النابلسى يحذر من اتباع هؤلاء فيقول:

واحترز من آراء أهل عقول *** تبعوا ما يقول أهل القصاص

أن علم الكلام محض كلام *** فى بيان الأغراض والأجسام

هو جرح للدين ما فيه أمر *** ظاهر للعيان غير الأسام

نظر العقل فوقه نظر الشر *** ع وفيه انخرام ذلك النظام

أين نور الإيمان من نور عقل *** ناظر بالخيال فى الأحكام

إن أهل الإيمان فى نور غيب *** وذوا العقل كلهم فى ظلام

تترأى العقول شيئا بعيدا *** لاح بين الإيجاد والاعدام

بدليل يستبطون هداه *** وهو وهم إلى الردى مترام

فإذا جاءهم دليل لقاه *** ورمته الفهوم فى الإبهام[1]

فشيخنا النابلسى يرى أن يتحرز الإنسان المؤمن أصحاب الآراء الضالة المضلة وأن علم الكلام المختلط بالفلسفة والمعتمد على الخيال محض كلام لهؤلاء لأنه يتحدث فى الأعراض والأجسام الحادثة ويربطها بالفلسفة وهذا جرح للدين ظاهر لأصحاب الحقيقة المعتمدين على الكتاب والسنة لأن نظر الشرع فوق نظر العقل ولأن الشرع أساس للعقل وأين نور الإيمان من نور العقل؟ وأصحاب الإيمان نورهم من نور الله بخلاف أصحاب العقول الضالة فهم فى ظلام لأنهم يعتمدون فى الاستدلال على الأشياء الحسية ويربطونها بالفكر فى الإيجاد والاعدام بدليل يستنبطونه بفكرهم فإذا جاء دليل آخر ونفى ذلك يعدلون إلى هذا الدليل بخلاف الإيمان الكشفى المأخوذ من الكتاب والسنة الذى هو نور

(١) ص ٣٤٧ من نفس المرجع السابق.

يقذفه الله فى قلب المؤمن المهتدى بإيمانه الصحيح والوارد على لسان الشارع الحكيم وأن على الإنسان الا يقلد غير الشرع وإذا كان الأمر كذلك فكيف تقلد شرع الله وهذا ما سنتحدث عنه فيما يأتى:

تقليد الشرع:

يرى الإمـام النابلسى أن الواجب على المؤمن أن يقلد الشـرع ويأخـذ منه ولا يقلد أصحاب العقول الضالة فيقول:

قلد الله مــــا بين قـــومى وقلد *** رسل الله أصـــــدق الأقــــوال

أن تكن مـــــؤمنا بربك اسلم *** لعلوم المهـــيـــمن العــــلام

لاتظن الدليل يهـــــدى إليـــه *** أو يرى مـــوقظا عـــيـــون النيـــام

هو للعـــقل سلم للمـــعـــانى *** فـــتـــرقى به إلى الاســـقـــام

كـن بـإيمـانـك المـقـلـد واقـنـع *** فـــيـــه بالله والنبى التـــهـــام

لا تفـارق تقليـد شـرعك مـحـضـا *** خـــالصـــا عن شـــوائب الإبهـــام

كـيف تدرى العـقـول مـعـرفـة الله *** وادراكـــهـــا على أقـــســـام

هـذه هـذه شــــريعــــة طـه *** خـــاتم الأنبـيـاء خـيـر خـتـام

صـلـوات مـن الالـه عـلـيـــــه *** كل وقت مـــقـــرونة بســـلام[1]

فالإمام النابلسى يرى وجوب الأخذ عن الله عز وجل وعن رسله الكرام ويجب التقليد عن الكتاب والسنة مادام الإنسان مؤمنا بربه تمام الإيمان حيث أن الدليل العقلى لا يهدى بمفرده إلى الله عز وجل تمام الهداية مع أنه لا يوقظ عيون النيام لذا يجب أن لا يقنع الإنسان بتقليده فى إيمانه الشرعى وإذا كان الأمر كذلك فالعقول لاتدرى معرفة الله معرفة حقيقية كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق لأن شريعة الله الواردة على لسان رسوله خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه واضحة يستدل عليها بالكتاب والسنة وأن صاحب هذه الشريعة الغراء محمد نبى الأنبياء وخاتم المرسلين الأولياء فيجب علينا اتباعه وإذا كان امامنا النابلسى قد انتقد علماء الكلام الذين خلطوه بالفلسفة واعتمدوا على عقولهم

(١) ص ٣٤٨ من نفس المرجع السابق.

فقط فى الوصول إلى إيمانهم الحقيقى وعقيدتهم الصحيحة فإنه إنما انتقدهم وعاب عليهم ذلك لعدم رجوعهم إلى الشرع وعلى ذلك فهو لا يحرم الاشتغال بعلم الكلام المستمد من الكتاب والسنة حيث أنه لم يصرح فى كتبه برفض علم الكلام أو الاعتراض عليه وإنما كان نقده موجها إلى الذين اعتمدوا على عقولهم فى الاستدلال دون الرجوع إلى كتاب الله وسنته.

ونحن قلنا أن شيخنا النابلسى لم يترك ميدان علم الكلام دون أن يتعرض له بل نراه وفق بين الاشاعرة والماتريدية فى عدة مسائل وقلنا أننا سوف نذكر ذلك فى نهاية الفصل وهو ما سنتحدث عنه فيما يأتى:

التوفيق بين الأشاعرة والماتريدية:

يجمل شيخنا النابلسى حاصل ما قالوه ويبدأ بأقوال صدر الشريعة ذاكرا رأيه فى ذلك فيقول شيخنا النابلسى:

يرى الإمام صدر الشريعة أن الاختيار والقصد حال من الأحوال لا موجودة ولا معدومة وتارة يقول أنه معدوم[1] ومن العلوم أن الحال منفى عند جمهور المتكلمين من أهل السنة والجماعة ولم يثبته إلا القاضى أبو بكر الباقلانى وإمام الحرمين وعلى ذلك فالحال ليس مخلوق لأنه أمر عدمى والعدمى لا يحتاج إلى الخلق لأنه يعتبر من الأمور المعقولة وهى غير مخلوقة وإنما المخلوق هو الأمور المحسوسة ومن الواضح أن هذا الكلام باطل بناء على رأيه فى نفى الاختيار وأنه ليس بمخلوق فلا يكون صاحبه مجبورا على أفعاله الاختيارية غير مجبر فيها هذا مجمل رأى صدرالشريعة فى القصد والاختيار مخلوقات لله تعالى[2] ويعلل ذلك بقوله أن استناد القصد والاختيار إلى موجودات مخلوقة لله تعالى لأن الله تعالى خلق هذا القصد والاختيار تبعا للموجود.

وشيخنا النابلسى يرى أن صدر الشريعة قد تناقض أيضا مع نفسه حيث صرح فى أول الأمر بأن القصد والاختيار أمور لا موجودة ولا معدومة وليست محسوسة وهما من الأمور

(١) ص ٣٦ من كتاب تحقيق الانتصار فى اتفاق الاشعرى والماتريدى على خلق الاختيار مخطوط بدمشق تحت رقم ٧٢٠٥.
(٢) ص ٣٧ نفس المرجع السابق.

العقلية والخلق إنما ينصب على الأمور المحسوسة ثم قال: إن القصد والاختيار تابعان للموجود وهو مخلوق فيكون كل من القصد والاختيار واقعا تحت إرادة الخلق وهذا صريح فى التناقض وقد تبع بعض المتأخرين صدر الشريعة فى كلامه الأول وعلى ذلك فالإمام النابلسى يرى أن الاشاعرة لا يلزمهم القول بالجبر لأن أفعال العبد الاختيارية وقصده وكسبه كل ذلك مخلوق بقدرة الله عز وجل بخلاف من الزم الاشاعرة القول بالجبر فى كلامهم ويعلل ذلك بقوله وهو ظاهر فى القصد، يخلق الله سبحانه وتعالى الفعل عند القصد بطريق العادة لله تعالى أن يخلق فعل العبد عند قصده لما جرت عادته فى خلق الأشياء عند الأسباب الظاهرة من غير تأثير لتلك الأسباب ولا مدخولية فيها[1] ولا يلزم أيضا تأثير القدرة المخلوقة فى القصد أن يوجب ذلك نقصا فى القدرة القديمة ولا يلزم إثبات خالق غير الله وغير ذلك من الأمور التى تثير الشبه فى القصد والكسب والصرف والاختيار وأن هذه الأشياء الاختيارية ترجع إلى القابلية فى العبد لتلك الأفعال ولا يلزم أن تكون القابلية أمر عدمى.

ثم ذكر شيخنا النابلسى أقوالا عديدة فى هذا الموضوع لا يتسع المجال لذكرها وإن كان شيخنا رضى الله عنه قرر مذهب أهل السنة ورد على المخالفين فى عقائد هذا الدين ووفق فى هذه المسألة بين الأشعرية والماتريدية وصرح بأنه لا خلاف بينهم كما يتحقق الإنسان الذى طالع كتب المتقدمين فى علم الكلام والعقائد ثم صرح شيخنا النابلسى وقال: أنى شرحت كتاب الطريقة المحمدية للعلامة البركلى الرومى رحمه الله تعالى وصرت فى شرحى له على مذهب الشيخ الأشعرى خلق الجزء الاختيارى لما رأيته موافقا لمذهب الماتريدى فى خصوص هذه المسألة ولا خلاف بينهما كمالاخلاف بين علماء أهل السنة والجماعة من المتقدمين والمتأخرين وإن كان وقع خلاف بين العلماء من التابعين بعضهم لبعض فيما قصده فى هذه المسألة[2].

وعلى ذلك فشيخنا النابلسى يرى أن الذين خالفوا الأشعرى فى هذه المسألة إنما هم القدرية من المعتزلة والجبرية والحكماء لاغير وقد ذهب الإمام الأشعرى مذهب أهل السنة قاطبة وهو حق اليقين يخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فالفرث

---

(١) ص ٣٧ نفس المرجع السابق.

(٢) ص ٤٩ من نفس المرجع السابق.

يوضحه النابلسى بأنه مذهب الجبر والأدرية مذهب القدر فالجبرية فى ظلمات مدلهمة والقدرية مجوس هذه الأمة وخير الأمور الوسط وهو مذهب جميع أهل السنة والجماعة المأخوذ من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

وإذا كان شيخنا النابلسى قد وفق بين الأشاعرة والماتريدية فى رأيهم فى القصد والاختيار والكسب نراه بعد ذلك يذكر بعض الآراء فى العلة والمعلول باعتبار أن هذا الموضوع جزء هام من علم الكلام ويعلل ذلك شيخنا النابلسى وقبل أن أذكر التعليل أورد نص العلة والمعلول الذى استدل به الإمام النابلسى لهذا الموضوع فقال: والحق ما عليه المحققون من المتكلمين الأول من أن الذات علة لوجودها فيلزم عليه أن تكون الذات علة ومعلولة فتكون الذات علة ومعلولة فتكون مركبة من علة ومعلول وهو بديهى البطلان أن أريد به أن يكون كذلك فى نفس الأمر وان أريد به بحسب النظر العقلى فقط لايكون للمتكلمين كلام فى ذات الواجب من حيث هى والله أعلم بحقيقة الحال[1].

وشيخنا يشرح ذلك معللا هذا النص فيقول: ولقد رأيت من يزعم العلم والتحقيق فى المعقولات وتكلمت معه فى مسألة واجب الوجود وأن ذاته عين وجوده فقال لى وما علة وجوده قلت له لا علة لوجوده لأن ذاته عين وجوده وكان معه آخر مثله فقال كل موجود لابد لوجوده من علة والله تعالى موجود فلابد أن يكون لوجوده علة ولم يترك الإمام النابلسى هذا الموضوع دون مناقشتهم فى ذلك فقال: فقلت لهم نعوذ بالله من قولكم هذا اثم ثم قال: الله تعالى أوجد ذاته وأنه موجود عن ذاته واستندوا فى قولهم هذا إلى تعريف بعض المتكلمين لواجب الوجود لأن الذى تقتضى ذاته وجوده ففرقوا بين المقتضى بصيغة اسم الفاعل وبين المقتضى بصيغة اسم المفعول هذا مجمل الاعتراضات فى العلة فى هذا الموضوع[2].

وشيخنا النابلسى قد انكر عليهم ذلك غاية الإنكار لم يرضيه كلامهم من الضلال والزيغ فى الدين والانحراف عن طريق الاستبصار ثم أورد النابلسى الحديث الذى اخرجه الإمام مسلم فى صحيحه باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال: رسول الله

(١) ص ١٢ من كتاب الوجود ومرآة الشهود للنابلسى.
(٢) ص ١٣ نفس المرجع السابق.

ﷺ لايزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئا فليقل أمنت بالله.

وقد نقل شيخنا النابلسى رواية أخري أن رسول الله ﷺ قال: يأتى الشيطان أحدكم فيقول: من خلق السماء ومن خلق الأرض فيقول الله ثم يقول من خلق الله ثم زاد فى الرواية فليقل : أمنت بالله(١)

وشيخنا النابلسى قد فند هذا الرأى وأبطله بعدة أحاديث كثيرة فى صحيح مسلم فقال: أنى قلت لهم بعد هذا الحوار قوموا فقاموا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وهو يرى أن الذى ألجأهم إلى هذا القول الشنيع مذهب بعض المتكلمين القائل بأن ما فيه الحق علة لوجوده ويلزم على هذا الرأى جواز التأثير فى القديم كيف يحصل هذا من بعض المتكلمين وهم قائلون بأن صفات الله تعالى واجبة بذاته تعالى فذاته تعالى أوجبت وجوبها وهذا تأثير من ذاته تعالى فيها كما هم قائلون بأن ذاته تعالى علة تامة لوجوده سبحانه والعلة لاتكون بدون تأثير فثبت جواز التأثير فى القديم عندهم ومن المعلوم أن جميع المحسوسات والمعقولات والمتخيلات مما كان ومما يكون وماهو كائن إلى الأبد ماقام وثبت بنفسه ولايقوم ويثبت بنفسه ولا هو قائم وثابت بنفسه كل ذلك محتاج ومفتقر إلى الوجود ليقوم ويثبت به كما هو مشاهد معلوم ووجوده الذى هو قائم وثابت به مشاهد معلوم والخلق والتقدير والتصوير والتكوين إنما هو واقع على جميع الحوادث المذكورة لأعلى ذلك الوجود الذى أوجد الوجود كله ولا يصح أن يكون الوجود مخلوقا لأن المخلوق ما وقع عليه الخلق والإيجاد من قبل الله عز وجل وإلا لكان الخالق والمخلوق واحد وهذا مما لا يقول به عاقل منذ عرف الإنسان مبدأ التفكير والتفلسف ولو كان الله سبحانه وتعالى هو والخلق سواء وكانت العلة تحتاج إلى معلول بناء على رأى بعض المتكلمين ولو كان الله تعالى خالقا للوجود لكان خالق لا اله آخر مثله سبحانه تقوم به الأشياء وتثبت فإن الوجود هو الذى تقوم به الأشياء وتثبت والوجود لو كان مخلوقا لكان مقدرا محدودا مختلفا مثل الحوادث والوجود من حيث هو وجود قيوم على الحوادث مثبت لها غير مختلف فى قيوميته لكل شيء فلا هو في شيء أزيد منه فى شيء آخر ولا أنقص ولا أضعف لا أقوى ولا هو مقدر بمقدار فى شيء آخر وإنما الأشياء مقدرة فى أحوالها

(١) ص ١٣ نفس المرجع السابق. أخرجه النابلسى فى كتاب ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الاحاديث أخرجه عن مسلم والبخارى ص ٨٥.

وامكانها كما قال تعالى: وخلق كل شىء فقدره تقديرا[١] وقال: تعالى: كل شىء عنده بمقدار[٢] وقال تعالى : وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلابقدرمعلوم[٣].

فالوجود إذا واحد مطلق عن جميع التقادير والتصاوير والقيود والحدود وقد تجلى وانكشف لأهل البصيرة على مقتضى علمه وارادته وقدرته التى هى مراتب ذاته وحضرات اسمائه وصفاته وليس هناك فى الإدراك العقلى غير وجود الله الغيب عن الحس والعقل فلو لم يكن الله سبحانه وتعالى الوجود المحض المتفضل بالإيجاد على سائر الأشياء لكان هو القيود والحدود ولصح انقلاب الحقائق على رأى بعض المتكلمين وشيخا النابلسى ينفى أن يكون الله عله لوجوده أو سبب من الأسباب وقد رد على هؤلاء جميعا مستدلا على ذلك من العقل والنقل ونراه عندما يتحدث عن الوجود الظاهر والباطن يقول: إذا كان الله تعالى ظاهر الوجود بطلت الأشياء كلها وفنيت فى وجوده تعالى وإذا كانت الأشياء ظاهرة بالوجود بطل الحق تعالى واحتجب بصدر الأشياء فهو سبحانه وتعالى الظاهر الباطن وهو الوجود الحق القائم بذاته فى مراتب أسمائه وصفاته المقدم لجميع مخلوقاته وليس مخلوقا من المخلوقات أصلا قائما بنفسه ولا وجود آخر غير وجود الله فإنه ليس ثمة وجود غير وجود الله تعالى أصلا[٤].

وهو يرى أن هذا الكلام لا ينافى ما قاله الإمام النسفى فى أول عقائده من قوله حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسوفسطائيين إذا فحقائق الأشياء ثابتة بالله تعالى الذى هو الوجود الحق لا أنهاثابتة بنفسها وكذلك كون العلم بها متحقق بالله تعالى الذى هو الوجود الحق بخلاف دعوى السوفسطائيين ومذهبهم باطل وقولهم فاسد. عاطل لا يتوهم مسلم من المسلمين ابدا أن يشابه ما قاله الإمام النابلسى وما ذهب إليه الأئمة من أهل الحق والعدل ولذا قال الإمام سعد الدين التفتازانى عند شرحه عقائد الإمام النسفى عند الكلام على قوله خلافا للسوفسطائيين فإن منهم من ينكر حقائق الأشياء ويزعم أنها أوهام وخيالات باطلة وهم العنادية ومنهم من ينكر ثبوتها ويزعم أنها تابعة للاعتقادات وهم العندية من ينكر العلم بثبوت شىء وإلا ثبوته وهم اللادرية إلى أن قال: والحق أنه لا

(١) الآية رقم ٢ من سورة الفرقان.
(٢) الآية رقم ٨ من سورة آل عمران.
(٣) الآية رقم ٢١ من سورة الحجر.
(٤) ص ٢١ من كتاب الوجود ومرآة الشهود للنابلسى مخطوط بدمشق تحت رقم ٦٠٦٩.

طريق إلى المناظرة معهم خصوصا اللادرية لأنهم لا يعترفون بمعلوم ليثبت به مجهول[1].

ومعنى هذا القول أنهم بفرقهم الثلاثة لا يعترفون بشيء معلوم أصلا لا قديما ولاحادثا لاريا ولا عبدا ليثبت به شيء مجهول وهذا حال هذا الفرق الثلاث المسماة بالسوفسطائية هكذا ذكر شيخنا النابلسي العلة والمعلول وفند الآراء في ذلك وقد ذكرنا له التوفيق بين الأشاعرة والماتريدية في القصد والاختيار وذكر رأيه في الوجود الواحد المطلق هل وجوده من ذاته وهل هو معدوم الوجود لكافة المخلوقات وقد أوضحنا ذلك كما عرجنا على رأى النسفي وسعد الدين في الكلام على السوفسطائية الذين لا يثبون وجودا للأشياءولا يربطونهابالعلم ويعتبر كلامهم هذا محض ضلال وافتراء لأنهم ينكرون علم الله وعلى ذلك فيلزم على قولهم انكار الخالق عز وجل وهو ما لا يقول به عاقل وشيخنا النابلسي قد وضح المراد من هذه الأشياء كلها وبين المقصود من وجود الله تعالى والفرق بينه وبين وجود الأشياء فوجود الله تعالى من ذاته وأما وجود غيره فمنه تعالى وقد بينا ذلك كله ولم يترك شيخنا النابلسي في هذا الموضوع شيئا من شأنه أن ينقص من وجود الله أو يجعل مساواة بين الخالق والمخلوق إلاووضحه تمام الإيضاح ونحن في هذا الفصل قد أوجزنا الكلام واقتصرنا على المهم فيه وإن كان هذا الموضوع يحتاج إلى الكثير والكثير.

ونرى أن المجال لا يتسع لرد قضايا علم الكلام ومشاكله ولم يرد الإمام النابلسي النهى عن علم الكلام وتعلمه بل يرى أنه مفيد لدرء الشبه العقلية الواردة على الإسلام كما رأى ذلك من قبله الإمام الغزالي رضي الله عن الجميع ونحن نقول أن كل ما يعارض ما جاءت به الشريعة الغراء فليس هو الدين الحق والملة الصحيحة وان الذي يسير على كتاب الله وسنته ويتمسك بهما ينجو من الوقوع في المزلات وأن الذي لا يعي حقيقة الدين ولا يفهمه بل يعتمد على عقله وقوته فهو ضال مضل وقانا الله زلة الاقدام وهوى الشيطان في دين الله الذي أخرجنا به من الظلمات إلى النور والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

بعد أن تحدثنا عن علم الكلام واستعرضنا الآراء المختلفة في ذلك موضحين رأينا في هذا نرى أن ننتقل للحديث عن وحدة الوجود التي هي محط الانظار على مختلف العصور والأيام وجال فيها العلماء والمفكرون ولم ينتهوا فيها إلى قول فصل ولكن نرى في كلام شيخنا النابلسي وتفسيره لهذه النظرية قولا شافيا وإليك ما قال في وحدة الوجود.

(١) ص ٢٢ نفس المرجع السابق.

الفصل الخامس

المعرفة عند النابلسى

الحديث عن المعرفة عند شيخنا النابلسى يتطلب أن نتكلم بايجاز عن الوجود وارتباطه بالمعرفة قبل بيان هذه المعرفة هل تدرك بالحس أو بالعقل أوبطريق آخر غير هذين الطريقين لذا نجد شيخنا النابلسى يقول: ان المطلب الأهم عند مريد المعرفة الالهية: هو صرف الهمة إلى تحقيق الوجود والتحقق به فى الثبوت إلى أن يتجرد عن ملابس الصور الحسية والعقلية والخيالية تجردا أصليا لاتجرد عرضيا فيكون كما هو كائن أزلا وأبدا وهذا باب المعرفة الذى يدخل منه المريد الموفق إلى بيت العرفان ومقام الاحسان فلايخرج أبد الآبدين وهو المطلب الذى يشمل المطالب كلها[1]

فشيخنا النابلسى يحدد لمريد المعرفة الالهية ضرورة التحقق بالوجود وتحققه فى الشهود حتى يتجرد من المحسوسات بمختلف أنواعها والعقليات بشتى أقسامها حتى يستطيع أن يصل الانسان بعد ذلك إلى معرفة الحق جل وعلا.

وشيخنا النابلسى يرى أن الوجود ظاهر بسائر الأشياء فلذا يقول:

ظهر الوجود بسائر الأشياء	***	متجليا جهرا بغير خفاء
والكل فيه هالك قد قال ا	***	لا وجهه الباقى عظيم بقاء
واعلم بأنك لاترى منه سوى	***	ما أنت رائيه من الاشياء
اذ أنت شىء هالك فى نوره	***	والنور يحرق حلة الظلماء
إن الوجود عن البصائر غائب	***	من حيث ماهو ظاهر للرائى
فاحذر تظن بأن ما أدركته	***	ذاك الوجود وكن من العلماء
فجميع ماأدركته الموجود لا	***	هو ذا الوجود الحق ذو الالاء
ان الوجود الحق عنك يمنح	***	فى عزه وترفع وعلاء
وجميع ما أدركته هو حادث	***	فأنا وأنت كذاك رهن فناء
ولقد أتى هو ظاهر هو باطن	***	فافطن له فى محكم الانتباه[2]

(١) من كتاب الوجود ومرآة الشهود لنابلسى مخطوط بدمشق تحت رقم عام ٦٠٦٩.

(٢) ص ٣ نفس المرجع السابق.

فشيخنا النابلسى فى هذه الابيات يبين لنا أن الوجود ظاهر فى سائر الاشياء بدون خفاء وأننا لانرى منه سوى مايحيط بنا ماهو واقع تحت بصرنا وفى مقدورنا وأن الله سبحانه وتعالى هو الوجود الحق يمنح الوجود للإنسان فى عزة وعلاء وأن كل مايدركه الانسان حادث مثله والحق سبحانه وتعالى ظاهر وباطن فى كل شىء.

فعلينا أن نفطن إلى هذا الوجود فى حكمه ونتتبع ينابيعه من الاخبار الصادقة الواردة فى محكم كتابه وعلى لسان رسول الله ﷺ هذا هو الوجود الذى يجب أن يتقدم على المعرفة فما هى المعرفة اذا هذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

المعرفة:

المعرفة هى الاحاطة بعين الشىء كما هو وهى بهذا المعنى لاتصح لمخلوق بالاحاطة لكنه الحق سبحانه وتعالى وهى ممتنعه عليهم لأن المخلوق محدود وهذا المحدود لايدرك ماهو أوسع منه حدا فكيف يدرك غير المحدود ونحن نقول أن المراد بالاحاطة فى المعرفة ليس هذا المعنى وانما هو الوصول إلى مايمكن ادراكه من الكمال المقدس الخالى عن الحدود بالتعريف الإلهى الظاهر بالخير والباطن بالفيض الربانى والتحقق بالادب اللائق بالحق سبحانه وتعالى وعلى ذلك فالمعرفة اذا هى أن تكون بالله فى جميع حالاتك.

تلك هى المعرفة فما هى طرقها ووسائلها هذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

وسيلة المعرفة:

وسيلة المعرفة هذه تقوم على اساسين: هما الوراثة والفطرة وليس كل سالك أومريد يصل إلى الله عز وجل الا اذا تحقق فيه هذان الطرفان الوراثة والفطرة التى فطر الله عليها عبده ولذا يقول الله تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[1].

(الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس)[2] حتى يكون أهلا لتحمل التبعات والوصول إلى جناب القدس الأعلى وقد وتنا فى ذلك رسول الله ﷺ فإن الوراثة كانت

(١) الآية رقم   من سورة.
(٢) الآية رقم ٧٥ من سورة الحج.

من العوامل التى حببته فى الوصول إلى الله تعالى إلى معرفة كشف هذا الكون كشف يسير فيه وإلى أين ومن هذا الذى يسيره بقدرته العليا فكان جده عبد المطلب تأتيه قوة فى المنام توجهه إلى المراد مع أنه لايعرف تلك القوة وأبوه عبد الله كان شعاره، أما الحرام فالممات دونه.

وشب الرسول على ذلك حيث حببت إليه العبادة فى غار حراء وعرف الحق ووصل إليه قبل بعثته وتوج الله له ذلك برسالة السماء بقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق أقرأ وربك الأكرم﴾[1].

هذه هى الحياة التى اتخذها الرسول فاذا اراد مريد المعرفة والسالك طريقة فى الوصول إليه تعالى ويريد التقرب منه فعليه أن يتخذ الرسول صلوات الله وسلامة عليه قدوته فى ذلك لا أن يتخذ علم الكلام أو الفلسفات أوالمعارف الأخرى أوالتجارب العلمية لأن هذه الأشياء لاتوصل إلى معرفة الحقيقة ولكن الحياة التى رسمت لنا طريق الله طريق الكشف والالهام طريق البصيرة هى حياة الرسول وبهذا يصل الانسان إلى درجة الكمال ومعرفة الله سبحانه وتعالى وتذوب فيه ادراك الطبائع البشرية العادية وعند ذلك لايمكن التعبير عن هذا الطريق بلسان المقال لأنه وصل إلى معارج القدس ومنازل السالكين ومدارجهم كما وصل إلى منازل الأرواح وهذا مايعبر عنه بالمقامات والأحوال التى يصل إليها المريد حتى ينال القرب والمشاهدة لوجه الحق ويستغرق فى ملكوت يسمو على الوصف ويجل عن النطق فاذا كان الأمر كذلك فهل وسيلة المعرفة هى الحس أو العقل.

فاذا كان الأول فما هو الحس وماهى مقدرته على المعرفة هذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

المعرفة الحسية وطرقها:

المعرفة الحسية البحتة هى ادراك صور المحسات فى كل شىء من الأشياء المحسوسة فى اليقظة وادراك اثباتها فى المنام وهذا النوع هو مايسمى بمعرفة العوام التى تحصل لكافة الناس.

---

(١) الآية رقم ١، ٢ من سورة الفلق.

وهى التى يضعها فوق كل معرفة ومدركها فينا هى الحواس وحدها، تلك حقيقة المعرفة الحسية فهل هذه توصل إلى معرفة الله عز وجل فاذا اتخذنا مثلا: برهان نظرية هندسية مثل المثلث المتساوى الساقين يكون جميع زواياه حادة فهذه نظرية محسوسة وهى معروفة عند علماء الهندسة الرياضية فهل هذه تسمى معرفة الهية وأيضا كل مايشاهد أويرى من المحسوسات جمادات كانت أونباتات أوحيوانات أوغيرها كل ذلك مجال للشك وللطعن يخطى الانسان فيه ويصيب فهل ذلك يعطينا المعرفة.

ان اغلب علماء الحقيقة لم يرتضوا هذا الطريق من طرق المعرفة ولذا نجد أن طرق المعرفة متعددة فمنها طريق الأسباب والمسببات وهى معلومة لدينا.

ثانيا: طريق المعقولات المحضة. ثالثا: طريق البديهات.

رابعاً: طريق النظر إلى ملكوت السموت والأرض.

خامساً: طريق الشعور الباطنى سادسا: طريق التنسك.

هذه طرق المعرفة المتعددة وقد تحدثنا عن طريق الحس ونرى أنه لايوصل إلى الحقيقة وأنه دائما يقع تحت تأثير الخطأ وغيره وكما أن هذا الحس يقع تحت المعرفة العقلية بكافة ادراكاته وقد عد كثير من العلماء أن المعرفة العقلية تستطيع أن توصل إلى الله عز وجل فهل ذلك حكم صحيح من هؤلاء أم أن العدل يقع أيضا تحت دائرة الخطأ والنسيان ويعتريه الذهول والتشكك.

لذا يجب أن نتحدث عن المعرفة العقلية وهل كافية فى الوصول إلى المعرفة الالهية وحقيقة الحق جل وعلا وهل شيخنا النابلسى ارتضى هذا الطريق أم أنه لم يرتضه هذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

المعرفة العقلية:

يرى الأمام النابلسى أن العقل غير كاف فى ادراك المعرفة وتحصيلها فيقول: لو كانت العقول كافية فى المعرفة الألهية شرعا ما كان الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب فان

العقول مخلوقة قاصرة عن معرفة الرب القديم سبحانه ولهذا لما كذبت الأمم الماضون أنبيائهم ورسلهم وكفرو بالكتب والصحف المنزلة مابقى لهم مايعتمدون عليه فى معرفة ربهم الا عقولهم فتبعوا عقولهم ونظروا بها فعبدوا الكواكب.

فالامام النابلسى يرى أن العقل غير موصل إلى المعرفة الحقيقة وذلك لأن العقول مخلوقة قاصرة عن ادراك كافة الحقائق وان الأمم السابقة اعتمدوا على عقولهم وتركوا الكتب المنزلة عليهم من السماء فما بقى لهم مايعتمدون عليه فى معرفة ربهم الاعقولهم فتبعوها ونظرو بها فعبدوا الكوكب والنار والعجل وعبدوا الأصنام وأن الفلاسفة عبدت علة العلل وفرعوا الأنظار العقلية وعملوا الهيئة الكونية ووضعوا للعقل ميزان يزنون به مدركاتهم الفكرية ولهذا يقول شيخنا: إن ميزان العقل الذى وضعه الفلاسفة ليزنوا به مدركاتهم الفكرية جعل كثيرمن المسلمين يتبعهم فيه فيقول: وقد صنفوا للعقل ميزانا يزنون به مدركاتهم الفكرية فتبعهم على ذلك كثير من المسلمين وتركوا النظر فى القرآن الكريم والسنة المحمدية كما قال تعالى فى شأن أمثالهم عن أهل الكتاب ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[٣].

فشيخنا النابلسى يرى أن عمدتنا وعدتنا فى المعرفة هو التماسك بالقرآن العظيم وسنة نبى الله الكريم فى معرفتنا بربنا واطلاق ما أطلقه على نفسه فى كلامه القديم وما أطلقه عليه نبيه البر الرحيم أما الله تعالى فإنه قال فى القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤] فقد أخبر الله تعالى أن نبيه محمدا ﷺ بيعته بيعة الله ويده يد الله التى مدت للبيع يد الله تعالى كما نفهم من الآية الشريفة ولولا أنه ﷺ على معرفة من ربه ماقال

(١) ص ٤ من رسالة المسلك الجلى فى حكم شطح الولى مخطوط بدمشق ضمن مجموعة برقم ٤٠٠٨.
(٢) ص ١٥٤ من كتاب دراسات إسلامية لعبد الرحمن بدوى مطبوع عام ١٩٤٦ بمطبعة نهضة مصر- رسالة الإمام النابلسى فى حكم شطح الولى المتضمن نفس الرقم.
(٣) الآية رقم ١٠١ من سورة البقرة.
(٤) الآية رقم ١٠ من سورة الفتح.

عنه تعالى ذلك القول ولهذا قال البيضاوى أن الله تعالى هو المقصود فى هذه الآية وبيعة الرسول بيعته ولولا جواز ذلك ماصح هذا الاطلاق وما أطلعه على نفسه وليست العبرة بانكار العقلاء على ذلك واحتجاجهم بالأدلة العقلية لأن شرعنا كله حق وهو كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وديننا جاء به القرآن لادين العقول لهذا قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾[1].

ان كانت نارا كما هى ظاهرة لنا فان الله أظهرها بحوله وقوته سبحانه وتعالى مقلب القلوب والأبصار وعلى ذلك فكيف نعرف الله مادام أن العقل غير موصل إلى معرفة الله معرفة كاملة وهذا ماسنذكره فيما يأتى:

"كيف يعرف الله"

يرى الإمام النابلسى أن معرفة الله تعالى يتوصل إليها عن طريق الإنسان نفسه ويستند فى ذلك على عدة أحاديث معقولة عن النجم الغزى فى كتابه منبر التوحيد روى الصوفية عن رسول الله ﷺ أنه قال: من عرف نفسه عرف ربه[2] وقد أنكر هذا الحديث بعض المحدثين فإن من حفظ حجة على من لم يحفظ وان كان يحتاط فى اثبات الأحاديث النبوية.

واننا سنورد حديثا رواه الإمام الماوردى فى كتابه أدب الدين والدنيا يؤكد الحديث السابق قال: روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: يارسول الله من أعرف الناس بربه قال: أعرفهم بنفسه[3].

وعلى ذلك فشيخنا يرى أن من عرف نفسه التى هى القوة العاقلة القائمة بالوجود الواحد من امكانها وليس الوجود صفتى عقد عرف الأشياء كلها ومن عرف الأشياء فقد

(١) الآية رقم ٩، ١٠ من سورة طه.
(٢) حديث عرف نفسه أخرجه ابن البديع الشيبانى فى تمييز الطيب من الخبيث حرف الميم.
(٣) ص ٥٥ من كتاب الوجود ومرآة الشهود للنابلسى مخطوط بدمشق تحت رقم ٦٠٦٩.

عرف ربه الذى هو الوجود الواحد القائم بنفسه المقوم للأشياء كلها من غير أن يكون صفة لشيء من الأشياء مطلقا وهو معنى تجريد التوحيد وحتى نميز القديم من الحادث لأن الوجود وحده ذاتى لله سبحانه وتعالى وصفاته وأسماؤه ولاتفيد للاعتبارات المعتبرة شرعا من غير تركيب ولاتبعيض.

فامامنا النابلسى استند فى معرفة الله كما ذكرنا على الأحاديث النبوية ويعلل ذلك بأن الإنسان اذا استطاع أن يفهم نفسه من بداية خلقها إلى نهايتها استطاع بعد ذلك أن يعرف الله عز وجل معرفة كشف والهام فالامام النابلسى يصف المعرفة بعد ذلك ماهى؟.

هذا ماسنتحدث عنه فيما يلى:

المعــرفـة:

يرى شيخنا فى تعريفه للمعرفة أنها تقوم على الكشف والالهام فيقول: المعرفة كشف والهام ولاالتباس ولا أوهام[1] وعلى ذلك فلا وصول إلى ذاته الا لمن صفت نفسه من شوائب الاكدار وتخلصت من علائق الدنيا وكل مقتد من العلماء العارفين الذين يريدون الوصول إلى معرفة الله عز وجل لابد لهم من قطع مسافاة الوجود الظلمانى فى عالم النفوس البشرية والدخول فى العالم النورانى ثم السير فيه إلى الحق تعالى الذى هو مراد كل عارف وسالك سبيل الله عز وجل سلوك كشف وذوق والهام لاسلوك التباس وأوهام حتى يدرك معنى الربوبية وينشغل قلبه وقالبه بالله عز وجل فعند ذلك يتقلب فى أطوار المعرفة ويصل إلى مراده فى نهاية أطواره.

ثم يقول النابلسى هل للمعرفة أطوار اذا كانت فما هى؟.

"أطوار المعرفة"

يرى شيخنا أن أطوار المعرفة والشهود لاتدخل تحت الموازين العقلية ولايسعها جملة الوجود ولايرد أنها من الوجود لأنها فى برزخ بين الحق والخلق وهذا البرزخ منشؤها ومنه تفصلت وهو ليس بموجود ولامعدوم[2]

(١) ص٩٤ من كتاب شرح ديباجات المثنوى بشرح النابلسى مخطوط بدمشق تحت رقم ٣٩٧ تصوف.
(٢) ص ٧ من كتاب النظر المشرقى فى قول ابن الفارض عرفت أم لم تعرف تحت رقم ٧ تصوف شرح النابلسى.

وعلى ذلك فالمعرفة لاتطلق على الحق تعالى من حيث الأسم الباطنى كما جاء به الخبر الالهى، وانما يطلق العلم عليه من حيث الظاهر فى هذه المظاهر وعلى ذلك فلاشك أن بالمعرفة الظاهرة والعلم كذلك هما دليلا المعرفة والعلم الباطن الذى منحه الله تعالى لأهل خاصته من البشر هو المعرفة الكشفية وهو نهاية الأطوار الألهية ثم بعد ذلك يتحدث الإمام النابلسى عن المعرفة الألهية التى هى ولاية الأنبياء دون مقام نبوتهم ورسالتهم فإن ذلك لايورث لأنه موهبة من الله عز وجل دون كسب لأن الولاية كسبية وعلى ذلك فالعارف لايصير عارفا كاملا حتى يحبس نفسه من بين روحه وجسده فيصير هو كلمة الحضرة الألهية[1]

وعلى هذا كل من اتقن معرفة الوجود على حسب ماهو عليه وذهب عنه كل موهوم وتحقق بمعرفة الله عز وجل وصل إلى الله تعالى ونال مطلوبه ثم بعد ذلك يبين لنا النابلسى من أين تأتينا المعرفة هذا ماستحدث عنه فيما يأتى:

المعرفة من الله:

يرى شيخنا أن المعرفة هل اخترعها المحققون الذين يريدون الوصول إلى معرفته عز وجل أو من أين هى؟ فيقول: ان المحققين من أهل الله تعالى العارفين بربهم لم يخترعوا هذا العلم الالهى الربانى وانما أنطقهم الله تعالى به لما صفت روحانياتهم من شوائب الأكدار وتخلصوا من قيود العقل والانكار فتولاهم الله تعالى بعنايته واستولى على قلوبهم بولايته[2].

ولهذا قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[3].

وعلى ذاك فشيخنا يرى أن المعرفة من الله عز وجل وليست علما مخترعا من عند أحد بل معرفة شهود وكشف ويستدل على ذلك بقول الرسول ﷺ: روى الحافظ الديلمى

(١) ص١٥ من كتاب نتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم تحت رقم ٦٩٧٩ مخطوط بدمشق للنابلسى.
(٢) ص٦٥ من كتاب الوجود ومرآة الشهود تحت رقم ٦٠٦٩ مخطوط بدمشق للنابلسى.
(٣) الآية رقم ٢٥٧ من سورة البقرة.

فى الفردوس وذكره ابنه فى مسند الفردوس وسنده عن عطاء بن ياسر عن أبى سعيد الخـدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أن لله عز وجل عبادا ليسوا بأنبياء ولاشهداء يغبطهم الأنبياء لشهود لقربهم من الله قالوا يارسول الله انعت لنا حالهم قال: قوم أمنوا بالله وصدقوا المرسلين[1].

ويشرح الامام النابلسى هذا الحديث ويبين المراد به فيقول: قوله لقربهم من الله معرفتهم بالوجود الحق معرفة شهود وعيان وأن كل ماسواه تعالى هالك فان وكذلك قوله آمنوا بالله المقصود به ايمان معرفة شهود به وصدقوا الرسل فيما ورد عنهم من أحكام الشرائع والتكاليف عاملين بها حسب الاستطاعة ممتثلين لها من غير تأويل لماورد عن الرسول ﷺ على حسب شهودهم ومعرفتهم لله تعالى ثم يورد حديثا آخر يؤكد أن المعرفة المراد بها عند النابلسى معرفة شهودية قال: ورد فى مسند الفردوس قد رواه الطبرانى باسناده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن لله عز وجل عبادا يمن بهم عن القتل الزلال والأسقام يطيل أعمارهم فى حسن العمل ويحسن أرزاقهم ويحييهم فى عافية ويقبض أرواحهم فى عافية على الفرش ويعطيهم منازل الشهداء[2].

فالإمام النابلسى يبين المراد من هذا الحديث وهو أن الله سبحانه وتعالى يحفظ عباده من جميع الفتن فلايبذلهم لها ولايعرضهم فيها فهم محفوظون من ذلك بسبب شهودهم الوجود الحق وحده عز وجل فالمعرفة اذا على هذا معرفة كشف والهام لامعرفة حس وعقل واذا كان الأمر كذلك فما معنى الكشف عند أهل المعرفة وما طريقة هذا ماسنذكره فيما يلى:

الكشف عند أهل المعرفة:

يرى شيخنا أن معنى الكشف عند أهل المعرفة هو دفع حجاب الاغيار عن وجه الحق تعالى الطالع إلى جميع الأطوار قال تعالى: فأينما تولوا فثم وجه الله[3] كـمـا يرى فى

(١) ص ٦٢ من كتاب الوجود ومرآة الشهود مخطوط بدمشق تحت رقم ٦٠٦٩ للنابلسى .
(٢) (حديث) ان لله عبادا يضن الخ.. أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير حرف الهمزة من عند الطبرانى عن ابيه ابن مسعود ورمز له بالضعف.
(٣) الآية رقم ١١٥ من سورة البقرة.

الكشف أنه يزيل حجب الأشياء لأنه لأشياء فى حقيقة الأمر إلا وجه الحق تعالى والناس فى ذلك على قسمين:

القسم الأول: (غير عالم بالله وهم الذين يتخيلون أنهم يعرفون الله ويشهدونه وهم لايشهدون إلا أنفسهم على حسب استعدادهم فى مرآة الحق تعالى[1].

فيرى شيخنا أن هذا القسم هو الذى لايدرك حقيقة نفسه لأنه يدعى العلم ويتخيل أنه قد وصل إلى أعلى مراتبه وفى الوقائع أنه فى بداية طريق العلم والمعرفة ولوكان هذا واصلا حقيقة إلى المعرفة لماتخيل العلم والمعرفة بل كان مشاهدا لله عز وجل لصفاء قلبه وبصيرته.

وأما القسم الثانى: فهو العلم بالله وهم الذين يعرفون أنهم لايعرفون إلا أنفسهم على حسب استعدادهم ظاهرا لهم فى مرآة الحق تعالى كما قال عليه الصلاة والسلام من عرف نفسه فقد عرف ربه[2].

وقال تعالى: عن قوم نوح عليه السلام ﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا﴾[3].

فشيخنا يرى أن هذا القسم هو الذى يعرف الله حق المعرفة لأنه قد أدرك نفسه وعرف قدرها وآمن بخالقها فبعد ذلك يعرف من الذى أوجد هذه النفس وهيمن عليها وأخرجها من العدم إلى الوجود فهذا القسم هو الذى نستطيع أن نطلق عليه عارفا بالله لايمانه الكامل بربه سبحانه وتعالى ثم اذا كنا قد تحدثنا عن الكشف عند أهل المعرفة وبيان أقسام الناس فيه وعرفنا أن القسم الثانى هو الذى استطاع أن يصل إلى المعرفة اذا عرف نفسه ومادام الأمركذلك فلابد من الحديث عن النفس عند النابلسى ماهى وماحقيقتها؟ هذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

"معرفة النفس":

يرى شيخنا أن النفس جوهر شفاف هبط إلى الإجسام البشرية من عالم الأزل وحكم عليه البارى بالبقاء فيها محدودا وكان أول الأمر آسفا شاعرا بغربته متضايقا من حصره

(١) من كتاب نصوص الحكم للنابلسى مطبوع بمكتبة الأزهر تحت رقم عام ٦٣٢.
(٢) نفس المرجع السابق.
(٣) الآية رقم ٢١ من سورة نوح.

فى هذه الدائرة المادية الضيقة، ولكنه لم يلبث أن شعر بشر. عظيم لأنه رأى مالم يرى لوأنه استمر فى عالمه العلوى، وهى فى الأصل بين عالم الكمال، ولكنها قد تصاب بنقص من اصحابها للجسم فتصبح مفتقرة إلى الطهر والنقاء الذين لاتعود إلى مرتبتها الأولى الابهما وهى لاتبلغ هذه المنزلة الابالشرطين الآتيين: أن تتخذ الفضائل شعارا فيها بعد أن تتثقف حتى تسير عالمة مامن شأنها أى تعلمه وهو يتحقق فى أن تحيط بالأنظمة العقلية والمعارف الذهنية، وأن تتلقى فى ذاتها كل المعقولات الرفيعة حتى ينطبع فيها شبه صغير بالمبدع الأول وتصبح قادرة على خلق صور عقلية لكل مافى هذا الكون من حقائق محسنة أومعقولة.

وشيخنا بعد أن عرف النفس يؤكد ذلك وأنها ضرورية لكل مريد المعرفة الإلهية والوصول إليه تعالى فيقول: أما معرفة النفس فلاشك أن الانسان العاقل ذات متصفة بصفات، وتصدر عنها أفعال اختيارية، وتلك الأفعال مشتملة على منفعلات ومتى عرف الانسان نفسه فقد حصلت فى علمه صورة ذاته وصورة صفاته أفعاله وصورة منفعلاته فيكون موجودا فى علمه[1].

وعلى ذلك فلو فرض أن العدم قام بالوجود فى علمه مقام المرآة لانطبع فيها جميع مافى علمه من صورة ذاته وصفاته وأفعاله ومنفعلاته ليكون هو عالما بنفسه فقط وعلى ذلك لايلزم من علمه بنفسه علمه بجميع ماانطبع فى مرآة العدم لأن ذلك ليس مغايرا لما فى علمه من صورة ذاته وأفعاله ومنفعلاته وكما هو معلوم أن الصورة المنطبعة على الذات من الصورة الطابقه فان احداهما يسار الأخرى فيصير كل ماتوجه علمه على تصور نفسه له ظهر ذلك لتوجه بعينه على صورة علمه المنطبعة فى مرآة العدم فكان ذلك محاكيا له وهذا أقرب مايقال فى معرفة النفس وهو عند أهل التحقيق لب الألباب وأن تطهير النفس لهو غاية من غاياتها السامية التى توصل إلى المعرفة الحقيقة لله عز وجل وهذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

---

(١) ص ١٥٤ الفتح الربانى والفيض الرحمانى مطبوع ببيروت.

فيقول شيخنا النابلسي:

وان دام انتج قـــــدس النفـــــوس *** وتطهـــيـــرها من ذى حـــالهـــا

وكـــــــشف عـن الملكوت الذى *** لارواحـــــة ســـر اقـــبـــالهـــا

وهم فى حـــجـــاب عن الله عن *** مـــعـــانى التــجلى وانزالهـــا[1]

فشيخنا بعد أن تحدث عن معرفة النفس وبين قيمة ذلك انتقل فى هذه الأبيات إلى الحديث عن تطهيرها وأن هذا أمر ضرورى لأن النفس اذا داومت على العمل الصالح وترك المعاصى انتج ذلك تقديس هذه النفس وتطهيرها من كل ماعلق بها وكذا يكشف لها عن الملكوت الذى تسعى إليه وهو سر اقبالها على مداومة العبادة والمحافظة على الأركان وغاية النفس فى ذلك كله الوصول إلى المعرفة الكشفية التى وصفها شيخنا بمعانى التجلى وانزالها فى البيت الثالث لأن أصحاب النفوس الخبيثة فى حجاب عن الله عز وجل وأما النفوس الطاهرة فهى فى تجلى وسير إلى الله عز وجل.

ولذا قال:

وأمـــا طـريقـــة أهى الهـــدى *** كـــمـــا هم نزول بأظلالهـــا

فـــوضع صـــحـــيح به مـــؤمنون *** على مـــقـــتـــضى حكم ارســـالهـــا

فـــأفـــعـــالهم لكلمـــاتهم *** بديـــتـــهم وضع اكـــمـــالهـــا

فـــوصف الصـــفـــا عندهم زائد *** وقـــدس النفـــوس بأفـــضـــالهـــا

وفى ملكوت السـمـــا كـــشـــفـــهم *** من الروح تفـــصـــيل اجـــمـــالهـــا

وقـــــد زادهم ربهم علمـــــهم *** به فى المجـــالى واجـــعلهـــا

وأنوار غـــيب الهـــيـــبـــة *** مـــثـــاليـــة تملك الوالهـــا[2]

(١) ص ٤٦٩ من ديوان النابلسى مطبوع تحت يدنا ومخطوط بدمشق تحت رقم ٧٢١٠.
(٢) ص ٤٧٠ من ديوان النابلسى مخطوط بدمشق تحت رقم ٧٢١٠.

فشيخنا يبين طريق النفس المطمئنة الطاهرة وأن أصحاب هذه النفس هم الذين يسيرون فى طريق المعرفة الحقيقية إلى الله عز وجل لأن نفوسهم صافيه تسعى إلى ملكوت السماء وأن الله سبحانه وتعالى حباها بالعلم والعمل وأعطاها أنوار الغيب الإلهى حتى تنال مرادها وتصل إلى مطلوبها وغايتها المنشودة وهذه النفس لها مقامات ومراتب حتى تصل إلى النفس الكاملة ولذى نرى مقامات النفس سبعة وهى:

الأول: مقام ظلمات الأغيار، وتسمى النفس فيه بالأمارة.

الثانى: مقام حدوث الأنوار، وتسمى النفس اللوامة.

الثالث: مقام درك اسرار فى الخير والشر وتسمى فيه ملهمة.

الرابع: مقام التوازن النفسى وتسمى النفس فيه مطمئنة.

الخامس: مقام تجلى المواهب الالهية، وتسمى النفس فيه مرضية.

السادس: مقام نيل الوصال، وتسمى النفس فيه راضية.

السابع: مقام تجليات الأسماء والصفات الالهية، على القلب وتسمى النفس فيه كاملة.

وتلك درجات للنفس تعد فيها النفوس سبعة بتقدير ترقيها من درجة إلى درجة بحسب أوصافها، ومنازلها والافهى واحدة بتقدير أصلها الالهى.

فالأولى النفس الأمارة بالسوء، لميلها إلى غرائز الجسد وهى لاتأمر صاحبها بخير أبدا، فإذا جاهدها صاحبها وخالفها فى شهواتها حتى أذعنت لاتباع الحق وسكنت تحت الأمر التكليفى الالهى تيقظت، ولكنها كثيرا ماتغلب صاحبها فتزعجه من هذا بحكم غرائز الجسد فى أكثر أحوالها ثم ترجع على نفسها باللوم على ماوقع منها، وعندئذ تسمى لوامة وهى الثانية فاذا أخذت فى المجاهدة والكد حتى مالت إلى عالم القدس والطهارة واستنارت بحيث ألهمت فجورها وتقواها، عندئذ سميت ملهمة وهى الثالثة وعلامتها أن يعرف صاحبها دسائسها الخفية ودسائس حديثها الشيطانى من الرياء والعجب وغير ذلك فان لزمت المجاهدة حتى زالت عنها حجب الشهوات وتبدلت بصفاتها المذمومة الصفات

المحمودة وتخلقت بأخلاق الله تعالى الجمالية من الرأفة والرحمة واللطف، والكرم والود سميت مطمئنة وهى الرابعة، وهذا المقام مبدأ الوصول إلى الله تعالى، ولكنها لاتخلو من دسائس خفية جدا للشيطان كالشرك الخفى، وحب الرياسة الا أنه لخفاء تلك الدسائس ودقتها لايدركها الاأهل السلوك القاصد إلى الله، أولئك الذين نور الله بصائرهم بنور الإيمان والاخلاص، فيجرى فى النفس الصلاح كما يجرى الماء فى العود، وتتجلى بالصفات الكريمة الكرم والحلم والتوكل والزهد والورع والشكر والصبر والتسليم والرضا بالقضاء مع انكشاف بعض الأسرار وانمحاق بعض العوائد وظهور الكرامات، وربما ظن صاحبها عند عدم اليقظة أنه الإمام الأعظم وأن مقامه هذا المقام الأفخم، لأن الحجب هنا نوارنية بعد أن كانت ظلمانية، وذلك من جملة الدسائس النفسية، فان النسيان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فى عروقه، فاذا أدركته العناية الالهية واستند إلى شيخ كامل البصر بالطريق ولازم العبودية الصحيحة والمجاهدة الذاتية الخالصة لوجه الله حتى تتمكن من نفسه الصفات المحمودة دون المذمومة فينقطع منه عرق الرياء والفخر والعزة صارت نفس مطمئنة حقا، واستوى عنده المدح والذم دخلت نفسه فى مقام الفناء ورضيت بكل مايقع فى الكون من أقدار فسميت حينئذ راضية، وهى الخامسة.

ولكن رؤية الفناء والاخلاص ربما أوقعت فى النفس شيئا من العجب ورؤية النفس فيرجع القهقرى، فيجب أن يستعيذ بالله من ذلك مع مداومة الذكر والالتجاء إلى الله تعالى وملاحظة أنه لايتم له الخلاص الابمدد من شيخه عن ربه، فاذا فنى عن رؤية النفس وفنى عن هذا الفناء وخلص من رؤية الاخلاص تجلى ربه على قلبه بالرضا الكامل فصارت نفسه مرضية وعفا الله عن كل مامضى منها وتبدلت سيئاتها حسنات.

فاذا انفتحت لقلب السالك أبواب الأذواق والتجليات الربانية وصارت نفسه غريقة مع الصحو فى بحار التوحيد وآنستها بلابل الاسرار بالتغريد حدث الشهود فصارت نفسه كاملة لأنها بعناية الله مرعية وبفضله مقربة وتلك هى الدرجة السابعة.

غير أن صاحب الهمة العلية لايرضى بالوقوف عند هذه المقامات وان كانت سنية، بل يسير من الفناء إلى البقاء ويطلب وصل الوصل بتمام اللقاء فتناديه حقائق الأكوان انما نحن فتنة فلا تكفر وان إلى ربك المنتهى.

فاذا سارت إلى منازل الأبطال وخلف حب الدنيا بقلبه وراء ظهره ناداه ربه بأحسن المقال: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾[1]، وحينئذ يدخلها ربها فى عداد أهل الاحسان ويخلع عليها حلل الرضوان، ويدخلها جنان الشهود ويجلسها فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وفى هذا المقام تكون قد أتمت طور المجاهدة والمكايدة لأن صفات الكمال صارت لها طبعا وسجية ولذا سميت النفس فى هذا المقام بالكاملة.

واذا كنا قد تكلمنا على المعرفة عند شيخنا النابلسى وبيناها ووضحنا المراد منها وذكرنا فضائلها أهى الحس أم العقل أم شيء آخر هو مايسمى بالنور القلبى أوالاشراق كل ذلك قد تعرضنا له وقلنا ان الحس غير كاف فى المعرفة وكذا العقل لايستطيع ادراك الله عز وجل فهل شيخنا النابلسى ترك الأمر إلى هذا الحد لاانا نراه بعد ذلك يذكر السبب فى أن العقل التام لايستطيع أن يدرك الرب سبحانه وتعالى وهذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

العقل لايدرك الله:

شيخنا النابلسى يرى أن السبب فى أن العقل التام لايمكنه ادراك المولى عز وجل فيتساءل قائلا: مالسبب فى أن العقل التام لايمكنه أن يدرك الرب سبحانه وتعالى مع أنه قدر أن يدرك كل شيء. ولذا يقول شيخنا النابلسى مانصه:

قلنا: الله تعالى فى غاية الطافة والعقل بالنسبة إليه فى نهاية الكثافة واللطيف يدرك الكثيف والكثيف لايدرك اللطيف ولهذا ترى الجسم لايمكنه أن يدرك العقل لشدة لطافة العقل بالنسبة إليه.

وأما العقل فيدرك الجسم، وقد قسم الله تعالى هذا العالم إلى لطيف وكثيف وحجب الأول عن الثانى ولم يحجب الثانى عن الأول حتى يكون عبرة تامة فى معرفة الرب سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[2].

(١) الآية رقم ٢٩، ٣٠ من سورة الفجر.
(٢) الآية رقم ١٠٣ من سورة الأنعام.

وهذا لف ونشر على الترتيب، لعدم ادراك الأبصار له لكونه لطيفا وادراكه للأبصار لكونه خبيرا.[1]

هذا رأى شيخنا النابلسى أن العقل لايمكنه الوصول إلى معرفة الحق وذلك لأن جميع العقول قاصرة عن معرفة الحق تعالى وإنما خلق العقل لأجل تدبير أمور المعاش والمعاد ولأجل الإيمان والعلم الإلهى والشرعى ولذا نجد أن الشيخ الولى العارف بالله الشيخ أرسلان الدمشقى يقول فى علم التوحيد الناس تائهون عن الحق بالعقل وعن الآخرة بالهوى[2].

وعلى ذلك فما معنى كون العقول قاصرة عن معرفته تعالى لأنه ليس له صورة حتى يمكن العقل أن يتصور تلك الصورة فيكون قد تصور الله فى الصورة الثابتة فى الذهن أجل أمر والواجب على المكلف بمقتضى التنزيه أن ينفى تلك الصورة عنه تعالى ليبقى الحكم المذكور عليه تعالى وحكم يبقى من غير محكوم عليه محال فلابد من ثبوت صورة الذهن.

فالنفى تنزيه وهو تعطيل والاثبات تشبيه وهو تمثيل ومجموع الشيئين هو الايمان بالله تعالى لاواحد منهما بل الإيمان إيقان وإذعان وطمأنينة وسكينة يخرج ذلك للعبد المؤمن الصادق فى إيمانه من بين فرث التنزيه ودم التشبيه لبنا خالصا سائغا للشاربين هكذا كان العقل قاصراً عن إدراك خالقه.

إذا كان الأمر هكذا فربما يقول قائل إذا كان العقل قاصرا والله هو الغيب المطلق عن سائر العقول فكيف أمكن العقل أن يؤمن به هذا ماسنتحدث عنه عند شيخنا النابلسى فيما يأتى:

---

(١) ص ١٠٩ كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى مطبوع بيروت.

(٢) ص ١١٢، ١١٣ من رسالة التوحيد للشيخ ارسن المسماه خمرة الحان ورنة الالحان مطبوع بمطبعة العلم بدمشق سنة ١٩٦٩م بشرح النابلسى.

كيف آمن العقل بالله:

يرى شيخنا النابلسى أن العقل يستدل بوجود الأشياء عليه تعالى فيقول العقل يستدل بوجود كل شيء من هذه المخلوقات على وجوده تعالى المنزه على التجسيم والتشبيه والزيادة والنقصان وذلك أن وجود كل شيء محسوس أو معقول لابد أن يكون صادراً عن وجود آخر لايشبه هذا الوجود الحادث وإلا لكان حادثا مثله والحادث ليس فى قوته إحداث نفسه ولا مثله.

فمن رأى شيئا من هذا الوجود الحادث سواء كان محسوسا معقولا علم بالضرورة العقلية أن هناك وجوداً آخر قديما صدر عنه هذا الوجود الحادث الإرادة والإختيار لا بالإكراة والإضطرار، وإلا لزم أن يدخل تحت اكراه غيره فيكون حادثا وهو قديم[1]. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا[2].

وذلك الوجود القديم هو الله تعالى فالايمان بالله تعالى حنيئذ على حسب ماهوعليه من التنزيه التام لايتصور أن يغيب عن العقل إلا فى أوقات غفلته التى يفرض فيها لأن وجود كل شيء دليل على وجود الله تعالى.

فشيخنا النابلسى استطاع فى هذا النص المذكور أن يثبت كيف أن العقل استطاع أن يؤمن بالله عز وجل بدليل وجود هذه المخلوقات متخذا فى استدلاله هذا دليل الصنعة الذى اتخذه المتكلمون دليلا على وجود الله فشيخنا النابلسى كان فى استدلاله هذا موفقا غاية التوفيق ومنطقيا فى رده على هذا القائل.

واذا كان شيخنا النابلسى قد أنهى الكلام على المعرفة وبيانها فماذا هو قائلا بعد ذلك إنه يتحدث عن المريد من هو واتصاله بشيخه وكيفية السير فى الطريق مريدا الوصول إليه تعالى.

---

(١) ص ١٠٨ من كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى.
(٢) من الآية رقم ٤٢ من سورة الإسراء.

وسوف نضع فى اعتبارنا فى بداية كلامنا على المريد واتصاله بشيخه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(١). وسوف نذكر رأى شيخنا النابلسى فى المريد فنقول:

المـريـد:

يرى شيخنا النابلسى أن المريد هو الساعى إلى مولاه كما يعرفه الشيخ أرسلان الدمشقى: عند الحديث على الفرق بين المريد والمراد قائلا: مادمت أنت مريد فاذا أفناك عنك فأنت مراد: ويشرح شيخنا النابلسى هذا المعنى فيقول من أهتدى إلى الحق لم يهتدى إلى نفسه ومن اهتدى إلى نفسه لم يهتدى إلى الله ومعنى ذلك أن من رأى الحق غاب عن نفسه ومن رأى نفسه حجب عن الله(٢) وعلى ذلك فالمريد هو الذى يسعى إلى الوصول إلى الله تعالى على يد مرشد ومعلم حتى يصل إلى غايته وشيخنا النابلسى يرى ضرورة اتصال المريد بشيخ وهو حديثنا فيما يأتى:

اتصال المريد بشيخه:

يرى شيخنا النابلسى أن لكل مريد شيخا يتصل به ويتلقى عنه العلم ويسلك الطريق على يديه بغية الوصول إلى الله تعالى وهذا الشيخ يتصرف فى باطن المريد وظاهره ويدفع عنه المرض والبلاء فهو يرى أن الدخول لكل مريد فى حمل العلم وتلقيه مصادفة محن وبلايا والناس فى ذلك على طريقين أما الطريقة الأولى فهو طريق الشيخ الكامل الذى يريد حمل الحملة عن الغير فالشيخ يتضرع إلى الله بالدعاء طالما رفع البلاء عن المريد لينجلى قلبه ويصلح حاله(٣) ولتنفتح بصيرته وينهل من علوم شيخه.

وأما الطريق الثانى: فهو أن الشيخ يتولى تأديبه وتهذيبه وعلى ذلك فالشيخ عند الصوفية هو من له رتبة المشيخة وأذن له بالتوجيه والارشاد وعلى المريد متابعة شيخه

---

(١) الآية رقم ١٧، ١٨ من سورة الزمر.
(٢) ص ١٠٢ جـ١ التصوف الإسلامى فى الأدب والاخلاق طبع بمصر مكتبة الأزهر رقم ١٤٦٦.
(٣) ص ١٤٨ من كتاب آداب المريد مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٩١٢١.

ليساعده على اكتساب العلم النافع وكان رسولنا خير المعلمين وامام البادين والمرشدين ثم أن المريد فى اتباعه لشيخه يجب أن لايرتكب مايخالف الكتاب والسنة واذا رأى فى شيخه مايخالف ذلك نهاه عنه ولايصح التتلمذ عليه بعد ذلك هذا هو المريد فما وقته وكيف يسلك طريقه إلى الله هذا ما سنتحدث عنه فيما يأتى:

المريد ووقته:

يرى شيخنا النابلسى أن المقصود بالمريد هو أن يكون دائما مراعيا محافظا ضابطا لوقته الذى هو فيه فلا ينظر إلى ماقبله ولاإلى مابعده كما قال الشاعر:

مامضى فات والمؤمل غيب *** ولك الساعة التى أنت فيها

فإن من نظر إلى الماضى والمستقبل اشتغل بما هو فيه من الزمان الحال فلا يقدر على ذلك من يستكمل النظر فى زمانه الحال فتفوت منه آداب وقته فلا يجد ثمرة الوقت ويضع عليه فيصير الوقت مقتا ولأن الصوفى ابن وقته لمراعاته حقوق الوقت الذى ولد فيه مثل مراعاة حقوق الناس وهو فى كل وقت يولد من العدم إلى الوجود بأمر الله الذى هو كلمح البصر فليس شيئا عند العارف أعز من الوقت لأنه فيه يرقى من حضيض نقصه إلى أوج كماله ومن شهود نفسه إلى شهود ربه فإن الوقت سينقطع لاستعداد الكمال وقابليته ظهور ألوان فإنه إذا فات الوقت لايتدارك مافرط منه وقد قطع على المريد استعداده وقابليته للكمال وحفظه للوقت ولذلك سوف نتحدث عن كيفية حفظ وقت المريد.

كيفية حفظ وقت المريد:

يرى الإمام النابلسى أن المريد يمكن أن يحفظ الوقت من الفوات والضياع فيقول: «ويمكن للمريد حفظ الأوقات من الفوت مع الغفلة بالذكر حتى لايمر عليه وقت إلا وهو حاضر فيه مع ربه عز وجل[1] كما قال تعالى: ﴿الذين هم على صلاتهم دآئمون﴾[2]».

فشيخنا النابلسى يوضح ذلك المعنى عند المريد فيقول أن المراد بالصلاة الواردة فى الآية هى الصلاة الروحانية بقيام السر قارئاً للقرآن بلا حرف جسمانى ولاصوت نفسانى

(١) ص ١٤٠ من كتاب آدب المريد مخطوط بدمشق تحت رقم ٩١٢١.
(٢) آية رقم ٢٣ من سورة المعراج.

راتعاً بفناء النفس ساجدا بفناء القلب وساجدا ثانيا بفناء الفناء ومسبحا بلسان التنزيه الوجودى فى المقام الشهودى جالسا فى حضرة العلم القديم على بساط الأزل تاليا شهد الصفات الإلهية على الذات الغيبية مسلما على جانبيه.

وفى هذا مراقبة لله عز وجل فى صلاته المكتوبة والنافلة وتلاوة القرآن بعد فهم الاشارات الالهية المترتبة على الخشوع فى الركوع والسجود والسلام الاول والثانى وأن الانسان يكون فى صلاته مع الله عز وجل بكليته ولايشغله شاغل دنيوى حتى اذا وصل إلى نهاية الصلاة وسلم عن يمينه ويساره والسلام الثانى الذى هو التحقق الكامل بالحضرة الالهية ولهذا كان النبى ﷺ اذا فرغ من صلاته يقول قبل قيامه إلى السنة بعد السلام الثانى اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام إلى آخره قاصدا به سلامة القوم المقتدين به السائرين على طريقه ﷺ مريدين الوصول إليه فى بداية أمرهم وعلى ذلك فما أول الطريق عند المريد هل هو الفهم أوغيره.

الفهم أول الطريق:

يرى شيخنا أن الفهم أول مراتب السلوك بالنسبة للمريد حتى يصل إلى مرتبة الذوق ولهذا يقول: فإن الفهم أول مراتب سلوكه حتى يصل إلى رتبة الذوق والتحقيق بأمر مالكه فى ما به مملوكه روى أبو نعيم فى الحلية باسناده عن نور بن زيد أن النبى ﷺ قال: «تعلموا اليقين كما تتعلموا القرآن حتى تعرفون فانى أتعلمه» وروى بإسناده أيضا عن نور أنه قال: «قرأت فى الانجيل أن عيسى عليه السلام قال: يامعشر الحواريين كلموا الله كثيرا وكلموا الناس قليلا قالوا كيف نكلم الله قال: أخلو بمناجاته أخلو بدعائه[1]».

فشيخنا يرى أن الفهم أول الطريق للمريد السالك طريق الله عز وجل فإن من فهم نفسه استطاع أن يدرك ماحوله من العلوم الانسانية والمعارف الالهية وبهذا يمكنه السير فى الطريق المستقيم الموصل إلى رب العالمين واذا كان أول الطريق الفهم فما كيفية الوصول إليه اذا فاصله أهى بالتوفيق أم بوسيلة أخرى هذا ماستتحدث عنه فيما يأتى:

(١) ص ٨ من رسالة بقية الله خير بعد الفناء فى السير للإمام النابلسى مخطوط بدمشق تحت رقم ٦٠٦٩.

كيفية الوصول:

يرى شيخنا أن كيفية الوصول إلى الله تعالى أهم أسبابها التوفيق الذى ذكره علماء العقائد وغيرهم فيقول: ان التوفيق الذى ذكره علماء العقائد أمره عظيم وشأنه جسيم وهو لايحصل للمكلف بالتحصيل وليس له سبب إلا التضرع إلى الله تعالى بكل كثير من الهمة وقليل ومن أسبابه حسن النية وخلوص الطريقة وسلامة الصدر من الكبائر والصغائر لانهاء الزمان وترك المجادلة رأسا مع الاخوان وأن يبيت الإنسان ويصبح وما فى قلبه سؤالا لانسان كما نقل عن الشيخ عبد القادر الكيلانى رضي الله عنه قال: ماوصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولاصيام نهار ولادراسة علم ولكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر[1].

فشيخنا النابلسى يرى أن التوفيق الذى يصل به المريد له أسباب ثلاثة الكرم والتواضع وسلامة الصدر وهذا السبب الأخير يعتبر أساس التوفيق الذى هو عطية الله تعالى فإذا وجدت سلامة الصدر أوجبت طهارة القلب من أنجاس الأخلاق الرديئة فكانت داعية للجذب إلى الحضرة الإلهية فاذا وجد معها السلوك بالمتابعة على الأحكام الشرعية والتأدب بالآداب النبوية المحمدية والصبر على المصائب والمحن النبوية وصل العبد إلى شهود الحضرة الربانية فإن الوصول بغير جذب وسلوك لايكون وصولا إلى الله تعالى بل لابد من السلوك والجذب فما هو السلوك والجذب.

السلوك والجذب:

يرى الإمام النابلسى :أن السلوك تعرض المكلف بنفسه إلى حضرة ربه مثل عرض المتاع على البيع ولجذب تناول الحق سبحانه نفس عبده لأنه نظير أخذ المشترى الذى اشتراه وقبوله ورضاه به ومالم يعرض البائع المتاع للبيع لايقبله المشترى[2]،

كما قال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾[3] وقال تعالى أيضاً: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به﴾[4].

(١) ص ٢ من كتاب رفع الريب عن حضرة الغيب للنابلسى مخطوط بدمشق تحت رقم ٥٧ تصوف.
(٢) ص ٤ نفس المرجع السابق.
(٣) من الآية رقم ١٠١ من سورة التوبة.
(٤) من الآية رقم ١١١ من سورة التوبة.

والنفوس لولا أنها داخلة تحت رق الأغيار مملوكة بزخارف الكون ماصح بيعها ولاعرضت على البيع ولااشتراها الحق تعالى.

فشيخنا النابلسى يرى أن السلوك تعرض المكلف بنفسه إلى حضرة ربه والجذب أن يتناول الحق سبحانه ويصبح المريد أمره كله بيد الله فالطريق اذا تحتاج إلى سلامة الصدر وإلى سلوك وإلى جذب وهل الجذب وحده كاف فى الوصول إلى السلوك وحده كاف فى الوصول إليه تعالى وأن الله سبحانه وتعالى اذا قبل العبد أعتقه فلا يبقى شىء مسترقا فى الدنيا والآخرة وهى النفس المطمئنة التى قال الله تعالى عنها ﴿ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضة مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾[1].

ونحن ذكرنا الجذب والسلوك لكن هل كل واحد منهما كاف على انفراد فى الوصول إليه.

يرى الشيخ النابلسى أن الجذب وحده من غير سلوك الطريق المستقيم غير كاف ولانتيجة له فيقول: «ان الجذب وحده من غير سلوك الطريق المستقيم بامتثال أوامر الحق تعالى واجتناب نواهيه لانتيجة له أصلا غير الدخول فى حيز البله والمجانين وكذلك السلوك بأمتثال الأوامر واجتناب النواهى من غير جذب إلهى لانتيجة له غير الدخول فى حيز العلماء والعباد من أهل الظاهر القانتين بما يظهر عليهم من العلم والعبادة فيراهم الناس فيحمدونهم على ذلك ويرفعون أقدارهم عندهم ويكونون فى باطن الأمر على رياء وعجب وكبر وحقد وحسد وغرور وغفلة وغير ذلك من أمراض القلوب[2]».

فشيخنا النابلسى يرى أن السلوك وحده غير موصل إلى الله والجذب كذلك وأن السلوك أولا ثم الجذب ثانيا أو الجذب أولا ثم السلوك ثانيا فهذان الرجلان هما أهل الله تعالى وخاصته وعنده أن السالك المجذوب عالم عامل بعلمه ورثه الله تعالى علم مالم يعلم وكان فضل الله عظيما والمجذوب السالك عامل عالم أخلص لله تعالى أربعين صباحا فتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه كما قال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾[3].

(١) الآيات رقم ٢٧ إلى ٣٠ من سورة الفجر.

(٢) ص ٦ من كتاب رفع الريب عن حضرة الغيب مخطوط بدمشق تحت رقم ٥٧ تصوف للإمام النابلسى.

(٣) الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة.

واعلم بأن الشريعة المحمدية تأمل جميع الأحكام المعروفة على الوجه المشروع دون المبدّعة إلى تحصيل الجذب إلالهى وأما العمل على طريقة البدعة فهى مُبَدَّعَة عن الجذب صادرة عنه ولهذا قبحت البدعة وزاد قبحها على فعل المعصية وأما اذا داوم على الأفعال كالعبادات والمباحات فإنه يصل إلى مرتبة الكاملين من الرجال لايشغلون بشهود الحق عن شهود الخلق ولاشهود الخلق عن شهود الحق تعالى فهم ورثة الأنبياء فى العلوم والأحوال والقائمون بما هو المطلوب منهم على كل حال فإذا وصل العبد إلى هذه المرحلة فإنه يبدأ فى مرحلة الفناء فى الله تعالى لشهوده وجه الحق جل وعلا وذلك إنما يتم بالمجاهده فى نفوسهم على الوصول إليه بغاية المجهود وتفردوا دون غيرهم بالوصول إلى طمأنينة الوجدان وتحقق القلب بوجود الحق تعالى والسرور به لأن العدم لايكون وصفا للوجود كما أن الوجود لايكون وصفا للعدم لهذا نرى أن الإمام النابلسى يوضح أول مقام الفناء والمراد به فيقول: «العدم لايكون وصفا للوجود كما أن الوجود لايكون وصفا للعدم وهذا هو المراد بالفناء فى طريق السالكين وبالشهود والعيان فإنه حيث ظهر الوجود للوجود ثبت العيان والشهود ولكن بعد اضمحلال الرسوم والحدود[1] قال تعالى: ﴿كل شىء هالك إلا وجهه﴾[2]».

والمراد بذلك ذاته التى هى الوجود الواحد ومعلوم أن الأشياء إذا كانت قائمة به بنفسها فهى هالكة فى نفسها باعتباره فى نفسه فالفناء إذاً على رأى الإمام النابلسى هو شهود حضرة الرب جل وعلا وترك الجسميه وهو موهبة من الله وعطيته للمريد من رب العالمين بعد إزالة الحجب العلمانية والوصول إلى مرتبة الفناء التى من وسائلها المداومة على فعل الطاعات واجتناب المنهيات وهى أيضاً موهبة من الله للمريد خالصة لاتحصل بتعمد ولابتكسب.

فكم من سالك فاتته هذه الموهبه ومعرض ادركته هذه ثم من وسائل الفناء أيضاً الإختصاص إلالهى وتحصيله لمن أراد الله قال تعالى: ﴿يختص برحمته من يشاء والله

---

(١) ص ٥٧ من كتاب الوجود ومرآة الشهود تحت رقم ٦٠٦٩ تصوف مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

(٢) الآية رقم ٨ من سورة القصص.

ذو الفـــضل العظيم﴾[1] ﴿ومن يهـدى الله فهـو المهـتـدى ومن يضلل فلن تجـد له وليـا مرشدا﴾[2] وذلك لأن الولى المرشد بيد الله والله فعال لما يريد وكذا الطريقة الإلهية جارية فى خلقه غير منقطعة عن أوليائه وهذا مايسمى بمرحلة وصول مقام الفناء والتى هى عطاء من الله للسالك فى ابتداء سلوكه فانها قد تكون عارية فتسلب عنه العطاء وحقيقة الموهبـة الالهـيـة لاتكون عـارية عند المريد بل هى عطاء من الله تعـالى بدليل كـمـال التحقيق فى ذلك المقام وما دامت الموهبة عطية لاعارية كان الرجوع للحق تعالى فيها وصاحب مقام الفناء لايرد إلى أوصافه البشرية التى كان فيها من قبل ومعنى ذلك أن الله تعالى لايرده ردا لارجوع بعده لأنه صار من الكاملين العارفين بالله عز وجل وتحقق بمقام الفناء فى الله تعالى ولهـذا نرى شيـخنا النابلسى بعد أن تحـدث عن الفناء وبين وسيلته نراه بعد ذلك يوضح أقسام الفناء ولهذا سأل المريدون شيخهم بهاء الدين نقشبند قدس الله سره من الفناء على كم قسم فقال «الفناء على وجهين فقط» وان كان الآكابر من المشايخ قالوا أنه أكثر من ذلك وامامنا النابلسى يرى أن مرجع كافة الأقسام المتعددة التى يرجع اليها الفناء هى على وجهين كما قال الشيخ بهاء الدين.

الوجة الاول:

يقول شيخنا «أما الوجه الاول من الفناء فهو الاضمحلال والذهاب بالكلية عن الوجود الظلمانى لذات المريد الذى لايتبين فيه ظهور الحق تعالى بنظره إلى ما أدرك من ذاته من حيث أنها ذاته مع الغفله عن كونه كله فعلا من أفعال الحق تعالى فاذا ذهب المريد عن هذا الوجود بشهود الحق تعالى على صورة واحدة فى ادراك البصر والبصيرة بحيث كلمـا أدرك ذاته بصـرها مـتكيـفـة بكيـفـيـة واحـدة لاتنفك عنها على مـرور الأوقـات والأزمان[3]».

فشيـخنا النابلسى يرى أن الوجـه الاول من الفناء هو أن يذهب الإنسان عن الوجـود الظلمانى إلى التحـقق بنور الله عز وجل وفى حقـيـقة الأمـر ظهـور إلهى أنتج حـقـيـقـة

(1) الآية رقم ٧٤ من سورة آل عمران.
(٢) الآية رقم ١٧ من سورة الكهف.
(٣) ص ١٤٥ من كتاب آداب المريد مخطوط بدمشق للنابلسى تحت رقم ٩١٢١.

روحانية رائحة من العدم إلى الوجود متكررة كلمح البصر متشكلة في صور وكيفيات مختلفة والادراك كيفية من كيفياتها يتبدل إلى كيفية في وقت العدم غير الكيفية في وقت الجهل وهكذا جميع الوجود فالتحقق بذلك هو الفناء عن الوجود الظلماني الطبيعي.

الوجه الثاني:

يقول شيخنا «أما الوجه الثاني للفناء فهو ذهاب واضمحلال بالكلية وهو أعلى من الأول لأنه لايكون إلا بعده فهو أرقى منه وهو فناء الفناء فجميع مايظهر لك من تجلى الحق في الفناء الأول تفنيه في هذا الوجه الثاني حتى يفنى فناؤه الأول فتشهد مافنيت عنه عين مافنيت فيه وهذا هو البقاء بعد الفناء وانما سمى الفناء الثاني لأن فيه فناء الفناء الأول وإن كان فناء الفناء بقاء كما أن نفى النفى إثبات عن الوجود الذي شهدته بعد ذهاب وجودك الظلماني الطبيعي وبعده وجود الحق تعالى الظاهر لك من حيث أنت مشاهد له[1]».

فشيخنا النابلسي يرى أن الفناء الثاني يدخل فيه الأول والمراد به البقاء لأنك ترى الحق تعالى ظاهرا في جميع الوجود لايخلوا عن ظهوره شيء مطلقا ومنه تفهم قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة في مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري﴾[2].

وكذا بقية مشكلات الأمور بلا تأويل لشيء من ذلك لكن ذلك كله شهود من حيث أنت لامن حيث هو الحق عز وجل فلابد من فنائه فيه حتى يظهر لك الحق سبحانه ظهورا حقيقيا من غير تعمد منك بل اذا صفت نفسك وسمت روحك من حيث الوجود الروحاني الذي هو من أمر الله تعالى بلا واسطة وهو مخلوق فلابد من الفناء عنه لشهود الله بالله لابالروح فان الروح لاتشهد من الله تعالى إلا على مقدار استعدادها فالمشهود له حينئذ الله جل وعلا.

فشيخنا النابلسي وضح لنا الوجهين المرادين من الفناء لكل من يريد أن يسلك الطريق الصحيح فعليه بالتزام الشريعة والسير على طريق الحق جل وعلا حتى ينال المعرفة

---

(١) ص ١٤٧ من كتاب آداب المريد مخطوط بمكتبه دمشق للنابلسي عام ٩١٢١.
(٢) من الآية رقم ٣٥ من سورة النور.

الحقيقية من الله تعالى ويصل إلى مراده وغايته فان بداية المريد ومقصده وطريقه إنما هو صفاء ومداومة العمل للوصول إلى مشاهدته تعالى ولذلك نرى شيخنا النابلسى قد أكد هذه المعانى فقال:

ونحن أهل الصفا لانقبل الكدرا *** أقبل علينا صفيا واسمع الخبر

وكن بأوصافنا فى القرب متصفا *** تنل مرادك منا كيف منك جرا

واستعمل الصبر فيما كنت تطلبه *** فانما يبلغ الآمال من صبرا

وأقصد الهك لاتقصد سواه تفز *** ويذهب الله عنك السوء والضررا

غيب عن العقل حق والسوى عدم *** فحقق الأمر واترك كل ماخطرا

واقنع به حيثما وليت معترفاً *** بفضله فاز من للفضل قد شكرا

لا أنت تدرى ولايدرى سواك وإن *** حل المقام كان السر قد سترا

ثم استلام دائما ترجوا مواهبه *** وتخشى منه تقضى عنده الوطرا[1]

فشيخنا النابلسى فى هذه الأبيات السابقة بين طريق المريد وكيفية سلوكه وأنه يجب عليه الاعتماد على الله ولابد من الصبر حتى ينال مراده وأن يقصد ويعتمد على الله عز وجل يفز بالمراد وأن من اعتمد على غير الله فهو هالك غير واصل وإن العقل قاصر عن إدراك الحقيقة ولابد من التحقق بالذوق للوصول إلى الكشف الإلهى وأن يعترف الانسان بفضل الله عز وجل وأن يسجد له شكرا وأن يستقيم على طريقته وأن يرجو مواهبه وأن يخشى الله عز وجل فعند ذلك يصل الإنسان إلى مراده ويشاهد محبوبه وينال مطلوبه ومقصوده وهو الله عز وجل وذلك اذا أخلص فى أعماله لأنه على قدر المعصية يكون الحجاب وعلى حسب الطاعة يكون الشهود وأصلح الباطن لينصلح منك الظاهر لأنه يأتى يوم لاينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ولأن القلب بيت الخير والشر وهو يدرك اللذائذ والآلام لأن الإنسان ساعٍ فى مقاصده وإن كان غافلا عليه أن يصلح نفسه قبل أن تفسد عليه حاله فى طريقه إلى الله تعالى أثناء سيره إلى درجة الكمال والفناء هذا

(١) ص ١٧٤، ١٧٥ من ديوان النابلسى مطبوع عام ١٣٠٦هـ بمصر.

نهاية المطاف وآخر مرحلة من مراحل الطريق والهدف الأسمى للعمل الرياضى الشاق وهجر الأطعمه والملذات، وهو أضمحلال الذات بالذات وأن السالك اذا انتهى سلوكه إلى الله تعالى فى الله ويستغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن ماسواه ولايرى فى الوجود إلا الله ومن أجل هذا لم يسلم مقام الفناء عند الصوفية من التعرض للنقد وارجاع هذه الفكرة إلى الديانة البوذيه وقد ذكر ذلك محمد فهر شفقة فى كتابه التصوف بين الحق والخلق فقال: وقد أكثر المتصوفة من ذكر الفناء فى كتبهم وأشعارهم ويقول الغزالى فى الفناء: «هو فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله تعالى على ذلك[1]».

وبما أن المشاهدة هذه مستحيلة فى الشرع فمن باب أولى أن يكون الفناء وهم من الأوهام وهو عقيدة وجدت أصولها فى الديانة البوذية كما وجدت فى الأفلاطونية الحديثة فالفناء لدى البوذيين هو غاية الغايات ومنتهى الأمال وسمى عندهم «النيرفانا» أو الفناء المطلق والسعادة الدائمة الأبدية وقد وضع بوذا أربع حقائق للوصول إلى النيرفانا ولها نظائر عند الصوفية وهى:

١ – المكابدة والألم

٢ – سبب المكابدة والألم وهو الرغبة المحلة فى اللذة

٣ – وقف المكابدة والألم ويقع عن طريق منع الرغبة فى اللذة منعا باتا

٤ – الطريق لمنع المكابدة والألم وهوعلى ثمان مراحل هى كما يلى:

١ – الفعل الصحيح.

٢ – وسائل العيش الصحيحة.

٣ – المعنى الصحيح.

٤ – الذكرى الصحيحة.

٥ – الاعتقاد الصحيح.

٦ – القصد الصحيح.

٧ – القول الصحيح.

٨ – التأمل الصحيح.

(١) الاملاء على هامش الاحياء جـ١ ص ٦٦.

ويطلق بوذا على طريقته هذه الطريقه الوسطى[1] وفى الافلاطونية الحديثة أساس لنظرية الفناء المطلق، فهى تؤمن بأن الإنجذاب الروحانى هو الطريقه الوحيده التى توصلنا إلى المعرفة وهذا الإنجذاب لايتم إلا عندما نكون فى حاله سكر روحانى فتمتزج الروح الفردية بالخير المطلق (الله) وتدرك أسرار جميع الكائنات وهذه مرحلة لاتصل إليها إلا الأرواح الموهوبة كالأنبياء والحكماء بعد محاولات عديدة.[2]

مما سبق ندرك صلة نظرية الفناء بالديانه البوذية وهى تمهيد لنظرية الحلول والاتحاد التى يحاربها الإسلام حربا لاهوادة فيها[3] هذا ماوجهه صاحب كتاب التصوف بين الحق والخلق على مدى اتصال نظرية الفناء عند المتصوفة بالنيرفانا البوذية وأصولها ويعلل بأن هذه النظرية باطله لأنها تعتبر أساس من أسس الحلول والاتحاد ونحن قد أبطلنا حلول الله فى شىء أو اتحاده لشئ وأن الفناء لايكون فى حالة السكر فقط انما يكون فى حال السكر والصحو عند صاحب العقيدة الصحيحة السائر على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المتمسك بشريعته ومعروف أن المتصوفه الحقيقيين الذين ذكرهم النابلسى وذكر عقيدتهم أنهم لايخرجون عن الكتاب والسنة وكل من حاد عنهما فهو ليس مسلما ولا مؤمنا وماالفناء إلا التمسك بالكتاب والسنه وصفاء قلبه ونفسه ومشاهدة ربه عز وجل مشاهدة ذوق وكشف لأن الله يعطى نوره لمن يشاء فالله نور السموات والأرض وقد تحدثنا عن الفناء عند النابلسى وبيّنَا المراد به ومقصود المريد منه فى حياته وانا ذكرنا هذا الاعتراض لنبين مدى صلة مقام الفناء بالنظرية البوذية ونحن نرى أن ذلك غير صحيح لأن كون التشابه فى المبادئ لايعطى التطابق فى العقيدة وأن طريق الموحد وسلوكه غير طريق الجاحد الذى لايؤمن بالله ولايدين بدين فكيف تنطبق هذه النظرية على مبادئ الصوفيه العاملين بكتابه للوصول إلى بابه عز وجل فى هذا المقام واذا وصل الإنسان المريد إلى هذه المرحلة فى طريق سلوكه إلى الله فإنه يسمو سموا روحانياً ويصفو صفاءاً وجدانيا ويصبح عبدا ربانيا يقول للشىء كن فيكون لأنه حينئذ يكون قد بلغ مرحله الولاية وهذا ماسنتحدث عنه فيما يلى:

(١) الحكماء الثلاثه ص ٨٢.
(٢) التصوف عند العرب ص ٤٧.
(٣) ٨٤ التصوف بين الحق والخلق طبعة ١٩٧٠ لمحمد فهر شفقه.

تعريف الولى:[1]

«الولى هو العارف بالله تعالى وبصفاته المواظب على الطاعات المتجنب للمعاصى المعرض عن الإنهماك فى الملذات والشهوات.»

فالإمام النابلسى يعرف الولى بهذا التعريف الجامع لكل من أراد أن يصل إلى الله تعالى متمسكا بكتاب الله وشريعته الغراء.

والولى على ذلك هو الإنسان الذى يتولى الله تعالى جميع أموره الباطنة والظاهرة وعلى ذلك فهناك فرق بينه وبين غيره من البشر لأن غير الولى هو من تستولى عليه نفسه وتتولى أمره وذلك بسبب الغفلة والحجاب والمتولى فى الحقيقة للأمور هو الله تعالى لأنه تولى أمر المؤمن والكافر والغافل والمستقيظ كما قال تعالى: ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولى الألباب﴾[2]

واذا كان الولى هذا فما علامة ولايته وما دليل معيته لابد اذا من دليل ثبوت ولايته وكرامته فى الدنيا والآخرة.

يرى الإمام النابلسى كما رأى العلماء من قبله أن دليل الولى ثبوت كرامته له فى الدنيا والآخرة وظهور أمر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوة. وعلى هذا فلابد من بيان الكرامه عند شيخنا النابلسى.

الكرامـــة:

يرى شيخنا النابلسى أن الكرامات أمورخارقه لعادة الله تعالى فى خلقه خلقها الله تعالى بمحض قدرته وإرادته لامدخل لقدرة الولى المخلوقه فيه ولاء لارادته المخلوقة فيه أيضا على التأثير فيها البته وانما قدرة الولى وإرادته المخلوقتان فيه لخلق الله تعالى لتلك الكرامات على يديه ونسبتها إليه[3].

(١) ص ١٠٩ من كتاب جمع الاسرار فى منع الاشرار من الطعن فى الصوفيه الاخيار مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٦٣٩٤.
(٢) الآية رقم   من سورة.
(٣) ص ١ من رسالة كشف النور عن أصحاب القبور تحت رقم ٥٧ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

وعلى ذلك فحقيقة أمر الولى فى خلق الله تعالى الكرامات على يديه أنه متحقق بوحدانيه الله تعالى فى التأثير وأنه لاتأثير له عن نفسه البته وللكرامة إذا شروط لتحققها بعد الموت فيقول شيخنا فى هذا.

شـرط الكرامـــة:

يقول شيخنا «شرط الكرامه بعد الموت فالولايه مشروطه عند العارفين بإدراك الموت والتحقق به الكرامات للاولياء بشروطه حنيئذ عندهم بوجود الموت لايفقده فكيف يزعم عاقل أن الموت ينافى الكرامات.[1]»

فالإمام النابلسى يرى أن الكرامة تظهر على يد ولى من أولياء الله سبحانه وتعالى المواظب على الطاعات المعرض عن المعاصى والشهوات وأن كرامة الولى متحققه فى حياته ومشروطه بالموت عند بعضهم ولكن شيخنا يرى أن الكرامه تظهر فى الدنيا والآخرة على اثبات ولاية الولى وعلى ذلك فهل ثبتت الكرامة فشيخنا النابلسى يوضح هذا المعنى ويبينه فيما يأتى:

ثبوت الكرامــة:

يتحدث شيخنا عن ثبوت الكرامة فى الحياة الدنيا فيقول «وأما فى الحياة الدنيا فلا كرامه له فى الحقيقة إلا مجازا لأنه يكون فى دار الجوار لأعداء الله تعالى[2] ».

وعلى ذلك فالكرامات اشتملت على اكرام الله تعالى بها أولياءه واننا سنورد دليلا فعليا على ثبوت الكرامة فى الدنيا كقوله تعالى: ﴿لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾[3].

يروى على لسان شيخنا النابلسى أن عمر بن الخطاب ولى الله الأكبر رضي الله عنه أن الله سبحانه وتعالى أطلعه وهو بالمدينة على حال سارية وجيشه بنهاوند من بلاد فارس وأن الله تعالى أوصل صوته من المدينة إلى سارية وجيشه فأتمروا بأمره حينما نادى من على المنبر ياسارية الجبل فانحاز الجيش إلى الجبل[4] وبذلك تثبت الكرامة فى الدنيا والآخرة

(١) نفس المرجع ص ٢.
(٢) ص ٣ نفس المرجع السابق.
(٣) الآية رقم ٦٤ من سورة يونس.
(٤) ص ٣٨ من كتاب أنوار السلوك فى الاسرار مخطوط بدمشق تحت رقم ٩٩ تصوف.

وعلى ذلك فإن الأمر الخارق للعادة إن صدر على يد نبى من أنبياء الله تعالى فهو معجزة وإن صدر على يد ولى من أولياء الله تعالى فهو كرامة والولى كما عرفناه هو العارف بالله تعالى وبتجلياته وبشرائع الاسلام العامل بما كلفه الله تعالى به فى الظاهر والباطن على حسب مايمكنه من الطاقة البشرية وإن صدر ذلك الخارق على يد بعض الصالحين من المؤمنين الذين ليس لهم مرتبة الولاية الخاصة فهو معونة من الله تعالى.

كما أن الكرامة ليست بمعجزة وبهذا يتضح الفرق بين الأمور الخارقة للعادة فى الشرع.

وإذا كما قد تحدثنا عن الولى وأوضحنا رأى شيخنا النابلسى فى ذلك وبيّنا كرامة الولى فهل الولى يأتى بالدين الجديد أو أنه يأتى بالفهم الجديد يقول شيخنا: النابلسى: ان الولى لايأتى بالدين الجديد وإنما يأتى بالفهم الجديد فى معانى أسرار الكتاب والسنة وغير ذلك لايكون فيه علامة الولى[1] وأما الخارق للعادات على أنواعها الكثيرة فلا يصلح شىء منها علامة للولى لدخول خواص الكلمات والحروف وبعض الادوية فى مطلق الخارق للعادة.

فالولى اذا لايأتى بشرع جديد مهما كانت قوته وقدرته وإنما يستطيع أن يأتى بالفهم الجديد لدين الله تعالى عز وجل حتى يستطيع أن يدعو إلى الله على بصيرة وأن يوصل كلام الله عز وجل بأقرب وسيلة وعلى ذلك فأن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى بصيرة قوية وخدمة عظيمة قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[1] لاشركا خفيا بحسب الباطن ولاشركا جليا بحسب الظاهر لما ورد عن الرسول ﷺ أنه كان ينهى عن عبادة الصور فى الظاهر بطريق التصريح وعن عبادة الصور فى الباطن بطريق الأشارة والتلويح ومراد الرسول ﷺ أن من كان معه على بصيرة فهو ليس من المشركين لاظاهرا ولاباطنا فالله تعالى منزه مقدس عن جميع الصور التى فى الظاهر والباطن فإذا انتفت عنه جل وعلا جميع الصور المحسوسة والمعقولة والموهومة والمتحيزة بكل وجه من الوجوه لزم أن يكون سبحانه وتعالى عين الوجود الحق وحقيقة الوجود الصرف الذى ظهرت به الصور

(١) الآية رقم ١٠٨ من سورة يوسف.

واتصفت عند العقل بالحكم بوقوع الوجود عليها وما ذلك الإتصاف فى نفس الأمر إلا حقيقة التجلى والانكشاف التام والافلو لم يكن الحق تعالى عين الوجود لكان صورة مثل بقية الصور المحسوسة والمعقولة القائمة بالوجود وكان حينئذ حادثا مشابها للحوادث وهو باطل فى حق الله تعالى قال سبحانه: ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾[1] وقال تعالى: ﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[2] ومن المعلوم أن الوجود الصرف الذى قامت به جميع السموات والأرض وقامت به جميع الصور المحسوسة والمعقولة لاتدركه الأبصار والبصائر لأن الأبصار والبصائر من جملة الصور القائمة به فلا تدرك إلا مثلها صورا من المعانى والمحسوسات وليست المعانى والمحسوسات هى الوجود الصرف فإن الوجود الصرف منزه عن جميع الصور والمعانى كما قال تعالى: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء الايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾[3].

وعلى ذلك فما طريق العلم الإلهى الذى يوصلنا إليه تعالى وهذا ماسنذكره بعد.

طريق العلم الالهى:

يرى شيخنا أن المحققين من أهل الله تعالى العارفين بربهم لم يخترعوا العلم الالهى والسر الربانى فيقول وإنما انطقهم الله به لما صفت روحانياتهم من شوائب الأكدار وتخلصوا من قيود العقل والأفكار فتولاهم الله تعالى بعناية واستولى على قلوبهم بولايته[4] قال تعالى: ﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾[5]

والمقصود أن الله تعالى يخرجهم من العلم بكل شىء إلى العلم به سبحانه وتعالى وهى حالة أولياء الله تعالى العارفين به سبحانه قال: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم﴾[6] فكل من وصل إلى حقيقة التقوى فى السر والنجوى علمه الله تعالى مالم يكن

(١) الآية رقم ١١ من سورة الشورى.
(٢) الآية رقم ١٠٣ من سورة الأنعام.
(٣) الآية رقم ٤٤ من سورة الاسراء.
(٤) ص ٦٥ من كتاب الوجود ومرآة الشهود مخطوط بدمشق تحت رقم ٦٠٦٩.
(٥) الآية رقم ٢٥٧ من سورة البقرة.
(٦) الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة.

يعلم من علوم الأسرار وفتح على قلبه خزائن الأنور بحيث ان الجاهل الغافل يعجب منه ويستغرب ما يأتى به من العلوم الالهية وما يصدر عنه بل تعجب منه الفحول من العلماء والكمل من الفضلاء.

فطريق العلم الالهى طريق الصواب طريق النجاة ولذلك ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة أنه قال: لايزال عبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها إلى نهاية الحديث[1] ولذلك قد تدرجت فى ضمن هذا الحديث شروط الارادة الصادقة فى سلوك طريق الله تعالى الموصل إليه سبحانه فإن قوله: لايزال يدل على الاستمرار والمواظبة فى التقرب بالنوافل من العبادات والطاعات ظاهرا وباطنا من غير توقيت بمدة وإنما ذلك موكول إلى الله تعالى فإن أراد كان الفتح بذلك فى مدة يسيرة وان شاء كان فى مدة طويلة وإنما شرط دوام التقرب بالنوافل وعدم التراخى وقوله عبدى اشارة إلى الاتصاف بوصف العبودية له تعالى بأنه لا يكون فى باطنه ولا فى ظاهره دعوى ربوبية بشىء مطلقا فلا تملك النفس عنده نفعا ولا ضرا كما قال تعالى: ﴿ولا يملكون لأنفسم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾[2] فيكون عبدا خالصاً لله تعالى وقوله يتقرب اشارة إلى أن جميع أعماله التى يعملها من الطاعات والعبادات فى ظاهره وباطنه المقصود بها مجرد التقرب والوصول إلى الله تعالى والانتساب إلى جنابه - سبحانه ولا يقصد بذلك شيئا من أغراض الدنيا وشيئا من أمور الآخرة كما ورد عن رابعة العدوية أنها كانت تقول: لا أعبدك خوفا من نارك ولا رغبة فى جنتك وإنما لوجهك - الكريم فالمقصود بهذا كله بذل الطاعة والتسليم لله عز وجل دون النظر إلى شىء فى الدنيا والآخر لأن الله سبحانه وتعالى هو المكافئ والمجازى هكذا تحدث شيخنا عن طريق العلم الإلهى وكيفية الوصول إليه وهل يتأتى ذلك لكل البشر أم أنه للتائبين الراجعين إلى ربهم.

يرى شيخنا النابلسى أن التوبة من الذنب قبل كل شىء وعلى ذلك نراه قد تحدث عن التوبة من الذنوب فيما يأتى:

(١) من حديث من عاد لى ولياء أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير حرف الهمزة من عند البخارى عن أبى هريرة ومز له بالصحة.
(٢) الآية رقم ٣ من سورة الفرقان.

التوبة عند النابلسى:

يرى شيخنا النابلسى أن حقيقة التوبة بحسب الشرع تختلف باختلاف الذنب فيقول: فإن كان الذنب بينك وبين ربك كانت التوبة منه وذلك أن تترك فعله عليه وتعزم على أن لا تعود إليه ويصح ذلك من جميع الذنوب ومن بعضها دون بعض ولا يمنع من صحة التوبة عندك إلى ذلك الذنب بعينه بعد أن يوجد منك العزم على عدم العودة إليه حين التوبة قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾(1).

ومعنى ذلك أن شيخنا النابلسى يرى أن التوبة واجبة على كل من فعل ذنبا وكان هذا بينه وبين الله ثم إن عاد إلى فعل الذنب اثم وإن تاب مرة أخرى قبل منه وأما إذا كان الذنب بينك وبين مثلك من المخلوقات فلابد أن يكون بينك وبين ربك أيضا لأن الله تعالى نهى عن ظلم العباد بعضهم بعضاً فتحتاج فى التوبة إلى جميع ما تقدم مع زيادة المسامحة من ذلك العبد الذى ظلمته إن كان حيا وأمكن ذلك وإن مات أو كان حيا ولم يسامحك لشدة منه لا تقصير منك فى حقه فأخلص فيما بينك وبين الله تعالى فى ترك ذلك الظلم والندم عليه والعزم ألا تعود إليه ودم على ذلك فإن الله تعالى إما أن ييسر لك مسامحة ذلك المظلوم أو يكافئه عنك ويرضيه يوم القيامة وإياك ثم إياك أن تيأس من رحمة مولاك.

هكذا تكن التوبة فى الشرع فما هى التوبة بحسب الحقيقة إذا:

التوبة بحسب الحقيقة:

يرى شيخنا النابلسى أن التوبة بحسب الحقيقة هى خلعة من خلع الله تعالى يلبسها لمن يشاء من أهل اختصاصه وهى على قسمين:

توبة العامة: وهى كشف قناع الأغيار عن وجوه الأسرار وذلك بقتل النفس بسيف المجاهد قال تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾(2).

وأما توبة الخاصة: فهى التوبة من التوبة ولذا قال شاعرهم:

(1) الآية رقم ٢٢٢ من سورة البقرة.
(2) الآية رقم ٥٤ من سورة البقرة.

يارية العـــود خـــذي في العنا *** وحـــركي من صـــوته مـــاوني
فـــإن ســـرد قـــمـــيص الدجـــا *** لـونـه الـصـــــــبـح بمـا لـونـا
وفـــاز بـالتـــوبة قـــوم ومـــا *** تـاب مـن الـتـــــوبـة إلا أنـا[1]

وبيان ذلك أن التوبة من صنع العبد والعبد وصنعه من صنع الله فأي عبد صنع التوبة لقد فقد عن كون الله تعالى صنعه وصنع توبته والغفلة ذنب تحتاج إلى توبة فلهذا قلنا في توبة الخاصة هي التوبة من التوبة قال تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾[2] ومن تاب الله عليه فقد صنع له توبة ومن صنع له توبة فقد تاب فهو بمنزلة قوله تعالى: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾[3] فمشيئتنا أثر من مشيئة الله لنا .

كما أن توبتنا أثر من توبة الله علينا وللتوبة هذه سر وحال ومقام فأما سرها فمحبة الله تعالى للعبد التائب قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين﴾[4]

وفي الحقيقة فمحبة الله تعالى للتوابين محبة لنفسه لأن التواب لا نفس له مع ربه وأما مقام التوبة بحسب الشريعة فهو ترادف أنعم الله تعالى على ذلك العبد التائب ولهذا تتبدل جميع سيئاته حسنات قال تعالى: ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾[5].

وأما حال التوبة بحسب الحقيقة فهو ظهور وحدة الوجود على التنزيه التام واستغراق الكثرة فيها بحيث يقول التائب أنا لا أنا وهو لا هو ثم يقول لا أنا لكون هو لا هو ثم يقول: لا هو ثم يقول: هو ثم يخرس على الأبد كما ورد في الحديث: من عرف الله كل لسانه[6].

وأما مقام التوبة بحسب الحقيقة فهو الرسوخ في درجات القرب من قبيل قوله عليه السلام أنه ليغان على قلبي واني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة[7] وقال: في الوراثة المحمدية: يا أهل يثرب لا مقام لكم فأرجعوا[8].

(1) ص ٧٣ من كتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني مطبوع ببيروت.
(2) من الآية رقم ١١٨ من سورة التوبة. (3) الآية رقم ٣٠ من سورة الإنسان.
(4) الآية رقم ٢٢٢ من سورة البقرة. (5) الآية رقم ٧٠ من سورة الفرقان.
(6) ص ٢٦٢ من كتاب كشف الخفاء للعجلوني نقلا عن السيوطي قال: انه ليس ثابت (٢٤٦٧ مكتبة أصول الدين).
(7) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير حرف الهمزة للفظ ان ليغان على قلبي واني لاستغفره الله في اليوم مائة مرة (أخرجه الإمام أحمد في مسنده ومسلم في الصحيح وأبو داوود في السنن والنسائي في السنن أيضا عن الأغر المزني ورمز له بالصحة.
(8) الآية رقم ١٢ من سورة الأحزاب.

ودرجات القرب هذه لانهاية لها فى الدنيا ولا فى الآخرة ولا وصول إلى الله تعالى أبداً وإنما الجميع سائرون إليه من الأزل إلى الأبد ومقام التوبة والدخول فى هذا السير مع السائرين كما أن التجليات لا نهاية لها والحجب لا نهاية لها والكشوفات لا نهاية لها ولذا قال رسول الله ﷺ: إن للتوبة بابا عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها[1].

ثم بعد ذلك نرى شيخنا النابلسى قد تحدث عن توبة البائس وتوبة المؤمن وتوبة الزنديق نرى أنه لا داعى إلى الاطالة لذكرها وسوف ننتقل للحديث عن ولاية شيخنا النابلسى بعد أن بينا المعرفة عنده وذكرنا تعريف الولى وكرامته وطريق وصوله ثم تحدثنا عن التوبة ومراحلها المتعددة فهل شيخنا النابلسى أحد هؤلاء العارفين السالكين الطريق إلى الله؟ نعم أن له رؤيا متعددة صادقة وله مواجيد كثيرة وظهر على يديه الكثير من الكرامات وأن له أورادا فى سحر الليل كان يتعبد بها ويخلو إلى ربه ويناجيه فى جوف الليل وهذا ما سنتحدث عنه فيما يأتى:

النابلسى ومناجاته لربه:

إنى سأذكر لشيخنا النابلسى بعض المناجاة بينه وبين ربه[2] فأقول: قال: شيخنا النابلسى فى الفصل الأول من كتاب مناجاة الحكيم ومناغاة القديم: قال لى ربى أنت تصلح لى فقلت كيف أصلح لك وأنا فان فقال: ولا يصلح لى إلا الفانى فقلت: كيف أصلح لك وأخلاقى أخلاق سوء فقال: أكملها بأخلاق الحسنة ثم قال لى يا عبدى أنا أنت وأنت لست أنا إلى آخر ما ذكر فى هذا الفصل الذى ذكرناه سابقا.

ثم ننتقل إلى مناجاة أخرى فى الفصل العاشر قال : قال لى ربى: يا عبدى ارحم غيرى برحمة غيرى فقلت له يارب كيف أرحم غيرى وأنت الراحم لكل شىء فقال لى أنا الراحم بك لمن شاءوحيث أنت وغيرك لا أنا وحيث أنا فلا أنت ولا غيرك يا عبدى أنا ربك بك وأنت عبدى بربوبيتى مربوطة بعبوديتك ظهوراً وعبوديتك متعلقة بربوبيتى

---

(١) حديث (أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير حرف الهمزة من عند الطبرانى عن صفوان ابن عسال ورمز له بالضعف.

(٢) كتاب مناجاة الحكيم ومناغاه القديم للنابلسى مخطوط بالمكتبة الظاهرية بمدشق رقم ٦١١٨ تصوف ص٢.

شهودا وحضورا فقلت يارب ما وصف ربوبيتك فقال هى تحقيق بقائى فى فنائك وتثبيت ظهورى فى خفائك ولابد من فنائك وخفائك فقلت له ما عبوديتى فقال هى أنت بلا أنت وأنا بلا أنا فانى أنا فى زوالك عن الحق وأنا وجودك غير الباطن فتحقيق ولا تكن عاطل.[1]

وللنابلسى مناجاة مع ربه كثيرة تزيد على الثمانية عشر فصلا ولهذا اقتصرنا على هاتين المناجاتين[2].

وسوف ننتقل للحديث عن أوراد شيخنا النابلسى بإيجاز فيما يأتى:

أوارد النابلسي:

شيخنا النابلسى له أوراد كثيرة وأدعية متعددة فى طريق الوصول إلى الله تعالى والنابلسى ابتدأ أوراده بالقرآن العظيم فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين آمين،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ص١ ، الذين ص٢ يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون.

وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الله لا إله إلا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطيون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله، ص٣ وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله،

(١) ص ٩ نفس المرجع.

وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، اللهم انى أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم واستغفرك مما لا اعلم انك أنت علام الغيوب رب أجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم إنك سألتنا من أنفسنا مالا نملكه إلا بك ، اللهم فاعطنا ما يرضيك عنا، والهكم اله واحد لاإله إلا هو الرحمن الرحيم لمن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون، شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

ص٥

إن الدين عند الله الإسلام، اللهم أنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى، وتجمع بها أمرى، وتلهم بها نفسى، وتصلح بها غايتى ، وترفع بها شاهدى، وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى، وترجو بها الغنى، وتعصمنى بها من كل سوء اللهم اعطنى إيمانا صادقا، ويقينا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة اللهم إنى أسألك الفوز بالقضاء، ونيل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء اللهم أنى أنزل بك خاصتى.

ص٦

وضعف عملى، وافتقرت إلى رحمتك فأسألك اللهم يا قاضى الأمور وشافى الصدور كما تجير بين البحور، أن تجيرنى من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور، اللهم ما قصر عنه رأى، ولم تبلغه نيتى ، ولم تنتهى إليه مسألتى، ولم يجرى على لسانى، من خير وعدته أحد من خلق؛ ، أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك، فإنى ارغب إليك فيه، وأسألك من رحمتك يارب العالمين، اللهم ياذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد،

أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود، ص٧ الركع السجود، الموفون بالعهود، انك رحيم ودود، وإنك تفعل ما تريده اللهم اجعلنا هادين مهدين، غير ضالين، ولا مضلين مسلما لأوليائك وعدوا لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونهادى بعداوتك من خالفك، اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذه الجهد وعليك التكلان، اللهم اجعل لى نورا فى قلبى، ونورا فى قبرى، ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى، ونورا عن شمالى، ونورا من فوقى، ونورا من تحتى ونورا فى سمعى، ونورا فى بصرى، ونورا فى شعرى، ونورا فى بشرى، ص٨ ونورا فى لحمى، ونورا فى دمى، ونورا فى عظامى، اللهم اعظم لى نورى واعطينى نورا، واجعل لى نورا، واجعلنى نورا، افمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين ، الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولم تمسسه نار، نور على نور يهدى الله بنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال، للناس والله بكل شئ عليم.

ص٩

الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد الخلق مايشاء إن الله على كل شىء قدير، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا رسل له من بعده وهو العزيز الحكيم، يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون، وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور، يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور إن الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

ص١٠

يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد، ما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، وما يستوى الأحياء ولا الأموات، ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور، سبحان الذى تعطف بالعز وقال به، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له، سبحان ذى

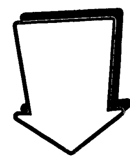
الفضل والنعم، سبحان ذى المجد والكرم، سبحان الذى أحصى كل شئ علمه، سبحان ذى المن، سبحان ذى الطول، سبحان ذى الجلال والإكرام.

ص١١ تسبح له السموات السبع ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا، وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما، ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولاهما، يومئذ يتبعون الداع لاعوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ، وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق، وقيل الحمد لله رب العالمين، هو الذى يريكم آياته وينزل ص١٢ لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب، فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب، اللهم إنك لست باله اسحدثناه، ولا برب ابتدعناه، ولا كان قبلك من اله نلجأ إليه ونذرك ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه فيك تباركت، وتعاليت، إن الله لايخفى ص١٣ عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون، اللهم اصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، وأهدنا سبل السلام.

هذه بعض أوراد شيخنا النابلسى التى كان يتخذها وسيلة من الوسائل الموصلة إلى الله تعالى فى خلواته بربه لنيل قربه ولا ننسى أن شيخنا النابلسى كانت له وسيلة أخرى فى تعليم مريديه سبل الوصول إلى ربهم تلك الوسيلة هى الذكر وكان يغذى حلقات الاذكمار بمنظومات خفيفة الروح فكان له فضل فى اذاعة المعانى الطريفة بين المريدين وهو صاحب الأنشودة الرائعة انشودة الساقى وانظر كيف تلطف الحركة وتقوى النبرات الموسيقية فى هذا النشيد قال:

ســـــاقـى يـا ســـــاقـى	***	اســقين من خـــمـــرة البـــاقـى
واكـــشف لـى عن قــيــد اطلاقى	***	آه يـا ســــــاقـى، آه يـاســــــاقـى
أســـــتـــــاره راحـت	***	عن عــــيـنى وأزهره فـــاحـت
والـسكـرة بـالأســـــرار بـاحـت	***	آه يـا ســــــاقـى، آه يـا ســــــاقـى
أكـــــــشـف لـى عـنـك	***	فـى ذاتـى وافـــــتـح لـى دنـك
واجـــــعلنى يـا حـــــبى أنـك	***	آه يـا ســــــاقـى ، آه يـا ســــــاقـى
افـــــتح لـى بـاب الحـــــان	***	واســــمـــعنى من طيب الألحـــان
وارشــفنى من كـــأسى امـــلان	***	آه يـا يـاســــاقـى، آه يـا ســــــاقـى
مــن يـشــــــرب يـسكــر	***	من خـــمـــرى لما يتــــفكر
والمغـــــرور فـى علمـــــه أنـكر	***	آه يـا ســــــاقـى، آه يـا ســــــاقـى
لا يـعـــــــرف أمــــــرى	***	الا من يشـــرب خـــمـــرى
أحـــشـــاؤه تصلى فـى جـــمـــرى	***	آه يـا ســــــاقـى، آه يـا ســــــاقـى

وقوة الروح فى النشيد لا تخفى على أصحاب الأذواق هكذا سار النابلسى فى معرفته بربه مريد الوصول إليه تعالى معلما المريدين والأتباع كيفية الوصول إلى الحق جل وعلا ونحن مهما كتبنا عنه فى هذا الصدد لا نستطيع أن نوفيه حقه وكما يضيق المجال عن حصر طرق معرفته بربه وسبل الوصول إليه تعالى وأنى قد ذكرت نماذج من كل كدليل على مدى سعة أفق هذا العالم وسمو روحه وصفاء قلبه ونبل أخلاقه وإنى أرى أن اتحدث بعد ذلك عن وحدة الوجود عند شيخنا النابلسى فنقول:



الفصل السادس

وحدة الوجود

تمهيد:

وحدة الوجود تكلم فيها الكثير من العلماء، ومنذ عرفت هذه النظرية المنسوبة إلى العبادات الهندية والديانات البوذية وهى ماتزال محط الانظار من العلماء والكتاب والباحثين إلى يومنا هذا واننا سنذكر مذهب ابن عربى(١) فى هذه النظرية مضطرين لذلك نظرا لأن كثيرا من العلماء يعتبرون مذهب بن عربى هو الأساس لهذه النظرية المسماة بوحدة الوجود بالنسبة لمفكرى المسلمين ولأنه يعتبر أول من قال بوحدة الوجود من علماء الإسلام.

وأما ماصدر عن أبى يزيد البسطامى من قوله: سبحانى ما أعظم شأنى وما ورد عن الحلاج من قوله: أنا الحق فانما صدرا عنهما هذا القول فى حال السكر ولايعد هذا مذهبا مؤسسا على قواعد.

أما مذهب ابن عربى فى وحدة الوجود فمؤسس على قواعد يبنى عليها نظريته فى هذا القول بمعنى أن وجود الله وجود المخلوقات واحد وما سواه من هذه المخلوقات فهو صورة له.

ولاأريد أن اتجنى على ابن عربى فى القول بوحدة الوجود بل سنورد نصا شعريا يوضح مذهبه قال:

فالحق خلق لهذا الوجه فاعتبروا *** وليس خلقا لذاك الوجه فاذكروا
جمع وفرق فان العين واحدة *** وهى الكثيرة لاتبقى ولاتذر(٢)

---

(١) ابن عربى هو محمد ابن على بن أحمد بن عبد الله الحاتمى ولد عبد الله الحاتمى أخ عدى حاتم ويكنى أبو بكر ويعرف بالحاتمى وابن عربى بدون ألف ولام ويلقب بمحى الدين فرقا بينه وبين القاضى أبا بكر العربى: مولده عام ٥٦٨هـ ووفاته ٦٣٨هـ جـ١ ص ١٦٠، ١٦١ التصوف الإسلامى فى الإدب والأخلاق للدكتور زكى مبارك

(٢) ص ٧٩ فصوص الحكم طبع بدار احياء الكتب العربية سنة ١٣٦٥هـ وبمكتبة الأزهر ٦٣٢.

فالوجود حقيقة واحدة ان نظرنا إليه من وجه قلنا خلق ومن وجه آخر قلنا أنه حق فالحقيقة الواحدة تظهر فى صور كثيرة والعالم فى نظره كالظل كما قال ابن عربى نفسه ان العالم بالنسبة لله كالظل للشخص وله فى تعبيره عن مذهبه أساليب متعدده تختلف فى الصورة وتتفق فى الجوهر وقد وقفت على نص آخر لابن عربى يوضح مذهبه توضيحا تاما اذ نفى فيه وجود العالم فاعتبره وهما لاوجود له واعتبر الوجود الحق سر وجود الله قال: واذا كان الأمر على ماذكرته لك فالعالم متوهم ماله وجود حقيقى وهذا معنى الخيال اى خيل إليك أنه أمر زائد قائم بنفسه خارج عن الحق وليس كذلك فى نفس الأمر الا تراه فى الحس متصلا بالشخص الذى امتد عنه ويستحيل عليه الانفكاك عن ذلك الاتصال لأنه يستحيل على الشىء الانفكاك عن ذاته.

الوجود كله خيال فى خيال والوجود الحق إنما هو وجود الله خاصة من حيث ذاته[1] وقد نقد هذه النظرية كثير من المفكرين المتقدمين والمتأخرين فمن المتقدمين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وقد فندا هذه النظرية ووجها عدة مآخذ عليها وانى سأذكر موجز مذهب كل بعد استعراض رأى شيخنا النابلسى فى هذه النظرية.

وممن نقدوها أيضا من المتأخرين: أمثال الدكتور زكى مبارك ومحمد فهر شفقة وغيرهما ممن تصدوا لهذه النظرية ونقدوها نقدا مرا ثم أبين رد الإمام النابلسى على هؤلاء جميعا ودفاعه عن إبن عربى ثم نستخلص نتائج هذا الفصل موضحين رأينا فى هذا الموضوع وأثر شيخنا النابلسى فيمن أتى بعده وسوف نسير فى هذا الموضوع على الوجه التالى:

أ - رأى الإمام النابلسى فى وحدة الوجود:

١ - الفرق بين الوجود والموجود.

٢ - معنى الوجود عند النابلسى.

٣ - موقفه من وحدة الوجود.

٤ - موقفه من علماء الكلام.

(١) ص ١٠٣ فصوص الحكم لابن عربى طبع دار الاحياء للكتب العربية فى مصر سنة ١٣٦٥هـ بمكتبة الأزهر تحت رقم ٦٣٢ تصوف.

ه – وحدة الوجود فى الميزان.

ب – ابن تيمية ووحدة الوجود.

جـ – ابن القيم ووحدة الوجود.

د – توضيح مذهب ابن عربى.

هـ – نقد المتأخرين له.

و – دفاع الإمام النابلسى عن هذه النظرية.

ل – رأينا فى هذا الموضوع.

ى – أثر النابلسى فيمن أتى بعده.

أ - النابلسى ووحدة الوجود:

١ – الفرق بين الوجود والموجود عند النابلسى:

يرى شيخنا النابلسى أن هناك فرقا بين الوجود والموجود الذى يفهم منه التفرقة بين الوجود والموجود وهو الاساس عنده فى تفسير القول بوحدة الوجود ويبنى على ذلك رأيه فيها فيقول:

أن الفرق بين الوجود والموجود عندنا أمر لازم متعين فان الموجودات كثيرة مختلفة والوجود واحد لايتعدد ولايختلف فى نفسه وهو حقيقة واحدة لاتنقسم ولا تتجزأ ولاتتعدد بتعدد الموجودات والوجود أصل والموجودات تابعة له قائمة به وهو المتحكم فيها بما يشاء مهد التغيير والتبديل[1]،

فالإمام النابلسى يبنى رأيه فى وحدة الوجود على التفرقة بين الوجود والموجود فهو يقول: أن الوجود أصل قائم بذاته لايتغير ولايتبدل وأن الموجود كثير متعدد مختلف وعلى ذلك فالموجود غير الوجود لأن الوجود لاينقسم ولايتعدد وهو الذى يتحكم فى الموجودات ايجادا واعداما بخلاف هذه الموجودات فانها حادثة مؤثر فيها من غيرها وعلى ذلك فشيخنا يرى أن الوجود أصل للاشياء وغيرها وتفضل عليها بالايجاد ومعنى الوجود عنده

(١) ص ٨ من كتاب الوجود ومرآة الشهود للنابلسى تحت رقم ٦٠٦٩ مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

واحد وانما الايجاد للموجودات واقع لامحالة عن الوجود وكلام شيخنا النابلسى انما هو فى وحدة الوجود وليس فى وحدة الموجود فان الموجود ليس واحد بل فيه الكثرة والتعدد كما قال تعالى: ﴿واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم﴾[1].

هذا هو الفرق بين الوجود والموجود عند شيخنا النابلسى فماذا هو قائل عن الوجود وما حقيقته هذا ما سنتحدث عنه فيما يأتى:

٢ - معنى الوجود عند النابلسى:

يرى الإمام النابلسى أن هناك فرقا بين الوجود الحادث والوجود القديم ويفسر ذلك بالوجود فيقول: ان من الافتراءات الواضحة البطلان من عوام المؤمنين على الخواص من أهل الله تعالى العارفين بفهمهم من قولهم: أن الله هو الوجود الحق – ان معنى ذلك أن الله هو الموجودات كلها واقامة النكير عليهم بذلك وأيضا قولهم أن الله هو المخلوقات وحاشا لله أن العارفين يقولون ذلك وإنما دخل الطعن عليهم من فهم القاصرين لكلام العارفين وعدم تمييز الجاهلين بين القول بأن الوجود هو الله والقول بأن الموجد هو الله وظنوا بأنه لافرق عند العارفين بين الوجود والموجود والفرق واضح لاخفاء فيه إن الوجود عند العارفين حقيقة واحدة قديمة والموجودات كلها حقائق كثيرة مختلفة غير موصوفة بذلك[2].

وعلى ذلك فشيخنا النابلسى يرى أن الوجود الواحد القديم لايصح أن يكون صفة للحادث ولايصح أن يكون الذات صفة للذات أيضا فان الوجود ذات مستقلة بنفسها تظهر بالحوادث للحوادث وتبطن بها وهى ظاهرة لنفسها أزلا وأبدا وكذلك يرى أنها ليس عرضا حتى تكون صفة للحوادث ولايصح أن تتصف الحوادث بالوجود القديم لأنه لولا الوجود القديم لما كان حادث أصلا وعلى ذلك فافتقار الحوادث إلى الوجود مانع من أن يكون الوجود صفة لها اذ الصفة شأنها أن تفتقر إلى الموصوف بها فيلزم على قول الطاعنين الدور فى الافتقار بأن يفتقر الوجود إلى الحادث من جهة كونه صفة لها والصفة قائمة بموصوفها لايقام بها وهو باطل ومحال وعلى ذلك فالعقل الذى حصل به تكليف المكلفين

(١) الآية رقم ٨٦ من سورة الأعراف.

(٢) ص ٢٤ من كتاب الوجود ومرآة الشهود للنابلسى مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٩٠٦٩.

يحكم بأن الوجود صفة للحوادث ويحكم بأنه غير الوجود القديم على طريق غلبة الوهم عليه فإنه يقتضى أن يكون الوجود اثنين وجود قديم ووجود حادث وهذا حكم من العقل بديهى وهو خطأ محض عند العارفين.

وشيخنا النابلسى يرى أنه لايصح أنى يتعدد الوجود أصلا ولا أن يكون اثنين مستقلين كالهين اثنين وان كان أحدهما مستقلا وهو الوجود الحادث لزم انقسام الوجود القديم وانفصال الحادث منه وأن ذلك دعوى النصارى فى قولهم: ولد الله وانهم لكاذبون[1].

وان كان الوجود الحادث غير منقسم من الوجود القديم وغير منفصل منه وانما هو مخلوق خلق الوجود القديم وصفا للحوادث كما خلق الحوادث موصوفة به فان الحوادث كلها ذواتها وصفاتها مخلوقة ومن جملة صفاتها التى هى مخلوقة لها الوجود الحادث الذى هى موصوفة به وعلى ذلك يلزم أن يكون الوجود الحادث الذى كان معدوما مثل ما كانت الحوادث معدومة أيضا ثم أن الله تعالى أوجد ذلك الوجود الحادث إما بوجوده تعالى أو بوجود حادث آخر ويتسلسل الأمر والتسلسل باطل فكونه بوجود آخر باطل أيضا فتعين أن يكون الله تعالى أوجد الوجود الحادث بوجوده سبحانه ومعنى ذلك أن وجوده سبحانه وتعالى القديم هو وجود الحادث وبالوجود الحادث وجدت الحوادث فتكون بين وجود الحوادث وبين وجوده سبحانه وتعالى القديم واسطة فى وجود الحادث.

ثم نرى أنه لابد من بحث الوجود المسمى واسطة بين وجود الله تعالى القديم وبين الحوادث ونناقش هذا القائل فنقول: هل المراد من القائل به أنه عين ذوات الحوادث أو غير ذوات الحوادث فان اريد به عين ذوات الحوادث كما هو مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى ومن تابعه لم يكن هناك وجود حادث أصلا وانما هى ذوات حادثة مع صفاتها قائمة بالوجود القديم على معنى أن العقل سبب الوجود القديم بطريق غلبة الوهم عليه وهو مانقول به ونذهب إليه وإنما ذلك الوجود الحادث إنما هو بغلبة الوهم والمراد به تجلى الوجود القديم للحوادث وان كشافه وظهوره فى شئونه التى هى أعيان الحوادث كما قال الله تعالى: كل يوم هو فى شأن[2]

(١) الآية رقم ١٥٢ من سورة الصافات.
(٢) الآية رقم ٢٩ من سورة الرحمن.

ثم نرى شيخنا النابلسى يقول اننا لانريد من القول بأن الوجود هو الله تعالى أن المراد بذلك أن الموجودات هى الله تعالى سواء كانت الموجودات محسوسات أو معقولات، وإنما نريد بذلك أن الوجود واحد قامت به جميع الموجودات مع الله تعالى فان من أسمائه الحى القيوم[1] وان الله تعالى اخبر أن السموات والأرض قائمة بأمره ولاشك أن الوجود الحق سبحانه وتعالى ظاهر باطن فهو ظاهر لكل بصر وبصيرة وباطن أيضا عن كل بصر وبصيرة، فمن حيث هو ظاهرتراه البصائر والأبصار ولا تعلمه ولايحيطون به علما، ومن حيث هو باطن تعلمه العقول والافكار من غير أن تراه فهو ظاهر بذاته وباطن باسمائه وصفاته لأن ذاته حقيقة مطلقة بالاطلاق الحقيقى عن جميع القيود حتى عن قيد الاطلاق، فلهذا ترى ولاتعلم واسماؤه وصفاته مراتب ونسب لاحق يعدلها غير ذاته العلية فلهذا تعلم وترى ولذلك يقول شيخنا النابلسى من النظم فارقا بين الوجود والموجود فيقول:

ان بين الوجود والموجود *** حرف ميم بها مدار الشهود[1]

النابلسى يرى أن الوجود والموجود يفترقان ويختلفان اختلافا كليا ولايصح أن يكون الوجود هو الموجود أو العكس وقد أتى شيخنا النابلسى بهذا الفرق قبل أن يتحدث عن موقفه من وحدة الوجود التى هى محور كلامنا فى هذا الموضوع ولهذا سوف نتحدث عن موقف الإمام النابلسى من وحدة الوجود وهى مجال حديثنا فيما يأتى:

موقف النابلسى من وحدة الوجود:

شيخنا النابلسى يرى أن وحدة الوجود فى الأصل واحدة ويقطع بأن الموجود كثير ويفرق بين الحادث والقديم وهو يرى أن وحدة الوجود المراد بها عنده هى رؤية الله عز وجل وهو ما يسمى بالشهود على طريق الكناية ولذا يقول:

كن عارفا بوحدة الوجود *** وقاطعا بكثرة الموجود

وميز الحادث من قديم *** وخلص الثابت من مفقود

فوحدة الوجود فى اصطلاحنا *** كناية عن رؤية الودود

ولاتظن وحدة الوجود ما *** تفهم من وحدة ذا الوجود

(1) ص ١٠٧ من ديوان النابلسى مطبوع تحت يدنا ومخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧٢١٠.

كما قال:

وعن كمال نحن ندريه وعن *** نقص وعن زوال أونفود[1]

هذه النصوص التى ذكرها شيخنا النابلسى فى موقفه من وحدة الوجود تبين أنه يرى أن هذه الوحدة ليست وحدة بين الخالق والمخلوق كما قال بعض المتشددين وغير الفاهمين لهذا الوحدة وكما ذكرنا يعتبر الوحدة هى رؤية الله عز وجل رؤية شهود وهذا هو تفسير شيخنا النابلسى لوحدة الوجود ويؤكد ذلك ويوضحه عند دفاعة عن ذلك فيقول انك اذا سمعتنا نقول بوحدة الوجود فلا تظن أننا نقول بذلك على مايعتمده أهل الجهل والعناد والجحود والضلال وإنما نقوله فارقين بين وحدة الوجود وكثرة الموجود[2].

فشيخنا النابلسى يدفع بهذا القول قول من قال: إن الوجود والموجود شىء واحد وهذا مالا يقول به عاقل ولايقره ذو بصر من العلماء.

وإنما المراد بهذا الأمر عنده هو أمر عظيم ولذا نراه يقول:

وإنما الأمر الذى نريده *** بوحدة الوجود فى العهود
أمر عظيم خارج عن كل ما *** تدرى ذووا الشقوة والسعود
نحن بهذا قائلون دائما *** ونوره فينا بلا خمود
لا أننا نقول بالمعنى الذى *** تقول أهل المذهب المردود
فالله من ضلالهم يعصمنا *** بفتح باب دونهم مسدود
ومن علينا يفترى بغير ما *** قلنا رهين يومه المشهود[3]

فالإمام النابلسى يرى أن وحدة الوجود أمرعظيم فى الشريعة الإسلامية وهو بخلاف مافهم أهل الشقاء والضلال وأن المتصوفة المعتدلين يقولون بالمعنى الصحيح الذى لايخالف كتاب الله وسنته فقولهم على حق ومن خالف ذلك فهو إلى الضلال يسير والله سبحانه وتعالى يعصمنا من قول هؤلاء وأن الذين يتهمون الإمام النابلسى وأمثاله بالقول بأن الوجود والموجود شىء واحد ومرادهم بذلك وحدة الوجود فهم فى الحقيقة خارجون

(١) ص ١٠٧ من نفس المرجع السابق.
(٢) ص ٢ من كتاب الوجود ومرآة الشهود للنابلسى مخطوط بدمشق تحت رقم ٦٠٦٩.
(٣) ص ١٠٨، ١٠٩ من ديوان النابلسى مخطوط بدمشق تحت رقم ٧٢١٠ ونسخة تحت يدنا.

عن دين الله مخالفون للشريعة الإسلامية بقدحهم فى أولياء الله الصالحين بدون سند أودليل يعتمدون عليه واذا كان الأمر كذلك فما المراد بوحدة الوجود عند شيخنا النابلسى هذا ماسنذكره فيما يأتى:

المراد بوحدة الوجود عند النابلسى:

يرى الإمام النابلسى أن المراد بوحدة الوجود ماعليه أئمة الإسلام ومااتفق عليه جميع الخاص والعام فلهذا نرى شيخنا النابلسى يقول: انه ليس المراد بوحدة الوجود خلاف ما عليه أئمة الإسلام بل المراد بذلك مااتفق عليه جميع ا لخاص والعام اذ جميع العوالم كلها موجودة من العدم بوجوده الله تعالى لابنفسها محفوظ عليها الوجود فى كل لمحة بوجود الله تعالى لابنفسها واذا كانت كذلك فوجودها الذى هى موجودة به فى كل لمحة هو وجود الله تعالى لاوجود آخر غير وجود الله تعالى.

فالعوالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الأصلى لاوجود لها أصلا وأما من جهة وجود الله تعالى فهى موجودة بوجوده فوجود الله تعالى ووجودها الى هى به موجودة وجود واحد وهو وجود الله تعالى فقط وليس المراد بوجودها الذى هو وجود الله تعالى عين ذواتها وصورها بل المراد مابه ذواتها وصورها ثابته فى أعيانها.

وما ذلك إلا وجود الله تعالى باجماع العقلاء وأما وجود ذواتها وصورها من حيث هى فى أنفسها مع قطع النظر عن وجود الله تعالى فلا وجود لها أصلا[1]

فشيخنا النابلسى يرى أن المراد بوحدة الوجود هو ماعليه أئمة الإسلام وما اتفق عليه علماؤهم وأن وجود الله تعالى به وجود الخلق وهو كالمحة بصر لاموجود غير وجود الله ولايشاركه فى ذلك مشارك كما يرى أن وجودها الذى به موجودة هو فى الأصل وجود الله تعالى.

ومعنى ذلك أن المراد بوجودها الذى هو وجود الله تعالى ليس عين ذواتها وصورها بل المراد مابه ذواتها وصورها وما يخرجها من العدم إلى الوجود وذلك باجماع العقلاء ولايصح أن يقال أنها أوجدت نفسها أو شاركت الخالق فى الوجود ولنضرب لذلك مثلا

(١) ص ٢ من كتاب ايضاح المقصود فى وحدة الوجود مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٥٦٤ للنابلسى ونسخة مطبوعة بمطبعة العلم بدمشق تحت يدنا.

بنور الشمس إذا دخل فى بيت من نافذه بهذه النافذة عدة قوارير مختلفة الالوان فاننا نرى أن الضوء يختلف بأختلاف هذه القوارير فيرى الناظر أن نور الشمس بعضه أخضر وبعضه أحمر وبعضه أسود إلى غير ذلك من الألوان المختلفة فهل يسمى ذلك وجود أصلى بالنسبة لهذه الألوان المختلفة وان كان نور الشمس فى الحقيقة لم يختلف فى ذاته ولم يتعدد أصلا وإنما وقع الاختلاف والتعدد بسبب ماظهر من نور الشمس فيه وتجلت الشمس له وفى الحقيقة ليس فى الحجرة إلا نور الشمس فقط وهذه الأنوار المختلفة إذا نظر إلى ذواتها وقطع النظر عن نور الشمس ليس لها وجود أصلا وعلى ذلك تستطيع أن نقيس وجود العالم مع الله تعالى مع بعد الفارق فى ضرب المثل فوجود رب العالمين لما تجلى للعالم صار العالم موجودا بوجوده تعالى لابوجود آخر فيه مختلف العالم بحسب تجليه تعالى له فالوجود هو لله تعالى وحدة والالباس مختلفة بحسب التجلى وعلى ذلك يترتب عليه أن الله ليس بداخل فى العالم ولاخارج ولا متصل ولامنفصل ولامتعين ولافى مكان وهو مطلق عن الكيفيات والكمليات وأن جميع الأشياء موجودة بوجوده الذى هو عين ذاتها فهو الظاهر والباطن وهو على كل شىء قدير.

واذا كان الأمر كما ذكرنا فهل علماء الكلام لهم مع شيخنا النابلسى موقف فى وحدة الوجود هذا ماسنتحدث عنه فيما يلى:

موقف النابلسى من علماء الكلام والرسوم من وحدة الوجود:

ولذا يقول شيخنا النابلسى لعلماء الكلام والرسوم كيفما قلتم الوجود ماسوى الله تعالى من العوالم نقول لكم كل ذلك قائم بوجود الله تعالى وهو مفروض مقدر فى نفسه لأنه مخلوق فهو بالنظر إلى ذاته عدم صرف وإنما وجوده بوجود الله تعالى فالوجود لله تعالى وحده ان وجد بما سواه[1].

فشيخنا يرى أن الوجود واحد لله عز وجل وبذلك يرد على علماء الكلام والرسوم ويخالفهم فى ذلك وهؤلاء العلماء يختلفون معه فى الوجود سواء كان الوجود قائما بنفسه أوقائما بغيره ولذا يرى أن الوجود مستمد من الله عز وجل كما أن علماء الكلام والرسوم

(١) ص ١٤ من كتاب ايضاح المقصود فى وحدة الوجود للنابلسى مطبوع بمطبعة العلم بدمشق تحقيق عزة حيصرية ومخطوط ٥٥٦٤.

يقولون بذلك فكأنهم يوافقون قول النابلسى ويؤمنون به وربما يفهم من كلام شيخنا النابلسى الجبر فى رأيه ولذا دعنا نوضح ذلك ونقول إن كلام شيخنا النابلسى ليس فيه جبر ولانفى للاختيار وذلك لأن علماء الكلام من الاشاعرة يرون أن للعبد جزءا اختيارى فى أفعاله وبهذا صار له مدخل فى أفعاله وعلى ذلك فالنابلسى يريد أن جملة المخلوقات موجودة بوجوده سبحانه وتعالى لا أن الله تعالى خلق الكل والخلق والفرض والتقدير ولذا يرجع كلامه اذا إلى وحدة الوجود والمفروض المقدر كيفما فرض وقدر محتاج إلى الوجود الأول ولاوجود إلا بوجود الله تعالى مع أنه عدم صرف فى نفسه وهذا الوجود المفروض المقدر للاشياء عن ذواتها أوزائد عليها ولذلك يقول شيخنا النابلسى أن الذى يقول به علماء الكلام والرسوم ويجعلونه وجودا تاليا لوجود الله تعالى ويرونه ضروريا ويردون به على القائلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين من القول به بل هم قائلون به لتمام المضاهاة بين العالم والمعلوم والصانع والمصنوع على التنزيه التام ولايمتنع عليهم اثباته كما اثبتوا للمعلوم والمصنوع نظيرا للعلم والصانع من الصفات والاسماء ولايعلن ذلك عن صدق قولهم بوحدة الوجود[1].

شيخنا النابلسى يرى أن علماء الكلام وعلماء الرسوم خالفوه فى ذلك فى اللفظ وان كان حقيقة كلامهم تنطوى على ماقاله النابلسى ولذلك يرى شيخنا النابلسى أن المقصود بكلام المحققين هو ما به كل الموجودات موجودة الذى لولاه لما كان فى الوجود موجودا أصلا لامعقولا ولامحسوسا الذى جميع الموجودات فى نفسها به موجودة مع قطع النظر عن وجود القيوم عليها لاوجود لها أصلا اذ ليس فى قوة المخلوق أن يوجد نفسه أوأن يخلقها إلا وهو وجود الله تعالى الحق وحده لاشريك له سبحانه وتعالى القائم على كل نفس بما كسبت.

فحقيقة الحق إذا وجود صرف ومطلق حتى عن الاطلاق لا أنه قيد وحقيقة المفروض المقدر عدم صرف مقيد وإنما وجود المفروض المقدر لايقول به شيخنا الإمام النابلسى كما قال به علماء الكلام والرسوم ولذا فهو يرى أن الأمر كله راجع إلى وجود الله تعالى عند الجميع فوجود الله تعالى هو الوجود.

(١) ص ١٥ من كتاب ايضاح المقصود فى وحدة الوجود للنابلسى مطبوع بمطبعة العلم بدمشق ومخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق ٥٥٦٤.

والوجود كله بلا وجود الله تعالى عدم صرف فلاوجود إلا وجوده تعالى فكلهم قائلون بوحدة الوجود طوعا أو كرها وهو يقول وإنما قلنا بأن جميع المخلوقات مفروضة مقدرة لأن الخلق معناه الفرض والتقدير كما قال تعالى: وخلق كل شيء فقدره[1] تقدير.

وان كان معناه الايجاب الذى ينتج الوجود فهو الوجود المفروض المقدر فيرجع إلى أنه موجود مفروض مقدر على كل حال وعلى ذلك لامساواة بين وجود الله تعالى ووجود جميع المخلوقات كلها[2].

وعلى ذلك فشيخنا يرى أن وجود المخلوقات كلها لاينافى كونها بقدرة الله وارادته وعلمه وحياته وسمعه وبصره كما أن المحققين من العلماء يرون أن ذلك معناه وحدة الوجود لأنها اختصار فى الكلام عند العارفين واجمال فيه وتفصيلها عند علماء الكلام والرسوم من بيان صفات الله تعالى وشرح اسمائه فان صفاته تعالى عندهم ليست عين الذات ولا غيرها ولم يقل أحد من أهل السنة بمغايرتها لذاته تعالى حق المغايرة الموجبة للتركيب فأطلق عليها وجود الله تعالى فكان القول بأن وجود الله تعالى به وجود كل شيء على معنى خلق وجود كل شيء وفرضه وتقديره قولا باثبات الصفات لله تعالى على حد مايقوله علماء الكلام والرسوم بلاخلاف فشيخنا النابلسى ذكر نصا فى ديوانه يوضح به مذهبه ويرد به على الطاعنين فى القول بوحدة الوجود فيقول:

لاتقل وحدة الوجود اذا لم *** تعن عن كل كائن موجود

واذا لم تكن كذلك فاحذر *** من تلابيس عقلك المعقود

واجتنب وحدة الوجود ودعها *** لرجال قاموا بحفظ العهود[3]

كما يقول بعد ذلك:

انظر الكون خارجا من وجوده *** من وجود منزه عن قيوده

هذه وحدة الوجود فخذها *** مثلنا عنه ذائقا فيض جوده

ودع الملحدين بالجهل فيها *** مع معاداة غيهم وصدوده

(١) الآية رقم ٢ من سورة الفرقان.
(٢) ص ١٦ من كتاب ايضاح المقصود للنابلسى مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق ٥٥٦٤.
(٣) ص ١٠٩ من ديوان النابلسى.

يحسبون الضلال فى الله رشدا *** ويظنون أنهم من وفوده

أنت لاتستطيع أنك تهدى *** عبد رب قد ضل عن معبوده[1]

ثم يقول:

كل قول على العقول يشق *** ليس جمعا وإنما هو فرق

وسعت قال رحمتى كل شىء *** فتأمل ماذا يقول المحق

وحدة النور للجميع أنارت *** فجميع الأشياء بالنور صدق

هذه هذه الثلاثة أمر *** واحد وهو بالتقارير برق

قدرا قل مقدر أمره كما *** ن كما قال والعوالم برق[2]

كما قال أيضا:

إنما وحدة الوجود لدينا *** وحدة الحق فافهموا مانقول

وحدة الله وحدة لاسواها *** شهدتها منذا الكبار الفحول

وسواء قلنا الوجود أو الحق *** فلا فرق عندنا ياجهول[3]

لاتظن الوجود حيث ذكرنا *** هو الخلق عندنا المبزول

كما قال أيضا:

إنما وحدة الوجود فنون *** وهو قوله الإله فيكون

ليس للكون غيرها من وجود *** كل وقت له بها تكوين

وهى أمر الاله بالخلق يبدوا *** مثل ماقاله الكتاب المصون

إنما أمرنا لشىء إذا ما *** قد أردناه فالمقول شئون[4]

شهد الله أن ماقلت حق *** والنبيون والكتاب المبين

---

(١) ص ١٤٤، ١٤٥ من نفس الديوان السابق.
(٢) ص ٢٦٢ من نفس الديوان السابق.
(٣) ص ٣٠٢ من نفس الديوان السابق.
(٤) ص ٣٩٥ من نفس المرجع السابق.

هذه الأبيات التى ذكرناها للنابلسى من قصائده العديدة فى ديوانه نرى أنها توضح رأيه تمام الوضوح فى وحدة الوجود والمراد منها والمقصود بها وهو يرى أنها مستمدة من كتاب الله وسنته وعلى ذلك فأى قول يخالف ماذكره فهو باطل وأن الذين طعنوا على المتصوفة الحقيقيين طعنهم باطل وقولهم فاسد وانى أرى أن أذكر مجمل رأى شيخنا النابلسى فى وحدة الوجود بعد استعراض وحدة الوجود فى الميزان كما نذكر رأى ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغير ذلك من الآراء كما سأذكر رأى فى نهاية الموضوع واننا الآن سوف ننتقل إلى الحديث عن وحدة الوجود فى الميزان وبيان ذلك عند المتصوفة وغيرهم وهو ماتذكره فيما يأتى:

وحدة الوجود فى الميزان:

بعد أن أوضحنا بالتفصيل رأى الإمام النابلسى فى وحدة الوجود والمراد بها والمقصود منها أرى لزاما أن أجمل رأيه فى هذا الموضوع وكذا بعض ردوده على الطاعنين فى المتصوفة القائلين بوحدة الوجود على الوجه الموافق للكتاب والسنة، وعلى ذلك فيجمل رأيه فى وحدة الوجود فنراه يقول:

أن جميع علماء الظاهر لاحق معهم فى الطعن على القائلين بوحدة الموجود من المحققين العارفين القائلين بذلك. على وجه الحق والصواب.

وأما القائلون بوحدة الوجود من الجهلة الغافلين والزنادقة الملحدين الزائفين الذين يرون بأن وجودهم المفروض المقدر هو بعينه وجود الله عز وجل المفروض المقدر هى بعينها ذات الله وصفاتهم المفروضة المقدرة هى بعينها صفات الله تعالى الذين يحتالون بذلك على أسقاط الاحكام الشرعية عنهم ولابطال الملة المحمدية وازالة التكليف عن نفوسهم والطعن عليهم بسبب القول بوحدة الوجود على هذا المعنى الفاسد طعن صحيح وعلماء الظاهر مثابون بذلك كمال الثواب من الملك الوهاب العارفون المحققون معهم فى هذا الطعن من غير خلاف[1].

فالمحققون من المتصوفة نرى أن كتبهم ومصنفاتهم مشحونة باثبات الوجود الحادث المفروض المقدر صريحا واشارة والحاكم بأنه غير الوجود القديم، وإن كانوا قائلين بوحدة

(١) ص ١٧ من كتاب ايضاح المقصود من وحدة الوجود للنابلسى مطبوع بمطبعة العلم بدمشق.

الوجود غير أنهم تارة يغلب عليهم شهود الوجود الحق الحقيقى الذى به كل شىء موجود فينفون ماعداه ويقولون عما سواه أنه خيال وسراب وأنه هالك مضمحل زائل لاوجود له أصلا وهم صادقون فى ذلك كله لأن كل ماسوى الحق تعالى إنما وجوده مفروض مقدر بالاجماع لأنه مخلوق والوجود المفروض المقدر عدم صرف فى نفسه وإنما الوجود المحقق وجود الحق تعالى وحده الخالق الفارض المقدر لكل شىء أو الموجود بطريق الفرض والتقدير لكل شىء.

ولذلك لايقال لوكان كل شىء من المخلوقات مفروضا مقدرا ماكنه نشاهده محسوسا ومعقولا ثابتا موجودا محققا لا أن نقول فرض الله وتقديره لوجودات الاشياء فى اعيانها ليس كفرضنا نحن تقديرنا للشىء المعدوم.

ومن المسلم به أن الله تعالى جعل مانفرضه ونقدره أنزل رتبة منا ليكون ذلك فينا مثالا لما يفرضه الله تعالى ويقدره من وجودات الأشياء المعدومة وأنها أنزل منه تعالى فى الوجود وعلى ذلك لايجوز الطعن على أحد من العارفين وأن جهل الجاهل قولهم فإن الجهل الشريعة والدين الحق فى مذهب ذلك الجاهل ليس بعذر بل الواجب عليه التعليم والمعرفة ولذلك فاذا حكمنا على الجاهل بما يرى فى مذهب حكمنا بكفره حيث أنكر ماهو الحق على أهل الحق وان لم يعلم وأقام الاثم والمعصية فى ذلك كما قال تعالى: ﴿ولا تقف ماليس لك به ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[1].

ومن الواجب على المؤمن أن يحمل أخاه المؤمن على الكمال كلما أمكنه لاسيما فى حق المعارف والحقائق والعلوم الالهية فانهم أولياء الله تعالى، ومعاداة أوليائه تعالى معاداة لله وهى كفر لامحالة كما قال تعالى: ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين﴾[2] والجاهل الذى لايعرف علوم الأذواق والمواجيد الاليهة إنما علمه الذى هو غير عامل به مأخوذ من الكتب والأوراق له مندوحة من الانكار وهو تحسين الظن بالله تعالى والاعتراف بأنهم منه به سبحانه وتعالى وأنه جاهل بكلامهم فلاضرورة فى الانكار عليهم مع علمه بكفر من أنكر ولذلك نستنتج الآتى:

(١) الآية رقم ٣٦ من سورة الأسراء.
(٢) الآية رقم ٩٨ من سورة البقرة.

أولا: أن الإمام النابلسى نراه قد أوضح المراد من وحدة الوجود وحقيقتها فيما سبق ولم يترك مجالا واحدا من الطاعنين إلا وسد عليه الطريق.

ثانيا: أنه فرق بين الوجود والموجود والخالق والمخلوق وساق على ذلك أدلة عديدة تبين مذهبه فى ذلك.

ثالثا: ما أورده شيخنا النابلسى من النصوص القرآنيه والآدلة العقلية التى تحدد موقفه وتبين مذهبه فى صراحة من وحدة الوجود كما توضح هذه النصوص معنى هذه الوحدة.

رابعا: اعتمد الإمام النابلسى فى بيان وحدة الوجود وعدم القول بها على بيان معنى الوجود وحقيقة ذلك واحدة ولكن يمنح الله الوجود لمن شاء وعلى ذلك فالوجود واحد وأن تعدد بحسب الظاهر.

خامسا: شيخنا النابلسى دحض حجج المنكرين لوحدة الوجود كما بينها ورد على الزنادقة والملحدين ودافع عن الفاهمين لوحدة الوجود بايراد العديد من النصوص الموجودة فى كتبه من النظم والنثر والتى توضح رأى الإمام النابلسى فى وحده الوجود ودفاعه عن العلماء العارفين.

وانى أرى ما رأى الإمام النابلسى فى وحدة الوجود وحسب كلامه الذى فهمت منه رأيه الذى ينزه الخالق عز وجل عن أن يشاركه أحد فى الوجود أو أن يمنحه أحد الوجود وإنما سبحانه وتعالى هو المتفضل على سائر المخلوقات بالايجاد من العدم.

هذا حاصل رأى شيخنا النابلسى فى وحدة الوجود واذا كان رأى شيخنا فى وحدة الوجود ماذكرناه فهل هذه النظرية تركت دون أن يكون لبعض العلماء من الفقهاء المعتدلين من أراء اتهموا فيها المتصوفة بالقول بوحدة الوجود بين الخالق والمخلوق وجعلوا على رأس المتصوفة الإمام محى الدين بن عربى ولذا سوف أذكر رأى هؤلاء بايجاز ذاكرا رأى الإمام الفقيه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فى وحدة الوجود قبل بيان رأى الإمام محى الدين بن عربى بايجاز فى هذه النظرية والذى يعتبر المؤسس لها وهذا ماسنذكره فيما يأتى:

ابن تيمية ووحدة الوجود:

من المعلوم ان ابن تيمية متأخر عن ابن عربى فى الزمن اذ ان ابن عربى يسبق ابن تيمية فى الزمن فانه توفى ٦٣٨هـ وابن تيمية ولد عام ٦٦١هـ ومع ذلك فقد تصدى ابن

تيمية لمذهب ابن عربى فى وحدة الوجود وانتقده انتقادا مرا فى رسائله المتعددة فنراه فى الجزء الأول والرابع من مجموعة الرسائل والمسائل ينتقده ويبين ما فيه من زيف وباطل كذلك الف رسالة الرد الأقوم على مافى كتاب فصوص الحكم من البدع ضمن مجموعة وقد صدر هذه الرسالة بقوله ماتضمنه كتاب فصوص الحكم وما شاكله ومن الكلام فانه كفر باطنا وظاهرا وباطنه أقبح من ظاهره وهذا يسمى مذهب أهل الوحدة والحلول والاتحاد وهم يسمون انفسهم المحققين وهؤلاء نوعان:

النوع الاول: نوع يقول بذلك مطلقا كما هو مذهب صاحب النصوص وأمثاله كابن سبعين وابن الفارض والقنوى والشسترى والتلمسانى وأمثالهم ممن يقول أن الوجود واحد ويقولون أن وجود المخلوق هو وجود الخالق لايثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر بل يقولون أن الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق وأن وجود الأصنام هو وجود الله وأن عبادها ماعبدوا شيئا إلا الله يقولون ان الحق يوصف بجميع مايوصف به المخلوق من صفات النقص والذم ويقولون ان عباد العجل ماعبدوا إلا الله وأن موسى أنكر على هارون لكونه انكر عليهم عبادة العجل وأن موسى يزعمهم من العارفين الذين يرون الحق فى كل شيء بل يرونه عين كل شيء وإن كان فرعون صادقا فى قوله فقال أنا ربكم الأعلى[١] بل هو عين الحق ونحو ذلك مما يقوله صاحب الفصوص[٢].

أما النوع الثانى فهو قول من يقول بالحلول والاتحاد من معين كالنصارى الذين قالوا بذلك فى المسيح والغالية الذين قالوا بذلك فى على ابن أبى طالب وطائفة من أهل بيته والحاكمية الذين يقولون بذلك فى الحاكم والحلاجية الذين يقولون بذلك فى الحلاج واليونسية الذين يقولون بذلك فى يونس وأمثال هؤلاء كثير ممن يقولوا بألوهية بعض البشر وبالحلول والاتحاد فيه ولايجعل ذلك مطلقا فى كل شيء[٣].

وقد سلط ابن تيمية الأضواء على هذا المذهب وخاصة ابن عربى وكشف النقاب عن الأصول التى اعتمد عليها وناقشه فيها فتم له وحقق مذهبه ومعنى ذلك أن مذهب ابن عربى يقوم على أصلين هما:

---

(١) الآية رقم ٢٤ من سورة النازعات.

(٢) ص ٤١، ٤٢ مجموعة رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ بمطبعة السنة المحمدية.

(٣) ص ٤٤ من مجموع الرسائل لابن تيمية.

١ - المعدوم: شيء ثابت في العدم.

٢ - وجود الأعيان نفس وجودالحق.

أما الأصل: الأول فقد نشأ عند ابن عربي من علم الله الاشياء قبل إيجادها فابن عربي فهم من علم الله هذه الأشياء انها لابد أن تكون ثابتة في العدم والا لما علمت وتعلق بها العلم، وهذه شبهة واهية لأن علم الله الشيء لايستلزم ثبوته في القدم فالانسان يعلم الموجود والمعدوم والمستحيل كما يعلم مأخبر الله به عن أصحاب النار من مثل قوله تعالى: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾[1] ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾[2] ونحو ذلك من الجمل الشرطية التي ينتفي فيها الشرط وجوابه فهذه أمور فتصورها نوع تصور ولايكون لها ثبوت في الخارج فثبوت الشيء في العلم والتقدير ثبوتا لعينه في الخارج وان تسمية المعدوم شيئا غير صحيح فالمعدوم لايسمى شيئا كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئا﴾[3] وقوله عز وجل: ﴿أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾[4].

ثم تحدث عن الأصل الثاني فقال:

أما الأصل الثاني: فباطل لتضمنه انكار وجود الحق وانكار خلقه لمخلوقاته فلا خلق ولامخلوق ولاخالق ولارب ولامربوب اذ ليس إلا أعيان ثابتة ووجود قائم بها وليست الأعيان مخلوقة ولا الوجود مخلوق والبديهي أن قولا يناقض صريح القرآن والسنة الدالة على الخالق والربوبية في غاية البطلان[5] ولهذا لم يتردد ابن تيمية في تكفيرهم بل اعتبر كفرهم هذا اعظم من كفر اليهود والنصارى وذلك من وجهين.

الوجه الأول: من جهة أن اليهود والنصارى قالوا أن الرب يتحد بالعبد الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين وأما ابن عربي وبطانته فيقولون مازال الرب والعبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

(١) الآية رقم ٢٨ من سورة الأنعام.
(٢) الآية رقم ٩ من سورة مريم.
(٣) الآية رقم ٢٣ من سورة الأنفال.
(٤) الآية رقم ٦٧ من سورة مريم.
(٥) ص ٦، ٧، ٨، ١٤، ٢٥، جـ٤ من مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية مطبعة المنار سنة ١٣٦٩هـ.

الوجه الثانى: أن اليهود والنصارى خصوا هذا الاتحاد بمن علموه كالمسيح أما هؤلاء فقد جعلوا ذلك ساريا فى الكلاب والخنازير واذا كان الله قد كفر من قال: ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ فكيف بمن قال ان الله هو النار والمنافقون والصبيان والمجانين واذا كان الله رد قول من قال: ﴿نحن ابناء الله وأحباؤه﴾[1] بقوله تعالى ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق﴾[2] فكيف يرضى عن زعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولاسواه[3].

ولهذا نرى أن أهم مأخذه ابن تيمية على ابن عربى مايأتى:

أولا: يقول ابن عربى بوجود أعيان ثابتة فى العدم وقد ناقشه ابن تيمية فى هذا القول بما يأتى:

هذه الاعيان المعدومة الثابتة فى العدم هل خلقها الله وجعلها موجودة بعد أن كانت معدومة أم لم يخلقها فلا تزال معدومة فإن كان الأول امتنع أن تكون هى اياه لأن الله لم يكن معدوما فيوجد وان كان الثانى وجب الايكون شىء من الكون موجودا وهذا تبطله المشاهدة والعقل والشرع ولايقوله عاقل[4].

ثانيا: ناقشه فى قوله ظهر الحق وتجلى وهذه مظاهر الحق ومجاليه وهذا مظهر الهى ومجلى الهى فقال: إن عنيتم أنه ظهر لها وتجلى بحيث تعلمه فهو باطل لأن المعدوم لايعلم شيئا وان عنيتم أنه ظهر بها وتجلى بها فهى بمثابة آيات دالة عليه كما قال تعالى: ﴿ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ... إلى قوله: لآيات لقوم يعقولن﴾[5] لكنك لم تفعل ذلك لأنك قلت تجلى لها وظهر لها ولم تقل دل خلقه عليه وجعلها آيات وتبصرة لكل عبد منيب: يقول ابن عربى فلا تقع العين إلا عليه وهذا يدل على أن العين ترى الله وهذا القول يناقض قول الرسول ﷺ واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت[6] ثبت هذا الحديث فى صحيح مسلم: وان كان ابن تيمية

(١) من الآية رقم ١٨ من سورة المائدة.
(٢) من الآية رقم ١٨ من سورة المائدة.
(٣) ص ٢٥ جـ٤ مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية مطبوع بمصر سنة ١٣٦٩هـ.
(٤) ص ٢٨ جـ٤ مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية مطبوع بمصر سنة ١٣٦٩هـ.
(٥) الآية رقم ١٦٤ من سورة البقرة.
(٦) ص ٢٨ جـ٤ مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية مطبوع بمصر سنة ١٣٦٩هـ.

قد ناقش ابن عربى فى مذهبه وقتئذ: إلا أنه كان منصفا فى مناقشته لهذا المذهب ولم يتجنى عليه ولذلك نراه قد مهد له بمنزلته إلى الإسلام فقال: ولكن ابن عربى أقربهم إلى الإسلام وأحسنهم كلاما فى مواضع كثيرة فإنه يفرق بين الظاهر والمظاهر فيبقى الأمر والنهى والشرائع على ماهى عليه ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ عن الأخلاق والعبادات[1].

وربما لقائل أن يقول أن ابن تيمية قد ناقض نفسه فى قوله هذا حيث ذم ابن عربى تارة ومدحه مرة أخرى والجواب عن ذلك أنه ذمه لما رآه فى عقيدته من مخالفة للدين اذ القول بوحدة الوجود يخالف الدين الصحيح لأن الدين يقول بوجودين قديم وهو وجود الخالق ووجود حادث هو وجود المخلوقات، ومدحه لما عرفه من عباد، ودعوته إلى الأخلاق الفاضلة وسلوك الطريق إلى الله ويؤيد رأى ابن تيمية فى تزكية ابن عربى لما قاله الدكتور أبو العلا عفيفى ولم تمنع هذه العقيدة ابن عربى كما لم يمتنع اسبنوزا من بعده من أن يشعر شعورا دينيا عميقا ايذاء تلك الحقيقة الكلية الشاملة للكون وجميع مافيه ولكن شعور من يوقن بافتقاره إلى ربه افتقار من الوجود إلى واجب الوجود افتقار الصورة الهيولى المقومة لها فهو وإن اعتبر الحق والخلق شيئا واحد الايزال يعشق الحق ويعبده[2] هذا ماذكره الفقيه ابن تيمية فى وحدة الوجود ورده على ابن عربى وبيان مافى هذا المذهب من مآخذ ولذا أرى قبل أن انهى الكلام عن موقف ابن تيمية من وحدة الوجود ورده على المتصوفة.

أرى أن ابن القيم سار فى هذا الموضوع على رأى استاذه ابن تيمية وبعد بيان رأى هذين العالمين نستطيع الوصول إلى القول الفصل بالنسبة لوحدة الوجود كما وضحها شيخنا النابلسى ورده على الطاعنين فى المتصوفة المعتدلين منهم الذين يأتمرون بالكتاب المبين ويسيرون على نهج السنة المحمدية أقول أنه لما كان ابن تيمية وهو استاذ ابن القيم قد آخذ على ابن عربى عدة مآخذ فهل ابن القيم بدأ رأيه فى وحدة الوجود بتفنيد نظرية ابن عربى من الواضح أنه أخذ ابن القيم على ابن عربى وبطانته أنهم يقولون بوحدة الوجود واعتبرهم من أجل ذلك ملاحدة لما فى عقيدتهم من ابطال التكاليف ونفى

(١) ص ١٩٦ جـ١ مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية مطبوع بمصر سنة ١٣٦٩هـ.
(٢) ص ٢٣٤ دائرة المعارف الإسلامية المجلد الاول بالهامش.

التقادير بين العبد والرب كما فيها من تعطيل العبودية وتعطيل الصفات وكلاهما مخالف للشرع ولما اجتمع التعطيلان فحين اجتمع له من السالكين تواد منها القول بوحدة الوجود لتضمنه لانكار الصانع وصفاته تعالى[1]، واذا بطل قول هؤلاء بطل قول أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود وانه مائم وجود قديم خالق ووجود حادث مخلوق بل وجود هذا العالم وهو عين وجود الله وهو حقيقة العالم فليس عند القوم رب وعبد ولامالك ومملوك ولاراحم ومرحوم ولاعابد ولامعبود ولامستعين ولامستعان[2].

هذا ما بدأ به ابن القيم من بيان لمذهب وحدة الوجود عن ابن عربى فهل فند ذلك وبين مايترتب عليه نرى أنه بعد ذلك انتقل يبين مايترتب على مذهب ابن عربى واتباعه من عدم التفرقة بين الطاعة والمعصية محذرا من اتباعه ولذا يقول ابن القيم.

مائم طاعة ولا معصية اذ الطاعة والمعصية إنما يكونان بين اثنين ضرورة والمطيع عين المطاع فما هاهنا غير فالوحدة المطلقة تنفى الطاعة والمعصية فاحذر هذه الطريقة فأنها طريقة الاتحادية القائلين بوحدة الوجود وانه مائم رب وعبد تعالى الله عن إفكهم علوا كبيرا[3] هكذا يبين ابن القيم ما يترتب على هذا المذهب من عدم التفرقة بين الطاعة والمعصية ومايترتب على ذلك من جعل الخالق والمخلوق شيء واحد وهذا دفع ابن القيم إلى التنديد على القائلين بوحدة الوجود، خاصة ماذكره فى الفناء عن وجود السوى، ويحسن أن نضع أمامنا ماورد عنه فى هذا المقام ليتضح لنا موقفه تام الوضوح.

قال: أما الفناء عن وجود السوى فهو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود وأنه مائم غيره فإن غاية العارفين والسالكين الفناء فى الوحدة المطلقة وقف التكثر والتعدد عن الوجود بكل اعتبار فلايشهد غيرا أصلا بل يشهد وجود العبد عين وجود الرب بل ليس عندهم فى الحقيقة رب وعبد وفناء هذه الطائفة فى شهود الوجود كله واحد وهو الواجب بنفسه مائم وجود ان ممكن وواجب ولايفرقون بين كون وجود المخلوقات بالله ويبين كون وجوده هو عين وجوده وليس عندهم فرق بين العالمين ورب العالمين ويجعلون الأمر والنهى المحجوبين عن شهودهم وفناءهم وهو تلبيس عندهم والمحجوب عندهم

(١) ص ١٦٥ مدارج السالكين إلى رب العالمين جـ١ لابن القيم.
(٢) ص ٣٣ جـ١ نفس المرجع المذكور.
(٣) ص ١٢٦ مدارج السالكين إلى رب العالمين جـ١ لابن القيم.

يشهد أمثاله طاعات أو معاصى لأنه فى مقام الفرق فاذا ارتفعت درجته شهد أمثاله كلها طاعات لامعصية فيها لشهود الحقيقة الكونية الشاملة لكل موجود فاذا ارتفعت درجته عندهم فلا طاعة ولا معصية بل أرتفعت الطاعات والمعاصى لأنها تستلزم اثنينية وتعدادا ومطيعا ومطاعا وعاصيا ومعصيا وهذا عندهم محض الشرك والتوحيد المحض يأباه[1] هذا ماذكره ابن القيم من نصوص توضح مذهبه فى وحدة الوجود وتبين مدى تنديده بمذهب ابن عربى واتباعه ومايترتب عليه من محظورات واذا كان الأمر كذلك فلابد لنا من التعقيب على هذا وبيان القول الراجح منها فيما يأتى:

تعقيب:

يظهر مما تقدم أن ابن القيم يبطل القول بوحدة الوجود بل يعتبر القائلين به ملاحدة لما فى هذا من مخالفات للدين الإسلامى نلخصها فيما يلى:

أولا: يترتب على القول بوحدة الوجود اسقاط صفة الربوبية عنه تعالى لأنه لايتصور رب دون مربوب عقلا وأيضا اسقاط صفة الخلق اذ لايتصور خلق دون مخلوق وقد أسقط ابن عربى المربوب والمخلوق فلا يتصور رب ولاخلق ولاخالق.

ثانيا: القول بوحدة الوجود ينافى ماهو مقرر فى الدين الإسلامى من وجود قديم هو الله تعالى ووجود حادث هو العالم، وإن هذا الحادث من صنع الله عز وجل.

ثالثا: يترتب على هذا القول ابطال التكليف اذ هو اوامر ونواهى من الله للعبد وهذا لايتصور عند من قال بوحدة الوجود لان ابن عربى اعتبر العالم مظهرا لوجود الله فلا يمكن التكليف بناء على رأية اذ لايتصور أن يكلف الله نفسه تلك مآخذ ترد على ابن عربى وتبين مافى هذا المذهب من طعن على الدين هذا هو تعقيبنا على مذهب ابن عربى حسب قول ابن القيم ورأيه وقبل أن اعطى القول الراجح والحكم على هذا المذهب حكما كاملا أرى من الضروري أن نصور مذهب ابن عربى ونوضحه حتى نقف على الحقيقة ثم نعطى النتيجة، ولذا سوف نتحدث عن مذهب ابن عربى فى وحدة الوجود بايجاز فيما يأتى:

---

(1) ص ٨٣ نفس المرجع السابق.

مذهب ابن عربى:

يعترف ابن عربى بوجود الإله وجودا اوليا وهذا الإله له فيض أقدس وهو تجلى الذات الإلهية فى ظهور جميع الكائنات أولا هذه الصورة معقولة ليس لها وجود عينى وهى التى نسميها الاعيان الثابتة فى العدم فهى ثابتة فى علم الله كما توجد المعانى في العقول الانسانية ومعدومة لأنها ليست لها وجود خارجى واليها أشار بقوله اعلم أن الأمور الكلية وان لم يكن لها وجود فى عينها فهى معقولة ومعلومة بلا شك فى الذهن فهى باطنة لاتزال عن الوجود العينى ولها الحكم والأثر فى كل ماله وجود عينى بل هو عينها لاغير أعنى اعيان الموجودات العينية ولم تزل عن كونها معقولة فى نفسها فهى الظاهرة من حيث أعيان الموجودات كما هى الباطنة من حيث معقوليتها فأسناد كل موجود عينى لهذه الأمور الكلية التى لايمكن رفعها عن العقل ولايمكن وجودها فى العين وجودا تزول به من أن تكون معقولة[1] فهو يعطى الاعيان الثابته فى العدم سلطة واسعة النطاق فمنها يعلم الله حال الموجودات فلا يوجدها إلا كما علمها ولايوجد أكثر من هذه الأعيان الثابته فهو منزه عن كل نقص يلزم الأعيان الثابته وإلى هذا أشار بقوله ومن هؤلاء من يعلم أن علم الله به فى جميع أحواله وماكان عليه فى حال ثبوت عينه قبل وجودها ويعلم أن الحق لايبطن إلا ما أعطاه عينه من العلم به وهو ماكان عليه فى حالة ثبوته[2] بهـــذه الأعيان الثابته فى العدم تظهر من العالم المعقول إلى العالم المحسوس وهذا الظهور هو الفيض المقدس وليس فى الوجود شىء يكون فى ظهوره على خلاف ماكان عليه فى ثبوته فللذات الإلهية فيضان الفيض الأقدس وبه كانت الأعيان الثابته في العدم والفيض المقدس وبه ظهرت هذه الأعيان إلى عالم المحسوس[3].

ولهذا يبدو مما تقدم أن مذهب وحدة الوجود لاتزال فيه ثغرات يمكن النفوذ منها إلى نقد أبن عربى وأهمها مايلى:

أولا: يرى ابن عربى أن الأعيان المحسوسة لايحصل لها إلا ما كانت أعيانها الثابتة فى العدم مستعدة له وهذا يقتضى عجز الله.

---

(١) ص ٥١، ٥٢ من كتاب نصوص الحكم مطبوع بمكتبة الأزهر تحت رقم ٢٤٢١٥ عام جـ١ .

(٢) ص ٦٠ من نفس المرجع السابق.

(٣) ص ٨، ٩ جـ٢ من كتاب نصوص الحكم تعلقات الدكتور أبو العلا عفيفى مطبوع بدار الكتاب العربى بلبنان.

ثانيا: ما أسماه الاعيان الثابتة فى العدم باطل وقد بين ابن تيمية بطلانه ونحن نرى ذلك فى موقف ابن تيمية من ابن عربى.

ثالثا: يقول ابن عربى أنه لايوجد فى العالم المحسوس أكثر مما كان ثابتا فى العدم وهذا يفيد عجز الله وتضييق القدرة الإلهية.

رابعا: يرى ابن عربى ان الله يستفيد العلم من الأعيان الثابتة فى العدم ولذا قال ابن عربى اعلم ان القضاء حكم الله فى الاشياء على ما أعطته المعلومات مماهو عليه فى نفسها[1] وفى هذا نسبت الجهل إلى الله تعالى اذا المقرر فى عقائد المسلمين ان علم الله ذاتى لم يستفده من شيء آخر.

خامسا: ويجب ألا نغفل مايبدوا فى مذهب ابن عربى من الجبر فانه يرى أن كل شيء مقيد بما كانت عليه عينه فى حال ثبوتها ولايستطيع الفكاك عنه بل الله نفسه لايقدر أن يغير من ذلك شيئا فالمؤمن والكافر والمطيع والعاصى كل أولئك يظهرون فى وجودهم على نحو ماكنوا عليه فى ثبوتهم بمعنى على نحو ماكانت عليه اعيانهم الثابتة فى علم الحق جل وعلا ولذا قال تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم[2] الظالمون﴾ وقال جلا وعلا: ﴿وما انا بظلام للعبيد﴾[3].

ولذا نرى ابن عربى يقول معلقا على هذه الآيات وشارحا لها فيقول أى ماقدرت عليهم الكفر الذى يشقيهم ثم طالبتهم بما ليس فى وسعهم أن يأتوا به بل ماعاملناهم إلا بحسب ماعلمناهم وماعلمناهم إلا بما أعطونا من نفوسهم مما هم عليه فإن كان ظلما فهم الظالمون[4] وقال أيضا: فما اعطاه الخير سواه ولا اعطاه ضد الخير غيره بل هو منعم ذاته ومعذبيها فلا يذمن إلا نفسه ولايحمدن إلا نفسه فلله الحجة البالغة فى علمه بهم اذ العلم يتبع المعلوم[5].

هذا هو مذهب ابن عربى موضحا ومبينا بيانا لايترك مجالا لأحد فى اتهامه بالقول بوحدة الوجود.

---

(١) ص ١٠٤ جـ٢ من كتاب فصوص الحكم الفص العزيزى ٣٦٢ مكتبة الأزهر.
(٢) الآية رقم ٧٦ من سورة الزخرف.
(٣) الآية رقم ١٩ من سورة ق.
(٤) ص ١٣٠ فصوص الحكم الفص اللوطى.
(٥) ص ٢٦ فصوص الحكم الفص اليعقوبى مطبعة الأزهر تحت رقم ٣٦٢ نصوص.

وشيخنا النابلسى قد اطلع على غالبية كتب أبن عربى ودافع عنه فى قوله بوحدة الوجود ولذا سوف نذكر هذا الدفاع فى موضعه من هذا الفصل إن شاء الله واذا كنا قد ذكرنا فيما سبق رأى شيخنا النابلسى فى وحدة الوجود ورأى معتدلى الفقهاء فى هذا الموضوع ونقدهم لابن عربى ثم وضحنا رأى الإمام محى الدين بايجاز فى هذه النظرية أرى أن اذكر ماوقع عليه نظرى فى كتاب كلمة الجود فى معنى وحدة الوجود للقشاش عند كلامه عن وحدة الوجود وذلك لأنى وجدت هذا العالم يدافع عن القائلين بوحدة الوجود ويفند رأى الناقدين لهذه النظرية ويسير فى رأيه كما سار شيخنا النابلسى فى الاعتماد على الكتاب والسنة أولا ثم يأتى بالدليل العقلى قويا ومرجحا ما أثبته عن طريق الشرع وأنى أرى أن أضع بين يدى القارئ ماقاله فى هذا الشأن.

موقف القشاش من وحدة الوجود:[1]

يقول شيخنا القشاش: اعلم وفقت أن بعض النقاد من المتقدمين والمتأخرين تكلموا على المتكلمين لوحدة الوجود من المتقدمين والمتأخرين ولم يعلم حق العلم ما أرادوه بوحدة الوجود فقضى بوهمه حتى غلط فى الترديد وماله إلا الإيمان بذلك ضرورة وهو حال يحكى ماعنده من وجد لا ماعنده لذهاب الذهن فى الكلام كل مذهب ولكن الحق أحق عند المحق أن يتبع وبه يتمذهب والاحسن خير من الحسن ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم[2] فلولا أن الاقوال والافعال والعقود والنيات مايحتاج معه الطالب إلى طلب الاعتصام بالله فيه ما أومأ الحل إليه من قوله تعالى: ﴿قال لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحم﴾ وبهذا تعرف قدرك مع الله فإنك لاتملك معه شيئا ولالنفسك فمن أنت فقد ضعفت فى وجودك لولا منة جوده بوجودك[3].

فشيخنا القشاش يعتمد فى رده على هؤلاء بايات كثيرة من القرآن الكريم ويبين أن هذه الوحدة التى قال بها المتصوفه ليس كما فهمها هؤلاء بل فرق بين فهمهم والمراد منها فالمراد منها أن الله منح الوجود للموجودات وأن أصل الوجود واحد هو وجود الله وأن هناك وجودان حادث وقديم، فالقديم هو وجود الله والحادث وجود المخلوقات فليس إذا

(١) كتاب الجود للإمام أحمد الديجانى المعروف بالقشاش المولود فى ٩٩١هـ وتوفى ١٠٧١هـ .
(٢) ص ٥٤ من كتاب الجود فى معنى وحدة الوجود للقشاش.
(٣) الآية رقم ٤٣ من سورة هود.

المراد بوحدة الوجود عند المتصوفة المعتدلين أن الخالق والمخلوق شيء واحد وكلام القشاش هذا يسير فيه كما سار شيخنا النابلسى من التفريق بين الوجود القديم والوجود الحادث فى بيان معنى وحدة الوجود ومن المعلوم ان شيخنا القشاش يسبق النابلسى فى الزمن ولكنهما تلاقيا وتعصرا فى العلم ولذا ذكرت رأيه فى وحدة الوجودالذى ينزه عن طريق ذلك المولى عز وجل عن مشاركته للحوادث وإلا لكان الله من جملة الحوادث وهذا محال على الله تعالى أن تكون ذات الحوادث ذاته تعالى.

هذا ماذكره شيخنا القشاش فى وحدة الوجود وبيانها ورده على الناقد ين لها غير الفاهمين معناها والذين يخلطون بين الحق والخلق وقد ذكرت ذلك توضيحا وتوكيدا لرأى شيخنا النابلسى كما أنه يجلى فى رأيه هذا موقف الإمام محى الدين بن عربى الذى اتهم بالقول بوحدة الوجود على الوجه المخالف للكتاب والسنة وذلك لعدم فهم مراد شيخنا محى الدين بن عربى من وحدة الوجود ولهذا ذكرنا فيما سبق رأى معتدلى الفقهاء الذين نقدوا المتصوفة فى قولهم بوحدة الوجود وخاصة ابن عربى الذى يعتبرونه إمام هذه الطائفة وصاحب نظرية الوحدة بين الخالق والمخلوق وقبل أن أنهى الكلام فى هذا الموضوع لابد من ذكر رأى أحد الكتاب المعاصرين الذين خاضوا فى هذه النظرية وطعنوا علي أئمة التصوف ونقدوهم فمن هؤلاء محمد فهر شفقة وهذا ماسنتحدث عنه فيما يلى:

رأى محمد فهر شفقة فى وحدة الوجود:

يرى هذا العالم أن القائلين بوحدة الوجود يختلفون فى تصويرها إلى فريقين ولهذا يقول تحت عنوان وحدة الوجود فى كتابه التصوف بين الحق والخلق قال: فريق يرى الله روحا والعالم جسما لذلك الروح فالله هو كل شيء وفريق يرى أن جميع الموجودات لاحقيقة لوجودها غير وجود الله فكل شيء هو الله[1].

وينقل محمد فهر شفقة بعض نصوص لكثير من العلماء ليؤيد رأيه ويقوى نقده فيقول: قال الشيخ حسن رضوان: إنما الموجود حقيقة هو ذات الحق تعالى وليس لتلك الاعيان الماهيات الظاهرة وجود حقيقى ذاتى لها، وإنما المشاهد فيها انصياغها بنور الوجود الحق على نحو من انحاء الظهور وطورا من أطوار التجلى الحق فهو الظاهر فى جميع المظاهر

(١)ص ٦٤ من كتاب التصوف بين الحق والخلق الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ لمحمد فهر شفقة بمطبعة دمشق.

والمشهود فى كل التعيينات بحسب استعداداتها وتعدد شئونه بتكثر حيثياتها فظهر الحق فى كل ماهية على ماتقتضيه ذاته الكريمة من التنزيه التام القديم الذى لايعرفه غيره ويشهد لذلك قوله ﷺ:

رأيت ربى فى صورة شاب أمرد[1] وقوله ﷺ فى خلق آدم على صورة الرحمن[2].

ويعتقد القائلون بوحدة الوجود أن على بن الحسين بن على بن أبى طالب زين العابدين كان يشير إلى هذا المعنى بقوله:

يارب جوهر علم لو أبوح به *** لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولا أستملت رجال مسلمون دم *** يرون أقبح مايأتونه حسنا
انى لاكتم من علمى جواهره *** كى لايرى الحق ذو جهل[3] فيفتنينا

ويحتجون أيضا بقول أبى هريرة رضي الله عنه قال: حفظت عن رسول الله ﷺ دعائين من علم فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع من هذا البلعوم[4] وقال صاحب كتاب هتك الأستار فى علم الاسرار العالم موجود بوجود الحق وهو ينقطع النظر عن الحق غير موجود فى عينه اذا لاوجود له من ذاته ولاوجود الظل بلا وجود شخص[5].

وقال صاحب هذا الرأى لقد اكثر الشعراء المتصوفة من ذكر مذهب وحدة الوجود سواء كان بالتصريح أو بالتلميح ومن ذلك قول الإمام النابلسى:

أطوف على ذاتى بكاسات خمرتى *** وأستمع الألحان فى حان خمرتى

إلى آخر ماقال فى هذا الشعر ويقول ابن عربى:

الرب حق والعبد حق *** ياليت شعرى من المكلف
ان قلت عبد فذاك حق *** أوقلت رب أنى أكلف

(١) عوارف المعارف على هامش الاحياء ص ٢٦.
(٢) حديث موضوع ص ١١٠ اسس المطالبة الوافية.
(٣) ص ٢٦ جـ١ فتوحات مكية لابن عربى.
(٤) ص ٦٨ جـ٢ التصوف الإسلامى للدكتور زكى مبارك بمكتبة الأزهر تحت رقم ١٤٦٦.
(٥) ص ٦٧٦، ٦٧٨ جـ٥، ٦ دائرة المعارف فى القرن العشرين مجلد رقم ١٠.

والقائلون بوحدة الوجود يرون انها لاتتنافى مع أحدية الحق لأن ماصدر عنهم ليس إلا ضربا من التعيينات وهذه التعيينات تتكثر وتتغير ولكن الحق فى احديته لايتكثر ولايتغير ونرى أن محمد فهر شفقة ذكر كثيرا من النصوص التى تؤيد رأيه وتطعن على المتصوفة كما أشار إلى أن الشيخ عبد الغنى النابلسى قد شرح فصوص الحكم لابن عربى ولم ينكر نسبة القول بوحدة الوجود إليه بل أيد رأى ابن عربى وأورد له بعضا من النصوص كما قال أن الشيخ النابلسى لم يرى أن هذه النصوص مدسوسة على ابن أو أنها ليست من اقوال الإمام محى الدين ويرى أن القول بوحدة الوجود خطر جدا يتنافى مع العقيدة الإسلامية القائمة على توحيد الحق جل وعلا[1] فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء[2] وهو الواحد الأحد كما اشار إلى ذلك الحق فى كتابه المبين قال تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾[3].

وقد أشرنا: أن عقيدة القول بوحدة الوجود عقيدة قديمة فى الديانات السابقة فترجع اصولها إلى البوذية الموغلة فى القدم إلى العهود التى سبقت ظهور الديانات السماوية الثلاث حينما كان الانسان يعبد قوى الطبيعةوكانت توجد فى هذه الفترة عدة مذاهب قديمة قائلة بوحدة الوجود تدل على أن أصل هذه العقيدة كانت موجودة فى البشر قبل ظهورها فى الفكر الإسلامى إلى هنا انتهى رأى الاستاذ محمد فهر شفقة فى وحدة الوجود ونقده للقائلين بها واننا سوف نناقشه فى رأيه هذا عند بيان رأينا فى وحدة الوجود والقائلين بها.

ثم ننتقل إلى ذكر رأى الدكتور زكى مبارك بايجاز فى هذه النظرية وهذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

رأى الدكتور زكى مبارك:

يرى الدكتور زكى مبارك أن القول بوحدة الوجود يجعل الثواب والعقاب من المشكلات فمن الذى يثيبنا حين نحسن ومن الذى يعاقبنا حين نسىء السنا بصفة من واجب الوجود ايحسن الله إلى نفسه ثم يسىء ويسىء ثم يعاقب تلك مشكلة[1] المشكلات.

(١) ص ٧١ من التصوف بين الحق والخلق فهر شفقة.
(٢) الآية رقم ١١ من سورة الشورة.
(٣) سوة الأخلاص.
(٤) ص ١٨١ جـ٢ من التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق للدكتور زكى مبارك مطبوع بمصر.

هذا هو اساس المشكلة عند الدكتور زكى مبارك وهو يرى أن ابن عربى حل هذه المشكلة حلا طريفا لأنه ينصح العوام أن يكتفوا بالشريعة فيفهموا الثواب والعقاب على نحو مايفهم جمهور المسلمين ويحفظ بذلك السمو الروحانى للأقطاب الواصلين فمن التجليات إلى مقام الفناء وعرف لاموجود إلا الله أستطاع أن يقول أنا الله ثم يعقب الدكتور زكى مبارك فيقول: إن القول بوحدة ا لوجود ليست إلا شطحة صوفية وهو خطر كل الخطر فى عالم الاخلاق فان رابكم هذا القول فتأملوا احوال الصوفية فهم فى الأغلب من الذين سقطت عنهم التكاليف وعاشوا عيشا التفكك والانحلال منذ أفلتوا من قيود الشرع الحقيقى.

هكذا يرى الدكتور زكى مبارك ان القول بوحدة الوجود يخالف الشرع والعقيدة الصحيحة وإن كان يرى أن ابن عربى قد حل هذه المشكلة ولكن نحن نقول كيف يطعن على ابن عربى ثم يرى أنه قد حلها إليس ذلك إلا تناقض فى الرأى الذى يجب أن يتحرى فى بحثه وأن يكون حكمه واحد ورأيه واحد منصفا حتى يعطى النتيجة والحكم الصحيح وبعد أن عرضنا لهذه الاراء التى بحثت مشكلة وحدة الوجود فهل ترك شيخنا النابلسى هذه النظرية دون أن يدافع عنها وأن يعلل لهذه النظرية ويبين الرأى والصواب فيها ولذا نرى أن شيخنا النابلسى قد دافع عن هذه النظرية وبين المراد بأقوال الصوفية منها ولذا سوف نذكر دفاعه فيما يأتى:

دفاع النابلسى عن وحدة والوجود:

يرى شيخنا أن مسألة وحدة الوجود قد تكلم فيها كثير من العلماء قديما وحديثا فيقول: قد ردها قوم قاصرون غافلون محجوبون وقبلها قوم آخرون عارفون محققون.

وبعد أن قسم العلماء لهذين القسمين نراه يبين هذه الاقسام فيقول: فأما الذين ردوها فلعدم فهم معناها وتوهمهم فيها المعنى الفاسد فلا التفات لرد هؤلاء وذلك لقصورهم عن الحق وإنما كان ردهم فى الحقيقة لأمر واقع على فهمهم صير المعنى فاسدا لاعلى هذه المسألة[1].

---

(١) ص ٦ من كتاب ايضاح المقصود من ودة الوجود للنابلسى مطبوع بدمشق عام ١٣٨٩هـ تحقيق عزة عصرية.

هكذا يبين شيخنا النابلسى رأى الفريق الذى رد نظرية وحدة الوجود وذلك لعدم فهمهم المراد منها ولأن عقولهم قاصرة وفهمهم واقع على المعنى الفاسد الذى يفهمه كل مغرض وطاعن على أصحاب الحقيقة ثم انتقل إلى بيان رأى القائلين بها فيقول:

فأما القائلون بها فإنهم العلماء المحققون والفضلاء العارفون أهل الكشف والبصيرة الموصوفون بحسن السيرة وصفاء السريرة.[1]

وقد ضرب النابلسى أمثلة للقائلين بوحدة الوجود على المعنى الصحيح الذى يقوم على اثبات فرق بين الخالق والمخلوق مثل الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى وشرف الدين ابن الفارض والعفيفى التلمسانى وعبد الحق ابن سبعين وعبد الكريم الجيلى وأمثالهم قدس الله تعالى أسرارهم وضاعف أنوارهم فهم قائلون بوحدة الوجود هم وأتباعهم إلى يوم القيامة ان شاء الله تعالى، وليس قولهم لذلك مخالفا لما عليه أهل السنة والجماعة وإنما المنكر عليهم وعلى أمثالهم إنما انكر لقصور فهمه وقلة معرفته باصطلاحهم وعدم علمه أن علومهم مبنيه على الكشف والعيان وغير مستفادة من الخواطر الفكرية والأذهان وبداية طريقهم التفوق والعمل الصالح وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب بدليل المقابلة والاستمداد من المخلوقين فى حصول المصالح ونهاية علوم القائلين بوحدة الوجود الوصول إلى مشاهدة الحى القيوم ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظائف وجمع الحطام الذى لايدوم فلا طريق إلا طريق الأئمة الهداه القادة ولا اعتقاد إلا وحدة الوجود على المعنى الصحيح الموافق بالشهود والواجب على كل مكلف أن يبحث عن الحق ويتحقق به على الوجه التام ويترك ماعداه من الأقوال لأنه القول الحق والاعتقاد الصدق الواجب[2].

كما يفهم من كلام شيخنا النابلسى حماية هؤلاء من طعن الطاعنين وذم الجاهلين المتكلمين فى وحدة الوجود من غير معرفة من الضالين المضلين.

وشيخنا النابلسى يرى أن من فسر الوجود بما صار به بيان الوجود الموجود والحادث موجودا انه يقبل القول بوحدة الوجود ويعتقده.

حقا وهو الوجود الصواب الذى ترجع إليه الأقوال جميعها لأن وجود الله تعالى الذى به كل موجود موجود باجماع العقلاء فالخلاف فى ذلك لفظى راجع إلى تفسير المراد من لفظ الوجود[3].

(١) نفس المرجع السابق ص ٧. (٢) ص ٧ من كتاب أيضاح المقصود.
(٣) ص ٧ من نفس المرجع السابق.

وعلى ذلك فكلام المحققين من أهل الله تعالى فى مسألة الوجود من أعلا عليين وكلام غيرهم فيها من أسفل سافلين.

وكون المراد بالوجود مابه كل موجود موجود فى القديم والحادث أقرب إلى التحقيق فانه لاغنى للموجود الممكن عن الوجود القديم أصلا فوجوده هو وجود وذات الموجود الممكن وصورته غير الوجود القديم فهما اثنان والوجود الذى هما موجودان به وجود واحد هو للقديم بالذات واللحادث بالغير فالقديم موجود بوجود هو عين ذات القديم وليس الحادث هو عين ذات القديم ولا القديم هو عين ذات الحادث بل كل واحد منهما مباين للآخر فى ذاته وصفاته وان إجتمعا فى الظهور بالوجود الواحد وثبوت العين به فان الوجود الواحد للقديم بذاته وللحادث بالقديم لابذاته فالوجود الواحد فى القديم وجود مطلق على وجه لاأعظم منه وفى الحادث وجود مقيد على وجه يليق بالحادث أدنى من الوجه الأول دنوا صادرا من القديم(١).

فشيخنا النابلسى يرى أن الله سبحانه وتعالى لايتغير ولايتبدل لوجوده من ذاته وجود مطلق لاينقسم ولايتعدد ولايتغير وإنما التغير واقع فى الحوادث فالله تعالى يغيرها كيف يشاء وينقلها من عدمها الأصلى إلى وجودها الطارئ الذى نشاهده ساريا فينا وعلى ذلك القائلون بوحدة الوجود مرادهم بالوجود الوجود الذى به صار الموجود موجودا إلا الوجود الذى هو مفروض مقدر لايكن من جنسه ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض.

وشيخنا النابلسى أورد نصا للإمام محى الدين من كتاب فصوص الحكم مستدلا به على أنه لم يقصد الوجود أن الخالق والمخلوق شىء واحد واليك هذا النص قال:

والحق اذا أفردته عن العالم يتعالى علوا كبيرا عن هذه الصفة:

واذا كان الحق هوية العالم كله محسوسة ومعقولة وموهومه فيما ظهرت الأحكام كلها إلا فيه ومنه وشيخنا النابلسى شرح هذه العبارة وبين المراد منها فقال فالحق تعالى هوية العالم بهذا الاعتبار لصدق تعريفهم الهوية عليه ولأن الكل ثابت فى علمه تعالى و الوجود كله واحد مطلق قديم ظهر على كل ماهو فيه ولايضير الجاهلين الغافلين أن رؤيتهم العالم موجودا وليس معنى ذلك أن وجوده هو وجود الله ثم قالوا: إنما مرادنا من ذلك اعتبار

(١) ص ١١ من كتاب أيضاح المقصود من وحدة الوجود.

العالم فى نفسه مع قطع النظر عن وجود الله تعالى القيوم عليه فانه كله حينئذ معدوم صرف بالاجماع منا ومن هؤلاء الجاهلين الغافلين ولا وجود حينئذ إلا وجود واحد قديم هو وجود الله تعالى المطلق المنزه عن كل شيء بالاجماع منا ومنهم وهذه وحدة الوجود التى قصدناها اذا اطلقناها وهى مذهب العارفين المحققين قبلنا بل هى مذهب كل أحد من الناس لو عقل الكل وفهموا مرادهم ولكن أهلها يناديهم مناد من مكان قريب قال تعالى:

واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج[1] وغير أهلها إنما هم حولها يجثون ويحرصون عليها قال تعالى: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد ولهم أعمال من دون ذلك وهم لها عاملون﴾[2].

وعلى ذلك لولا الوجود لما كان شيء أصلا والوجود كله لله تعالى قال عز من قائل قل كل من عند الله[4] وقوله سبحانه: وإليه يرجع الأمر كله[5] وإنما أنكر الجاهلون على العارفين ذلك القول لاعتمادهم على حولهم وقوتهم وعلى علمهم دون التقوى وسلوك الطريق إليه تعالى ولعدم فهمهم لكلام المعتدلين من الصوفية كيف يحكم على صاحب هذه النص بالكفر والالحاد ويرمى بالخروج من الدين بعد هذه البراهين وسوق هذه الأدلة وانى أرى أن كلام شيخنا النابلسى فى دفاعه عن محى الدين بن عربى الذى لم يقصد به أن الخلق والخالق واحد وهو فى هذا صادق ومبين معنى وحدة الوجود على حقيقتها ومفسرها تفسيرا يتناسب مع العقول البشرية المستنيرة بل انى ارى أن اشد خصومه ممن نقدوه نقدا شديدا الفقيه الجليل ابن تيمية نراه قد شهد له بأنه على صلة بالله وعارف به سبحانه وتعالى ومن كان هذا حاله فهل يحكم بكفره وكذلك وجدنا نصا له فى الفتوحات المكية فى باب الأسرار يقول فيه لايجوز للعارف أن يقول أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا للعارف من هذا القول ماشحاه وقال فى الباب نفسه أنت أنت وهو هو فاياك

---

(١) ص ٢٠٥ جـ٢ من كتاب جواهر النصوص فى حل كلمات الفصوص للنابلسى مطبوع تحت رقم ٢٤٢١٥ عام.

(٢) الآية رقم ٤١، ٤٢ من سورة ق.

(٣) الآية رقم ٤٤ من سورة فصلت.

(٤) الآية رقم ٧٨ من سورة النساء.

(٥) الآية رقم ١٢٣ من سورة هود.

أن تقول كما قال العاشق أنا من أهوى ومن أهوى أنا فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة لا والله والجهل لايفصل حقا كما قال: اياك أن تقول أنا هو وتغالط فانك لو كنت هو لأحطت به كما أحاط بك ثم يقول لو صح أن يرقى الانسان عن انسانيته والملك عن ملكيته ويصبح وجوده ووجود خالقه واحد لصح انقلاب الحقائق وخرج الاله عن كونه الها وصار الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل إلى قلب الحقائق ابدا[1].

هذه عبارات قالها محى الدين ابن عربى وجدناها فى اهم كتبه وفى متناول يد الجميع فكيف صاغ لهؤلاء الناقدين ان تفوتهم هذه النصوص ولماذا فسروها حسب فهمهم ومرادهم ولكن امانة العلم تقتضى من الباحث التمحيص والتحقق واعطاء كل ذى حق حقه وارجاء القول إلى المراد منه ونحن نبرئ ساحة العلماء الذين أفنو حياتهم فى خدمة العلم من أن يتهموا بهذا القول ويجعلوا الله مثل المخلوقات أو هو والمخلوقات سواء ولكن للناقد وجه فى نقده ولنا فى وحدة الوجود بالمعنى الذى ارادوه وجهة ومثبتها له وجهة فى ذلك وانى ارى ان الجميع يقصد تنزيه الخالق عن مشاركته لأى مخلوق من المخلوقات فى الايجاد أو فى الوجود تعالى الله عن ذلك مطلقا واذا كنا قد أخذنا شيخنا محى الدين واثبتنا له هذه النصوص فى عدم القول بوحدة الوجود كما فهمها النقاد بل بينا من هذه النصوص مراد الشيخ محى الدين وهو زعيم المتصوفة فى هذه النظرية وشيخنا النابلسى قد دافع عن هؤلاء بادئا بابن عربى ولكنه واصل الدفاع عن بقية المتصوفة المعتدلين الذين اتهموا بوحدة الوجود كابن الفارض وغيره وقصارى ماوصلت إليه اليد فى هذا الموضوع أنى وجدت قولا للشيخ النابلسى يحكى فيه قصة حدثت تبرئ هذه القصة ابن الفارض عن القول بوحدة الوجود وقد وجدت هذا القول فى مقدمة ديوان ابن الفارض بشرح النابلسى قال: ويحكى أنه لما فوض أمر الوزارة إلى قاض القضاة تقى الدين بن عبد الرحمن بن بنت الأعز رحمه الله فى أيام الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى رحمه الله تعالى وقع فى حق الشيخ سيف الدين الأيكى وسبه فى مجلس حافل بالخانقاه[2] الصالحين فى مصر وقال له: أنت تأمر الصوفية بالاشتغال بنظم

(١) الفتوحات المكية جـ١ .
(٢) ص ٧ جـ١ من شرح ديوان بن الفارض للنابلسى المقدمة .

السلوك بقصيدة ابن الفارض التى يميل فيها إلى القول بوحدة الوجود وأهانه بكلام فرد عليه وقال له: مثل الله بك كما مثلت بى فعزل عقب ذلك اليوم من الوزارة وفى آواخر الدولة المنصورية تم عزله من القضاء فى الدولة الاشرافيه وصوره ومثل به وسلط الله تعالى عليه من أهانه واحتقره نظير فعله بالشمس الايكى وحبس مدة ونسب إلى عدم الاعتقاد. إلى آخر هذه القصة حتى قال: كيف يتصور أن الشيخ ابن الفارض يميل فى قصيدته إلى هذا القول مع أنه نزه عقيدته عن هذا كله قال:

وكـيف وباسم الحق قل تحـقـقى *** تكون أراجيف الضلال مـخيفتى

وها دحـيـة وافى الأمين نبـيـنا *** بصـورته فى بدء وحى النبـوة

أجـبـريل قل لى كـان *** امـهـدى الهـدى فى صـورة بشـرية

وفى علمـه عن حـاضـريه نزية *** بما هبـه المرء عن غـيـر مـرية

يرى ملكا يوحى إليـه غـيـره *** يرى رجـلا يدعى لديه بصـحـبـة

ولـى مـن أتم الرؤيـتـين اشـارة *** تنزه عن رأى الحلول عـقـيـدتى

وفى الذكـر ذكـر الله ليس بمنكر *** ولم أعـد عن حكمى كـتـاب وسنة

قال ابن بنت الأعز أتطلب الناس فى نظم الشيخ وحفظت ديوانه وهو شطب وانتفعت بحفظه وهذه الأبيات ماكأنى قط سمعتها إلا فى هذه الساعة وقد زال عن ذهنى ماكنت أعتقده من ميل الشيخ ابن الفارض فى قصيدته إلى الحلول والقول بوحدة الوجود وأنا استغفر الله مما جرى من الكلام.

تلك هى عقيدة ابن الفارض الذى رمى بالقول بوحدة الوجود ولكن من خلال هذه القصة نأخذ أنه لم يصرح بمانسب إليه بل صرح بما يثبت أنه غير قائل بوحدة الوجود وهذه شهادة اعدائه وأحبابه ممن شرحوا كتبه واطلعوا عليها وخاصة ديوانه الذى بين أيدينا وهذا النص الذى أوردناه بشرح النابلسى الذى داوم على الاطلاع على كتبه وكتب غيره من المتصوفة وقد دافع عن كل هؤلاء من أهل التحقيق والمعرفة بالله عز وجل الذين رموا بوحدة الوجود ونحن قد بينا أن شيخنا النابلسى حدد المراد من وحدة الوجود فيما سبق وذكر أن كل قول يخالف الكتاب والسنة يعد صاحبه ملحد بل كافر كما صرح بذلك فى العديد من أقواله.

هذا هو دفاع شيخنا النابلسى عن وحدة الوجود والقائلين بها وتفسيره لها والمراد منهاعند أهل المعرفة المتحققين بكتاب الله وسنته وانى أرى مارآه فى هذا الموضوع الذى شغل كثيرا من المفكرين منذ ظهور هذه النظرية إلى وقتنا هذا وقد ذكرت فى ثنايا حديثى عن عبد الغنى النابلسى أن الاستاذ محمد فهر شفقة قد اتهمه بأنه يقول بوحدة الوجود وأورد أبياتا من ديوان شيخنا النابلسى تدل على صحة قوله وانى اذ ارى لزاما أن أفند هذه الأقوال لنقف على الحقيقة ونعطى الرأى هذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

الرأى عندنا:

أولا: نرى: أن الاستاذ محمد فهر شفقة الذى اتهم شيخنا النابلسى بالقول بوحدة الوجود أنه لم يطلع على ديوان الإمام النابلسى كله لأن الإمام النابلسى ذكر قصائد عديدة ينفى فيها القول بوحدة الوجود وقد ذكرنا منها الكثير عند حديثنا عن رأى شيخنا النابلسى فى وحدة الوجود.

ثانيا: ان ماكتبه محمد فهر شفقة عن هذه القصيدة يفيد أنه لم يقرأ ماكتبه شيخنا فى كتبه ورسائله المتعددة فى هذا الموضوع مع أننا قد اثبتنا للنابلسى نصوصا من كتبه المخطوطة بيده والمطبوعة تدل هذه النصوص فى صراحة على أنه ينفى وحدة الوجود نفيا قاطعا مع بيان المراد من هذه الوحدة كما رد على الزنادقة والملحدين فى هذا الشأن.

ثالثا: يخيل إلى أنه تجنى على هذا العالم وأرى أنه معذور فى ذلك لأنه لم يفهم ماقصده الإمام النابلسى من وحدة الوجود بين الوجود والموجود والخالق والمخلوق كما قال ان كل قول يخالف الكتاب والسنة فهو مردود.

رابعا: ماأورده شيخنا النابلسى من النصوص القرآنية والأدلة العقلية التى تبين قوله صراحة فى وحدة الوجود ونفيه لها ودفاعه عن العارفين من المتصوفة المعتدلين.

خامسا: اعتمد النابلسى فى عدم القول بوحدة الوجود على الفرق بين الوجود والموجود فقال: إن حقيقة الوجود واحد ولكن يمنح الله ذلك لمن يشاء فالوجود فى الأصل واحد وان تعدد بحسب المظاهر المختلفة.

سادسا: الإمام النابلسى ذكر كثيرا من النصوص التى توضح رأيه فى وحدة الوجود ودفاعه عن القائلين بها وهو يرى تنزيه الخالق عز وجل تنزيها كاملا وحاشا لله أن

يشاركه أحد فى الوجود أويمنحه الوجود إنما الله سبحانه وتعالى هو المتفضل على سائر المخلوقات بالايجاد من العدم.

سابعا: أن ورود كثير من الآيات القرآنية التى وردت لنفى هذه النظرية مثل قوله تعالى: ﴿أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون أفرأيتم ماتحرثونه أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الخلق والايجاد والانشاء من العدم والفرق بين الخالق والمخلوق كل هذا دليل لايدع مجالا لطاعن أن يطعن على القائلين بوحدة والوجود وقبل أن أنهى الكلام فى هذا الموضوع أحب أن أذكر أثر النابلسى فيمن أتى بعده فى هذا الموضوع وقد تأثر به العارف بالله الشيخ مصطفى كمال الشريف وسار على نهج شيخنا النابلسى فى الفرق بين الوجود والموجود وهذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

مصطفى الشريف ووحدة الوجود:

يرى هذا العالم أن الوجود واحد لأنه صفة ذاتية للحق سبحانه وتعالى وهو واجب فلا يصح تعدده والموجود هوالممكن فصح تعدده وقيامه إنما هو بذلك الوجود الواجب لذاته فاذا زال بقى الوجود كما هو فالموجود غير الوجود فلا يصح أن يقال الوجود اثنان وجود قديم ووجود حادث إلا أن يراد بالوجود الثانى وجود من اطلاق المصدر على المفعول[2].

وعلى هذا لايترتب شيء من المخاطير التى ذكرها أهل النظر على وحدة الوجود القائل بها اهل التحقيق لأنهم يتكلمون فى العلم من جهة الباطن والباطن أمر معنوى لايعلم بالنظر الفكرى وان كان فالوجود وهو القوة الروحانية والموجود هو الهياكل الجسمانية فالحى لايرى إلا الهياكل والروح لاتشهد إلا الوجود على حد من قال: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله وأراد بهذه الرؤيا الشهود لارؤية البصر لأنها من خصائص البصيرة لذلك ورد أشهد أن لا إله إلا الله ولم يرد أرى ولايصح أن يقال أرى ولو لم يكن أمر الوجود هكذا لما ورد فى الشرب أمر ونهى ولاشاهدنا ثمراتها من تحسين الاخلاق وتهذيبها وقد ضرب لذلك أمثلة بالعلل والأسباب والنبات وانباته ونقله من مكان إلى مكان والتأثير والتأثر وهو يرى أن الوجود مرآة لذلك قال تعالى: ﴿فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾[3].

---

(١) الآيات ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٧١، ٧٢، من سورة الواقعة.

(٢) ص ٢٧ من كتاب أيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود مطبوع بدمشق.

(٣) الآية رقم ٤٠ من سورة غافر.

وقد ارجع ذلك إلى العلل والأسباب كما يفرق بين الوجود الحادث والوجود والموجود وقرر أن الوجود غير الموجود وعلى ذلك فلا يترتب عليه أى مخطور كما قال: أن أهل التحقيق يتكلمون فى العلم من جهة الباطن وهو أمر معنوى لايعلم بالنظر الفكرى لأن القوة الروحانية هى الوجود والموجود وهو الهياكل الجسمانية ولذلك برأ القائلين بوحدة الوجود وهو يرى أنهم لم يقولوا بها على الوجه الذى يتنافى مع وجود الحق جل وعلا بل أن مرادهم ان الوجود كله هو الله ووجود الحادث تابع لوجود الله فهو بمثابة الفعل للفاعل كما نزه العلماء عن أن يجعلوا الخالق والمخلوق شيئا واحدا كما فهمه أهل الزندقة والالحاد ونفى نظرية الجبر الواقعة فى بعض المذاهب وهو متأثر فى ذلك بشيخنا النابلسى فى معظم آرائه وان كثيرا من أهل التصوف قد تأثروا بشيخنا فى هذا الموضوع.

وانى قد اقتصرت على ذكر هذا لعدم التطويل ويكفى أن نشير إلى أن غالبية تلاميذه تأثروا به ولم نجد واحدا منهم صرح بأن شيخه النابلسى قال بوحدة الوجود أو خالف الكتاب والسنة ولكن الحق أحق أن يتبع فان شيخنا النابلسى قد نفى هذه الوحدة كما وضحناه سابقا وبينا رده على معتدلى الفقهاء ودفاعه عن معتدلى الصوفية وله فى ذلك مندوحة ونحن مع شيخنا فى رده على هؤلاء وتقريره وتفسيره لوحدة الوجود وأن أى قول يخالف الكتاب والسنة فهو يخرج صاحبه من دائرة الإيمان الصحيح.

ووحدة الوجود التي تحدثنا عنها عند شيخنا النابلسى بالتفصيل موضحين هذه الفكرة وخلاصة هذا المذهب: أن لاموجود إلا موجود واحد ومع ذلك لايتعدد بتعدد التعيينات تعددا حقيقيا واقعا فى نفس الأمر.

ولكن ذلك التعدد لايوجب تعدد فى ذات الوجود كما أن تعدد أفراد الإنسان لايوجب تعددا فى حقيقة الإنسان.

وشيخنا النابلسى يفسر هذه الوحدة تفسيرا يساير العقل والنقل وانى سوف اتعرض فى الخاتمة لرأى الدكتور محمد غلاب والدكتور محمد يوسف موسى فى نظرية وحدة الوجود بإيجاز تتميما لهذا المبحث واحقاقا للحق وإنصافا لأهله وسأنتقل الآن للحديث عن الشق الثانى لهذه النظرية وهو الحلول والاتحاد الذى شغل الكثير من العلماء وهذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

الفصل السابع

الحلول والاتحاد

تمهيد:

انتهينا من الكلام على وحدة الوجود وتناولنا آراء العلماء فى ذلك بالشرح والتحليل وحددناها تحديداً يجليها أمام القارئ ووضحنا المراد عند إمامنا النابلسى رضوان الله عليه.

وسنتناول فى الشق الآخر الكلام على تنزيه البارى عز وجل عن الحلول والاتحاد وسنرى فى غضون هذا البحث أن رجال التصوف والقمم الشوامخ منهم بعيدون كل البعد عن فكرة الحلول والاتحاد وإنما ظهرت هذه الفكرة فى تيار المعرفة الإسلامية نتيجة للآراء المسفة فى الضلال وكان انتشارها ابان اختلاط المسلمين بالفرس والروم نتيجة للفتوحات الإسلامية فى ذلك الوقت وظهور المافوية المزدكية كبقايا للفكر الإلحادى فى تلك البلاد المفتوحة حتى رأينا البعض يحاول جهد الطاقة أن ينحرف بالنصوص عن طبيعة الشريعة والمسلك السليم الذى أراده الله.

من هذا وحتى لا نكون من الملقين القول على عواهنه سنذكر الفرق بين وحدة الوجود والحلول والاتحاد.

أولاً: معنى وحد الوجود:

وحدة الوجود أنه لا ثانى مع الله سبحانه وتعالى فى الوجود وإنما أصل الوجود واحد والممكنات لاتشارك الله فى ذلك لأنها موجودة بوجوده تعالى وهذا المعنى موافق لما جاء به الكتاب والسنة المحمدية وهو مراد أهل الحق من الصوفية، وأما المعنى الذى يقول أن وجود الله ووجود المممكنات واحد فهو معنى فاسد غير مقبول وعلى ذلك فلا اثنينة ولا حلول ولا اتحاد ولا يسبقه شيء ولايلحقه شيء.

معنى الحلول:

الحلول معناه نزول شيء فى شيء آخر على وجه يلازمه كحلول الرطوبة فى الماء واليبوسة فى النار، أو كالبرودة فى الماء والحرارة فى النار فإن ذلك لما حل فى الجرم

يلازم محله على وجه ينتقل بانتقال محله ويقف بوقوف محله وينعدم بانعدام محله، وإن الله تعالى محال فى حقه الحلول والجوار والاتصال بالمخلوق وقد جاء القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف منزها المولى عز وجل عن هذه القضية .

معنى الاتحاد:

الاتحاد إما بصيرورة الوجود المحض المجرد عن الماهية المتعين بذاته وجودا مقترنا بالماهية المعدومة مستعينا بحسبها أو بالعكس ومعنى ذلك أن الاتحاد مصير الذاتين ذاتا واحدة وهذا محال على الله تعالى، وذلك إما أن يكون عين كل واحدا منهما موجودا أولا فى حال الاتحاد فإذا كانا فهما ذاتان، فإن انعدمت عين منهما وبقيت الأخرى فليست إلا واحدة.

ثم ننتقل إلى ذكر رأى إمامنا النابلسى فى هذه المشكلة التى شغلت اذهان المفكرين إلى وقتنا هذا.

رأى الإمام النابلسى فى الحلول والاتحاد:

ينفى الإمام النابلسى فى الحلول والاتحاد نفيا قاطعا كما يرد إتهام الصوفية بأنهم يقولون بالحلول والاتحاد فيقول: اعلم أن من الافتراءات الواضحة البطلان أن أهل الظاهر لهم فى كلام العارفين قول بالحلول وقول بعدم الحلول على العارفين بالله تعالى أنهم يقولون فى قول العارفين بأن الوجود لذاته كل شىء موجود هو الله تعالى هو بحلول الله تعالى فى الأشياء واتحاده بها ويشنعون بسبب ذلك على العارفين وهو من شدة جهلهم بمعانى الكلام فإن الله تعالى إذا كان عند العارفين هو الوجود الحق الذى به كل شىء موجود واقع عليه الوجود بحكم النظر العقلى لم يكن لشىء من الأشياء. وجود بغيره سبحانه ولا به أيضا فى نفس الأمر مع قطع النظر عن إدراك العقل وتكون الأشياء حينئذ قائمة فى امكانها بالوجود القديم الحق(١).

النابلسى كما يتضح من كلامه السابق فى أن الله هو الوجود الحق القديم وأن ماعدا وجوده حادث ومستمد وجوده من الحق جل وعلا ولا يصح أن يحل الوجود الحادث فى القديم ولا يجوز أن يتحد به والالزام أن يكون القديم حادثا والحادث قديما وتنقلب الحقائق على ذلك.

(١) ص ٤٦ من كتاب الوجود ومرآة الشهود للنابلسى مخطوط تحت رقم ٦٠٦٩ بالمكتبة الظاهرية.

شرط الحلول:

يرى النابلسى أن للحلول شرطاً فيقول وشرط الحلول أن يكون وجودان يحل أحدهما فى الآخر وهنا ليس وجودان بل وجود واحد وعدمية صادرة من هذا الوجود الواحد تسمى تلك التقادير مخلوقات وتسمى حوادث وتسمى بأسماء كثيرة من حيث أجناسها وأنواعها وأعيانها وأشخاصها وإذا لم يكن ثم غير ذلك الوجود الحق الواحد القديم فكيف يتصور الحلول وإنما سبب قولهم الحلول قصور إدراكهم وعدم معرفتهم بالأمر فى نفسه فإنهم لما حكموا على الأشياء بالوجود وجعلوها متصفة به لا أنهم أدركوها بالعقل والحس وجدوا الوجود الحق الواحد ظاهرا بها عليها فحسبوا أنه وجودها وحكموا بأنه حادث مثلها وجعلوه وصفا لها ثم سمعوا العارفين يقولون أن الوجود هو الله تعالى والأشياء كلها عندهم موجودات ومعقولات ومحسوسات.[1]

ويرى النابلسى كونها موجودات عندهم أمر بديهى لا شبهة فيه لهم فقالوا يلزم حينئذ تصور كونها قائمة بالوجود ولو تصوروا ذلك لعرفوا معنى كلام العارفين.

ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء، فالإمام النابلسى أيضا يشترط لتحقق الحلول وجودان يحل أحدهما فى الآخر وهو يرى أن الوجود واحد وكافة المخلوقات تستمد الوجود منه وعليه فلا حلول وكما بين أن هناك فرقا بين الوجود القديم والوجود الحادث لأن الأول وجوده من ذاته والثانى مأخوذ من غيره وكما أوضحنا أنه لا يصح أن يحل قديم بحادث أو العكس وكذلك الاتحاد فلا يصح أن يتحد القديم بالحادث أو العكس.

النابلسى ينفى الحلول:

يرى الإمام النابلسى نفى الحلول نفيا قاطعا وذلك بعد أن يبين معنى الحلول والاتحاد ورد قول القائلين به يقول: ولا يتصور فيه الحلول فى شىء ليس معه شىء غيره ولا يتحد منه شىء إذ لا شىء معه وإنما جميع الأشياء به موجودة بوجوده الذى هو عين ذاته الثابتة لشهوده وجميع الأشياء بالنظر إلى ذواتها مفروضة مقدرة[2].

---

(١) ص ٤٧ من نفس المرجع السابق.

(٢) ص ١٣ أيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود للنابلسى مخطوط بالمكتبة الظاهرية تحت رقم ٥٩٥٢ ومطبوع تحت يدنا.

وعلى ذلك فالإمام النابلسى يعتبر كل من يقول بفكرة الحلول والاتحاد خارج عن المعقول والمنقول وإذا كنا قد أثبتنا للنابلسى فى بيان رأيه فى الحلول والاتحاد نصوصا نثرية.

فنرى هذا الإمام الجليل لشدة دفاعه عن هذه الفكرة وعدم رضاه بهذا القول نظم فى هذا الموضوع نافيا ومدافعا عن الله عز وجل مثبتا عدم حلوله واتحاده بشيء أو فى شيء قائلاً:

قد أحاط الوجود بالأشياء *** وتبدى بها بغير خفاء

فهو فيها ومالها من وجود *** غيره فالحلول محض افتراء

وهى فيه أيضا محاطة علمه *** سابق فى علمه والقضاء

إنما ذاك جاء فى الذكر يتلى *** وهو حق فى مذهب الأولياء[1]

فنراه فى هذا ينفى الحلول ويدافع عن العارفين بالله تعالى ويرد على الزنادقة والملحدين فى قوله الآتى أيضا:

وهو الذى هو عين الظاهرين به *** من الحوادث مما هن افياء

مصور هو للأشياء من عدم *** له ظهور بها فيها واخفاء

ولا تظن حلولا فى مقالتنا *** ولا اتحادا فما الأشياء أكفاء

هيهات ليس الوجود الحق يشبهما *** فإنه باطل يمحوه افناء

لولا مشيئته قامت تخصصها *** بالعلم ما كان اظهار وابداء

الله نور السموات واستمعه وعى *** والأرض والنور يمحى فيه ظلماء[2]

فالإمام النابلسى ينفى القول بالحلول والاتحاد ويدافع عن ذلك مصداقا لقوله تعالى: ليس كمثله شىء وهو السميع البصير[3].

وكما رأينا واضحا فى الأبيات السابقة ينتقل مرة أخرى مدعيا ذلك بقوله:

(١) ص ١٨ من ديوان الحقائق ومجموع الرقائق للنابلسى ٧٢١٠.
(٢) ص ١٨ من نفس المرجع السابق.
(٣) الآية رقم ١١ من سورة الشورى.

يا أيهـــا العـــدم الذى هو ظاهر *** بوجـود غـيب غـائب فى الغـاب
خلص مـحـبتك التى هى فيك من *** دعـوى الوجـود تفـز بفـتح البـاب
تمسى وتصـبح أنت أنت ولا ترى *** إلا الجـــمـــود ووقت المرتاب
الله أكـــبــر اننا مـــحـــبـــوبنا *** فى حلتـــــه الابدال والاقطاب
ايـن الحـلـول وكـل شـىء هـالـك *** نص الحـديث ونص كل كـتـاب
لكن عـقـول الجـاهلين تضلهم *** فـــيكـذبـون بـأبـلـغ الـكـذاب
والـلـه يعـلـم مــا هـنـالـك كـلـه *** فـتـحـقـقـوه يا أولى الألبـاب[1]

فنرى فى هذا النظم السابق للإمام النابلسى قولا صريحا بعد الحلول والاتحاد ورد على القائلين بهذه الفكرة من أى فئة من البشر كانت ويرى أن نص القرآن والحديث على نفى هذه الفكرة وأن القائلين بها ضلتهم عقولهم وتمادوا فى جهلهم فعموا عن الحق وسلكوا طريق الزندقة والالحاد.

ثم ينتقل النابلسى إلى نص آخر نافيا عن نفسه عدم القول بالحلول والاتحاد أو الفهم من كلامه فيقول:

إياك تفـهم من قـولى الحلول بهـا *** لأن قـولى رمـوز صـاغـهـا السلف
وأنت تجـــهل علمـــا نحن نورده *** من بحـر حق عليـه الناس مـا وقـفوا
فـــقف علينا وسلم بالأمـــور لنا *** فـإن عـارفنا بالغـيب مـعـتـرف
الله أكـــبـــر لا شىء يشـــابهـــه *** وكل حـرف عن الإدراك منحـرف
ظهـورنا عنه بالتـقـدير من عـدم *** هو الشـهـود له فى كل مـا نصب
لأنه الغـيب غـيب الغـيب من يره *** ير الحـــوادث تبـــدو عنه لاتقف

إلى آخر ما قال فى هذه القصيدة المطولة فى ديوانه[2]

فيرى الإمام النابلسى أن أى فهم من كلامه يخالص نص مـا قال فى نفس الحلول والاتحداد ويعتبر صاحبه غير عالم وعارف بحقيقة هذا القول ويبنى ذلك على أن الله هو

(١) ص ٤٦ مجموع الحقائق من ديوان النابلسى ٧٢١٠.
(٢) ص ٢٤٥، ٢٤٦ من الديوان تحت رقم ٧٢١٠ بالمكتبة الظاهرية بدمشق ومطبوع بمطبعة العلم.

خالق الوجود كله ومن كان كذلك فلا يصح أن يحل فى شىء أو أن يتحد بشىء كيف يحدث هذا والله غيب عن البشر وإنما تظهر آثاره فيهم وهو المحى والمميت والأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شىء قدير.

بعد أن أوضحنا رأى الإمام النابلسى فى الحلول والاتحاد نرى لزاما أن نذكر شيئا عن فكرة الحلول والاتحاد عند محى الدين بن العربى والذى داوم الإمام النابلسى على قراءة كتبه وشرح فصوصه ودافع عنه بما نسب إليه واننى سوف أذكر شيئا من الفصوص بشرح النابلسى فى هذا الموضوع.

تعقيب:

أولاً: قبل أن ننهى الكلام عن هذا الفصل نرى لزاما علينا أن نعلق برأينا على ماقاله الإمام النابلسى فى الحلول والاتحاد فنرى أن الإمام النابلسى نفى الاتحاد نفيا قاطعا وبنى على ذلك رأيه لأنه لابد من تحقيق الاتحاد من وجود وجودين وأن يمتزج هذان الوجودان كل منهما فى الآخر اتحادا كاملا حتى يصيرا شيئا واحدا ولكن الإمام النابلسى نفى ذلك ونحن معه فيما قال:

ثانياً: يرى النابلسى عدم القول بالحلول واستدل أيضا بالوجود القديم والحادث وعنده احلال القديم فى انحادث أو العكس باطل ويؤدى إلى قلب الحقائق كما رد على القائلين بذلك كله مستدلا بالعقل والنقل وأيضا فى توضيحه بتوهم فكرة الحلول والاتحاد من كلامه يقول : إن الذى يفهم ذلك من كلامنا إنما هو جاهل بعلمنا ضال بعقله ولا أدل على ذلك من شهادة النابلسى نفسه فنراه يقول نشهد أنه تعالى لم يحل فى شىء من مخلوقاته ولاحل فيه شىء من مخلوقاته لأن الحلول إنما يتصور بين الشيئين الذين يجمعهما وصف واحد ولا مناسبة بين العبد والرب فى شىء من الأشياء ولا بمجرد الوجود فكيف يتصور أن يحل أحدهما فى الآخر ويتحدا أحدهما بالآخر وذلك فإن وجود العبد وجود فى ذاته وهو بالنسبة إلى وجود الرب عدم محض فالعالم جميعه موجود بالنسبة إلى نفسه وعدم محض بالنسبة إلى الرب سبحانه وتعالى فكيف يمكن أن يختلط بالآخر[1].

(1) ص ١٠٧ من كتاب الفيض الرحمن والفتح الربانى لعبد الغنى النابلسى مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق ومطبوع بلبنان ومخطوط بدمشق تحت رقم ٧١٤١.

أرأيت بأن الليل موجود فى نفسه وهو بالنسبة إلى وجود النهار معدوم فهل يتصور أن يكون النهار حالا فى الليل أو متحدا به أو العكس.

هذه هى شـهـادة النابلسى بعـدم قـوله الحلول والاتحـاد ورأيه من أجـمل الآراء وأعلمهاونحن نرى ما رآه وأن كل قائل بالحلول والاتحاد فهو غير فاهم لحقيقة الخلق والحق جل وعلا، كما أنه ملحد طاعن على الشريعة الإسلامية لمخالفته نصوص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ونرى من الضرورى أنه لابد من التعرض لرأى العالم الجليل محى الدين بن عربى فى الحلول والاتحاد والذى تناولته السنة الطاعنين وأحاطوه بشبهات كثيرة ولكن الإمام النابلسى الذى اطلع على غالبية كتب ابن عربى وشرح البعض الآخر شرحا وافيا نفى عنه هذه الشبهات وبرآه مما قالوا مستدلا على ذلك من نصوص كتبه التى بين يدى الطاعنين وغيرهم.

موقف محى الدين بن عربى من الحلول والاتحاد:

يرى بن عربى القول بعدم الحلول والاتحاد ولو استعرضنا شيئا من نصوصه الواردة لوجدناه فى كتابه فصوص الحكم والذى شرحه إمامنا النابلسى يقول محى الدين بن عربى أنه هو الله تعالى بما أمر به من الموت وذلك مخصوص بالله تعالى لا يقدر عليه غيره سبحانه لأجل ما صدر منهم من القول بالحلول والاتحاد ونسبوا فى شرعنا المحمدى إلى الكفر[1]

والكفر معناه الشرك والخروج عن الدين فالقائلين بالحلول والاتحاد هم كفار والله سبحانه وتعالى يتجلى للناظرين بصورة بشرية هى عيسى عليه السلام كما هو يتجلى بصورة روحانية عنده فقال الله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾[2] وهم النصارى قالوا ذلك لجهلهم أمر الله تعالى وجمعوا بين الخطأ بترك ما هو الصواب فى الدين ولذا قالوا أن الله هو المسيح وهو كفر صريح فهو يرى أن قول النصارى هذا قول بالحلول لأنه يفهم من كلامهم أن الله حل فى المسيح عليه السلام وعليه فيكون قد حل القديم فى الحادث والخالق فى المخلوق وهذا كفر.

(١) ص ١٢٩ فصوص الحكم جـ١ عام ٩٠٢٩ بالمكتبة الظاهرية بدمشق مخطوط.
(٢) الآية رقم ٧٢ من سورة المائدة.

ثم شرح ابن عربى قائلا والكفر فى الدين فى تمام الكلام الذى قالوه هو قولهم إن الله هو المسيح بن مريم فجمعوا بين الخطأ والكفر وقولهم عيسى عليه السلام هو الله من حيث أنه تعالى من مريم فتجلى بالصورة العيسوية بسبب أنه قيوم عليها لا أنها مخلوقة له لا بالحلول والاتحاد والانحلال والله سبحانه وتعالى يتجلى فى أى صورة شاء فى الدنيا والآخرة من غير أن يتغير عن اطلاقه الحقيقى وتنزيه الذاتى عن كل شىء فابن عربى يرى أن النصارى لو قالوا أن الله تجلى على مريم لكان ذلك صحيحاً وليس فيه حلول ولا اتحاد وإنما قولهم أن المسيح هو الله أو ابن الله فهذا هو الكفر بعينه والحلول والاتحاد يؤخذ عليهم.

ثم علل ابن عربى ذلك بقوله: ان الحقيقة الروحانية لعيسى التى هى من أمر الله تعالى وأمر الله كلمح البصر وهو مقام الفناء عند العارفين تعالى الذى لا تتحقق المعرفة والتجليات الإلهية الا به فيقول وإذا كان المسيح بن مريم باعتبار الصورة الناسوتية لم يكن هو الله أصلا ولكان جانب الروحانية معتبراً فيه بل المعتبر فيه حينئذ جانب الطبيعة وجهة الالتباس فى الخلق فالجديد بجعله فى تلك الحالة هو الله تعالى قول بكون الله تعالى مخلوقا وهو كفر وجمع الشيئين فيه حلول الاله فى الخلق وهو جهل محض وعيسى عليه السلام باعتبار صورته الناسوتية ابن مريم بلا شك لأنه ولدته فى تخيل السامع فى نفسه من قولهم ذلك أنهم نسبوا الألوهية للصورة حيث قالوا: ﴿ان الله هو المسيح الذى ولدته مريم وتخيل أنهم جعلوا الألوهية عين الصورة العيسوية الناسوتية وهم فعلوا ذلك بل جعلوا الهوية الذاتية الالهية بابتداء من حين ظهور عيسى عليه السلام حال فى صورة بشرية هى تلك الصورة ابن مريم وقالوا بالحلول وهو كفر فضلوا بقولهم ذلك[1].

فابن عربى يرى أنه لاحلول ولا اتحاد بل تجلى وانكشاف ثم أوضح ذلك فى ضرب المثل الآتى:

وهو السكين والممسك لها وحالة القطع مدللا بذلك على أن السكين شىء والممسك شىء آخر فلا حلول ولا اتحاد بينهما[2].

فإننا نرى أن المثل الذى ضربه ابن عربى فى عدم القول بالاتحاد أو الحلول مثلا صريحاً فالممسك بالسكين ويريد قطع شىء فى الحقيقة ليس القاطع هو السكين إنما

(١) ص ١٢٩ فصوص الحكم جـ١ للنابلسى ٩٠٢٩ بدمشق مخطوط.
(٢) ص ١٣٠ من نفس المرجع السابق.

الممسك ولذلك نرجع إليه المدح أو الذم ويلحقه الصواب أو الإثم وإنما السكين صورة ظهور فيها فعل ممسكها لا هى القاطعة وإذا قيل عنها أنها القاطعة كان هذا وضعها باعتبار اليد الممسكة لا اعتبارها نفسها ولا حلول لليد فيها ولا اتحاد لها وإنما هى حقيقة واليد غيرها وهكذا جميع الأسباب عند المعتبرين ﴿وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[1].

وأصل هذا القول نفى الحلول هو قول المسلمين فإذا احيا الله الموتى بصورة عيسى عليه السلام لا يلزم أن يكون الله هو عيسى عليه السلام وعلى ذلك فنرى أنه لاحلول ولا اتحاد بين العبد والرب أو الخالق والمخلوق.

وقد ضرب ابن عربى أمثلة عديدة على نفى الحلول والاتحاد منها: الماء والاناء فإن الماء له وجود فى نفسه والإناء له وجود فى ذاته والماء يتلون بلون الإناء وليس وجود الأوانى تابعاً لوجود الماء بحيث يكون صادراً عنه بل كل واحد من الماء والأواني موجود بوجود آخر مستقل والله تعالى الموجود الحق بوجود مستقل يستحيل عقلا وشرعا أن يكون معه شيء آخر من محسوس أو معقول أو موجود مثله بوجود آخر مستقل غير تابع له فى الإيجاد وحتى لا يلزم من ذلك ما يفهم القاصرين القول بالحلول فى هذا المثال فالماء ملئ فى الإنسان لأن الإنسان له وجود مستقل ليس صادر عن تزجيه قدرة الماء – ولأجل هذا ثبت حلول الماء فى الإناء وأماجميع المخلوقات الصادرة عن قدرة الله تعالى وتوجه أمره القديم الواحد سبحانه فإنها لا وجود لها من نفسها أصلا وإلا لاستغنت عن الله تعالى وقامت بنفسها وبطل وصف القيومية لله تعالى وذلك ممتنع لثبوت القيومية له تعالى فى الشرع كما أنه تعالى خالق لكل شيء فهو قيوم على كل شيء فلولا توجه أمر الله تعالى فى كل طرفة عين بالايجاد لما وجد شيء فكل شيء موجود بوجود الله تعالى القديم فالحق جلا وعلا هو أصل الأشياء والمؤثر فيها بقدرته وارادته عز وجل.

والنابلسى أكد هذا المعنى ووضحه بقوله فإن للحق فى كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله فى المحمدين وعبد الله من غير احلال فى معبود إذ لا غيره فى الوجود[2] قال تعالى ﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق﴾[3] وقال

(١) الآية رقم ٢٧ من سورة الروم.
(٢) ص ٧ من كتاب الجواب المقصود عن معنى سؤال المعبود للنابلسى مخصوص بدمشق ٦٠٦٩.
(٣) الآية رقم ١٤ من سورة الأعراف.

﴿وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾[1] وهم الغافلون عن معرفتهم لها وانه هو الله تعالى الظاهر فى كل صورة محسوسة أو معقولة من غير حلول فيها ولا اتحاد بها ولا انحلال منه ولا توليد قال تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾[2].

وليس ظهوره تعالى فى الصور بغير له ماعليه أزلا وأبدا من التنزيه والتقديس بل الصور كلها عين التسبيح والتقديس كما قال تعالى: ﴿وتسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وأن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا﴾[3].

وعلى ذلك فمن ظن أن الصورة التى يظهر بها الحق تقيده أوتحصره أو تخرجه عن اطلاقه وتنزيهه وتقديسه فما عرف الله ولا عرف شيئا أصلا من كلام أهل الله تعالى كان الفاعل إذا صورة فى نفسه فتلك الصورة له وسيظهر بها فى القيامة إذا مات عليها فالإمام النابلسى يرى أنه لا حلول ولا اتحاد وإن الإمام ابن عربى لم يقل بذلك على الاطلاق وأن الذين طعنوا عليه كانوا غير فاهمين لكلامه وتوهموا فى قوله حلولا واتحادا وكان أولى بالإمام النابلسى أن يظهر ذلك ويوضحه لأنه يعتبر أول من سبر علوم محى الدين واضطلع عليها ولا أدل على ذلك من شرحه فصوص الحكم وغيره من مؤلفات الشيخ الأكبر.

قال النابلسى أن كل من طعن على أهل علم لابد أن يكون عارفا بعلومهم ليستطيع الحكم عليهم يفند أقوالهم ويدفع حججهم ويبطل أدلتهم ولكن كثيرا من مدعى العلم يلقون القول والحجج من غير استناد إلى دليل يدافعون به عن أنفسهم اتهام غيرهم بالخروج عن الشريعة الغراء وفى الحقيقة هم منها براء.

ثم ننتقل إلى ذكر رأى الإمام الكورانى فى هذا الموضوع لأنه يعتبر قولهم العلم بالمدرسة النابلسية وهو ممن لازم استاذه مدة تجعله يستطيع فهم ما يقول الإمام النابلسى وتفنيد بعض الآراء العلمية وخاصة هذا الموضوع الشائك، والذى يشغل كثيرا من المفكرين فى هذا العصر.

---

(١) الآية رقم ١٠٥ من سورة يوسف.

(٢) سورة الأخلاص.

(٣) الآية رقم ٤٤ من سورة الأسراء.

موقف إبراهيم الكورانى من الحلول والاتحاد:

يرى الكورانى أن المتصوفة لم يقولوا بالحلول والاتحاد ويدافع عنهم هذا القول – فيقول: (وأما انهم لم يقولوا بالاتحاد ، فلأن الاتحاد إما بصيرورة الوجود المحض المجرد عن الماهية المتعين بذاته وجوداً مقترناً بالماهية المعدومة متعيناً بحسبها أو بالعكس وذلك محال)[1].

فيرى الكورانى أن الاتحاد محال من وجهين: الوجه الأول: يرى أن التجرد عن الماهية ذاتى للحق تعالى وهذا قول صحيح ، وأما الوجه الثانى: فهو الاقتران بها ذاتى للممكن وما بالذات لا يزول.

إذن فهو يعلل الاتحاد بأن يصير الوجودان وجودا واحداً وأن يصبح الشيئان شيئا واحداً وهناك فرق بين وجود الحق القديم والحادث الممكن فهو يرى ما يراه استاذه الإمام النابلسى من التفريق بين الوجودين القديم والحادث ، وحاشا لله تعالى أن يتحد بشىء من مخلوقاته، أو أن يتحد به مخلوق ما.

وأنهم لم يقولوا بالحلول فلأن الحلول يكون تارة بأنه الحصول على سبيل التبعية وتارة بأنه كون موجود فى محل قائم به[2]، ولذا فهو يرى أن الواجب تعالى هو الوجود المحض القائم بذاته المتعين بذاته يستحيل عليه القيام بغيره فرأيه فى نفى الحلول أيضا مثل رأى الإمام النابلسى، ونحن نرى ذلك لأن المولى المتعين بذاته القائم بذاته لا يصح أن يحل فى شىء أو أن يحل فيه شىء وإلا كان القديم حادثا والحادث قديما أو كانا شيئا واحدا وهذا يؤدى إلى قلب الحقائق وقلب الحقائق من المحال، ولم يكتب الكورانى بذلك بل ذكر نصا لمحى الدين بن عربى من كتابه الفتوحات المكية مستدلا به على نفى الاتحاد والحلول واننا سنورد هذا النص لنبرئ ساحة الصوفية عامة والنابلسى خاصة عن القول بالحلول والاتحاد وإليك النص:

قال: فنور الشمس إذا تجلى فى البدر يعطى من الحكم ما لا يعطيه من الحكم بغير البدر لاشك فى ذلك وكذلك الاقتدار الالهى إذا تجلى فى العبيد فظهرت الأفعال عن الخلق فهو

(١) ص ١٣ من كتاب تنبيه العقول على تنزيه الصوفية عن اعتقاد التجسيم والحلول والاتحاد مخطوط بمكتبة دمشق تحت رقم ٨١٣٨.

(٢) ص ١٤ نفس المرجع السابق.

وان كان بالاقتدار الإلهى ولكن يختلف الحكم لأنه بواسطة هذا المجلى الذى كان مثل المرآة لتجليه ، وكما تعلم عقلا ان القمر فى نفسه ليس فيه من نور الشمس شىء وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها وإنما كان لها مجلى ، كذلك العبد ليس فيه من خالقه شىء ولا حل فيه وإنما هو مجلى له خاصة ومظهر له)[1].

فهذا النص صريح فى نفى الحلول والاتحاد وانما منشأ غلط المفكرين على المتصوفة خاصتهم وعامتهم عدم الفهم لكلامهم أو لكلام بعضهم كإمام العارفين محى الدين بن عربى وعدم التمييز بين الحلول والتجلى لأن الحلول معناه أن شيئين حلا أحد هما فى الآخر أو صارا شيئا واحدا أو أن كون هذا الشىء مجلى لشىء ليس كونه محلا له فإن الظاهر فى المرآة خارج عن المرآة بذاته قاطعا بخلاف الحال فى محل فإنه حاصل فيه فالظهور غير الحلول فإن الظهور فى المظاهر لله عز وجل بجامع التنزيه بخلاف الحلول ولهذا جاء فى القرآن الكريم والحديث الصحيح ما يثبت عدم الحلول والاتحاد قال تعالى: ﴿فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن ولها وسبحان الله رب العالمين، يا موسى أنه أنا الله العزيز الحكيم﴾[2].

ولذلك نرى ابن عباس ترجمان القرآن قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿أن بورك من فى النار﴾ أنه أرى نفسه وعليه فالمعنى فلما جاء نودى أن بورك من تجلى فى صورة النار كما اقتضته الحكمة فى كونها مطلوبة لموسى عليه السلام ومن حولهاسبحان الله عن التقيد بالصورة والمكان والجهة وإن ظهر بمقتضى الحكمة لكون موصوفا بصفة رب العالمين الغنى عن العالمين وما هو كذلك لا يتقيد بشىء من صفات المحدثات[3].

وأما الحديث فقوله ﷺ سبحانك حيث كنت فأثبت له التجلى فى الحديث ونزهه عن التقيد بأى جهة من الجهات أو مكان من الأمكنة.

فعلى تفسير ابن عباس للآية فيكون المولى عز وجل هو المتجلى فى النار بمقتضى حكمته وأنه منزه عن التقيد بذلك لمربوبيته وعزته، وأما البيضاوى فقد ذهب فى تفسير

(١) ص ٦٥٩ جـ٢ الفتوحات المكية مطبوعة تحت يدنا.
(٢) الآية رقم ٨، ٩ من سورة النحل.
(٣) ص ١٥ تنبية العقول على تنزيه الصوفية من اعتقاد التجسيم والحلول والاتحاد مخطوط تحت رقم ٨١٣٨ بدمشق.

هذه الآية إلى تقدير مضاف حيث قال: ان معناها أن بورك من فى مطاف النار وهى كل من فى ذلك الوادى ومـا والاه من أرض الشـام وقـيل: المراد بموسى والملائكة الحاضرون فعدول عن الظاهر لتفسير من فى النار بغير الله خلافا لابن عباس ظنا منه أن تفسير ابن عباس يستلزم محظورا وقد تبين أنه لامحظور فلا حاجة إلى العدول عن الظاهر وكيف يحسن العدول مع قوله تعالى: ﴿يا موسى إنه أنا الله ﴾ وما يوهمه التجلى فى مظهر النار من التشبيه قد أزاله التنزيه بقوله سبحانه: ﴿تبارك الله رب العالمين﴾(١) لمن آمن ولكن الله تعالى يقول: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾(٢)

فالحمد لله على كل حال، وهكذا نرى تلميذ الإمام النابلسى من تربى على يديه ونهل من علومه وشرب من معينه الصافى ينفى الحلول والاتحاد مستدلا على ذلك من النقل والعقل مدافعا عن السادة الصوفية عامة وعن محى الدين الذى طعن عليه الكثير من الفقهاء وغيرهم وكذا صار مع رأى الإمام النابلسى فى هذا الموضوع مؤكدا أنه لا حلول ولا اتحاد بين الخلق ورب العباد وإنما ذكرنا رأى الكورانى فى هذا الموضوع لنؤكد أن النابلسى وهو العالم الجليل لو كان فى قوله هذا طعن أو اختلاف لأتى به هذا التلميذ ولكن وجدناه يسير معتدلا غير متحيز بل يحقق الرأى الصحيح ويستدل عليه وهذا ما قصدناه ونحن نرى ما رآه.

خلاصة ما نراه:

وقع فى عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد واشارة منهم إلى التوحيد فإن الاتحاد عندهم هوالغلو فى التوحيد وهو معرفة الواحد الأحد فاشتبه ذلك على من لايفهم اشارة المحققين فحملوه على غير محمله فغلطوا وهلكوا بذلك والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الاتحاد بين رجل ورجل محال فلا يصيرا رجلا واحدا لتباينهما فى ذاتهما فمن باب أولى عند أصحاب العقول المستنيرة إلايتحد الخالق بالمخلوق، وعليه فأصل الاتحاد باطل، وكذا الحلول المفسر عند المحققين بالتجلى وعند غيرهم مفسر بالحلول على وجه الحقيقة.

(١) الآية رقم ٥٤ من سورة الاعراف.
(٢) الآية رقم ١٧ من سورة الرعد.

وفى الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى لا اتحد مع العبد ولا حل فيه باجماع المسلمين والأولياء والأنبياء ومشايخ الصوفية وهذا ليس بمذهب الصوفية ، وإنما هو مذهب الطائفة الحلولية قالوا: اتحد العبد مع الله لقلة علمهم ولسوء حظهم من الله تعالى قال تعالى: ﴿يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم﴾[1] فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا: فى عيسى عليه السلام اتحد ناسوته بلاهوته أى الإنسان بالاله وهذا باطل مردود ، واتحاد الله بالعبد محال، والدليل على ذلك أيضا لو كان العبد متحدا مع الله تعالى ينبغى أن يكون عالما بالذات كما أن الله عالم بالذات فوجب أن يعلم جميع المعلومات لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء كما أن الله تعالى كذلك ويستحيل فى العالم شىء لا يعلمه كان الله بكل شىء عليم لا يخفى عليه شىء ، ومن المعلوم ضرورة أن أمر العبد بخلاف ذلك ، وقد قال تعالى لخير خلقه: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم﴾[2] وقال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها، قل إنما علمها عند ربى﴾[3] وقال: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[4].

فهذه الآيات تشير إلى أنه لا اتحاد بين العبد والرب كذلك والدليل على بطلان الحلول قول الرسول ﷺ إن الله احتجب عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض واحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وأنه ما حل فى شىء ولا غاب عن شىء وان الملأ الأعلى يطلبون الله تعالى كما تطلبونه[5].

فالله سبحانه وتعالى ما حل فى شىء ، لأن الحلول من خاصية الأعراض وقوله ما غاب عن شىء انما قال ذلك كيلا لا يشتبه على السامع فيظن أنه إذا لم يكن حالا فى الاجسام كان بعيدا عن الأجسام فكيف يتصور الحلول بين الله والعبد؟ وأن المفهوم من الحلول أن أحدهما حل فى الآخر وفى المكان الذى كان فيه وهذا لا يصح إلا بين جسمين ملموسين محسوسين ، والله سبحانه وتعالى المبرأ عن الجسمية يستحيل فى حقه ذلك ،

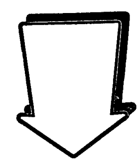
(١) الآية رقم ١٧٦ آل عمران.
(٢) الآية رقم ٩ من سورة الاحقاف.
(٣) الآية رقم ١٨٧ من سورة الأعراف.
(٤) الآية رقم ١٨٨ من سورة الاعراف.

كذلك النسبية بين الجوهر والعرض فإن العرض قوامه الجوهر فقد يعبر بأنه حال فيه وذلك محال على الله تعالى فلا يتصور الحلول بين عبدين فكيف يتصور بين العبد والرب جل وعلا؟ لأن المعقول من الحلول احاطة الحال بالمحل كاحاطة الظرف بالمظروف فبطل بذلك قول النصارى أن اللاهوت حل فى الناسوت وبهذا بطل قولهم بحلول الله تعالى فى جسم عيسى عليه السلام إذ يلزم أن يكون جسد المسيح أكبر من حل فيه ويكون أكبر من الذات الإلهية وهذا محال والحلول هذا انما سرى فى الإسلام من واقعات بعض الجهلة الذين يدعون أنهم متصوفة ويقولون رأينا الله فى منامنا وحل فينا والحق أن الله يتجلى للعبد فى منامه فيكون أقرب إليه من حبل الوريد وليس ذلك حلولا ولا اتحادا وإنما وجدان القرب من الله تعالى وبهذا نرد طعن الطاعنين وزيغ الزائغين المتعصبين والجهلة ممن ليس لهم فى العلم قدم راسخ، ونحن قد وضحنا هذه الردود وعلقنا عليها كل فى موضعه مستمدين ذلك من النقل والعقل والله الموفق للطريق القويم.

وإذا كان شيخنا النابلسى قد تحدث عن وحدة الوجود وبين كيفيتها وحدد المراد منها وآراء العلماء فى ذلك وثن بالحلول والاتحاد ونفى هذه الفكرة من أساسها ورد على القائلين بها وأن كل قول يخالف الكتاب والسنة فهو مردود وإذا كان الأمر كذلك فما الذى ثلث به الإمام النابلسى بعد حديثه هذا عن وحدة الوجود والحلول والاتحاد.

لذا نراه ينتقل بعد ذلك للحديث عن الحقيقة الإلهية والطريقة الربانية والشريعة الإسلامية محددا معنى كل ومبينا حقيقته.

وهذا ما سنتحدث عنه فى الفصل الآتي ذاكرين الحقيقة والطريقة والشريعة عند النابلسى ثم موضحين رأينا فى هذه الأشياء.



الفصل الثامن

فى بيان الشريعة والطريقة والحقيقة:

تمهيد:

هل هناك فرق بين الشريعة والطريقة وهل هى أمور متضادة ومتباينة ومختلفة أو أنها أمور متلازمة تؤدى إلى شىء واحد وترمز إلى أمر معين.

واذا كان الأمر كذلك فلماذا اختلف الفقهاء والصوفية ودارت المعارك بينهما على مدار القرون.

ان التاريخ يحفظ لنا الكثير من تلك المعارك وكانت الاتهامات تلقى بلا سند أودليل وقدم الكثير من رجال فضلاء إلى المحاكمة بحجة الزندقة والكفر منهم على سبيل المثال: البسطامى والحلاج وسفيان الثورى وغيرهم كثير.

واذا استعرضنا آراء الصوفية الصديقيين نراهم لايفرقون بين الشريعة والطريقة والحقيقة بل يقولون بأنهم أمر واحد كل منها مكمل للآخر فأبو يزيد البسطامى مثلا يقول أمرنا هذا مفيد بالكتاب والسنة فإن من لم يقرأ الكتاب ويفقه السنة فلا يؤبه به ويقول أبو سعيد الخراز كل باطن يخالف الظاهر فهو باطل ويقول سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد رضي الله عنه اذا رأيتم الرجل يطير فى الهواء ويمشى على الماء ولايتبع الشريعة فهو شيطان ويقول الإمام أحمد الرفاعى لمن يريد أن يسلك الطريق تفقه فى دينك ثم تعال.

فالإمام القشيرى يويد هذه الأقوال وعنده أن كلا من الشريعة والطريقة والحقيقة مكمل للآخر.

الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية والطريقة الموصلة إلى الله عز وجل.

الشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده والشريعة اشارة إلى تكليف الخلق والحقيقة إشارة إلى مشاهدة الرب جل وعلا.

واذا كان رجال التصوف مجمعين على هذا فهل هناك دليل يويدهم ويقف معهم، الحقيقة أنهم جميعا يستقون ذلك من نبعى القرآن والسنة أما القرآن فقوله تعالى: ﴿الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب﴾[1].

(١) الآية رقم ١٣ من سورة الشورى.

وأما السنة فما روى عن رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان والاحسان: الإسلام شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله واقامة الصلاة واتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا أما الإيمان فان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره.

وأما الإحسان: فهو ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك فاذا كان العبد فى أول حياته يعرف اركان دينه وشرائع عبادته فلا يلبث أن يكون دينه الأخلاص فى كل مايأتى ومايدع لأنه يرى مراقبة الله سبحانه وتعالى.

هذه نبذة مختصرة تبين لنا وتوضح تلازم الشريعة والطريقة والحقيقة ولنتعرف بعدها على رأى أمامنا النابلسى فى تلك المشكلة التى شغلت ولاتزال تشغل الكثير من رجال الفقة والتصوف وتوجد بينهم الخصومات والحزازات التى يجب أن يتنزه عنها هؤلاء الرجال لأن دينهم يوحد ولايفرق لقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا﴾[(١)].

واذا كان الأمر كذلك فما هو رأى شيخنا وامامنا عبد الغنى النابلسى رضي الله عنه.

رأى الإمام النابلسى:

يبدأ الإمام النابلسى بتعريف الحقيقة ويربطها بأفعال العباد ويخلق الكائنات ويرى أن ذلك هو الدهليز للدخول إلى الحضرة الالهية فاذا تم للعبد ذلك وصل إلى عين الحقيقة يقول الإمام النابلسى: ان معنى الحقيقة نسبة المخلوقات كلها إلى الله تعالى سواء كانت ذاتا أوصافا أو أقوالا أوأفعالا ما من مخلوق من المخلوقات مطلقا سواء كانت أرواحا أو نفوسا أو أجساما أوصورا أومعانى أوخواطر أوادراكات انسانية أوملكية أرضية فى الظواهر والبواطن وسواء كانت من المخلوقات التى نعلمها وندركها أوكانت مما لانعلمه قال تعالى: ويخلق مالاتعلمون[(٢)].

وهذا توحيد الافعال لافاعل إلا الله فى الحقيقة قال تعالى: ﴿وخلق كل شىء فقدره تقديرا﴾[(٣)] وقال تعالى: هل من خالق غير الله[(٤)] إلى غير ذلك من الآيات وتوحيد الأفعال

(١) الآية رقم ١٠٣ من سورة آل عمران.
(٢) الآية رقم ٩ من سورة النحل.
(٣) الآية رقم ٢ من سور الفرقان.
(٤) الآية رقم ٣ من سورة فاطر.

هذه لاينكرها أحد مطلقا من المسلمين ومن الكافرين قال تعالى فى حق الكافرين: ﴿ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله فأنا تسخرون﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وأما المسلمون فلا اشكال على أنهم مجمعون على ذلك عامتهم وخاصتهم ويقول إمامنا النابلسى حجته على ذلك ساردا البراهين العديدة التى تؤكد رأيه وتدافع عن فكرته بقوله: وتوحيد الأفعال هذه هو باب الحقيقة وهو باب الدخول إلى الحضرة الإلهية وبعده توحيد الصفات والاسماء وبعده توحيد الذات وهذا التوحيد بأنواعه الثلاثة يحتاج إلى المراقبة دائما حتى يصير ذلك له ذوقا وكشفا لايشغله عنه شاغل أصلا ومراده بالذوق والكشف هنا الاستحضار الموصل إلى الحضور بادراك مالا يدركه العقل من المدركات فان جميع مدركات العقول من كل شيء عن الحس وإنما هو بقوة الخيال والتمثيل والخطأ فى ذلك أكثر من الصواب.

وتوحيد الأفعال هو باب الحقيقة وذكر الله عند النابلسى من الطرق التى تؤدى إلى الحقيقة مصداقا لقوله تعالى فى الحديث القدسى: أنا جليس من ذكرنى وقوله تعالى: فاذكرونى أذكركم[2] ومراقبة الله تعالى من الطرق التى توصل إلى الحقيقة فى كل همسة وخفقة قلب أوخطرة تمر بالفؤاد فاذا حقق العبد ذلك كان سائرا فى طريق الحقيقة ونادته الهواتف ها أنت وربك فى النهاية يرى امامنا أن على العبد أن يتحقق بتوحيد الافعال لأنه لافاعل إلا الله ولا خالق إلا الله ولا موجود على الحقيقة إلا الله عندها يهتف مع رجال الله بقول بعضهم قد كان ماكان مما لست اذكره فظن خيرا ولاتسأل عن السبب واذا كنا قد جلينا رأى الإمام النابلسى فى الحقيقة فعلينا أن نسايره فى تعريف الشريعة مؤكدين بادى ذى بدء أن أمامنا لايحيد عن الكتاب والسنة قيد أنملة فيقول أن الشريعة هى الأعمال التى كلف الله بها عباده وجعل لهم قدرات وارادات وكلفهم بالأعمال المرضية ونهاهم عن الأعمال التى لايرضى عنها وسمى هذا الخطاب الذى أنزل به

(١) سورة المؤمنون الآيتان ٨٨، ٨٩.
(٢) ص ٣ من رسالة عذر الأئمة فى نصح الأمة للنابلسى مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٦٩٧٩.
(٣)الآية رقم ١٥٢ من سورة البقرة.

الوحى على الانبياء شريعة فبعث بها المرسلين وأنزل عليهم الوحى بكلامة القديم الذى منه القرآن المبين.[1]

فالإمام النابلسى يرى أن الشريعة هى الأعمال والأفعال التى كلف الله بها عباده بالقيام على تنفيذها وكل ذلك لايخرج عن كون هذه الأفعال هى أفعال الله تعالى ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿والله يحكم لامعقب لحكمه﴾[2] وقال تعالى: ﴿لايسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[3] لأن الكل فعله سبحانه وتعالى ولا فاعل غيره قوله فبعث بها المرسلين هو المسمى شريعة ولايخرج هذا عن كونه من عند الله هو فعل من أفعاله تعالى وإن العباد يسألون عن هذه الأعمال من الله تعالى وعما صدر منهم لأنه فعال لما يريد[4] فجميع أفعال المخلوقات كلها أفعاله حقيقة وهم كاسبوها وهى شريعة يقوم العباد بتنفيذها[5].

وشيخنا النابلسى يرى أن الشريعة هى مأمر الله به ونهى عنه على لسان نبينا الكريم وبنى ذلك كله على عدم مخالفة الشارع الحكيم، فمن خالفه وادعى غير ذلك فهو ليس من المسلمين فى شيء بل خارج عن الإسلام مقبل على الشيطان وبعد بيان هذا ينتقل الإمام النابلسى إلى ذكر علماء الأمة الإسلامية ويبين أنهم على أقسام:

علماء الأمة الإسلامية:

القسم الأول: علماء يبحثون فى علومهم عن ظواهر أحوال العباد وهم أنواع.

١ - علماء الاعتقاد والشرائع والأحكام الإلهية.

٢ - علماء الأداب.

٣ - علماء القرآن والتجويد لكلام الله تعالى إلى غير ذلك أقامهم الله تعالى فى مقام العلم الذى هم بصدده وفتح عليهم بمعرفته والبحث عنه واتقانه ثم يذكر القسم الثانى ويقول:

(١) ص ٥ من رسالة عذر الأئمة فى نصح الأمة للنابلسى تحت رقم ٦٩٧٩ مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق.
(٢) الآية رقم ٤١ من سورة الرعد.
(٣) الآية رقم ٢٣ من سورة الأنبياء.
(٤) الآية رقم ١١٦ من سورة البروج.
(٥) ص ١٣ من نفس المرجع السابق.

القسم الثاني: علماء يبحثون عن بواطن أحوال العباد وهم أهل الطريقة والحقيقة.

علماء الطريقة عند النابلسى:

يقول شيخنا أن علماء الطريقة يبحثون عن الزهد فى الدنيا والآخرة وفى كل ماسوى الله تعالى عند اتقانهم مقام الزهد والتقوى والورع والصبر والشكر والتوكل إلى غير ذلك من الاخلاق المحمدية والسيرة الأحمدية[1].

فشيخنا يرى أن علماء الطريقة وهم الذين يعملون جادين فى ظواهرهم وبواطنهم على الوصول إلى الله تعالى عن طريق اتقان المقامات كالزهد وما والاه من التقوى وتصفية النفس ومجاهدتها فى سبيل الوصول إلى الحق جل علاه.

فالطريقة هى الزهد والورع والتقوى فى كافة ما أمر الله به كما يراه امامنا الشيخ عبد الغنى النابلسى وهى وسط بين الشريعة والحقيقة ثم بعد ذلك ينتقل إلى بيان علما الحقيقة وفيما يبحثون.

علماء الحقيقة عند النابلسى:

يرى شيخنا النابلسى أن علماء الحقيقة هم الذين يبحثون عن تجليات الله تعالى فيقول: علماء الحقيقة يبحثون عن تجليات الله تعالى وظهوره وانكشافه باظهار آثار اسمائه وصفاته وهذه الآثار هى العوالم على اختلافها وتنوعاتها.

وعلماء الحقيقة اذن يعطيهم الله تعالى معارف وحقائق بطريق الفيض والإلهام كالبحار الزواخر التى لاأول لها ولاآخر[2].

فالإمام يرى أن علماء الحقيقة هم اهل الكشف واصحاب التجليات الإلهية بعد أن تصفوا نفوسهم وتسموا أرواحهم وتصير ربانية فينكشف لهم بأمر الله مايريد وأن لكل عالم له فى علمه اصطلاح يتكلم فى علمه ويبحث عنه ولايعرفه إلا من دخل فى معرفة ذلك العلم ولايحق أن يطعن على صاحب علم ولايعرف حقيقة ذلك العلم لأن كل مجيد لفن لايعرف غير الفن الذى يجيده والناس يتفانون فى ذلك تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾[3].

---

(١) ص ١٣ من نفس المرجع السابق.
(٢) ص ٤ من نفس المرجع السابق.
(٣) الآية رقم ٧٦ من سورة يوسف.

واذا كان شيخنا قد بين الشريعة والطريقة والحقيقة فهل يرى الجمع بين هذه الأشياء الثلاثة هذا ماسنتحدث عنه فيما يأتى:

الجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة:

يرى الإمام النابلسى أنه لافرق بين هذه الالفاظ الثلاثة الشريعة والطريقة والحقيقة وأن توحيد الأفعال هو الباب الذى يدخل منه السالك إلى الشريعة فيقول: هو ابتداء الدخول منه إلى عين الحقيقة وتوحيد الأفعال هذا هو الذى يقع فيه الاشتراك بين الشريعة والحقيقة وكذلك توحيد الصفات وتوحيد الذات ايضا، ولذا يبين للسالك الصادق والمريد الطالب أن الشريعة هى الحقيقة وأنها لفظان مترادفان وأنه اذا دام الطلب منه وتوجهت الرغبة من العبد تبين له توحيد الصفات والأسماء ثم توحيد الذات، ولايبقى عنده ريب فى ذلك ولاتردد ولااشكال أصلا ومما يؤيد أن النابلسى لايفرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة ماوجدناه فى ديوانه قال:

ان الحقيقة والشريعة واحد ... والفرق بينهما ضلال غالب

فأقم لدين الله وجهك انه ... وجه الحبيب له هناك حبائب

والمطلب وكن متوجها ابدا به ... يحظى ويظفر بالمراد الطالب[1]

ثم يقول فى بيان الطريقة:

فتحت رياضتنا اليك طريقة ... والشرع باب والحقيقة دار

ويد جمالك للعيون وذاك عن ... وجه القلوب من الغيوب خمار[2]

وقال أيضا:

وهى ذات حقيقة موصوف ... وسمى شريعة توقيرا

ثم بالشرع والحقيقة نأتى ... ظاهرا باطنا ولاتميزا[3]

فالإمام النابلسى قد جمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة ولايفرق بينهم لأن الكل واحد مصدره كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهو بعد ذلك ينعى على الذين يهملون

(١)، (٢) من ديوان النابلسى تحت رقم ٧٢١٠ بالمكتبة الظاهرية بدمشق ومطبوع تحت يدنا.
(٣) ص ١٥٩ من نفس المرجع السابق.

شرع الله عز وجل فى الأشياء بأنفسهم وهو يرى أن هؤلاء زنادقة بل ملاحدة ورد عليهم حججهم مستندا إلى أن الكل أفعال الله لانهم خلقه فلا خالق سواه ولامؤثر معه فى شيء مطلقا فى ملكه وملكوته وهذا هو توحيد الأفعال كما مر وهو موضوع غرور الزنادقة والملحدين النافيين للشرائع الإلهية والمسقطين للتكاليف الشرعية عن أنفسهم الشيطانية وهو غرور ابليس اللعين إمام المغرورين والملحدين لما آمره الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام فأبى وامتنع عن ذلك وخالف أمر ربه والله تعالى كيفما أمر وجب امتثال أمره سواء عرف المكلف حكمة ذلك الأمر أولم يعرف، والله لايأمر بالفحشاء والمنكر ولايأمر إلابالحق ولا يحكم إلا بالحق ولاتعلل احكامه ولايعلل أمره ونهيه بالعلل العقلية ولاغيرها حتى قال تعالى عن ابليس اللعين: أبى واستكبر وكان من الكافرين[1] لأنه عصى ربه حيث ترك السجود لآدم عليه السلام واعتمد على عقله ولذا فشيخنا النابلسى يرى أن الزنادقة والملحدين اعتمدوا على عقولهم مثل إبليس اللعين فتركوا ماكلفهم الله به من الأوامر والنواهي وانكروا تكاليف الشريعة وتمسكوا بتوحيد الأفعال واعتمدوا عليه ثم أنهم لم يقفوا عند هذا الحد فى كفرهم وطغيانهم بل تعدوا إلى ضعفاء العباد وعوامهم وأضلوهم كما فعل إمامهم اللعين ذلك فصاروا شياطين الانس قال تعالى ﴿شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾[2] وقال تعالى: ﴿من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس﴾[3] فذكر فى هذا المجال الإمام النابلسى كلاما كثيرا يطول شرحه وقد اكتفينا منه بالقليل كدليل على أن النابلسى لم يفرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة وقد بين أن الزنادقة والملاحدة اعداء الشرائع والأحكام من الفقهاء والمجتهدين المقلدين لهم فى نقل شرائع الله تعالى وأحكامه إلى غيرهم من عوام المسلمين مع علمهم فى ذلك فى أنفسهم على حسب المذاهب المختلفة فى كل زمان ثم ان الإمام النابلسى صرح وقال ان الزنادقة والملحدين أشد كفرا من اليهود والنصارى والسبب فى ذلك أنهم جاحدون للشرائع والاحكام الإلهية أما اليهود والنصارى فمؤمنون ببعض الشرائع والأحكام كشريعة موسى وعيسى عليهما السلام[4] وانى ارى أن رأى الإمـــام

---

(١) الآية رقم ٣٤ من سورة البقرة.
(٢) الآية رقم ١٢ من سورة الأنعام.
(٣) الآية رقم ٣، ٤ من سورة الناس.
(٤) ص ٧ من كتاب عذر الأئمة فى نصح الأمة مخطوط بدمشق تحت رقم ٦٩٧٩.

النابلسى فى الشريعة والطريقة والحقيقة والجمع بينهم هو الصواب وأنه لافرق بينهم لأن المصدر واحد وانى مع شيخى النابلسى فى رأيه ذلك لأنه يساير العقل والنقل واستدل فى كل ماقال بكثير من الأدلة العقلية والنقلية وهى تدل دلالة واضحة على أن النابلسى لايفرق بين حقيقة الالفاظ الثلاث ويرى أن كلمة شريعة وطريقة وحقيقة واحدة والفاظها مترادفة وان مصدرها الكتاب والسنة وأصلها ومردها إلى الله عز وجل واذا كنا قد بينا رأى استاذنا النابلسى فى الشريعة والطريقة والحقيقة فهل لأحد من تلاميذه ومريديه رأى وموقف فى هذا متأثرا بشيخه النابلسى وهذا ماسنتحدث عنه فيما يلى حيث نذكر موقف حسين بن طعمة البيتمانى.

موقف حسين بن طعمة البيتمانى:

يقول حسين بن طعمة البيتمانى مبينا للشريعة والطريقة والحقيقة ثم جامع بينهم ان الدين الذى شرعه الله لنا وأمرنا باتباعه جاءنا بطريق الإجمال على ثلاث مراتب باعتبار ماعندنا وفى نفس الأمر عند الله تعالى وهو الإسلام كما قال تعالى: ﴿ان الدين عند الله الإسلام﴾[1] وقال لرسوله ﷺ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوصينا إليك[2] إلى آخر الآيات الواردة فى هذا الشأن.

فالمرتبة الأولى تسمى شريعة وباطنها الأعمال وهو مقام أهل البداية فالشريعة هى الأعمال المأمور بها من الشارع الحكيم[3] وبناء على رأى البيتمانى تلميذ الإمام النابلسى فالشريعة هى الأعمال التى كلف الله بها عباده والقيام بتنفيذها وهى المرتبة الأولى عنده.

أما المرتبة الثانية عند البيتمانى تسمى بالطريقة وهى الأحوال وهى عنده مقام أهل العناية فالاحوال عنده الطريقة وهى التى تصل مابين الشريعة والحقيقة وأما بيان الحقيقة وهى التى يسميها بالمرحلة الثالثة ويعرفها بأنها بساط الشهود الالهى والكشف الربانى وهو مقام أهل النهاية وكل واحدة من هذه المراتب من الشريعة والطريقة والحقيقة على هدى من ربه وان تفاوتت أقوالهم واختلفت باعتبار اختلاف المقامات.

(١) الآية رقم ١٩ من سورة آل عمران.
(٢) الآية رقم ١٣ من سورة الشورى.
(٣) ص ٣ من كتاب السهام الرشيقة فى قلوب الناهين عن علم الحقيقة مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموعة ١٠٠ تصوف.

فالشريعة والطريقة والحقيقة يرى أنها واحدة ولافرق بينها غير أن الشريعة ظهر الحقيقة وهى العلم المتعلق بأفعال المكلفين ومن الناس من جاء بقطع المنازعة فى سائر المعاملات وهى حدود وقيود فرضها الله تعالى فى شرعه لمصالح العباد الدنياوية والأخروية.

وعلى ذلك فالإمام حسين بن طعمة البيتمانى يرى أن الشريعة والطريقة والحقيقة واحدة بعد أن عرف كل واحدة منها وهى كلها فى نفس الأمر أمر واحد ولافرق بينها من حيث المصدر المأخوذة منه وهو كتاب الله وسنة رسوله ثم علل الطريقة بقوله وهى مكارم الأخلاق والقيام لله على قدم العبودية بالجد والاشتياق فمن درج على أحكام الشريعة بالاخلاص وهبه الله تعالى الدخول إلي دائرة الطريقة ومن أتقن مقام الطريقة وثبت فيه رفعه الله تعالى إلي مقام الحقيقة وخصه بعلوم الذوق فالبداية أعمال تابعة للشرع الشريف ومعلومة منه وموقوفة عليه وراجعة فى المعرفة إليه تعالى[1] فالشيخ البيتمانى يرى أن الشريعة بداية والطريقة وسط والحقيقة نهاية وكل مقام من هذه المقامات له رجال فمن اتقن مقاما من هذه المقامات منحه الله سبحانه وتعالى الوصول إلي المقام الذى يليه وهكذا يتدرج المؤمن الكامل الإيمان حتى يصل إلى مراده وغايته وهى مشاهدة الله عز وجل بصفاء قلب ونور بصيرة وإيمان راسخ وهبه لله لعباده المخلصين السائرين على كتابه وهدى نبيه ﷺ.

واذا كنا قد تحدثنا عن تلميذ للإمام النابلسى الشيخ حسين بن طعمة البيتمانى الذى نهل من علوم استاذه وتأثر به وسار على رأيه فى الشريعة والطريقة والحقيقة واذا كان الأمر كذلك فما الذى نتحدث عنه بعد ذلك أرى أن أذكر رأى معتدلوا الصوفية فى الشريعة والطريقة والحقيقة ماذا قالوا: وهذا ماسنذكره فيما يأتى بعون الله وتوفيقه:

معتدلو الصوفية:

وما نقوله فى هذا الصدد عن الصوفية لاينطبق على جميعهم فقد رأينا المنصف منهم يحارب التفرقة بين الشريعة والطريقة والحقيقة كالغزالى والقشيرى ومن هؤلاء أبو سعيد الخراز قال: كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل.

(١) ص ٥ نفس المرجع السابق.

وعن أبى بكر الدقاق أنه قال: كنت مارا فى تيه بنى اسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة، فهتف بى هاتف من تحت شجرة قائلا كل حقيقة لاتتبعها شريعة فهى كفر.[1]

وقال الغزالى: فمن قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر اقرب منه إلى الإيمان، وقال الإمام القشيرى موفقا بين الحقيقة والشريعة أن الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية وكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة غير مقبولة وكل حقيقة غير مقصوده بالشريعة غير معقولة فالشريعة أن تعبد الله والحقيقة أن تشهد الله[2].

الشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود بما قضى وقدر وماخفى وأظهر والشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمر والحقيقة ايضا شريعة من حيث أن العارف به سبحانه وجبت بأمـره[3] كما قال الغزالى موفقا بين الشريعة والحقيقة فقال والفرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف[4].

هذه هى آراء معتدلى الصوفية كيف يربطون بين الشريعة والحقيقة ويوفقون توفيقا دقيقا مبنيا على إيمانهم الراسخ وتذوقهم لمعانى الكتاب والسنة وفهمهم الدقيق لهذا كله رأو أنه لافرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة بل الكل مصدره كتاب الله وسنة رسوله هذا جانب الصوفية ورأيهم فما موقف الفقهاء من هذا هل موقفهم المخالفة والمنع أم التوفيق والجمع بين هذه الألفاظ الثلاث ومعانيها المستمده من كتاب الله وسنته وهذا هو حديثنا فيما يأتى:

موقف الفقهاء:

ما أثر عن الشافعى رضي الله عنه وما كان يجدر بالفقهاء أن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام هذه الحملات التى شنها عليهم خصومهم وقد حفظ لنا التاريخ أن الشافعى رضي الله عنه قال: لو أن رجلا تصوف أول النهار لايأتى الظهر حتى يصبح أحمق وقال مالزم احد الصوفية اربعين يوما فعاد عقله إليه ابدا وأنشد:

(١) ص ٣٤٦، ٣٤٧ كتاب تلبيس ابليس.
(٢) ص ٧٤ جـ١ كتاب الأحياء للغزالى.
(٣) ص ٦٧ الرسالة القشيرية.
(٤) ص ٧٨ من الأحياء جـ١.

ودع الذين اذا أتوك تنسكوا *** واذا خلوا كانوا ذئاب حقاف[1]

كما يحفظ لنا موقف ابن الجوزى وابن تيمية وابن القيم من هذه الخصومة فقد انتهوا إلى عدم التفرقة بين الشريعة والحقيقة وهم من خيرة الفقهاء كما انتهى إلى ذلك الغزالى والقشيرى من المتصوفة الراسخين فى العلم هكذا رأى الإمام الشافعى الصوفية وموقفه منهم أما الفقيه ابن الجوزى فماذا يقول فى الصوفية مالذى يأخذه عليهم وهو مجال حديثنا فيما يأتى:

موقف ابن الجوزى:

عاب ابن الجوزى على الصوفية هذا الاتجاه ومما يؤثر عنه قوله وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس علم الباطن واحتجوا بما روى عن على بن أبى طالب كرم الله و جهه عن النبى ﷺ أنه قال: علم الباطن سر من اسرار الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل فى قلوب من يشاء من أوليائه[2].

وابن الجوزى يرى أن هذا الحديث لا أصل له عن النبى ﷺ وفى اسناده مجاهيل لايعرفون حقيقته ولايدرون كنه ذلك.

وقال مبينا أن العلم الالهامى والعقل لايكفيان عن العلوم الشرعية ورد على البسطامى قوله: أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت: وقال وينبغى أن يعلم أن العلم الالهامى الملقى فى القلوب لايفكى عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لاتكفى عن العلوم الشرعية فان العقلية كلأغذية والشريعة كالأدوية ولاينوب هذا عن هذا واما قوله وأخذوا علمهم ميتا عن ميت فأصلح ماينسب إليه هذا القائل أنه مايدرى مافى ضمن هذا القول من فساد والا فهذا طعن على الشريعة[3] فالإمام ابن الجوزى يبين العلم الالهامى والعقلى وانهما لايكفيان لوحدهما فى هداية البشر والنجاة من العذاب بل لابد من تنفيذ أوامر الشرع والقيام بما أمر الله به وإلا لكان العبد خاليا من الإيمان لأنه ترك شرع الله عز وجل وقد رد على أبى يزيد البسطامى كلامه وبين إما أنه لايدرى ماقاله وفساد معناه أو أنه طاعن على الدين خارج على الإسلام ثم ينتقل بعد ذلك إلى أن كثيرا

(١) ص ٣٩٧ نقد العلم والعلماء لابن الجوزى.
(٢) ص ٣٤٥ نقد العلم والعلماء لابن الجوزى.
(٣) ص ٣٤٥ نفس المرجع السابق.

من الصوفية فرق بين الشريعة والحقيقة وعد هذا جهل من قائله وقال لأن الشريعة كلها حقائق فان كانوا يريدون بذل الرخصة والعزيمة وكلاهما شريعة وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم فى اعراضهم عن ظواهر الشرع[1] هكذا يحدد ابن الجوزى الشريعة والحقيقة ويربط بينهما ثم بعد ذلك يبين قبح قول من قال حقيقة وشريعة وقالوا حقيقة وشريعة وهذا قبيح لأن الشريعة ماوضعه الحق لمصالح الحق فيما الحقيقة بعدها سوى ماوقع فى النفوس من القاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع وان سمعوا احدا يروى حديثا قالوا مساكين اخذوا علمهم عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت ويغضهم الفقهاء أكبر الزندقة لأن الفقهاء يخطرونهم بفتوايهم عن ضلالهم وفقهم وكذلك بغضهم لأهل الحديث[2].

هذه النصوص ناطقة بالنعى على الصوفية للتفرقة بين الشريعة والحقيقة دالة على اتفاقهم وأن الحقيقة ان خالفت الشريعة فهى هواجس يلقيها الشيطان على ضعاف النفوس واما الأقويا بايمانهم المتمسكين بما أنزل الله المتبعين لنبيه الكريم السائرين على طريقه المستقيم فهم أصحاب الشريعة والطريقة والحقيقة.

هكذا تحدث ابن الجوزى عن هذه الالفاظ الثلاث وقبل أن نترك الفقهاء لابد أن نذكرموقف ابن تيمية من الشريعة والطريقة والحقيقة وهذا ماسنتكلم عنه فيما يأتى:

موقف ابن تيمية:

أما ابن تيمية فقد ابطل التفرقة بين الشريعة والحقيقة ونعى على ابن عربى باللائمة واعتبره من الكفرة لقوله: أنه يأخذ علم الشريعة من الموضع الذى يأخذ منه الرسول ﷺ.

واعتبره يشبه مسيلمة الكذاب فى دعوى الرسالة كما نعى عليه قوله: أنه مختص بعلم الحقيقة دون الرسول قال: ابن عربى ولما مثل النبى ﷺ النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة فكان ﷺ تلك اللبنة.

غير أنه عليه السلام لايراها الاكما قال لبنة واحدة وأما خاتم الأولياء فلابد من هذه الرؤيا فيرى مامثل به رسول الله ﷺ ويرى فى الحائط موضع لبنتين من ذهب وفضة..

(١) ص ٣٤٦، ٣٤٧ نقد العلم والعلماء لابن الجوزى.
(٢) ص ٢٠٠ نفس المرجع السابق.

والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل فى الظاهر وهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهر متبع فيه لأنه يرى الأمر على ماهو عليه فلابد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن فانه اخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به إلى الرسول.

فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الانبياء والرسل منه فان الولى الرسول النبى وخاتم الأولياء الولى الوارث الآخذ من الأصل المشاهد للمراتب كلها[1].

ولذا نرى ابن تيمية يناقش ابن عربى فى هذا النص الذى ذكرناه ويبين عن عدة أخطأ وقع فيها ابن عربى وأهمها مايأتى:

١ – يفهم من كلامه أن هناك علم الشريعة وهو موضع اللبنة الفضية وهو علم أهل الظاهر كما أن هناك علم الحقيقة وهو موضع اللبنة الذهبية وهو خاص بالصوفية رضوان الله عليهم.

٢ – أخذ عليه دعواه أخذ الشريعة عن الله كما يأخذ الرسول ﷺ وهذا كفر صريح يشبه مسيلمة الكذاب اذ ادعى النبوة.

٣ – أخذ عليه دعواه انفراده بعلم الحقيقة المتضمن علو منزلته عن الرسول ﷺ اذ أنه يدعى أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك مايوحى به إلى الرسول فالرسول يأخذ من الملك وابن عربى يدعى أنه يأخذ لامن الملك بل من الموضع الذى يأخذ منه الملك وهو فى هذه الدعوة أكثر من مسيلمة ادعاء لأن مسيلمة لم يدع أنه أرقى من الرسول ﷺ[2].

وكما أبطل بن تيمية دعوى ابن عربى أن هناك علم شريعة وعلم حقيقة فقد أبطل دعوى من قال: ان له طريقا إلى الله غير اتباع الرسول وانه يسلك هذه الطريقة وان خالفت شرع الرسول محتجا بقصة موسى والخضر عليهما السلام وقد فند ابن تيمية هذا الزعم وأبطل الاحتجاج بقصة موسى والخضر بأمرين نلخصهما فيما يأتى:

---

(١) ص ٦٣، ٦٤ من كتاب فصوص الحكم لابن عربى الفص الشيسى بمكتبة الأزهر تحت رقم ٦٣٢ تصوف.

(٢) ص ٦٩ جـ٤ من جموع الرسائل والمسائل لابن تيمية مطبوع تحت يدنا.

١ - لم يكن موسى مرسلا إلى الخضر ولو كان مرسلا إليه لوجب على الخضر اتباعه.

٢ - قصة موسى والخضر ليس فيها مخالفة للشريعة كما يزعم من يردد المروق من التكاليف الشرعية الواردة على لسان الأنبياء والرسل.

اذا مافعله الخضر يباح فى الشريعة اذا علم العبد الاسباب كما علم الخضر.

ولذا لما بين الخضر أسبابها لموسى وافقه وبيان موافقة فعل الخضر للشريعة أن خرق السفينة داخل تحت قاعدة المال المعصوم يجوز للانسان ان يحفظه لصاحبة باتلاف بعضه فاتلاف البعض خير من اتلاف الكل ومن هذا ماحدث فى عهد النبى ﷺ من ذبح الراعى لشاة وقد خاف عليها الهلاك، وقصة الغلام تدخل تحت جواز قتل الصبى الصائل قال ابن عباس: واما الغلامان فان كنت تعلم منهما ماعلم الخضر من ذلك الغلام فاقتلهما وإلا فلاتقتلهما.

واقامة الجدار فعل معروف بلا أجر مع الحاجة لذا كان لذرية قوم صالحين[١]

وأدق ماورد عن ابن تيمية فى هذا المقام ماجاء على لسانه ردا على من زعم ان علم الباطن خاص بالصوفية وعلم الظاهر خاص بالفقهاء والباطن والظاهر والشريعة والحقيقة كل هذا مرده إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا إلى المشايخ والفقراء ولا إلى الملوك والأمراء ولا إلى العلماء والقضاة وغيرهم بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام[٢].

ابن تيمية يرد الأمر كله لله ورسوله ولايجيز التفرقة بين الشريعة والحقيقة والباطن والظاهر وقد جاوز الصوفية حد الاعتدال حين ادعوا الأخذ عن الله بلا واسطة وأنهم أعظم من اتباع الرسل فيقول بعضهم فلان عطيته على يد محمد ﷺ وأنا عطيتى من الله بلا واسطة ويقول آخر أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت وقد فند ابن تيمية هذا الزعم وبين أن كل شىء مرده إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما وافقهما فهو حق وما خالف واحدا منهما فهو باطل وهذا واضح من قوله: وليس عندهم فرقان يفرق بين الرحمن والشيطان، فإن الفرق الذى لايخطىء هو القرآن والسنة

---

(١) ص ٦٧، ٦٨ جـ٤ من مجموع السائل والمسائل لابن تيمة مطبوع تحت يدنا.
(٢) ص ١٣٧ جـ١ نفس المرجع السابق.

فما وافق القرآن والسنة فهو حق وماخالف ذلك فهو خطأ ولذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[1] وقول القائل: يأخذ عن الله وأعطانى الله لفظ مجمل فان إراد به الاعطاء والأخذ العام وهوالكونى الخلقى أى بمشيئة الله وقدرته حصل لى هذا فهو حق، ولكن جميع الناس يشاركونه فى هذا وذلك الذى أخذ عن الكتاب هو أيضا عن الله أخذا بهذا الاعتبار والكفار من المشركين وأهل الكتاب أيضا هم كذلك وإن أراد أن هذا الذى حصل لى هو مايحبه الله ويرضاه ويقرب إليه وهذا الخطاب الذى يلقى إنما هو كلام الله تعالى فهنا طريقان:

أحدهما: ان يقال له: من أين لك أن هذا إنما هو من الله لامن الشيطان والقائه ووسوسته فإن الشياطين يوحون إلى أوليائهم والمقصود هنا أن يقال لهم: اذا كان جنس هذه الاحوال مشتركا بين أهل الحق وأهل الباطل فلابد من دليل يبين أن ماجعل لكم هو الحق.

الطريق الثانى: أن يقال بل هذا من الشيطان لأنه مخالف لما بعث الله به محمدا ﷺ فلو نظرنا إلى ما حصل له وإلى سببه وغايته وجدنا أن السبب والغاية غير مشروعين كأن يقال له: (اسجد لهذا الصنم حتى يحصل لك المطلوب أو أدع هذا المخلوق واستغث به مايحدث له بهذا السبب إنما حدث بسبب الشرك كما كان يحدث للمشركين فكانت الشياطين تتراءى لهم ويقضون بعض الحوائج فكانوا يبذلون لهم هذا النفع القليل بما شروه منهم من توحيدهم وإيمانهم بغير الله تعالى) هذا ماقاله ابن تيمية فى الشريعة والطريقة والحقيقة ناقدا وموجها إلى أتباع الشريعة والطريقة والحقيقة وضرورة الجمع بينهم وأن الذى يفرق بين هذه الكلمات الثلاث يعتبر غير مؤمن لأنه لم يتبع ماأمر به الشرع فى حياته لينجو من عذاب الله ويسلك الطريق المستقيم فى وصوله إلى رب العالمين ولو ذهبنا نستمع إلى ما قاله تلميذه ابن القيم لوجدناه يتفق مع شيخه فى الجوهر ويختلف فى الصورة التى عرض فيها هذه المسألة وانا أرى أن ابن تيمية كان متشددا ومتحاملا على الصوفية عموما دون النظر إلى المعتدلين منهم القائلين بأن الشريعة والطريقة والحقيقة

(١) الآيات من ٣٦ إلى ٣٨ من سورة الزخرف.

واحد مصدرهم الكتاب والسنة وعلى رأس هؤلاء النابلسى وغيره من معتدلى الصوفية وأن ابن تيمية قد نحى هذا المنحى نظرا للعصر الذى كان يعيش فيه وإن كانت طرق العلماء مختلفة فى تفسير كل وأن جميعهم قد استمدوا ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وماكان ينبغى لعالم جليل كابن تيمية أن يتحامل على الصوفية عموما وأن الإمام النابلسى قد فند هذه الحجج فيما سبق وسوف نوجزها فى نهاية الفصل ونحن قد ذكرنا أن تلميذ بن تيمية وهو ابن القيم قد عرض لهذه المسألة ووافق استاذه فيما قال مع اختلاف فى الصورة فما موقفه.

موقف ابن القيم:

عرض ابن القيم هذه المسألة فقال: وقد قيل ان العالم يعطك الخل والخردل والعارف ينشئك المسك والعنبر فمن نظر إلى الناس بعين العلم مقتهم ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم: لم يرض ابن القيم عن هذه التفرقة بين الشريعة والحقيقة وله على هذا الموضوع مآخذ أهمها مايلى:

أولا: هذا كلام ملمسة ناعم وسمه قاتل وضرره عظيم يحسبه المرء هينا وهو عند الله عظيم إذ يدعو الناس إلى التحلل وارتكاب الجرائم وعبادة الأوثان والظلم ماداموا معزورين بعين الحقيقة.

ثانيا: عجبا كيف يسمى مايأتى به العالم من أوامر ونواهى خلا وخردلا ومايأتى به العارف من أمور لادليل عليها مسكا وعنبرا مع أن الانصاف يقتضى العكس.

ثالثا: كيف يتأتى عذر الناس إذا نظر إليهم بعين الحقيقة فى حين أن الرسول قد لامهم لارتكابهم مايخالف تعاليم الشرع واذا كان لأمثال هؤلاء موضعا لاعتذار لعذرهم الله وعفى عنهم ولكن الغنى الرحيم أولى بعذر هؤلاء منا نحن المخلوقين ويرى ابن القيم أن الشريعة والحقيقة والطريقه لاتنافى بينهم فلكل منها جانب.

فالشريعة عبادة الله والحقيقة مشاهدة صفات الحق سبحانه وتعالى ولذا يقول: فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده والشريعة قيامك بأمره والحقيقة شهودك بوصفه ومما يوضح توفيق ابن القيم بين الشريعة والحقيقة قوله: فكيف يكون قائما بالأمر والنهى فعلا وتركا وبالقضاء والقدر إيمانا وشهودا وحقيقة فهو ناظر إلى الحقيقة ثم بالشريعة

وهذان الأمران هما عبودية هاتين الآيتين قال تعالى: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾[1].

فهذه أربعة أمور بذل الجهد وتحكيم العقل والنظر إلى الحقيقة والتخلص من الالتفات إلى غيره.

واذا وفق ابن القيم بين الشريعة والحقيقة نراه فى توفيقه يشترط فى العلم الدنى وهو مايحصل بطريق الالهام إلا يخالف الشريعة، واعتبره ثمرة العبودية والمتابعة وبذل الجهد فى تلقى العلم من مشكاة الرسول ﷺ فيعطيه الله فهما للأمور.

ولذا قال: الإمام على بن ابى طالب رضي الله عنه وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشىء دون الناس، فقال: لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الافهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه.

قال ابن القيم فهذا هو العلم اللدنى الحقيقى وأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتقيد بهما فهو من لدن النفس والشيطان فهو لدنى لكن من لدن من .

ومن أجل هذا قد وضع بن القيم مقياسا يعرف به كون العلم لدنيا حقيقيا فقال: وإنما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا بموافقة ماجاء به الرسول ﷺ عن ربه عز وجل فالعلم الدنى نوعان: لدنى رحمانى ولدنى شيطانى والمحل هو الوحى ولا وحى بعد رسول الله ﷺ.

هذا وقد رد ابن القيم الاستدلال بقصة موسى والخضر على مخالفة العلم اللدنى للشريعة واعتبره كفرا والحادا، وبين أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولوكان مبعوثا إليه لوجب عليه اتباعه والهجرة إليه ولهذا قال له: أنت موسى نبى بنى اسرائيل؟ قال: نعم: فسيدنا موسى كانت شريعته خاصة أما سيدنا محمد ﷺ فشريعته عامة قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾[2].

فالإمام ابن القيم يسير فى رأيه فى بيان الشريعة والطريقة والحقيقة كما سار استاذه بن تيمية من قبله وقد ذكرنا أن ابن تيمية كان متشددا فى حكمه على الصوفية فابن القيم

(1) الآيات رقم ٣٨، ٣٩ من سورة التكوير.
(2) الآية رقم ٢٨ من سورة سبأ.

يسير على منوال استاذه فى الحكم على الصوفية وشيخنا النابلسى وضح رأيه فى هذا وعرف كلا من الشريعة والطريقة والحقيقة دون ان يطعن على أحد مستمدا ذلك من الكتاب والسنة وكان فى توفيقه موفقا وفى رده مهذبا متحليا بصفات العلماء العاملين بكتاب الله وسنة ﷺ وبعد أن بينا رأى الفقهاء فى الشريعة والطريقة والحقيقة وهل هذه الالفاظ ترجع فى الأصل إلى شيء واحد أم أن كلا منها يخالف الآخر.

ثم وضح أنه لافرق بينها عند هؤلاء المعتدلين من فقهاء الشريعة الإسلامية ولكن نرى الدكتور زكى مبارك أرجع التفرقة بين الشريعة والحقيقة إلى أمرين ولذا نجد أنفسنا مضطرين لذكر رأى الدكتور زكى مبارك فى هذا الموضوع.

رأى الدكتور زكى مبارك ومناقشة:

يرى الدكتور زكى مبارك أن منشأ هذه التفرقة أمران: أما الأمر الأول فهو أن الفقه علم ا لظواهر كالعبادات والمعاملات والجنايات والحدود إلى غير ذلك.

أما التصوف فهو علم بواطن القلوب من أذواق ومواجيد، وأما الأمر الثانى: فورود آيات من القرآن الكريم تحتمل ا لتأويل[1] مثل قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين﴾[2].

فالآية عند الدكتور زكى مبارك تحتمل معنيين:

الأول: أن هذا من باب التمثيل وأنه لم يقل لهما شيئا ولم تسمعا ولم تقولا شيئا وإنما هو تصوير خضوع السموات والأرض وامتثالهما بكل ماأراده الله وتسخيرها لقدرته بصورة قول موجه إليهما فاجابة منهما.

وأما المعنى الثانى: هو أن هذا على سبيل الحقيقة وأن القول وجه إليهما وأنه خلق لهما سمعا ونطقا وهذا غير صحيح لهذا قال الغزالى بعد ذكر هذه الآية فالبليد يفتقر فى فهمه إلى أن يقدر لهما حياة يخلقها الله فى السماء وللأرض وعقلا وفهما للخطاب بصوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان اتينا طائعين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير[3].

(١) ص ١٦ جـ٢ التصوف الإسلامى فى الأدب والاخلاق لزكى مبارك.
(٢) الآية رقم ١١ من سورة فصلت.
(٣) ص ٢٧ أحياء علوم الدين للغزالى طبعه حلب.

وانى لأطمئن إلى اعتبار ورود مثل هذه الآيات سببا فى الخصومة بين الفقهاء والصوفية ولكن السبب الوحيد فى هذه الخصومة هو ماشعر به الصوفية من أنهم من أهل الحقائق وأن الفقهاء أرباب الظواهر فنشأت الخصومة بين الفريقين وكانت الحرب سجالا بين المتنازعين ويجب أن نبرىء الفقهاء من هذا الفهم السقيم للآيات التى تحتمل التأويل السابق فان الذين يسلكون هذا المسلك هم أرباب الظواهر الحرفيون الذين يجرون وراء الظواهر ويتمسكون بالحرفيات أما الفقهاء المعتدلين فلا يفهمون مثل هذا الفهم العليل فإن لهم من اسمهم نصيبا فهم فقهاء لأنهم فقهوا المسائل الشرعية وفهموا اسرارها نعم الغزالى عرض لهذا الموضوع ونعى على ارباب الظواهر هذا الفهم فى الجزء الأول من الاحياء ولكنه لايقصد الفقهاء وإنما يقصد ارباب الظواهر الحرفيين المبالغين فى اقتفاء الظواهر ومن هنا نرى أن الدكتور زكى مبارك قد جانبه التوفيق حين اعتبر ورود مثل هذه الآية سببا فى الخصومة بين الفريقين وبنى رأيه على ذلك.

هذا ماذكرناه فى مجال الحقيقة والشريعة والطريقة لبعض علماء التصوف من المعتدلين من الفقهاء واننا أوضحنا رأى شيخنا النابلسى فى هذا كله واذا كان الأمر كذلك فما النتيجة والرأى فى هذا الموضوع.

النتيجة والرأى:

ذكرنا فى هذا الفصل رأى امامنا النابلسى فى الشريعة والطريقة والحقيقة وقد أوضحنا أنه يجمع بينهم ثم ثنينا بتلميذه حسين بن طعمة البيتمانى ذاكرين خلاصة رأيه فى هذا الموضوع وأنه يسير على منهج استاذه ورائد وجدانه مؤكدا أنه لافرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة ثم تحدثنا عن معتدلى الصوفية كما جلينا رأى الفقهاء الثلاث الذين لم يرضوا عن التفرقة بين الشريعة والطريقة والحقيقة وأنهم لاموا على القائلين بالفرق بين هذه الالفاظ الثلاثة وأنى أرى أنه لافرق بين الالفاظ باعتبار أن المصدر كتاب الله وسنة رسوله فالشريعة هى أول المقامات للسالك وثمرتها الأخذ بالحقائق واليأس مما فى يد الخلائق والنهاية شهود مراقبة الله ثم فناء فيه وقد وجب على كل مكلف الإيمان بهذه المقامات الثلاث والعمل بها حسب الوسع قال تعالى: ﴿لايكلف الله نفسا إلا وسعها﴾[1].

---

(١) الآية رقم ٢٨٦ من سورة البقرة.

اذهى الدين كله والكتاب كله فمن آمن ببعضها وأنكر البعض الآخر كان مؤمنا ببعض الكتاب وكافرا ببعضه قال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا﴾[1].

ثم ان المتمسك بمظاهر الشريعة فقط وجاحد للحقيقة قاس القلب مطموس البصيرة مصروف عن آيات الله لتكبره على الحق بدعوى نفسه واتخاذها مع الله فعلا وانكاره حقيقة الكتاب والسنة المجمع عليهما عند أهل الباطن والظاهر من علماء المسلمين ولهذا قال تعالى: ﴿قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾[2].

وفى هذا رد على الفقهاء الذين لايجعلون الحقيقة من المقامات التى هى نهاية الشهود بالنسبة للسالك طريق الحق جل وعلا والرأى أنه لافرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة لأن الكل مأخوذ من كتاب الله وسنته كما هو رأى امامنا النابلسى فالشريعة باب إلى الطريقة والطريقة مدخل إلى الحقيقة والحقيقة شهود الله عز وجل وهى غاية الغايات عند المسلم الحقيقى خلافا لمن يزعم أن أهل الشرع أهل ظاهر فقط وليس لهم فى علوم الحقيقة شيئا بل لابد من معرفة الشرع ثم الوصول إلى الحقيقة وانى أؤكد أن علماء الشرع أصل لكل علم من العلوم التى يصل بها السالك إلى الله عز وجل وذلك لأن المتمسك بالكتاب والسنة معا فهو الكامل العارف العامل بعلمه وهو محمدى المشرب وارث لعلوم النبى ﷺ فى الظاهر والباطن لعلمه بأحكام الله ظاهرا ومعرفته به باطنا كما أكد ذلك شيخنا النابلسى ووضحه فى الرد على المتشددين فى الحكم على المتصوفة القائلين أن هناك فرقا بين الشريعة والطريقة والحقيقة هذه هى النتيجة والرأى واذا كان لنا بقية فى كلمة أخيرة فى هذا الموضوع نقول.

كلمة أخيرة:

ظهر مما تقدم أن كلمة الفقهاء الثلاثة ابن الجوزى وابن تيمية وابن القيم اجتمعت على التوفيق بين الشريعة والطريقة والحقيقة وأن مصدر هذا التوفيق من جانب الفقهاء وأنهم أول من قال بذلك لكن الباحث المدقق يرى أن كثيرا من الصوفية المتقدمين على هؤلاء

(١) لآية رقم ٨٨ من سورة البقرة.
(٢) الآية رقم ١٩ من سورة الأنعام.

الفقهاء كالقشيرى وغيره قد سبقوا هؤلاء ونرى ذلك واضحا فى قول القشيرى الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية وكل شريعة غير مؤكدة بالحقيقة غير مقبوله وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة غير معقولة.

وهذا التوفيق بين الألفاظ الثلاثة هو الحق لقول الرسول ﷺ عندما سئل عن الاحسان فأجاب: الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1] فقد جمع الرسول عليه الصلاة والسلام بين الشريعة والطريقة والحقيقة فالشريعة عبادة الله والحقيقة مشاهدة صفات الله وعظمته وقد نادى إلى هذا التوفيق المعتدلون من الصوفية كالجنيد فنراه يقول علمنا هذا مبنى على الكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لايعتد به فى هذا الشأن[2].

وقال أبو سعيد الخراز كل باطن يخالف الظاهر فهو باطل، وقال أبو الحسن الثورى رحمه الله تعالى عليه من رأيتموه يدعى مع الله عز وجل حالة تخرج عن حد العلم الشرعى فلا ترجو منه منفعة والنفس تميل إلى اتباع الشريعة واستحضار عظمة الله وصفاته هذا الاستحضار يشعر المرء بمراقبة الله له فيكون بمثابة حصن له من اقتراف الرزائل فهو مع الله بروحه كما هو معه بحواسة[3].

هذه الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع الذى تحدث فيه كثير من العلماء قديما وحديثا وكل منهم يدلى بدلوه ويأتى بالحجج والبراهين قاصدا بذلك الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى وكلهم مجتهد فى قوله عامل على تنزيه الله عز وجل طالبا قربه ولكن الحقيقة أن الجمع بين هذه الألفاظ الثلاث (الشريعة والطريقة والحقيقة) أرى أنه أمر لازم لكل مسلم سالك الطريق إلى الله عز وجل وإذا كان الأمر كما ذكرنا فى الشريعة والطريقة والحقيقة، فهل هذا خلاصة ماقدمه شيخنا النابلسى للأمة الإسلامية أم أنه خلف تراثا علميا كثيرا وترك لنا روادا وتلاميذ من بعده حملوا العلم ورفعوا الراية والحقيقة أن إمامنا النابلسى قد ترك لنا مدرسة علمية لاتضارع تتمثل فى تلاميذه الذين نهلوا من ينبوع علمه الصافى وأصبحوا قادة أجلاء وعلماء فضلاء فما هذه المدرسة ومن هم رواده.

(١)
(٢) ص ٩٩ من مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية.
(٣) ص ٢٥٧ جـ٢ مدارك السالكين لرب العالمين.

الفصل التاسع

مدرسة الإمام النابلسي:

للإمام النابلسي مدرسة علمية لا تضارع في عصرها جمع فيها العديد من التلاميذ النجباء الذين كرسوا حياتهم للعلم وتعلمه وأخلصوا في تلقي العلوم عن أستاذهم الإمام النابلسي قدوة المحققين ومربي المريدين ومرشد السالكين في طريقهم إلى الله .

وتلاميذ النابلسي الذين حرصوا كل الحرص على الانتفاع بالعلوم والدروس التي تلقوها عن استاذهم النابلسي وسلكوا في نشر العلم بعده مسلكه متخذين هذا الرائد قائدا وموجها يعملون بهذه التوجيهات التي توصل إلى الله تعالى عاملين بكتاب الله وسنته لا يحيدون عنها.

كما رسم لهم الإمام النابلسي فنرى الكثير من التلاميذ الذين تربوا في مدرسة النابلسي نهلوا من بحر علمه الزاخر ونبغوا في سائر العلوم والفنون بفضل أستاذهم ورائد وجدانهم الشيخ عبد الغني النابلسي صاحب اليد الطولى في مضمار العلم اللدني والفيض الإلهي.

وإذا أردنا أن نبين هذه المدرسة بيانا واضحا فلا أدل على ذلك من ذكر أشهر تلاميذه كمثل حي على اتجاه هذه المدرسة وكيف تربى فيها هؤلاء، فالتلميذ غالباً يمثل اتجاه استاذه العلمي الصحيح وتربيته لهؤلاء واجازته لهم في الأخذ عنهم وصلاحيتهم للافتاء والتدريس دليل حي على ما للنابلسي من فضل كبير في هذه المدرسة وتوضح أيضا غزارة علم النابلسي الذي نبغ فيه وأفاض منه على تلاميذه الأفاضل.

وإننا سنذكر بعضا من تلاميذ النابلسي ممن يمثلون المدرسة النابلسية خير تمثيل ونبين تراجم تلاميذه والآخذين عنه أحوالهم معه وأحواله معهم مع الإشارة إلى شيء من مدائحهم فيه، وذكر بعض كرامات وفوائد علمية وقعت لهم معه.

وإننا لا نستطيع حصر تلاميذ النابلسي في هذا الموضوع لأن عددهم كثيراً جداً لأنه لا يخفى على ذي علم ما أعطاه الله تعالى للنابلسي من اشتهار في مشارق الأرض ومغاربها ورحلاته قدس الله سره خير دليل على هذا فنراه قد ارتحل من دمشق وساح في البلاد وخالط العباد وانني سأذكر في هذا الفصل اليسير من تلاميذه مقتصرا على مالابد منه في الترجمة خوفا من الوقوع في تيار التطويل.

وإننى سأسير فى ذكر هؤلاء التلاميذ مرتباً لهم على حروف المعجم تسهيلا للقارئ واقتداء بما درج عليه المتأخرون ، وإن كنت سأقدم المحمدين لشرف من تسموا باسمه المعظم ﷺ.

فأقول: ذاكراً أخص تلاميذه والذين يمثلون اتجاهه خير تمثيل:

الأول:

محمد بن ابراهيم بن محمد: الشهير بالدكدكجى الدمشقى الحنفى[1] الإمام العلامة الصوفى فخر الدين أخص تلاميذ الأستاذ وأكثرهم خدمة له واختصاصا به.

مولده: ولد سنة ثمانين وألف ولازم مشايخ كثيرين ثم اختص بالأستاذ حضرا وسفرا وواظب على دروسه وقرأ عليه الكثير من الكتب وكتب كثيراً من مؤلفات النابلسى بخط حسن وسافر فى خدمة الأستاذ ملازما له فى رحلته الحجازية وكان قد حج قبل ذلك وهو يهيئ الرحلة الكبرى بإذن الأستاذ وكان الأستاذ شديد المحبة له والاعتناء به لنصحه فى خدمته وطاعته لشيخه وكف لسانه عن فضول الكلام وشدة اعتناءه بأمور الشريعة ومحبته للفقراء.

وقد ذكر كثير من كتب التراجم الشيخ الدكدكجى مبينين مدى اتصاله بالشيخ الأستاذ النابلسى فقال مصطفى البكرى فى رسالته مرهم الفوائد الشجى.

قال إن الإمام النابلسى تبنى الشيخ الدكدكجى من الصبى وتربى فى حجر قربه وسقاه من يده صافى شربه وحفظه فى سائر مواطنه وساح معه وراح فى خدمته وبسره ما باح وذكره الشيخ النابلسى فى رحلته القدسية والرحلة الكبرى الأنسية واثنى عليه لقيامه دائما بين يديه منذ صباه حتى شب فى مقامات المكاشفات وشغله بصفة من الأحوال وقد امتزجت محبة الأستاذ بروح الدكدكجى وجرت مجرى الدم فكانت روحه لروحه وسببا فى نفضه الاثم وعندما علم منه مربيه هذا الحب اختص بأمور فى باطنه هو لها، ولا يعبر عنها لسان ولا بنان ولا قلم فكان رضي الله عنه أخص أتباعه لحسن انقياده واتباعه ولم يفارقه بعد ذلك فى اقامة وسفر وعلم علمه واستقر عنده وكتب غالب كتب الشيخ ولم يضع منها حرفا لمحبته فى القلب ولا أعلم هذه الميزة لأحد من اتباعه البررة.

(١)

وفاته: كانت وفاته منتصف ليلة الجمعة الثامن والعشرين من ذى الحجة سنة احدى وثلاثين ومائة وألف ولما أخبر الاستاذ بوفاته بكى ولم يعهد انه بكى على ميت قبله وأخذ القرطاس ورثاه بقوله:

محمد يا خير من قد صفا *** عليه من لم يبك ما أنصفا

إلى أن قال فى نهاية القصيدة:

إنى له أرخت ممات الحبيب *** لكن أهـل الشام قـد آسفا

ودفن بمرج الدحداح يوم الجمعة وسار يوم موته مطر عظيم وتمثل النجم الغزى بقوله:

بكت السـمـاء عليـه سـاعـة مـوته *** بمدامـع كـــاللؤلو المـنـثــــور

ومـاظنهـا فـرحت بمصـعـد روحـه *** لمـا ســـــمـت وتعـلقـت بـالـنور

أوليـس دمـع الـعـين يـوحـى بـاردا *** وكــــذا مـــــدامـع المســــرور

هكذا كان هذا التلميذ مثلا حيا للنابلسى ممثلا اتجاه مدرسته أعظم تمثيل فى ملازمته

الثانى:

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد[1] المعروف كأسلافه بابن قولقين الحلبى الدمشقى الشيخ الإمام بدر الدين كان من المحققين خاصة فى التفسير ولد بدمشق وأخذ عن استاذه دروسه. وأجاز له الشيخ عبد الغنى النابلسى اجازة مطولة وكان عنده بعض أنظار على الأستاذ فاتفق أنه رأى رؤيا فخرج إلى دار الأستاذ وقال فى نفسه إن كان استاذى وليا يكاشفنى برؤياي فلما دخل على الأستاذ جلس وكان عند الأستاذ زوج بنت ابنه يتحدث معه فى مسألة علمية فلما فرغ منها التفت إليه وقال: رؤيتك التى رأيتها فى المنام كذا وكذا وتعبيرها كذا وكذا وسوف تبتلى فاصبر فقام صاحب الرؤيا ووقع على يد الأستاذ النابلسى يقبلها فقال نفذ القضاء ثم انه نزل إلى داره وبعد ثلاثة أيام مات له ولد كبير نجيب من أهل العلم وصدرت بعد ذلك لهذا الرأى عدة حوادث ممن فسرها له الشيخ عبد الغنى النابلسى وتحقق أن الشيخ النابلسى ولى من أولياء الله الصالحين العارفين بربهم المتخذين الكتاب والسنة منهاجاً لهم فى حياتهم العلمية والعملية.

(١) ص ١١٣ من نفس المرجع السابق.

وفاته:

توفى سنة أربع وستين ومائة وألف ودفن بالتربة البرى بمرج الدحداح.

ولهذا نرى أن النابلسى صاحب مدرسة تربى فيها هذا التلميذ وامتحن فى علمه وتحقق من استاذه النابلسى وانه حقيقى بأنه يكون استاذ الأستاذ فى عصره وامام العارفين فى زمانه.

الثالث:

محمد بن رحمة الله بن عبد المحسن بن يوسف بن أحمد بن محمد المتصل النسب بأبى أيوب خالد الأنصارى الشهير بالأيوبى الدمشقى الحلبى الشيخ الإمام الفقيه الأديب محى الدين والسنة.

مـولده: ولد بدمشق سنة إحدى وثمانية وألف وأخذ عن جماعة من المتصدرين للافتاء منهم الأستاذ عبدالغنى النابلسى لقرابته ومصاهرته له ، وكان محبا للاستاذ وله صلة قلبية فكان يلازمه ليلا ونهارا ويحضر دروسه الخاصة والعامة فتعود عليه البركة وله مؤلفات حسنة قرأها الكثير من العلماء وله شعر ونثر كثير.

وفـاته: توفى فى سابع شعبان سنة خمسين ومائة وألف وتوفى والده فى أوائل هذه السنة بدمشق رحمهما الله تعالى رحمة واسعة.

وقد كان هذا الشيخ ملازماً للاستاذ يأخذ عنه العلم اللدنى والعلوم العقلية والإنسانية وكان من النجباء فى تحصيل العلوم والقيام بالتدريس فى مدرسة النابلسى.

الرابع:

محمد بن عبد الحى الدمشقى الشافعى[1] الشهير بالدوارى الشيخ الفقيه العالم الفاضل المكنى بأبى عبد الله شمس الدين قرأ على الأستاذ وحضر دروسه وأجاز له ورفع للشيخ النابلسى هذا السؤال من نظمه وهو قوله:

(١) ص ١١٧ من كتاب الورد القدسى والوارد الانسى (للنجم الغزى).

يا أوحد الفضل الذى شاع ذكره *** ويامن بعلياه يفوق سنا البدر
ويامن غدا كالنجم نورا وبهجة *** ويا منهل الوراد عالم العصر
هل الميل والهز الذى هو عارض *** لقارئ قرآن وفى حالة الذكر
كما هو فعل الناس وهو مشاهد *** كثيرا عليه الناس فى السر والجهر
فهل هو مكروه وهل هو جائز *** وهل هو مندوب وهل هو ذو نكر
وهل ثابت قول الذى قال انه *** شبيه بأفعال اليهود ذوى الخسر
فمن فضلكم يرى والفقير بيانه *** وافصاحه لا زلتم مجمع الذكر
ودم كاشفا للمشكلات وحلها *** ودام بك النفع العميم مد ى الدهر

فأجابه الأستاذ على البديهة بقوله:

بحمدك ربى استمد وبالشكر *** تجلى نعيم ليس يعرف بالخسر
ومنى على طه الرسول وآله *** صلاة وتسليم زكيان فى النشر

إلى أن قال:

وهذا الذى قلناه نص كلامه *** عليه توالت رحمة الله فى القبر
مدى الدهر ما هبت بمحمية الصبا *** صباحا وما غنى على عوده القمرى
وناظمه عبدالغنى مصليا *** على المصطفى ضمن السلام إلى الحشر

وهكذا نرى أن الشيخ النابلسى أجاب تلميذه عن سؤاله الذى وجهه إليه بالشعر طالبا منه بيان حكم الشرع فى التمايل فى الذكر وعند قراءة القرآن أهو جائز أم مندوب أم محرم إلى غير ذلك وهل هو شبيه بأعمال اليهود فأجابه النابلسى بالشعر أيضا موضحاً ومبينا حكم الشرع فى ذلك وأورد النابلسى حديثا مروى عن الحكيم الترمذى وأبى عدى وأبى نعيم فى الحلية عن القاسم بن محمد عن اسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنهما عن ام رمانه والدة السيدة عائشة رضي الله عنهما قالت:

رآنى أبو بكر الصديق أتميل فى صلاتى فزجرنى زجرة كدت أنصرف عن صلاتى ثم قال سمعت رسول الله ﷺ: يقول إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليسكن أطرافه ولايتميل

كما يتميل اليهود فإن تسكين الأطراف فى الصلاة من تمام الصلاة وقال أبو عمر بن العلى انما سمى اليهود يهودا وهودا لأنهم يتهودون أى يتحركون عن قراءة التوراة ويقولون ان السموات والأرض تحركت حين أوتى موسى التوراة وعلى هذا فالتمايل عند قراءة القرآن أو عند سماعه إذا كان تفسحا أو رياء أو على سبيل العبث فهو شبيه بتهود اليهود عند سماع التوراة وإذا كان لغرض التفسيح فى نفس القارئ لو كان فى قراءته أو سماعه متدبرا لمعانيه قاصدا فيه التدبر لهذه الحركة عند طرب أو رهب فهذه حركة لا بأس بها وبهذا يوضح الشيخ النابلسى بيان حكم التمايل فى الذكر وقراءة القرآن من واقع الحديث الذى ورد عن اسماء بنت أبى بكر وأيضا يعطى دليلاً على مدى ما كان فى مدرسة النابلسى من عناية بالعلم ومسائلة الجدلية مما جعل تلاميذه يوجهون إليه السؤال والمناقشة وهو كان دائما ينمى فى التلميذ روح السؤال والجواب وأخذ العلم من منابعه الأصلية.

الخامس:

محمد بن عبدالرحمن بن زين العابدين بن ذكريا بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الدمشقى العامرى الحسين الصديق[1] الشهير بابن الغزى شيخ الإسلام صدر الأئمة الأعلام مفتى الفرق مرجع الأفاضل أبو المعالى شمس الدين صهر الأستاذ المتزوج بابنته والوارث فى ذلك المتعة العثمانى لأن الأستاذ هو الوارث المحمدى وكان إماما عاملا ورعا زاهدا فقيها تقيا نقيا أصوليا محدثا اثريا وكان من أكابر الصوفية حالا.

مولده: فى الثامن عشر من شهر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وألف ونشأ فى حجر والده وتلى القرآن العظيم على ولى الله محمد بن ابراهيم الحافظ وشرع فى طلب العلم فآخذ على المتصدرين بدمشق من العلماء وهو من أخص تلاميذ الأستاذ أيضا لأنه بعد أن صاهره سكن عنده فى داره فى صالحية دمشق وشرع فى القراءة عليه فقرأ عليه مغنى اللبيب بطرفيه وقرأ عليه جانبا كبيرا من كتاب فصوص الحكم وشرح رسالة الشيخ ارسلان.

وأيضاً شرحه على التحفة المرسلة وقرأ عليه كذلك الفتوحات المكية فى النزلات الملكية للشيخ محى الدين بن عربى بطرفيها مرتين كما قرأ عليه الجامع الصغير

(١)

للسيوطى مع مطالعته شرحه الكبير للنادى وقرأ عليه روض الرياحين فى حكايات الصالحين لليافعى وقرأ عليه السيرة النبوية للشيخ على الحلبى كما سمع عليه شرحه على الديوان الفارضى وسمع منه أيضا صحيح البخارى بتمامه فى ثلاثة أشهر سنة سبع وعشرين وألف ويقول أيضا لازمت الاستاذ عبدالغنى النابلسى فى دروسه بالمدرسة السليمة فى تفسير البيضاوى والبسنى الخرقة الندية وأجازنى بها وبالذكر السرى وأخبرنى أنه لبسها من يد الشيخ سيد البلخى المتوفى بالبصرة سنة تسع وألف ويذكر قائلاً كان الأستاذ يحبنى ويوديبنى ويجرينى مجرى الولد وله على من التربية والحقوق مالا أقوم بشكره ولا أطيق اذاعته ولا أقدر على نشره ولقد أجازنى مرارا منها ما كتبه لى أثناء قراءتى عليه مغنى اللبيب فقال بعد البسملة والحمد قرأ على بمعونة الله وحسن توفيقه الشيخ الفاضل جامع الفضائل سليل العلماء والأعلام محمد بن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الغزى العامرى نفعه الله تعالى بما علم وعلمه ما ينفعه فى الدنيا والأخرة.

وقد ذكر الشيخ العامرى أن الأستاذ سجل له فى هذه الاجازة جميع العلوم والكتب التى قرأها على الأستاذ وسمعها عليه فوق الدروس ومطالعة كتب الإمام النابلسى التى كانت مؤلفة فى هذه الفترة وذكر له كل الدروس التى حضرها بمدرسة السلمية.

وذكر الشيخ النابلسى أنه أخبر الغزى فى حياته أنه يروى عن الشيخ النابلسى جميع ماله روايته من العلوم وجميع مؤلفات النابلسى من النظم والنثر كما أجازه نظما فقال:

لك الحمد يا من بالسند السامى *** على من روى الأخبار فى البلد الشامى

يحدث عن طهى الرسول مسلسل *** يا شيخاه أصحاب على واكرام

إلى أن قال:

على أحمد المختار من جاء للورى *** بأنوار إيمان وأسرار اسلام

وذكر الشيخ الغزى مبينا قدر الأستاذ وضلاعته فى العلوم أنه سمع والده يقول أنه قرأ على الأستاذ مابين أذان العصر إلى طلوع الفجر بجامع دمشق الأموى اربعمائة مجلد فى أنواع من العلوم المختلفة وصرفنى الأستاذ بالفاتحة ووجدت بعد ذلك من الثمرات الدينية والدنيوية مالا يعلمه إلا الله تعالى:

وفاته: توفى قبيل غروب الشمس يوم الخميس السابع عشر من شهر الله المحرم سنة سبع وستين ومائة وألف وصلى عليه عقب صلاة الجمعة بمقصورة الجامع الأموى الشريف بجمع حافل من العلماء والأعيان والرؤساء ودفن بمرج الدحداح فى التربة الكبرى منها مقابل لبابها بين القبور رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلومه التى تلقاها عن الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى وكانت له عدة مؤلفات فى مختلف العلوم والفنون تمثل اتجاه استاذه مع بيان مدى غزارة علم وقوة بيان فهو علم من أعلام المدرسة النابلسية التى تخرج منها العديد من المريدين والتلاميذ الذين كانوا لهم شأن عظيم الذين أفادوا المجتمع الإسلامى كله.

السادس:

محمد بن عبدالرحمن بن تاج الدين بن محمد بن أبى بكر بن موسى بن عبده بن سليمان القصيرى النسب البعلى الحنفى[1] الشهير بالتاجى الشيخ العالم الفاضل الفقيه الذكى القدوة قطب الدين.

مولده:

ولد فى بعلبك فى شعبان سنة اثنين وسبعين وألف ونشأ بها ووصل إلى دمشق بقصد طلب العلم فلازم الأستاذ وقرأ عليه كثيراً من العلوم والفنون وأجازه الأستاذ كتابه بخطه الشريف – قال فيمابعد البسملة:

قرأ على الشاب الفاضل جامع أشتات الفضائل الموفق السعيد ان شاء الله تعالى الشيخ محمد بن الشيخ الإمام والفاضل الكامل الهمام الشيخ عبد الرحمن التاجى البعلى حديثا من صحيح الإمام البخارى وحديثا من صحيح الإمام مسلم وأورد ما فى صحيحهما من الأسانيد على وجه الضبط والتحرير وقانون اللغة العربية وقابلية التقرير وكان قرأ على سابقا فى المجلس الذى كنت أعقده فى الجامع الأموى المعمور لافادة الطلبة ونصائح الجمهور – وقرأ على أيضا فى بيت بجوار الجامع المذكور وكانت قراءته تلك فى شىء من مقدمات العلوم على حسب أهل البداية للعلوم، ثم أن الله تعالى وفقه لنفع عباده وعقد مجالس الدروس فى قطره بعلبك المحروسة، وقد طلب منى الآن أن أصل سنده بسندى

(1)

للرواية عن المشايخ الاعلام مما تعلقوا بعلم الحديث وغيره من علوم الإسلام راغباً فى حصول الاجازة منى وصريح الرواية عنى فأجزته بلسانى وها أنا الآن أجيزه بقلمى وبنانى فى جميع ما أرويه عمن سأذكره من مشايخى الكاملين أرباب الفضائل الوافرة فى هذا الدين، وهذه الاجازة مطولة اختصرنا نحن فى كتابتنا إلى هذا الحد لأن الشيخ عبدالغنى النابلسى ذكر كافة المشايخ الذين أخذ عنهم الحديث وتاريخ هذه الاجازة ثالث عشر شوال سنة اثنين ومائة وألف وغير ذلك من الاجازات العلمية لأن الأستاذ رأى فيه تلميذا نجيبا يفند فى العلم وتلقيه فأولاه كثيراً من العناية ولازم الأستاذ فى مدرسته العلمية طوال حياته.

وفاته: وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة أربع عشرة ومائة وألف شهيدا بالقتل رماه تلك الليلة بعض أشقياء الشيعة ببلدة بعلبك برصاصة فقتله رحمه الله تعالى ودفن بها مستشهدا دفاعا عن السنة المحمدية التى كان الأستاذ يستمد علومه من الكتاب والسنة وكان هذا التلميذ يسير على منوال أستاذه وينهل من معينه الصافى، وهذا ما دفع اعداء السنة إلى قتله.

السابع:

محمد بن عبد الله بن محمد بن على الدمشقى[1] الحنبلى النابلسى الأصل العالم الولى الصالح المكاشف الهمام.

مولده: ولد بدمشق سنة ثمانية وعشرين ومائة والف ونشأ فى حجر والده وقرأ القرآن العظيم وطلب العلم ثم أحضره والده بين يدى الأستاذ عبدالغنى النابلسى واستجاز له منه فأجازه بما يجوز له وصافحه ثم سأله عن اسمه فقال له والده محمد فقال الأستاذ: وأنا القبه بتقى الدين ثم أوصاه به وقال له احرص عليه فسيكون له شأن عظيم ثم صار لهذا الشيخ بعد ذلك أحوال عجيبة وأطوار غريبة واعتقده الخاصة والعامة حتى الوزراء والحكام ويهديه الهدايا الجليلة وينذرون له النذور لمآرب لهم فتقضى حوائجهم ويفوز بها ويقبلون شفاعته لدى الحكام والوزراء لصلاحه وتقواه وورعه وعفته وغزارة علمه.

(١) ص ١٢٦ من نفس المرجع السابق.

وفاته: كانت وفاته عشية يوم الجمعة ثامن عشر شوال سنة سبع ومائتين وألف وصلى عليه بجامع سنان باشا ودفن بتربة الباب الصغير فنقول:

الثامن:

محمد بن مراد بن على بن داود بن كمال الدين بن صالح بن محمد بن عمر بن شعيب بن يهود وينتهى نسبه إلى النبى ﷺ - البخارى المحتد الدمشقى الحنفى الشهير بالمرادى الحسينى النقشبندى الشيخ الإمام المرشد الكامل العارف العالم العامل القطب الفرد الجامع لأصناف العلوم صاحب القدم الراسخ فى العلوم والأذواق أبو بهاء الدين.

مولده: ولد بقسطنطينية لكون والده كان هناك اذاك سنة أربع وتسعين وألف بتقديم التاء وأخذ فى طلب العلم وتلقى المعارف فأخذ عن والده الأستاذ الشهير والقطب الكبير ولزم الشيخ عبد الغنى النابلسى الملازمة الكلية وقرأ فصوص الحكم بطرفيها عليه وكان الشيخ عبدالغنى النابلسى كلما وصل إلى فص منها اطلعه على حقيقة ذلك إلى أن فرغ منها وبعد ختمها على الاستاذ عمل له الشيخ عبدالغنى هذه القصيدة فى أواخر شعبان سنة اثنين وأربعين ومائة وألف وهى قوله قدس سره.

ختم الكتاب هو الشهير الدائم *** وعليه من نقش النصوص علائم
ظهر الهدى والقدر فى كلماته *** وهى التى للسامعين تمائم

إلى أن قال فى آخر القصيدة:

واختصه بعد الغنى بمدحه *** عش بها طول الزمان نسائم
وشدت بطيب نظام أحبابه *** فكأنهم بين الرياحين حمائم
والله بالبركات منه حفيظا *** ولنا به غفرت هناك جرائم

وكان الشيخ محمد المرادى على قدم صاحب كرامات فيروى أنه صاحب الشيخ عبدالغنى لزيارة الولى العارف بالله الشيخ حسن الراعى المدفون بقرية قطنة من أعمال دمشق وكان يركب تختا فقبل أن يصلوا إلى القرية بنصف ساعة نزل الشيخ المرادى من تخته ومشى بحذاءتخت الأستاذ إلى أن وصلوا إلى القرية فسأل عن ذلك فأخبره أن الشيخ

حسن الراعى جاء ملاقيا للاستاذ إلى ذلك المكان الذى نزل فيه وجلس مع الأستاذ فى تخته فجلت عندهما ومشيت أدبا معهما قدس الله أسرارهم.

وكان الشيخ المرادى عابدا زاهدا ورعا تقيا متخليا عن الدنيا حيث أنه كان يمسك شيئا فى الدنيا من الدراهم والدنانير ولا يمس وبلغ الرتبة العالية من رفعة القدر وعزة الجاه وسمو الكلمة عند الخاصة والعامة، وأخذ عنه العلم كثير من أهل الشام وذهب لزيارة بيت المقدس القدس والخليل وله كثير من التآليف العديدة منها: كتاب الصلوات سماه دلائل اليمن والبركات، وولى فى حياة والده قضاة المدينة وطلبه السلطان محمد خان العثمانى سنة خمس وستين ومائة وألف فذهب وحصل له منه اكرام عظيم.

وفاته: كانت وفاته يوم الأحد رابع صفر سنة تسع وتسعين ومائة وألف ودفن بدارهم المعروفة بهم بمحلة سوق صاروجا فى المكان الذى كان يجلس فيه والده وبنى على قبره قبة بحذاء تكية والده النقشبندية رحمه الله تعالى ونفعنا به وببركاته وبعلومه الغزيرة وهكذا كان هذا العالم تلميذا من أخص التلاميذ الذين تربوا فى مدرسة النابلسى حتى خرجوا أعلاما ينشرون العلوم فى شتى بقاع الأرض ويطلبهم الحكام والسلاطين لينتفعوا بعلمهم ويستفيدوا منهم الكثير.

هكذا نشأ هذا التلميذ وأثمرت فيه التربية النابلسية علما وأخلاقا وأدبا ذوقيا وعلماً كشفياً.

التاسع:

يوسف بن محمد بن محمد[1] بن أحمد بن يحى المالكى الشهرة والمذهب الدمشقى الشيخ الفاضل العالم عمدة الخلف وبركة السلف أبو الفتح جمال الدين.

مولده: ولد بدمشق بعد الثمانين والألف ونشأ بها وأخذ عن المتصدرين بها وحضر دروس الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى الخاصة والعامة وأجاز له الشيخ النابلسى بما يجوز له وعنه روايته ودرس فى الجامع الأموى وغيره كما أخذ أيضاً عن أبى الصفاء القطب أيوب الخلوتى قدس الله سره وعن مشايخ عدة يفوقون عن الثمانين شيخاً تلقى علومه وسلك طريق الخلوتية وابتنى له زاوية بقرب داره وأقام الذكر بها وصرف عليها

(١) ص ٢٤١ من كتاب الورد الانسى والوارد القدسى فى ترجمة الشيخ النابلسى .

مالا كثيراً، وكان رجلا صالحا ناسكاً من أفاضل الناس وهو صاحب طريقة مثلى ومازال عليها حتى توفاه الله تعالى.

وفاته: كانت وفاته فى عشر ذى الحجة ختام سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ودفن بمقبرة الذهبية من جبانة مرج الدحداح تحت رجل القطب الشيخ أيوب الخلوتى قدس الله سره ونفعنا به، وهذا العالم الفاضل كان ذو خصوصية من الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى خاصة فى العلوم الذوقية وكان ينوب عنه كثيراً فى إدارة الذكر ومدارسة القرآن فى المدرسة النابلسية ثم بعد ذلك أخذ يدرس فى جامعه الذى بناه بجوار داره بإذن من استاذه النابلسى فهو علم من أعلام العلم وقطب من أقطاب تلاميذ الشيخ عبدالغنى النابلسى وقد تأثر به كثيراً فى مختلف العلوم والفنون وصار على منهج استاذه المستمد من الكتاب والسنة.

العاشر:

ابراهيم بن عبدالحى[1] بن عبدالحق البهنسى الحنفى الدمشقى الفاضل النبيه كان ذكياً أديباً صالحاً له مشاركة فى سائر الفنون وانتهى إليه علم الفلك والهيئة.

مولده: ولد بدمشق فى حدود الثمانين بعد الألف ونشأ بها وأخذ عن مشايخها المتصدرين للعلم والافتاء وخاصة أستاذه الأكبر الشيخ عبدالغنى النابلسى ومهر فى العلم وتفوق على اقرانه واشتهر بعمل الزائجة ويروى أن الوزير سليمان باشا ابن العظم لما كان واليا على صيدا وكان الشيخ البهنسى متوجها إلى الروم اجتمع به الوزير وطلب منه تقويما خرج منه بأن منصب دمشق الشام توجه عليه وإنه يوم كذا يصل إليه فلما كان اليوم الذى ذكره أرسل إليه وقال له جاء اليوم الذى ذكرته ولم يأتى المنصب فقال ما أرى إلا أنه وصل إلى بابكم وكان قد وصل إليه لكن الوزير قصد اختباره مرة ثانية وبالجملة فإنه نادرة وقته وفريداً فى عصره علماً وأدباً وأخلاقاً.

وفاته: كانت وفاته فى رجب سنة ثمانية وأربعين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح، وهكذا نرى فى هذا التلميذ نوعا فريداً من أنواع العلوم فاق به أقرانه وكان مثالا وقدوة للعالم الذكى الوقور المهذب وهو يمثل أدق تمثيل لون من ألوان العلوم فى المدرسة النابلسية.

(١) ص ٩ جـ١ من كتاب سلك الدرر للمرادى.

الحـادى عشـر:

إبراهيم بن عبدالرحمن[1] بن ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن الحكيم الشريف لامه الحنفى الصالح الدمشقى رئيس كتاب محكمة الصالحية بدمشق الأديب الشاعر البارع الماهر، وهو كاتب وله نظم حسن ونثر لطيف وكتب كتبا كثيرة بخطه وخطه من أجمل الخطوط وأحسنها.

مولده: ولد بدمشق سنة ثلاثة عشر ومائة وألف، وأخذ عن الأستاذ الكبير الشيخ عبدالغنى النابلسى وانتفع به ولازمه وصحبه وجالسه مدة ستة عشر سنة وكتب تأليفه وخصه الشيخ عبدالغنى النابلسى ببركاته ونفحاته واستقام فى محكمة الصالحية رئيس لكتابها والى أن لقى ربه، وكان حجة حسنة وموثقة حتى كتب مرة حجة من أعظم ما كتب وكانت فى الايجارة وكتبها بالنظم وهو من أحسن كتاب محكمة الصالحية وأعرفهم وفى آخر عمره لازم الزراعة فى قرية برزة وانقطع بها وكان لايجئ إلى الصالحية إلا قليلا وانعزل عن المخالطة للناس قبل وفاته بسنين قلائل.

ومما يروى عنه أنه كان يقول إذا نزلت إلى دمشق أرى حالى كأننى غريب وذلك لكونه بلغ من العمر ما ينوف عن الثمانية.

وترجمه الشيخ سعيد السمان فى كتابه وقال فى وصفه هو فى الأب البلبل الصادح أو اللذيذ الذى هو فى مرامه قادح قام من المهد إلى الوجود وسلك من النور إلى النجد وتمشى فى مفاصله تمشى الشمل من الندام فإذا غنى له به رقص وإذا ملى عليه ذكر الغرام زاد هيامه وما نقص فكم لازم فيه الشطح والسبح وانتهز ليالى لو صادفها الرضى لا أعرض عن ليلة السفح .... لم يزل فى ذلك على وتيرة وهو فى أمره فى حيرة وأى حيرة يتعهد مراتع الغزلان ... ويتحمل من التجنى ما لا يقوم به سهلان فطورا بالغزال له وطوع وطورا بالخدود الناعمات إلى أن أتاه النزير الزاجر عن اللهو والتبرير فهم بالإقلاع وانخلع من تلك الريقة أى انخلاع وقد نشأ وهو من نور عينه يكتب ويطرز الرقاع وهو من الزمرة التى حسبت عليهم الصحبة والرفقة الدينية أرضهم الانتاء إفادته وسحبه وكان من أخص الأحباب للشيخ النابلسى ووقف عقاراته وكافة املاكه بعد وفاة زوجته وأولاده على مدرسة الشيخ النابلسى ، وكان له ديوان شعر عظيم فما قيل فى هذا الديوان

(١) ص ٩ من سلك الدرر جـ١ للشيخ المرادى.

قوله :

أرفق فان خواطرى *** تصبوا إلى انجاز وعدك

إلي أن قال:

أنا ثابت لا أنثى *** بل لاصل وثيق عهد لك

وفاته: كانت وفاته رضي الله عنه سنة اثنين وتسعين ومائة وألف ودفن بسفح قاسيون فى دمشق الشام رحمه الله تعالى ونفع الأمة بعلومه وأخلاقه التى خلفها للأمة الإسلامية داخل المدرسة النابلسية وهو بحر عميق كم غاص فيه الغواصون لاستخراج اللؤلؤ المكنون.

الثانى عشر:

ابراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن ابراهيم المعروف بالدكدكجى الحنفى التركانى الأصل الدمشقى الشاب الفاضل الأديب النبيه الذكى الفائق الصالح الكامل الورع ولد بدمشق فى سنة أربع ومائة وألف وأرخ ميلاده عبدالغنى النابلسى بقوله: (وابراهيم الذى نشأ فى كنف والده بطاعة وصيانة) وحضر دروس علماء عصره وقرأ المعانى والبيان والنحو على شيخ الإسلام الشمسى محمد الغزى العامرى مفتى دمشق وعلى الشيخ محمد مفتى الحنابلة بين العشائين بالجامع الأموى وكذلك على المعمر الشمسى محمد بن على الكامل فى رمضان بعد صلاة الصبح فى الجامع الأموى وكذلك على الشيخ المحدث يونس الأزهرى ولازم الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى كوالده فى غالب أوقاته وحضر دروسه واستجاز له والده من دمشق وغيرها اجازات علمية ومهر وبرع وصار له فضل وفضائله لا تنكر مع طبع رقيق ولطف مع الخاص والعام بمزيد المحبة والصداقة ولما توفى والده صار يقرأ العشر مكانه فى درس الأستاذ النابلسى إلى أن توفى وكتب له والده وصية هو قوله:

زر والديك وقف على قبريهما *** فكأننى بك قد نقلت إليهما

إلى أن قال:

فاحفظ حفظت وصيتى واعمل بها *** فعسى تنال الفوز من بريهما

(١) ص ١٩ جـ١ سلك الدرر للمرادى.

وللشيخ ابراهيم الدكدكجي شعر قوى متين قال فى احدى قصائده ممتدحا الشيخ السيد طه الحلبى قوله:

افــــــرغ الـكـأس يـانـديمـى وهـاتـه *** ثم نهنه كـــرى جــفـــون ســقـــانه

واجـتلى البـشرى من وجوه التـهـانى *** فـصــفــاء الزمـــان من مــسـعــداته

إلى أن قال:

واسلم الدهر بالهنا وتسنم *** زروة المجد لاجتنا ثمراته

وفاته: كانت وفاته فى يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف مطعونا شهيدا ودفن فى التربة الكبرى من مرج الدحداج بطرفها القبلى وكثر التأسف عليه: والدكدكجي نسبة تركية وهو صانع الدكديك، وهو باللغة التركية ما يوضع ساترا على ظهر الحصان، لذا نرى أن الشيخ النابلسى ربى هذا التلميذ تربية علمية دقيقة داخل مدرسته ولا أدل على ذلك من قراءته العشر من القرآن على الشيخ النابلسى بعد أن توفى والده مما يوضح أن هذه المدرسة كانت تربى فعلا التلاميذ وتعدهم اعدادا علمياً رفيعاً لمواجهة الحياة العلمية ولشق الطريق الوعر المسالك على يد استاذ فاضل خبير بالنفوس والقلوب الانسانية.

وعليه فالشيخ ابراهيم الدكدكجي عالم واستاذ تخرج فى المدرسة النابلسية وأصبح على قدم كبير من العلم الإنسانى والربانى.

الثالث عشر:

ابراهيم بن مراد[1] بن ابراهيم المعروف بالراعى الدمشقى البارع الأديب ترجم الشيخ سعيد السمان فى كتابه وقال فى وصفه راع ولاء المودة ومراعى زمة من والله وده ... أشار إلى الأدب فأقبل نحوه يسعى وجال فيه جولة كرمت به خصاله وأرهفت بمواقع آرائه.

رحل فى خدمة الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى إلى البقاع وبعلبك وذلك سنة مائة بعد الألف كما رحل فى خدمته أيضا للقدس فى سنة احدى بعد المائة وكان الأستاذ له نظر عليه وقد أخذ عن الشيخ النابلسى كثير من العلوم والمعارف وله شعر كثير منه قوله:

(١) ص ٣٣ جـ١ من سلك الدرر للمرادى.

لم أكن أرعـــوى لقـــول وشـــاه *** فـى هـوى شـــــادن تملك قلبى

غـــيـــر أنى أقـــول فى كل حين *** لخلو الفـــؤاد الله حـــســـبى

وقوله:

مليح فى دمـــشق غـــد فـــريدا *** يرى أبدا غـــرامى فـــيـــه شب

ولم يك دأبه إلا التـــجـــافى *** لـــصـــب نـــاره ابـــدا تـــشـــب

وقوله:

بديع جـمـال الخـجل الغـصن قـده *** لقـد تاه فى زاك المجـال وعـريدا

لئن ضل قلبى فى دجى ليل شـعـره *** فـمن وجـهـه قـد لاح نورلنا هدى

والشيخ النابلسى قد قال أبياتاً فى هذا التلميذ منها ..

وأشجار وفل فوقها الزهر قد بدا *** كجمر على تلك الغصون توقدا

إلى أن قال:

ويحلف أن الورد فوق غصنه *** بدا فإذا وافاه انكر ما بدا

وفاته: كانت وفاته سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى رحمة واسعة وقد وقعت عدة تضمينات شعرية ومناظرات بينه وبين العديد من علماء عصره كل منهم يريد أن يظهر قوته وتفوقه الشعرى وتزوقه الأدبى وكان الشيخ النابلسى يشاهد ويشارك التلاميذ.

وانى لن أنقل هذه المناظرات خوفا من الوقوع فى التطويل ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب سلك الدرر للمرادى[1].

الرابع عشر:

أسعد بن عابدين[2] الشهير بابن كولة الدمشقى الشافعى الصالح الصوفى كان يتكلم بعلوم الحقائق ويظهر من مكنوناتها الخفايا والرقائق صحبته للأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى: لقد صحب الأستاذ مدة تزيد على اربعين سنة ونقل له الأستاذ نعمه وبارك عليه

(١) ص ٣٣، ٣٤، ٣٥. ٣٦ جـ١ من كتاب سلك الدرر للمرادى.
(٢) ص ٢٢٧ جـ١ سلك الدرر للمرادى.

ووضع يده الشريفة على صدره وصار بعد ذلك يتكلم فى الحقائق ويجلس من علوم القول الرقائق مع أنه كان أمى لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك يقضى منه بالعجب فى معرفته لغامضات علوم العارفين.

وفاته: كانت وفاته بدمشق سنة أربع وستين وألف ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى، ومع هذا فهو فاضل بين قومه وكان الأستاذ يخصه بكثير من الخصائص ولهذا لم تقتصر مدرسة النابلسى فى ترتيبها وتعليمها للمريدين على القراءة والكتاب بل كان الشيخ النابلسى يعلم بعضا من الناس علوم الحقائق الربانية تدريبا لهم على الحياة كى يسلكوا طريق الولاية والصفاء فى وصولهم إلى الله تعالى وهذا الطريق صعب وشاق لا يستطيع السير فيه إلا كل متثبت من نفسه ويأمر من أستاذ له هكذا ربى النابلسى فى مدرسته هذا التلميذ المكاشف لربه.

الخامس عشر:

أسعد بن أحمد بن عبدالكريم[1] بن محمد بن محمد المعروف بالعبادى الحنفى الدمشقى الفاضل الكامل، الماهر أحد من اتصف بالبراعة والنظم والأدب اشتغل بطلب العلم على جماعة منهم الشيخ محمد الحبال ومنهم الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى وأخذ عنه ولازمه فى مبدأ أمره يحضر دروسه فى الفتوحات المكية وغيرها وتتلمذ له وقرأ المطول وغيره على الشيخ عبدالسلام الكاملى وتفوق وترجمه الشيخ سعيد السمان وقال فى وصفه ابى سلك شعب الأدب وابتدر لنظم شمله وانتدب إلى أن قال: فهو ذلك كثير النحو وقليل الجدوى إلا أنه فى الخيالات الشعرية باقة ملحة وسط القلوب واقعة فكأنما اقتطفتها من زهر، وكان شاعرا عظيماً فمن قصائده قوله:

أمل يريح منه الوعد *** وسطور شوق خطبها البعد

وتذكر ثمراته لهب *** يذكيه من الحب والوجد

إلى أن قال:

وإليك ياروض الكمال أتت *** ورقاء نظم الثنا تشدو

سكرت بخمرتها العقول وقد *** سجدت لكوكب حسنها القد

(١) ص ٢٣٠ جـ١ نفس المرجع السابق.

وله أيضا قوله ممتدحا بها الأستاذ الأعظم الشيخ زين العابدين المرى البكرى حين كان بمصر صحبة الأستاذ العارف الشيخ عبدالغنى النابلسى فى رحلته الحجازية سنة خمس ومائة وألف

حث كـأس الصـبـوح قـبل الصـبـاح *** واسـقـيـتـهـا مع الوجـوه الصـبـاح

بـنـت كـــــرم لـو بـرزت جـلـح لـيـل *** لـغـنـيـنابـهــــا عـن الـصــــــلاح

إلى أن قال:

وهو زين الـعـــبـــاد نجل أبـى بكر *** وسـبـط الـبـتـــول ذات الـسـمـــاع

دام فى نعـــمـــة وعـــز وســعــد *** وكـــمـــال مـــا أن له مـن براع

أمــــد الـدهر مـــــا نـال بـرق *** وتـغـنت حـــمـــامـــة الأدواح

وكان هذا التلميذ محبا لأستاذه مغرما بعلومه وكلامه الذى كان يتغنى به دائماً فى شعره وكتاباته وقد حدث أن ناظر هذا الأستاذ عديداً من أترابه المعاصرين له.

وفى هذه المناظرات والمساجلات الشعرية وهم فى مصر قال الشيخ النابلسى شعراً مشاركاً فى المناظرات لأصحابه وتلاميذه معلماً لهم وموجها فقال:

ان ضــــيـف الكرام يلقى ســــرورا *** وانشـــراحـــا وفـــرط أنس وود

ثم فى آخــر الجلوس ســحـــابا *** من بـخــور قــد أمطرت مـــاء وورد

وللأستاذ النابلسى أيضاً قوله:

وجـــمـــوع من ســادت دمـــشق *** يسـقى الله عـهـد تلك الجـمـوع

صــاعــدات أنفـاسـهـا بنحـور *** من جـوى نار قلبـهـا الموجـوع

نفح عـود وصـوت هو اشـارات لى *** بـعـــود مكرر ورجـــــوع

وفــاتـه: كانت وفاته فى أواسط ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح وبنى العبادى هؤلاء فيما يزعمون ينسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج الصحابى رضي الله عنه وارضاه.

لذلك نرى أن الشيخ العبادى تكلم فى كثير من العلوم التى نبغ فيها وأجادها بفضل استاذه الشيخ عبدالغنى النابلسى مربى هذا التلميذ داخل مدرسته ليكون أثراً من آثارها

وعلما من أعلامها ونورا يستضاء به للذين يريدون الهداية والسير فى طريق الرشاد متخذين القرآن دستورا لهم لا يحيدون عنه قيد أنملة متمسكين بسنته ﷺ ومقتدين بأقواله وأفعاله لايحيدون عن الشرع ولا يميلون إلى الزيغ.

السادس عشر:

أسعد بن محمد(1) بن على بن محمد بن محمود المعروف بابى الطويل الشافعى الشيخ العالم البارع الفاضل الأديب كان من أدباء دمشق النبهاء مع خلق حسن ورقة وطلاقة محيا وتوقد ذكاء.

مولده: ولد بدمشق سنة اثنين وثمانين وألف وبها نشأ واشتغل بطلب العلم على جماعة من علماء عصره ولازم درس الأستاذ الشيخ عبد الغنى النابلسى وأخذ عنه وكان الأستاذ يميل إليه وحصل فضلا وأدباً واشتهر بالشعر والأدب وكان رفيقا للشيخ سعدى العمرى لا ينفك أحدهم عن الآخر وقد ابيض شعر لحيته ولم يقصره فى القصابى عن همته وهو لا يفتر عن انتهاز الفرص ويقطع أوقاته بين روض وغدير مشتغلا بذلك منهمكا فى طلب العلوم وتحصيلها وقد ترجمه خاصة الأدباء والسيد الأمين المحبى فى ذيل نفحته وذكر له من الشعر وقال فى وصفه: شاب نبيه القدرتراه فتشترى بصفحته البدر وله همة فى تحصيل المعارف لم تزل ولاتزال سابغة المعارف حتى قرت به العيون أول شعره فى النقد والصرف قوله:

سلام مشوق قد تزايد وجده *** ودر ثناء قد تنظم عقده

وأزكى تحيات أخص بمهديها *** أماما لى فوق السماكين مجده

إلى أن قال:

فلاتزال فى أوج المكارم دائما *** مدى الدهر ما روض المنى فاح ورده

ومامستهام الشوق أهدى جناحه خفا *** سلام مشوق قد تزايد وجده

وفاته: وكانت وفاته يوم الأحد جمادى الآخر سنة خمسين ومائة وألف ودفن فى تربة مرج الدحداح بدمشق رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

(1) ص ٢٣٧ جـ١ سلك الدرر للمرادى.

ولذا نرى أن هذا الشيخ الذى تربى بين أحضان المدرسة النابلسية يمثل اتجاه المدرسة فى الشعر والأدب والأخلاق وقد قال شعرا كثيراً وله ديوان بالمكتبة الظاهرية بدمشق وله عدة كتب ومؤلفات فى اللغة العربية بالدار الدمشقية.

ولو كان هناك متسعا من الوقت لكتبنا عنه الكثير مما كتبه فى الشعر والأدب وغيره من مختلف العلوم التى تلقاها وتعلمها على يد استاذه الشيخ عبدالغنى النابلسى رائد وجودان هذا الشيخ موضحا له ما أبهم من المشكلات مبينا له سلك السبيل فى الوصل إلى رب العالمين على هدى من الكتاب المبين سيرا على الصراط المستقيم وسنة المصطفى الأمين ﷺ.

السابع عشر:

اسماعيل بن عبدالغنى[1] بن اسماعيل بن عبدالغنى بن اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم المعروف كأسلافه بالنابلسى الحنفى الدمشقى كان من المشايخ الموسومين بالصلاح والتقوى والعلم.

مولده: ولد بدمشق فى سنة خمس وثمانين بعد الألف ونشأ فى كنف والده الأستاذ الأعظم وقرأ على جماعة منهم والده الشيخ عبدالغنى النابلسى والشيخ الملا الياس الكردى نزيل دمشق والشيخ اسماعيل الحايك المفتى والشيخ أبو المواهب الحنبلى وولده الشيخ عبدالجليل والشيخ عثمان السمعة وقرأ الفقه والنحو وغيرهما فى محراب المالكية بالجامع الأموى ودرس بالسالمية فى صالحية دمشق فى يوم الثلاثاء البيضاوى وحج مع والده الأستاذ فى رحلته الكبرى سنة خمس ومائة وألف ولما توفى والده الأستاذ أخذ فى تدريس السملية وأخذ عنه الفاضل عبدالرحمن السفرجلانى بعد مدة عاد المترجم ولم يزل على حالته إلى أن مات وبالجملة فقد كان مباركا صالحاً.

وفاته: كانت وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ فى ليلة الأربعاء الثامن من ذى القعدة سنة ثلاث وستين ومائة وألف ودفن بصالحية دمشق بدارهم على يمين الداخل عند الباب ولقد شاهدت هذا المقام بنفسى يوم أن كنت فى زيارة لهذا المكان لمشاهدة مدرسة الأستاذ النابلسى والاطلاع على المخطوطات التى تركها فى مكتبته الخاصة.

---

(١) ص ٢٥٦ من كتاب

ومازال جزء كبير منها محفوظ لدى الأحفاد وقد اطلعت على غالبية الكتب الموجودة فى دارهم بصالحية دمشق التى نشأ بها الأستاذ وهو مدفون بها أيضا.

ولقد خلف الشيخ اسماعيل النابلسى أولاد ذكورا واناثا فالذكور الباقيين بعد وفاته هم الشيخ مصطفى والشيخ عبدالقادر والشيخ ابراهيم والشيخ عبدالغنى الشيخ حسين والشيخ درويش والشيخ غريب وكلهم أفاضل صلحاء علماء يسلكون الطريق التى رسمها لهم جدهم عبدالغنى النابلسى والحقيقة أن أولاد الشيخ اسماعيل قد توفوا وسنذكر منهم ممن تتلمذ على جدهم وأخذوا عنه رواية العلم وان كانت السلالة والأحفاد مازالت باقية.

ولقد قابلت ابن ابن الشيخ اسماعيل المذكور هذا والذى يؤم الناس فى الصلاة بمسجد الشيخ عبدالغنى النابلسى، وهو قد جاوز السبعين من عمره ومازال يصلى النافلة من قيام حتى الآن ويعطى درس الجمعة وله رواد كثيرين يحضرون درسه ويستفيدون منه العلوم الإسلامية متبركين بعلمه لأنه من سلالة النابلسى سلالة طاهرة.

هذا مما يدل على أن اسماعيل بن الشيخ عبدالغنى النابلسى كان من أعظم تلاميذ المدرسة النابلسية علماً وأخلاقا وكان أحد قادتها بعد وفاة والده الذى ورث عنه علم الحقيقة والطريقة الشريعة علما صافيا من عند الله عز وجل.

الثامن عشر:

حسين ابن طعمه ابن طعمه بن محمد الشافعى البيتمانى الأصل الدمشقى الميدانى القادرى الرفاعى الشيخ العارف الكامل الصالح الصوفى الطريقة والمشرب كان ممن تصدر فى علم الحقيقة واشتهر فى ذلك فراء واشتغل على جماعة منهم الشيخ الياس الكردى نزيل دمشق وخدمة فى خلواته بجامع المداس فى محلة القنوات وهو دون البلوغ ورباه أكثر من أبيه وأمه حتى بلغ مبلغ الرجال فقرأ عليه فى كتب الفقه والتصوف والأدب المحمدى ومكارم الأخلاق ورياضات النفس وما به الكتابة فى أمور الدين وسلوك طريق المريدين وانتفع به وشمله نظره واجازه بمروياته فى هذا الطريق عن مشايخه الكرام وكنت مدة تلمذته اكثر من خمس عشرة سنة وأخذ وقرأ أيضا على الاستاذ عبدالغنى النابلسى ولازمه مدة تزيد على خمس عشرة سنة وأخذ عنه وقرأ عليه وتتلمذ

(١) ص٥٢ جـ٢ سلك الدرر للمرادى.

عليه فى علم الحقيقة إلى أن مات واشتهر ببركات انفاسه حتى أن الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى لقبه بفارس الميدان كما تلقى عن كثير من المشايخ.

واشتهر بالتصوف وعلم الحقيقة ودرس فى زاويته تجاه الشيخ محمد الحمدى رضي الله عنه فى ميدان الحصا وصار يقيم الذكر فى مدرسة الوزير اسماعيل باشا العم التى بناها فى سوق الخياطين بالقرب من المحكمة.

وألف وصنف كثير من العلوم ونذكر من تأليفه شرح قصيدة أبى الحسن الششترى ومنها الفوائد الشرعية وتلخيص علوم الفتوحات المكية، وشرح مختصر الرسالة العظيمة المسماه بذخيرة الإسلام، ومنها ترجمة مختصرة فى بيان سنة تلقين الذكر ومنها الفتوحات الربانية فى شرح التدبيرات الإلهية، ومنها الهداية والتوبة فى سلوك آداب الطريق ومنها السهام الرشيقة فى قلوب الناهين عن علم الحقيقة ومنها كشف الأسرار فى حل خيال الأبرار ومنها ديوان شعره الذى سماه فتح الملك الجواد فى نظم الحقائق.

ومدح الأسياد ومن شعره قوله:

لنا العلم والتحقيق والمورد الأصفى *** وأرواحنا بالأمر والأمر لا يخفى

ونحن على العهد القديم ولم نزل *** ومن يبتغى التبديل لا يأمن الحدقا

تجلى علينا الله بالوصف ظاهرا *** وبالحلم والاحسان جاد لنا كشفا

إلى أن قال:

وقد جاءنا المختار يهدى لدينه *** على السنة البيضاء والسنن الأوفى

دعانا لأمر قد أجبنا لأمره *** بطوع وكان الأمر منه لنا عطفا

وله أيضاً قوله:

خمر المحبة فى القلوب تروقا *** قد جاز فيه الصب أنواع التقى

فاحت روائحه على طلابه *** فعدا المحب له يزيد تعشقا

وفؤاد أهل الله فيه معربد *** لكن على التقوى إلى يوم اللقاء

قد قال ربى فى نصوص كتابه *** فأفهم كلامى لا وجدتك أحمقا

كل الذى فى الخلق فان هالك *** إلا الذى بالوجه دوما للبقا

إلى أن قال:

فــأحــذر من الزلات فــيــهــا انهــا *** حكم نفــد إلى المجــهــول تزندقــا

جـــمع وفـــرق يا أخى فكن بهـــا *** فى الكون عـــبـــدالله مـــوفـــقـــا

واسلك على الأمـــرين فى توحـــيـــده *** وامـــلاء فـــؤادك بالكمـــال تحـــقـــقـــا

وكان شعره من أعظم الشعر وأقواه ونظمه غاية فى الكمال وكان ذا بيان وأدب واخلاق وقد حدثت واقعة بينه وبين الشيخ عبدالغنى النابلسى والشيخ محمد المرادى النقشبندى وهو أنه رأى فى المنام الأستاذ النابلسى والشيخ المرادى كل منهما نائم فى فراشه فطلب منه المرادى خدمة فذكر بين يديه البيت الأول من هذه القصيدة التى سنذكرها فقال له الأستاذ النابلسى زده فقال الثانى والرابع فلما بلغه أوحى إليه المرادى أن يذكر النابلسى فى الخطاب فقال البيت الخامس وما بعده فلما انتبه ذكر قصيدته وهى قوله:

تذكـــر خـــاطرى عـــهـــد المرادى *** كـــمـــا كنا عليـــه من الوداد

هو الخـوجـا مـحـمـد النقـشـبندى *** كـــريم الأصل مـــحـــفـــوظ أولاد

إلى أن قال:

علـى طـه الســـــلام بكـل وقت *** مـدى مـاصـاح فى الركـبـان صـادى

كـذلك الآل والأصـحـاب جـمـعـا *** وكل الأولـيـــاء علـى الســـداد

وشعره كثير متعدد الجوانب والأغراض وكان فى شعره عفيف اللسان قوى البيان .

وفاته: كانت وفاته ليلة الخميس بين العشائين سابع جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومائة وألف ودفن بزاوية بميدان الحصا رحمه الله تعالى رحمة واسعة والمترجم هذا كان أحد أعلام المدرسة النابلسية سوف نذكر فى نهاية هذا الفصل بعضا من نصوص مؤلفاته فى علم الحقيقة والشريعة والطريقة وغير ذلك ممن أجاد فيه ومثل استاذه خير تمثيل هو ممن دافعوا عن علماء الحقيقة حتى أنه ألف كتابا كاملا فى الود عن الناهين عن علم الحقيقة وقد سمى هذا الكتاب السهام الرشيقة فى قلوب الناهين عن علم الحقيقة، والذى استقاه من استاذه الشيخ عبدالغنى النابلسى فى مدرسته العلمية ونرى أن الشيخ حسين بن

طعمة دافع عن علماء الحقيقة لأنه منهم ويعرف كيفية الوصول إلى الله تعالى عن طريق هذا العلم.

التاسع عشر:

صادق بن محمد[1] بن حسين بن محمد الشهير بالخراط الحنفى الدمشقى الشيخ العالم المتفنن السابق فى حلبة ميدان الأدب والكامل الفاضل الأديب الألمعى الشاعر كان من دهاة الدهر فى الأمور الخارجية عارف بالأحكام الشرعية وله اليد الأولى فى معرفة تشمين الصكوك والتوريق بحيث انه انفرد بوقته فى هذا الفن وله القدم الراسخ فى فن الأدب وشعره كثير وكان يتولى نيابة محكمة الباب ولازم الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى وتزوج بابنته واتصل بها وأخذ عنه وعن غيره دروس المدرسة العامرية أديب قوافيه ثابتة الأوتاد ... استبد بالمعانى فلم يبق بها عليه صرح

واستعد لها فارتقى افقهها وإليه عرج وسعى للأدب على قدم وساق وراض طرفه فى ميدان اليراعة ففرط بسهام اختراعاته اغراضها وشفى بنفثاتها عللها وأمراضها ومن شعره قوله معارضا قصيدتنا التى عارضنا بها أبى بكر العمرى والتى أولها:

لو تم فى الحب سعدى *** ياحب ما أخلفت وعدى

فقال فى قصيدته التى مطلعها:

لو كان صبرى فيك بجدى *** لجعلته زادى ووردى

لكننى أيقنت أن *** مدى جفاك بغير حد

إلى أن قال:

أنا بلبل الأدواح يذا *** هل عند تغريدى ونشدى

لست الذى سلوهموا *** ولو بليت بألف جهد

وله أيضا معارضا قصيدة الأديب السيد محمد القدسى الدمشقى المشتملة على ذكر غالب انهار دمشق ورياضها.

لأن القدس الدمشقى المذكور يدعى بابن الخطيب وقصيدته مطلعها:

(١) ص ١٩٢ جـ٢ سلك الدرر للمرادى.

يانسمة لثمت حبيبى *** وتمسكت منه بطيب

فقال الشيخ صادق معارضا هذه القصيدة :

يانسمة الروض الخصيب *** بالنيرب الغض الرطيب

إلى أن قال:

وإذا وصلت لجلق *** والجامع الفرد العجيب

عوجى على بيت العلا *** دار النقيب ابن النقيب

وقفى هناك وقبلى *** اعتاب منزله الرحيب

وله أيضاً قوله:

لما تبدى دخان التبغ ينفخ من *** ثغر الحبيب به أهل الهوى ولعوا

قالوا سحاب علا شمسا فقلت لهم *** مازال الأغبوق الورد يرتفع

وله غير ذلك من الأشعار والقصائد التى عارض بها شعراء عصره وتفوق عليهم بالعديد من علوم شعره.

ولو أردنا بيان كل قصائده أو مطالعها فقط لاحتجنا إلى مجلدات ندون فيها أشعاره وعلومه ويكفى أن نقول أنه كان أشعر أهل زمانه وأعلمهم كما ورد فى كتب التراجم المتعددة التى أوردت ذكر هذا العالم واستقصت أعماله المختلفة.

وفاته: كانت وفاته فى يوم الاثنين خامس شعبان سنة ثلاثا وأربعين ومائة وألف ودفن بتربة الباب الصغير ووافق أنه هو والأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى وعمه انتقلوا إلى الرفيق الأعلى فى مشهد واحد وفى سنة واحدة رحمهم الله رحمة واسعة ونفعنا بعلومهم عاما بعد عام وان المترجم هذا كان أحد أعلام المدرسة النابلسية الذين يشار إليهم بالبنان، وممن حازوا قدم السبق فى العلوم والآداب وقد خلف هذا العالم تراثا علميا كثيراً وله عدة مؤلفات يوجد معظمها بالمكتبة الظاهرية بدمشق وقد اطلعت على جزء منها اثناء زيارتى لهذه المكتبة العلمية التى ضمت العديد من المخطوطات الإسلامية المتعددة النادرة فى مختلف العلوم والفنون.

العشـرون:

طاهر بن اسماعيل بن الأستاذ القطب العارف الشيخ عبدالغنى النابلسى[1] الشـيخ الفاضل الصالح النبيل الأوحد.

مـولده: ولد سنة احدى عشر ومائة وألف ونشأ فى حجر جده الأستاذ ورباه أحسن تربية وقرأ القرآن العظيم وطلب العلم فقرأ فى الفقه على جده وصار له فضل عظيم بين التلاميذ والعلماء ثم أنه بعد وفاة الأستاذ بشهر وعشرة أيام حصلت له روحانية وجذبة الهية واستغراق فى المشاهدات الملكوتية فدخل إلى الخلوة وأعرض عن الدنيا وزهد فيها وبقى متخليا ثلاث سنوات وسبعة أشهر وكان يقل الغذاء شيئا فشيئاً إلى أن ترك الطعام أصلاً.

وفـاتـه: توفى فى ختام شهر ربيع الثانى فى سنة سبع وأربعين ومائة وألف بحجر والده الكائنة على يمين الداخل إلى دار الأستاذ عبدالغنى النابلسى فى القبر القبلى ثم أن شقيقه الشيخ مصطفى الذى سنتناوله بالذكر فيما بعد بنى على قبره وقبر والده الشيخ اسماعيل النابلسى قبة لطيفة موجودة إلى الآن وقد شاهدتها أثناء زيارتى لمسجد النابلسى.

وكان الشيخ طاهر عالماً فاضلاً وأديباً بارعاً حتى أن بعض أدباء دمشق قد رثاه بعد موته بقصائد شعرية وأخص بالذكر رثاء الأديب عبدالرحمن بن محمد البهلول الذى رثاه بقصيدة طويلة وهى مذكورة فى كتاب الوارد الأنسى والورد القدسى فى ترجمة الشيخ عبدالغنى النابلسى لمصنفه الأستاذ كمال محمد الغزى العامرى ومطلع هذه القصيدة هو:

شاهد القلب مصرع العين حقا *** ملة ساغ أن يذوب وحقا

إلى آخر هذه القصيدة المطولة رحمه الله رحمة واسعة وقد ورث هذا التلميذ الذى تربى فى مدرستة جده النابلسى علوم الحقيقة والشريعة والطريقة وكان على قدم من العلم الكشفى وقد أجازه جده الشيخ عبدالغنى النابلسى بالتدريس فى كافة العلوم التى تلقاها عنه اجازات شفوية وخطية تشهد له بقدرته على التدريس والافتاء فى فنون العلوم المختلفة وهكذا كان هذا التلميذ علما من أعلام المدرسة النابلسية ورائداً من روادها المشهود لهم بالعلم والفضل.

(1) ص ٢١٨ جـ٢ سلك الدرر للمرادى.

الحادى والعشرون:

عبدالرحمن بن عبدالله[1] بن أحمد بن محمد الحنبلى البعلى الدمشقى نزيل حلب الشيخ العالم الفاضل كان فقيها بارعا فى العلوم المختلفة خصوصا فى القراءات وغيرها.

مولده: ولد صحوة يوم الأحد الثانى عشر من جمادى الأولى سنة عشر ومائة وألف ولما بلغ سن التمييز قرأ القرآن حتى ختمه على والده فى مدة يسيرة ثم شرع فى الاشتغال بطلب العلم فى سنة عشرين فقرأ على الشيخ عواد الحنبلى النابلسى فى بعض مقدمات النحو والفقه واشتغل عليه بالقراءة بعد ذلك مدة عشر سنين وهو أول من أخذ عنه العلم.

وكان فاضلا ناسكا لازم مع أخويه الشيخ أحمد والشيخ محمد درس الشيخ عبدالقادر التغلبى فى الحديث والفقه والنحو والفرائض والنحو وقد أخذ عن عدة مشايخ من علماء دمشق الأفاضل وقرأ على الاستاذ الربانى الشيخ عبدالغنى النابلسى كتاب فصوص الحكم للشيخ الأكبر كما حضر دروسه فى تفسير البيضاوى والفتوحات المكية وشرحه على ديوان ابن الفارض كما قرأ عليه الفقه والعربية ولازم الشيخ عبدالغنى النابلسى نحو ثمان سنين واجازه اجازة عامة بخطه.

وقد أخذ طريق الخلوتية عن الشيخ محمد بن عيسى الكنانى الخلوتى، كما لازم الشيخ مصطفى النابلسى وأخذ عنه علم الفرائض والحساب وكان محدثا عالما بعلوم الحديث والمنطق والأصول كما قرأ صحيح الإمام البخارى على الشيخ ابراهيم الكورانى نزيل المدينة المنورة وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن قوله وقد أجازنى الشيخ الكورانى بسائر مروياته عنه وعن مشايخه باجازة حافلة وارسلها إلى من حلب وكان بحلب مستقيما ساكنا فاضلا وله أناس يبرونه قائمين بخدمته إلى أن مات.

وكان الشيخ عبدالرحمن يجيد الاقتباس وهو اتيان المتكلم فى كلامه المنظوم أو المنثور بشىء من ألفاظ القرآن الكريم أو الحديث من غير تغير كثير على وجه لايكون فيه أشعار بأنه من القرآن أو الحديث.

وهذا الاقتباس على ثلاثة أقسام الأول مقبول وهو ما كان فى الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبى ﷺ ، ونحو ذلك والقسم الثانى مباح وهو ما كان فى الغزل والرسائل والقصص والقسم الثالث من الاقتباس المردود أو الغير مقبول وهو ما أدى إلى التشبيه بالله

تعالى أو استخفاف بكلامه القديم نعوذ بالله تعالى أو الرسول عليه الصلاة والسالم أو بحديثه الشريف كقول عبدالمحسن الصورى:

قلت وقـــد أوردنى حـــبـــه *** مـــوارد ليس لهـــا مـــصـــدر

أفـــســـدت دنيـــانا ولا دين لى *** تفـــســـده فـــاصـــدع بما تؤمـــر

وقد قال الأستاذ عبدالغنى النابلسى من لا دين له فلا يعترض عليه حينئذ ومن ذلك قول القائل:

أوحى إلى عـــشـــاقـــه عـــرفـــه *** هيـــهـــات هيـــهـــات لما توعـــدون

وردفـــــه ينطق من خلفـــــه *** لمثل ذا فليـــعـــمل العـــاملون

هذا ما ورد من الاقتباس المردود أما ما جاء فى المقبول والمباح فكثير جدا فمنه قوله:

اعـــبـــدوا الله ودع عنك *** التـــوانى بالهـــجـــود

ومن الليل فـــســـبـــحـــه *** وادبار الســـجـــود

وللشيخ برهان الدين البالمونى قوله:

قـــالوا الحـــمـــيـــا شـــراب *** للانس والبـــســـط جـــاء

فـــقـــلت ردا عليـــهـــم *** بئس الشـــراب وســـاءت

وللعمار قوله:

مـــا مـــصـــر إلا منزل مـــســـتـــحـــسن *** فـــاســـتـــوطنوه مـــشـــرقـــا ومـــغـــربا

هذا وان كنتم على ســـفـــر *** فـــتـــيـــمـــموا منه صـــعـــيـــداً طيـــبـــا

وقد ورد الاقتباس فى الحديث كقول القائل (ابن عباد) حيث قال:

قـــال لى أن رقـــيـــبـــى *** شـــىء الخـــلـــق فـــداره

قلت دعنى وجـــهـــك الجنة *** حـــفـــت بالمـــكـــاره

وهو اقتباس من حديث (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) وفى مجال الاقتباس من القرآن والحديث شيء كثير وأرى أنه لا حاجة لذكر ذلك وأما الذى يتغير بيسير فى اللفظ فقد جاء فى كثير من كلام البلغاء منه قول بعضهم قد كان :

قد كان ما خفت أن يكونا *** إنا إلـــى الله راجعـونا

وفى القرآن إن لله وإن إليه راجعون فتغيره ظاهر ولا بأس به فى الصواب عند التحرز عن التغير خصوصا فى الآيات القرآنية أما فى الحديث فقد عقد صاحب الترجمة قوله:

حـــصل العلم فـــمن حـــصله *** نـال عـــــزا والـغـنـى مـع ديـن

رغب المخـــتـــار فـــيـــه قـــائلا *** اطـلـبـــــوا الـعـلم ولـو بـالـصين

أقول والعقد غير الاقتباس وهو أن يأخذ المنثور من قرآن أو حديث أو حكمة أو غيره ذلك بجملة لفظه أو بمعظمه فيزيد الناظم فيه أو ينقص ليدخل فى وزن الشعر وحينئذ لا يكون على طريقة الاقتباس ومنه قول بعضهم:

إننـى بالذى اســتـــقـــرضت خطا *** وأشـــهـــد مـــعـــشـــرا قـــد شـــاهدوه

فـــــان اللـه خـــــلاق البـــــرايا *** عنت لجـــلال هيـــبـــتـــه الوجـــوه

وقوله أيضا:

إذا تـداينـتـم بـديـن *** إلى أجل مسمى فاكتبوه

وغير ذلك من الكلام البليغ الذى ورد فى الاقتباس والعقد والاختلاف بينهما ممابرع فيه هذا التلميذ وأجاد.

وفـــاتـــه: كانت وفاته بحلب سنة اثنين وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وهكذا نرى هذا العلم الفاضل البارع فى مختلف العلوم والفنون خريج المدرسة النابلسية والذى يمثل هذه المدرسة خير تمثيل التى تربى فى أحضانها وعلى يد معلمها الأول الشيخ عبدالغنى النابلسى صاحب اليد الطولى فى تربية التلاميذ والمريدين نفع الله بهم الأمة أجمعين وجعلنا على طريقهم للوصول إلى الحق اليقين.

الثانى والعشرون:

عبدالرحمن ابن محمد[1] بن على الشهير بالبهلول النحلاوى الشافعى الدمشقى الشيخ الأديب الشاعر اللغوى الدبيل البارع النبيه الفائق بتوريخ وآداب على اقرانه كان من

(١) ص ٣١١ جـ٢ سلك الدرر للمرادى.

الأدباء المشاهير وله اليد الطولى فى فن التاريخ فإنه انفرد به فى وقته مع معرفته بالعلوم خصوصا اللغة العربية والشعر والتاريخ والأدب قراءة واشتغل على جماعة من شيوخ دمشق الأجلاء وأخذ عن الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى وامتدحه بقصيدة.

وكان بالتاريخ أوحد وقته ولكنه مما رماه دهره بمصائبه فيقول صاحب سلك الدرر (أخبرنى بعض الأصحاب أنه حج بيت الله الحرام ماشيا على قدميه ذهاباً وإيابا مستخدما بعض الجمالين ولم يوجد له أحد يركبه أو يسقيه وهو لم يجد شيئا معه ليكتفى به عن غيره وكان يتردد إلى والده والوالد يكرمه ويوده وله فيه المدائح الحسنة).

وإليك قصيدته التى مدح بها صاحب الفيض القدسى العارف بالله تعالى الشيخ عبدالغنى النابلسى وصدرها بنثر قوله:

متع الله الوجود بجناب جمال دره اكليل تاج المحققين وواسطة عقد المدققين وبهجة غرة عقيدة الواثقين من سما إلى سماء اسرار حقيقته حق اليقين انسان عين دوح البلاغة ومقليد اليراعة من تحلى بحسن وصفة الدروس وتحف شوقا إلى طيب ذكراه اليراعة، من حل ذوى اليد وهو فى بحبوة الآداب وأوتى الحكمة وفصل الخطاب شمس افضال ترقرقت من سماء المعارف وكعبة اجلاله اشرقت بسناء العوارف

من لى بكوكب عــــرفـــــان وفــــا *** بسـعـده شـرفـا قـد جـاوز الشـرفـا

أكـرم بـه من حبـر على لطف شيـمـه *** انعقدت الخناصر واذعنت لجلال قدره الأنام

وأذعنت بأن هذا الشهاب الأوحد قد بزغ من اطيب العناصر فلا غرو ان يملك بيديه أزمة الفضائل والمفاخر فقد ساد يؤدده الأوائل والأواخر كيف لا وهو منهج الأحكام اللدنية ومورد العلوم اللدنية فتراه حيث أخذ يرتع فى رياض أنسه وأدابه. ويجلو عرائس ابكار افكار على أحبابه وطلابه أن يقل نثرا يخلب الأسماع بما يفهم به البليغ أو يقرض شعرا يسحر العقول إلى حسن محاضرة تأخذ بمجامع القلوب وطيب مطارحة توضح عن كل مأمول ومطلوب.

ولقد أوعى الشيخ عبدالغنى النابلسى كتب الإمام الأكبر بل طيبها ولقد شرح الصدور وزحزح الكدور كما يقول صاحب الترجمة هذا.

ولهذا يقول عنه إن هو إلا وحى يوحى منزل من فلك يوحى

لله در همــام جــهــيــز وطئت *** اقــدامــه ســؤددا هام الســمــاوت

حــبــاه مــولده مــا شــاءت مــاكــانتــه *** بالفــتــوحــات قــد حــاز الفــتــوحــات

ولما لزم باب الافتقار والعبودية لمولاه الغنى قال ذلك الافتخار والمقام الأقدس الثنى سيدى ومولاى المشار إليه من جعل لله مقاليد الكمال والسيادة طوع يديه وبعد لقد تجاوز القاصد حدى وتعداه بالهجوم على جناب ذو الفخر والجاه ولكن توقع الصفح الجميل حملنى على مدح هذا السيد الجليل بسجاعات معتلة ولفظات مختلة وقصيدة هى وأن كانت عن منظومات فحول البلغاء بمعزل لكنها بمحاسين أوصافكم تفضل ذكرى حبيب ومنزل طابت بكم القريحة السليمة بابراز هذه الدرة اليتيمة فاءت بحمد الله منقحة مهذبة تتباها بكم وتفتخر عجبا وتسموا على كل ناظم شرقا وغربا فياحسنها منظومة لم ينسج على منوالها ولم تسمح قريحة بمثالها قد افتر ثغر البلاغة لمن حسن معانيها وإليك تلك القصيدة:

أى أجل الأنام عــزا ومــجــدا *** وثــنــاء إلــيــك بــكــرا ســنــيــة

من ذوات الخــدرى وافت تهنيك *** بعــيــد ياذا الحلى القــدســيــة

ضــمنت كلهــا تواريخ ان قــد *** نضــدت من جــواهر مــعــدنيــة

كل بيت منهــا يشــيــر *** بتارخين باسما فى الصفات الذكية

عــدا أبيــاتهــا ثمــانون بيــتــا *** كنجــوم وتســعــة درية

هاكــهــا غــادة شــرف بهــاء *** بنت فكر شــامــيــة عــربيــة

فــاغــمــرها بذيل عــقــد وصــفح *** من تجلى اخــلاقك المرضــيــة

قد افتتحت أوائل ابياتها بحروف أحاطت بها احاطة الوضح بكعب كعوب وحتى جمعت تلك الأحرف وركبت كلمات صارت بيتين كالفرقدين يترنم بهما كل طروب سيما وقد اشتمل كل بيت منها على أربع تواريخ نضيرة كانهن مصابيح منيرة وقد ختم باسمكم الشريف البهى البهيج الحنيف وهذان البيتان المشار إليهما فاسدل ثوب الستر عليهما وهما:

أهديك مــدحــا بليغ بأننى غــدا *** بحــر الفتــوحــات باهى الفضل والمنن

الفــاظه كنجــوم فى تشــرق مــا *** بدا سنا بدرها أرخــه عــبــده غنى

فحروف البيت الأول من هذين البيتين ثمانية وأربعون حرفا كل حرف بدأ بيتا من القصيدة مما راق وطاب وتقر بسماعه أعين أولى الأفهام والألباب، والبيت الثانى أحد وأربعون حرفا كل حرف على افتتاح بيت مدح بأوصافكم السنية بما هو أرق من بسملة ذوى الأداب وأطيب نغما من عرف الطياب وأعزب من ارتشافة للمعشوق المصاب وأشهى إلى النفوس من اعتناق الأحباب:

مـولاى دونك اللفـاظ بهـا سـمـحت *** قـريحـة من بقـايا عـرف عـدنان

حـوت بدائع من فن البــديع وقــد *** دقت مـعـانى عن قس وسـحـبـان

فاليكها عروسا أرق من نسمات السحر والسحر الحلال والطف صفاء الورد وصافى الزلال يسعى مهرها الأعضاء وحسن القبول ولعمرى أن هذه هو غاية السؤال والمأمول ولم تكتمل لها هذه الأوصاف الحسنى إلا بتضمنها مديحكم الا سنى وغدا مولاى لقاصر عن درجة التمييز ولكن بعز جنابك غدوة أعرف من العلم وأشهر من نار على رأس علم ولا يعرف الفضل إلا ذوه ولايغذى بلبانه إلا بنوه وهذه هى القصيدة الميمونة الغراء المنتظمة وفى سلك قوله ﷺ إن لمن الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا) وهى قصيدة لم تسمح بها قريحة شاعر ولم تر مثلها عقلة ناظر احتوت على كل بيت بتاريخين ولولا خوفى تحريف الكتاب لذكرتها برمتها لكن حذرا ن تغير الأبيات بألفاظ تتغير حساب الاعداد من التواريخ فيذهب رونقها وإلا فهى جديرة بأن تتوشح بها الأوراق.

وللمترجم هذا قصائد كثيرة من الشعر متعددة الأغراض والأهداف ولو اردنا ذكرها لاحتجنا إلى مجلدات لحصرها ويكفى صاحب هذه الترجمة ان كان بحرا من بحور العلم المختلفة تربى فى مدرسة علمية نابلسية ونهل من معينها الصافى وفاق أقرانه وأصبح علما من أعلام هذه المدرسة التى مهما تحدثنا عنها فإننا لانستطيع أن نوفيها حقها لأن رائدها ومؤسسها عالم من أدق العلماء وأجلهم الشيخ عبدالغنى النابلسى.

وفاته كانت وفاته سنة ثلاث وستين ومائة وألف ودفن بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلومه إلى يوم الدين.

الثالث والعشرون:

عبدالرحيم[1] بن مصطفى بن أحمد الشافعى الدمشقى الصالحى الشهير بشقدة الشيخ العالم الفاضل ولد بصالحية دمشق ونشأ بها وأخذ فى طلب العلم فأخذ عن رائد العلم الأول فى عصره الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى ثم عن أبى الفلاح عبدالحى البكرى وأجاز له الأستاذ عبدالغنى النابلسى اجازة خاصة كتبها له بخطه ونبل وفضل على كثير من علماء عصره وخاصة فى الوعظ إذ كان يعظ بالجامع الجديد بالصالحية ولوعظه تأثير فى القلوب وكان يخطب بجامع تربة برزة ويؤم الناس فى جامع العفيفى بالصالحية وإختصر تاريخ شيخه العسكرى المسمى شذرات الذهب اختصارا حسنا وله غير ذلك من الآثار والفوائد بالجملة فقد كان من أكابر السلف الصالحين وأهل الفضل والدين وله شعر قليل.

وفاته: كانت وفاته نهار يوم الجمعة ثامن صفر سنة ستين ومائة وألف عن تسعين سنة تقريباً ودفن بسفح جبل قاسيون بقرب ضريح الشيخ عبدالهادى.

وهكذا كان هذا التلميذ صاحب قدرة بارعة فى الوعظ والارشاد كما تشير إليه الترجمة وكما تدل عليه الاجازة الخطية الموجودة بالمكتبة الظاهرية بدمشق التى قد اطلعت عليها اثناء اطلاعى على مخطوطات الشيخ النابلسى هناك، مما تدل دلالة واضحة على أن الشيخ النابلسى قد ربى هذا التلميذ فى مدرسته واعتنى به عناية خاصة ولما وثق منه ومن قدرته عى الوعظ اجازه هذه الاجازة واعطى له الحرية فى الوعظ والارشاد علاوة على التدريس فى بعض مساجد دمشق التى كانت اذاك تمثل المدارس العلمية فى دمشق فى هذه الفترة اذن فهو علم من أعلام المدرسة النابلسية التى خرجت العديد من أمثاله نفعنا الله بهم أجمعين.

الرابع والعشرون:

عبدالله بن محمد[2] بن على بن عبدالله بن أحمد بن محمد المجذوب الشهير بابن شهاب الشافعى الترمذى الأصل الحلبى المولد.

مولده: ولد بحلب سنة ستة عشر ومائة وألف وربى فى حجر أبيه ونشأ فى طاعة الله تعالى ودأب على تحصيل الكمالات ففاز منها بالقدر العلى وقرأ على أجلاء عصره

(١) ص ٥ جـ٣ سلك الدرر للمرادى.
(٢) ص ٥ جـ٣ سلك الدرر للمرادى.

من أفاضل الشهباء وارتحل مع والده لدمشق سنة احدى وثلاثين ومائة وألف ودخل بعد ذلك مرات واستجاز علمائها الاعلام مثل الامام الاستاذ عبدالغنى النابلسى فقد أجازه بسائر الكتب العقلية والنقلية والتواريخ والدووابن والأدب وكتب من تقدم من السادة الصوفية قدس الله أسرارهم ونفعنا بهم وكان صاحب الترجمة شغوفا بمطالعة كتب الصوفية خصوصا الفتوحات المكية وغيرها وكانت له اليد الطولى بمعرفة الروحانيات والأوفاق والتعاويذ وانتفع به خلق كثير بسبب ذلك واشتهر شهرة حسنة وكان دينا عفيفا صالحا تقيا وبالجملة فمن رآه أحبه ورأى بارقة الصلاح عليه وقد كان ممن جد واعتنى وحصل نفائس العلوم واقتنى وله من الشعر ما يشجى الآذان ويرتاح له الولهان فمنه قوله يمدح الولى الكبير سيد أبا بكر الوقائى قد س الله سره العزيز فيقول:

إذا المرئ لم يلقى مـغـيث لكربه *** ورائت له الأيام بذيل التـجـارب

هو ابن شـهـاب قـد أتى مـتـوسلا *** بجـاهك فـأمـدده نيل المآرب

ومن شعره أيضاً قوله:

بلبل الأوطان غنى *** فشجى قلب المعنى

إلى أن قال:

يابريق الحى مهلا *** منه قد خطفت القلب منا

وله أيضاً قوله:

يامن أراد انصرافى *** عن مذهب الحب جهلا

إلى أن قال:

قصر ملامك انى *** قد بعت روحى طفلا

وفـاتـه: كانت وفاة المترجم فى يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الأولى سنة ثمانين ومائة وألف ودفن بالقرب من والده خارج باب الملك بالقرب من مرقد الولى الكبير العارف بالله محمد الزمار رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وهكذا كان هذا الشيخ بحرا من بحور المدرسة النابلسية التى نهل وشرب من معينها الصافى وتتلمذ على يد صاحب العلوم اللادنية مربى الأجيال ومهذب المريدين الشيخ عبدالغنى النابلسى، بحر الحقيقة المحمدية والطريقة الإلهية على الكتاب والسنة الإلهية.

الخامس والعشرون:

على بن أحمد بن أحمد بن جلال الدين[1] المعروف بالبرادعى البعلى ثم الدمشقى الصالحى الشيخ العالم الفاضل العلامة.

كان من أفراد الوعاظ المشهود لهم بالعلم والصلاح.

مـولده: ولد ببعلبك فى سنة اثنين وتسعين وألف وبعد ثلاث سنين جاء والده وجده إلى الصالحية بدمشق وسكناها وأخذ لهما دارا بالشراء واستوطنها .

وكان والده وجده من الحفظة وجده الأعلى جلال الدين من العلماء الأجلاء بمدينة بعلبك وهم طائفة كبيرة يقال لها بيت جلال الدين والمترجم قرأ القرآن وحفظه على السبع وكان يقرؤه فى كل يوم وليلة مرة وفى رمضان يختم بالليل والنهار أربعة وستين ختمه تفقه على كثير من مشاهير عصره وأخذ العلم وسائر الفنون عن شيخه الأستاذ عبد الغنى النابلسى فإنه كان يحبه ويسر للقائه وهو مقرئ ولدى ابنه الشيخ اسماعيل وهما الشيخ ماهر والشيخ مصطفى بأمر منه ولما توفى الأستاذ عبدالغنى النابلسى غسله الشيخ على بيده وكفنه ووراه التراب بوصية منه وقرأ على الشيخ عبدالغنى النابلسى فى مدرسته العامرية وداره بالصالحية وبين العشائين فى الجامع الجديد.

وكان المترجم عالما واعظا فأخذ عنه أناس كثير وقرؤا عليه وكان له مجلس وعظ تحت القبة على باب المقصورة بعد صلاة الجمعة صيفا وشتاء وخريفا وربيعا.

وكان يخطب فى جامع السنانية ويؤم بالمدرسة العامرية وكان إذا وعظ يجتمع عنده خلق كثير من أهالى دمشق ومن الغوطة وغيرها يقصدون الحضور للسماع وكان صوته عالياً إذا وعظ يسمعه غالب من فى الجامع وهو يعظ من غير كتاب ولا يخطئ ولا يغيب عن ذهنه لشدة حفظه وإذا قرأ العبارة مرة واحدة يحفظها ولا تغيب عن حفظه ولم يزل على حالته هذه إلى أن مات.

وفاته: كانت وفاته فى سابع عشر ذى الحجة سنة خمس وخمسين ومائة وألف ودفن بسفح قاسيون فى مكان يقال له الروضة فى جانب الداودية تجاه مرقد سيد الشيخ مسعود بوصية منه ولهذا كان هذا الشيخ على قدر كبير من العلم والمعرفة وكثرة الحفظ مما جعله

(١) ص ٢٠٣ جـ٣ سلك الدرر للمرادى.

علما من أعلام المدرسة النابلسية وقطبا من أقطابها البارزين الذين شربوا العلم من منبعه ونهلوا من معينه الصافى على يد استاذه ومعلمه الشيخ عبدالغنى النابلسى مربى الأقطاب ومعلم المريدين كيفية السير فى الطريق القويم للوصول إلى رب العالمين على هدى من كتاب الله وسنة سيد المرسلين ﷺ.

السادس والعشرون:

على بن عـبـدالحى[1] بن على بن سعودى النجم الغزى الشافعى الدمشقى الشيخ الفاضل العالم المؤرخ المتفوق أبو الحسن علاء الدين.

كان له اطلاع تام فى علم التاريخ وحفظ حسن مع تحصيل فى العلوم وفضل فى سائر الفنون.

مـولده: ولد بدمشق فى سنة ستة وعشرين ومائة وألف ونشأ فى حجر والده ورباه تربية علمية إلى أن توفى والده ثم فى حجر والدته فأكملت تربيته ورفرفت حرمته وقرأ القرآن على الشيخ ذيب المقرئ وختمه عليه مرات تجويدا وحفظا وأخذ العلم عن أجلاء مشائخ دمشق منهم ابن عمه أحد صدور العلماء الشيخ أحمد بن عبدالكريم الغزى المفتى الشافعى – أخذ عنه الفقه والحديث وغير ذلك وحضر دروسه ولزمه حتى توفى وأخذ الفقه والفرائض وعلم الكلام عن العلامة الشيخ عبدالله ابن زين الدين ثم أخذ طريق الصوفية مع العلوم عن الشيخ الأستاذ عبدالغنى النابلسى وحضر دروسه بالسملية فى صالحية دمشق وخاصة فى التفسير غير مرة وقرأ عليه من أول الأربعين النووية وأجازة اجازة حافلة وألبسه الخرقة القادرية.

وقد استجاز له والده قبل وفاته من عدة مشائخ من علماء دمشق وفى آخر أمره انعزل عن مخالطة الناس واستقام بدار زوجته بمحلة الشاغور الجوانى يدرس ويفيد إلى أن توفى رضي الله عنه وكان أحيانا يخرج إلى المسجد الذى يقرب داره المعروف بالباغوشية ودرس وانتفعت به الطلبة وعلمه وحافظته لايطعن فيها ولم يزل على حالته إلى أن مات قدس الله سره وكانت وفاته فى يوم السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة احدى وتسعين ومائة وألف ودفن بتربة الشيخ ارسلان رضي الله عنه وعن أسلافه بنى الغزى نفعنا الله بهم

(١) ص ٢١٥ جـ٣ سلك الدرر للمرادى.

جميعا فهو إذن تلميذ تربى فى المدرسة النابلسية وتخرج بها على يد استاذه ورائد وجدانه الشيخ عبدالغنى النابلسى وهو يمثل المدرسة النابلسية فى الطريقة القادرية التى أجازه بها شيخه ومعلمه رائد المدرسة الأول الشيخ عبدالغنى النابلسى.

السابع والعشرون"

مصطفى بن اسماعيل بن عبدالغنى[1] المعروف كاسلافه بالنابلسى الحنفى الدمشقى الصالحى الشيخ الفاضل الصالح الفالح العالم المبارك معتقد كان مبجلا بين الناس يحترمونه مستقيما على وقيرة الصلاح والعبادة.

مولده: ولد فى سنة ثلاث عشر ومائة وألف ونشأ فى حجر والده وجده الأستاذ الأعظم عبدالغنى النابلسى وعمته بركاته كما تربى أيضا فى حجر والده الشيخ اسماعيل بن الشيخ عبدالغنى النابلسى وكان جده يحبه كثيرا ويميل إليه وهو دائما قائم بخدمة جده ولم يزل كذلك إلى أن مات جده الأستاذ واستقام فى دارهم بالصالحية بدمشق يزار ويزور ويتبرك به الناس وتقصده أهالى دمشق وحكامها وقضاتها كما رزق الحظوة التامة من الأولاد والانسال وكان يظهر عليه الجذب والروحانية وبالجملة فقد كان من الأخيار.

وفاته: كانت وفاته فى ليلة الخميس عاشر ذى الحجة الحرام يوم العيد ختام سنة احدى وتسعين ومائة وألف.

ودفن فى دارهم لضيق قبر جده الأستاذ عبدالغنى النابلسى وكانت جنازته حافلة ووافق أن ولى حلب الوزير عزت باشا كان بدمشق اذاك فحضر دفنه.

وكان يعتقد فيه الخير ويتبرك به رحمه الله تعالى فهذا نسل علم من علم وسلالة طريق صوفية تربى بالمدرسة النابلسية على يد خير مرب وكان شديد الاقبال على العلم وخاصة جده الشيخ عبدالغنى النابلسى الذى أجازه اجازات خطية محفوظة بخزانة دار الكتب بدمشق تشهد هذه الاجزات لهذا التلميذ القدر الكبير والقدم الراسخ فى العلم والفضل فى بيت النابلسى الذى قاد وخرج كثير من العلماء من ابنائه وسلالته الطيبة الطاهرة - نفعنا الله بهم جميعا وجعلنا ممن يسير على نورهم وينهل من علمهم المستمد من كتاب الله وسنة المصطفى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ورضى الله عن السلف الصالحين والخلف الطاهرين العاملين لخير البشرية أجمعين.

(١) ص ٢١٥ جـ٣ سلك الدرر للمرادى.

الثامن والعشرون:

مصطفى البكرى بن كمال الدين بن على بن كمال الدين بن عبدالقادر محى الدين الصديق الحنفى الدمشقى البكرى الأستاذ الكبير والعارف الربانى الشهير صاحب الكشف والواحد المعدود بألف كان متقدما فى بحر الولاية مقدما إلى غاية الفضل والنباهة بنور الشريعة رطب اللسان صاحب العوارف والمعارف والتأليف والتحريرات والآثار التى اشتهرت شرقا وغربا وزاع صيتها فى الناس عجما وعربا أحد أفراد الزمان وصنديد الاجلاء من العلماء الأعلام والأولياء العظام العالم العلامة أبو العارف قلب الدين.

مولده: ولد بدمشق فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين وألف وتوفى والده الشيخ كمال الدين وعمره ستة أشهر فنشأ يتيما مرفقا فى حجر ابن عمه المولى أحمد بن كمال الدين بن عبدالقادر الصديقى واشتغل بطلب العلم بدمشق فقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن محى الدين السليم الشهير بالمجلد والشيخ محمد أبو مواهب الحنبلى وكان يطالع له الدروس الشيخ محمد بن ابراهيم الدكدكجى.

ومع ذلك قرأ عليه متن الاستعارات وشرحها ولازم الأستاذ عبدالغنى النابلسى وقرأ عليه التدبيرات الإلهية والفصوص وعنقاء مغرب ثلاثتها للشيخ الأكبر قدس الله سره وقرأ عليه مواضع متفرقة من الفتوحات المكية وطرف من الفقه وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ عبداللطيف بن حسام الدين الحلبى الخلوتى ولقنه الاسماء وعرفه حقيقة الفرق بين الاسم والمسمى وفى سنة تسع عشرة ومائة والف سكن المدرسة الباذرائية ونزل فى حجرة بها بقصد الانفراد والاشتغال بالأذكار والأوراد واذن له شيخه بالمبايعة والتخليف سنة عشرين اذنا عاما فبايع فى حياته.

وكانت تلك أزهر أوقات أوقاته سمعه مرة يقول الحميد لم يظفر طول عمره إلابصاحب ونصف فقال له وكم ظفرتم أنتم بمن يوصف بالتمام فقال له انشاء الله وذاع أمره وكثر جميع جماعته إلى سنة اثنين وعشرين وفى تاسع عشر من محرم توجه من دمشق الشام إلى زيارة بيت المقدس وهناك أخذ عنه جماعة الطريق ونشر الأوراد والأذكار وتوجه إلى زيارة الإمام العارف سيدى على ابن الجليل العمرى ثم عاد بعد استيفاء غالب الزيارات إلى زيارة نبى الله موسى الكليم صلى الله عليه وعلى نبينا السلام وبعد حضوره من

القدس شرع فى تصنيف ورد السحر المسمى بالفتح القدسى والكشف الأنسى على ماهو مرتب من الحروف وهو ورد يقرأ فى آخر الليل لكل مريد من تلاميذ طريقته وآمر جماعة بقراءته وقد اعترض عليه بعض المخذولين بأن ذلك بدعة فى الطريق فعرضه على الإمام الشيخ حسن بن الشيخ على قرة يسن فى داره فأجاب بأنه لا بأس به ثم عاد إلى دمشق فى شعبان من السنة المذكورة وانتشرت طريقته ثم عاود زيارة بيت المقدس مرة أخرى فى سنة ستة وعشر بعد المائة ونزل خلوة فى المسجد الأقصى وأقام هناك ينشر الطريق والأذكار ويعلم العلم إلى شعبان من السنة المذكورة فعاد إلى دمشق وأقام بها ثم توجه منها إلى حلب الشهباء ثم ذهب إلى بغداد لزيارة الشيخ بعدالقادر الكيلانى قدس الله سره وأقام بها نحو شهر ثم رجع وتوجه إلى زيارة سيدى ابراهيم بن أدهم ثم تنقل بعد ذلك للسياحة فى البلاد الشامية لأجل الزيارة للأولياء ثم دخل بيت المقدس وعد به الخلوة التى تنسب إليه ثم عاد إلى دمشق مرة ثانية وظل بها يعلم ويعظ الناس إلى أن عاد إلى الديار القدسية وتزوج هناك وقد أرخ وفاته بعضهم بقوله زفت الزهراء للقمر وأقام هناك غير فارغ ولا لاه مشتغل بما فيه رضى مولاه إلى أن قدم إلى مصر من جهة دمشق لزيارة بيت المقدس وهو الوزير رجب فزار صاحب الترجمة وصار له فيه مزيد الاعتقاد ولما ذهب إلى دياره المصريةاستصحبه معه فدخل مصر وأقام بها مدة وأخذ عنه بها خلق كثير ثم توجه لزيارة القطب العارف سيدى السيد أحمد البدوى قدس الله سره ومن هناك طار إلى دمياط وأقام فى جامع البحر وأخذ عن علامتها الشمسى محمد البديرى وقرأ عليه الكتب الست والمسلسل بالأولية وأجازه اجازة عامة بسائر مروياته وتأليفه ثم رجع إلى بلدة بيت القدس على طريق البر وأقام بها إلى إبتداء سنة خمس وثلاثين ومائة وألف فتوجه إلى طرابلس الشام وأقام بها خمسة عشر يوما ومنها إلى حمص ثم إلى حماة ونزل فى بيت السيد ياسين القادرى الكيلانى شيخ السجادة القادرية بحماة فأخذ عنه الطريقة القادرية ومنها رحل إلى حلب وأخذ عنه بها جماعة منهم الشيخ أحمد بن الخطيب وفى شهر رجب الحرام توجه إلى دار السلطنة العلية قسطنطينية المحمية على طريق البحر فدخلها فى سابع عشر شعبان ونزل مدرسة سورتى مدة ثم تنقل فى كثير من المدارس والأماكن ومكث بتلك البلاد معتكفا على التأليف والنظم فى السلوك وحقائق غيره مشتغل بأمر من الأمور الدنيوية.

وفى سنة سبع وثلاثين ومائة وألف أخذ العهد العام على جميع الطوائف ثم لمااشتاق إلى رؤية أهله توجه هو ومن معه فى ثالث محرم سنة تسع وثلاثين وسار على طريق البر فدخل حلب الشهباء فى صفر ونزل الخردوية مجاور للشيخ أحمد البدبى ثم فى ثانى شهر ربيع الأول توجه قاصدا العراق ووصل إلى بغداد فى آخر جمادى الأولى ونزل فى التكية القادرية ملازما ومشاهدا تلك الأنوار والأطوار القادرية ولم يدع مزارا إلا وزاره وجاء فى أثنا ءذلك مكتوب من شيخنا الأستاذ عبدالغنى النابلسى يحسه فيه على العود إلى الديار الشامية لأجل والدته فهم على المسير وفى أوائل صفر عزم على العود إلى المنازل الشامية وفى الثانى والعشرين منه وصل إلى الموصل ومنها دخل إلى حلب ونزل فى الخردية فى خلوة الشيخ أحمد البدبى وكان يؤم فيها الأذكار ويحضر ورد السحر ما يفوق على الخمسين.

وفى ثامن شوال توجه إلى دمشق فوصلها ونزل فى دار الشيخ اسماعيل العجلونى ثم نزل حجرته فى المدرسة الباذرائية، وبعد برهة زار الأستاذ الشيخ عبدالغنى النابلسى فرآه يقرأ فى التدبيرات الإلهية ولم تطل اقامته بها بل شمر عن ساعد الهمة إلى الأراضى المقدسة فرحل متوجها إلى أراضى البقاع وبلاد صفد وفى أوائل ذى الحجة سنة أربعين ومائة وألف ولد له مولود أسماه محمد كمال الدين وأرخ مولده صاحب الترجمة بقوله:

فى ليلة الجـمـعـة من انصـافـهـا *** ثالث شـعـبـان أتى بغـلامـه

وفـيـه بشـرت قـبـيل مـا أتى *** وبعـده قـرت الأنـغـام

ختـام مـسك قـد طواه يفـتـدى *** فـأرخـوا مـحـمـد ختـام

وأقام فى القدس المشرفة يتنقل من زيارة إلى أخرى وهو فى تأليف وتصنيف وارشاد إلى رب العباد وإلى أن دخل شوال سنة خمس وأربعين فعزم على الحج المبرور وتوجه مع رفقائه وأجلهم ومنها إلى مدينة الرسول عازما على الزيارة فنال اسمى المراد ثم إلى مكة المشرفة وقضى مناسك الحج وعاد بصحبته الحاج الشامى إلى القدس الفاضل العالم الشيخ محمد بن أحمد الحلبى ومكث عنده نحو أربعين يوما. وادخله الخلوات ولقنه بعض أسماء الطريق ثم أتمها هناك وأجاز له بالبيعة للغير وأقامه خليفة يدعو إلى الله وفى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف سار قاصدا البلاد الرومية فمر على البلاد الصفدية ومنها إلى دمشق

ذات الربوع الندية ووصل لدار السلطنة فى رابع عشر جمادى الأولى واقام بها يجتمع بالأحباب والخلان ثم توجه إلى الاسكندرية بحرا فوصلها فى أيام ومنها ذهب إلى مصر وبعد أن استوفى الزيارات بمصر عزم بالمسير إلى الشام فدخل بيت المقدس غرة شهر رمضان وكان له بنت فرآها مريضة ولم تطل اقامتها بل انتقلت إلى الجنة ثم عزم على الحج مرة أخرى سنة تسع وأربعين وصحبه جمع كثير وظهرت كلمته وعمت بركته فى كافة الأقطار التى زارها وحل بها ولما بلغ عدد تلاميذه مائة ألف أمر بعدم كتابة أسمائهم وقال هذا شيء لايدخل تحت عد ثم حج ورجع إلى دمشق وكان واليها اذاك الوزير الكبير المرحوم سليمان باشا العظم، وحين وصوله إلى دمشق تلقاه وجهاء أهلها ثم أقام بالديار البكرية ثمانية أشهر ثم رحل إلى نابلس فمكث بها احدى عشر شهراً.

وفى شوال سنة اثنين وخمسين توجه إلى الديار القدسية ولم يزل بها إلى سنة ستين ومائة وألف فصار إلى مصر متنقلاً فى البلاد الكنانية والساحل الشامى فوصل مصر واستأجر له الأستاذ الحفناوى داراً قرب الجامع الأزهر عن أمر منه بذلك ، وعندما وصل إلى قريه تلقاه الأستاذ المذكور ومعه جمع كثير من علماء مصر وأهلها وأقام بها وهو مقبل على الارشاد والناس هرعون إليه مع الازدحام الكثير حتى أنه قل أن يتخلف عن تقبيل يده جليل أو حقير وذلك لغزارة علمه وطيب أخلاقه وطلاقة وجهه وقوة بيانه وسعة اطلاعه إلى أن دخل شوال سنة احدى وستين فعزم على الحج وكان قدس سره يجمع الكثرة المشهورة وكان مصرفه مثل مصرف أكبر من يكون من أرباب الثروة وأهل الدنيا ولم تكن له جهة تعلم يدخل منها مايفى بتلك المصاريف ولكن بيده مفتاح التوكل ومن كان كذلك فلا يتخلى عنه رب الأرباب وخالق العباد الله جلا جلاله، ثم اتصل بالشيخ الجمال عبدالله بن سالم وغيره والجميع أجازوه فى سائر العلوم وأخذ الطريقة النقشبندية عن القطب العارف السيد مراد البخارى النقشبندى ولقنه الذكر على منهج السادة النقشبندية ودعى له بدعوات صالحات آسرارها باقيات سارية فى هذه الذرية وأخذ عن الأستاذ الكبير الشيخ محمد بن ابراهيم الدكدكجى كما أخذ عن الأستاذ العارف بالله الشيخ عبدالغنى النابلسى رائد وجدانه واستاذه الأول الذى تربى على يديه وكان الأستاذ يثنى عليه كثيراً وأجاز له بالافتاء والتدريس ونشر العلم وكان لغزارة علم هذا العالم وشهرته أن أخذ عنه خلائق كثيرون حتى أنه يقال أن سبعة من ملوك الجان قد أخذوا عنه وهذا مدون بخط يديه فى بعض مؤلفاته.

مؤلفاته:

ألف هذا العالم مؤلفات نافعة منها الكشف الأنسى والفتح القدسى وشرحه بثلاثة شروح ومنها شرحه على الهمزية وشرحه على رد الوسائل وشرحه على حزب الإمام الشعرانى وشرحه على صلاة العارف الشيخ محى الدين الأكبر وشرحه على صلاة الأستاذ الشيخ محمد البكرى وشرحه على قصيدة المنفرجة لأبى عبدالله النحوى وشرحه على قصيدة الإمام ابى حامد الغزالى التى أولها:

الشدة أودت بالمنهج *** يابر فعجـل بالفـــرج

وشرحه على بيت من تائية بن الفارض وشرحه على سلاف شريك الشمس للإمام الجيلى وله اثنتا عشرة مقامة واثنتا رحلة وسبعة دواوين شعرية والفية فى التصوف وتسع اراجيز فى علوم الطريقة ورسالة سماها تبريد وقيد الجمر فى ترجمة الشيخ مصطفى ابن عمر ومرهم الفوائد الشجى فى ذكر يسير من مآثر شيخنا الدكدكجى والمنهل العزب السائغ الواردة فى ذكر صلوات الطريق وأوراده والروحانيات العرشية على الصلوات الشمسية وكروم عريش التهانى فى الكلام على صلوات ابن شيش الدانى وفيض القدوس السلام على صلوات سيدى عبد السلام واللمحات الرافعات عن معانى صلوات ابن شيش والورد السحرى الذى شاع وزاع بركاته البقاع وما ورد الاضاحى وحقائقه لاتتناهى وشهرته تغنى عن الوصف التحريرى ومعانيه ومزاياه لا تحصيها أقلام التحبير شرحه ثلاثة شروح احداها سماها الضياء على الفتح القدسى فى مجلدين ضخمين والثانى رفيع المعانى سماه اللمح القدسى على الفتح القدسى، والثالث الذى كشف اسراره باعث المنح الأنسى على الفتح القدسى ومن مؤلفاته السيوف الحداد فى الرد على أهل الزندقة والالحاد وهذا الكتاب من أعظم الكتب المؤلفة لهذا العالم إذ رد فيه على كافة الفرق والملل والنحل الطاعنة فى دين الله واقام الحجج والبراهين على ابطال مادعوه وخاصة وحدة الوجود والحلول والاتحاد وفى الحقيقة والطريقة والشريعة إذ بين كل نوع بيانا علميا يربط بين الثلاثة وان الجميع اساسه الكتاب والسنة وكل واحد من الثلاثة مكملة للأخرى ولا تعارض بينهم ومنها الفرق المؤذن بالطرب فى الفرق بين العجم والعرب وهذان التأليفان

من أعجب العجاب لمن كشف له النقاب فمن الاستراده وبيان الحقيقة المراده فاليراجعهما ففيهما ما تشتهيه القلوب وماتشتاقه الأنفس من كل ما هو مرغوب ومنها الوصية الحينية للسالكين فى طريق الخلوتية والنصيحة الحنيية فى معرض آداب كشدة الخلوتية والحواش السينية على الوصية الجيلية وبلوغ المرام فى خلوتية الشام ونظم القلادة فى معرفة كيفية اجلاس المريد على السجادة والفتح النظر فى مآثر شيخنا عبدالغنى النابلسى.

وبلغت مؤلفاته مائتين واثنين وعشرين مؤلفا ما بين مجلد وكراسة وأقل وأكثر وكلها لها أسماء تخصها مذكورة فى أولها وله نظم كثير وقصائد جمة خارجات على الدووابن تبلغ اثنى عشر ألف بيت وقد افرد ترجمته بكتاب ولده الشيخ أبو الفتوح محمد كمال الدين البكرى سماه تلخيصات البكرية فى ترجمة خلاصة البكرية يبين فيه بعض مزاياه الجليلة وما كان عليه من الأحوال والأخلاق النبيلة وله من الخلفاءالذين توفى وهو راض عنهم كثير.

وقد ذكر ابنه فى ترجمة والده جميع الكتب التى الفها والوقائع والأحداث التى كانت فى عصره وتلاميذه ومريديه وشعره الذى ذكر منه المترجم الكثير مما يدل على سعة علم هذا العالم وثقته بنفسه فقال بيت من قصيدة له .

وهى تنبئ عن بعض أحواله وسعة أقواله وله غير ذلك من النظم والنثر ، وفى شهر ربيع الثانى سنة اثنين وستين ومائة وألف توعك بحمى مطبقة ودخل فى الفراش إلى أن توفى رضي الله عنه وهذا ما سنذكره فيما يأتى:

وفاته: كانت وفاته فى ليلة الاثنين ثامن عشر ربيع الثانى فتوفى بعد العشاء الأخيرة بفكر صاح وقلب غير لاه ودفن بعد أول منازعة فى ترية المجاورين وقبره مشهور يزار ويتبرك به ورثاه ولده السيد كمال الدين البكرى بقوله:

هذا مقام القطب مفرد وقته *** أصل الحقيقة فرعها الحد ثانى

هو مصطفى البكرى سبط محمد *** نجل الصديق الخلوتى الربانى

لازال يسقى ترية من صيب *** هطل يساق برحمة الرضوان

وبالجملة فقد كان المترجم رحمه الله تعالى من أعلم العلماء علما وعملاً وزهدا وورعا وولاية قدس الله سره ونور مرقده .

وهكذا توفى هذا العالم الجليل وقد رثاه شعراء عصره مما يدل على عظمته وقوته العلمية وهو من أعلام المدرسة النابلسية ورائد من روادها الذين تربوا تربية علمية على يد استاذهم الأول الشيخ عبدالغنى النابلسى والذى ذكر مـآثره هذا التلميذ وأفرد هذه المآثر بكتاب خاص عن النابلسى بين فيه ما للنابلسى من قدم راسخ فى العلم وتربية المريدين وما للمدرسة النابلسية من نفع خاص وعام ويعتبر هذا التلميذ أول من ألف عن عبدالغنى النابلسى كتابه المسمى الفتح الطرى الجنى فى بعض مآثر شيخنا الشيخ عبدالغنى النابلسى قدس الله سره وهكذا كان هذا العالم الجليل رائدا من رواد المدرسة النابلسية التى تربى فيها وتخرج منها العديد من العلماءبكتاب الله وسنته الراجين فضله ومنته نفع الله بهم الأمة الإسلامية إلى يوم الدين.

تلك المدرسـة التى ظلت طوال حـيـاة الإمـام النابلسى تنافح عن الدين الإسـلامى وخرجت الكثير من العلماء الذين تولوا قيادة وريادة هذه المدرسة بعد شيخنا النابلسى .

نماذج من مدرسة النابلسى

من ثمار المدرسة النابلسية حسين بن طعمة البيتمانى الذى تحدثنا عنه سابقاً وبينا نشأته وحياته ومؤلفاته نرى هذا العالم الذى تربى فى هذه المدرسة يقول فى مجال الرد على الناهين عن علم الحقيقة: أن علم الحقيقة له شأن عظيم وفضله جسيم ومأخذه كريم والمؤمن به حليم والمنكر له رجيم كيف وقد جاءت به الكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين من عند الله تعالى وسار عليه أهل المعرفة من أولياء الله تعالى.

هذا هو علم الحقيقة كما يراه البيتامنى وأنه أصله الكتاب ونطق به الأنبياء والرسل وشيخنا النابلسى أحد الأولياء الذين لهم قدم راسخ فى هذا العلم ولذا فهو قطب هذا الزمان وشمس الأوان له فى هذا المقام الباع الطويل فإنه رضي الله عنه بين الحق لأهل زمانه كتابة وقراءة ولم يكتم منه شيئا وملأ الكون من البيان لعلوم الشريعة والطريقة والحقيقة نظماً ونثـراً[1] هنا تحدث هذا التلميذ عن النابلسى فى مدرسته وزاد ذلك تفصيلا وبيانا فقال ولتفصيل الكلام تعليما لأصحاب العقول القاصرة دون أصحاب القلوب الباصرة. فنقول: (مراتب علوم الشريعة)

إن العلوم الشرعية على ثلاث مراتب: عقلية، وحالية، وذوقية.

فالعلوم العقلية وهى التى تدخل فى ميزان العقل وهى لأصحاب النظر تدرك بالدليل والبرهان ومحلها العقل والفكر ومأخذها من ظاهر النقل والاجتهاد وهى حظ أهل الظاهر من علماء الكلام: قال تعالى: ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾.

أما العلوم الحالية: وهى التى تدرك بالحال لأصحاب الوجد والغرام ومحلها القلب الذى هو موضع الإيمان بالغيب وهذه العلوم لا يصل إليها أحد بالدليل والبرهان وإنما بصفاء الباطن وحسن الخلق والافتقار إلى الله بالإخلاص حتى يكشف الحق تعالى عن قلوبهم ظلمة الغفلة بالنور الأقدس كما قال تعالى ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ فيدركون علومهم من اشارات الكتاب والسنة وهم أهل الصلاح من رجال الوجد والفلاح وهذان القسمان مقرران ومعروفان عند كل أحد من علماء الظاهر والباطن ولا أحد يجهلهما.

(١) ص ٥٠ من كتاب السهام الشريقة فى قلوب الناهين عن علوم الحقيقة مخطوط بدمشق للبيتمانى.

وأما العلوم الذوقية وهى علوم الأسرار والحقائق الربانية التى نحن بصددها فى هذه الترجمة وهى علوم نفث روح القدس فى الروع الطاهر فهى من وراء طور علوم العقل والنقل خص الله تعالى بها من يشاء من عباده ويجب على كل مسلم ومسلمة طلبها ولو طلبها بالهمة لينال منها نصيبا تكون به نجاته فى الآخرة وأدنى نصيب يناله الطالب، الإيمان بها على الغيب ليتطهر من نجاسات الشرك والدعوى مع الله تعالى وهو العلم النافع الذى أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بطلب الزيادة منه بقوله تعالى ﴿وقل ربى زدنى علما﴾ ولا علم أشرف من هذا العلم الجامع المحيط الحاوى لجميع المعلومات ولا يصل عمل المرء إلا بإصلاحه لأن علم الحقيقة أصل وأحكام الشريعة فرعه، وإذا كان الأصل طيبا كان فرعه طيبا فعلم الحقيقة طهارة القلوب بمراعاة المحبوب والعمل بالشريعة طهارة الأبدان بكل عمل مطلوب واتباع الطريقة يحسن الخلق بكل أمر مرغوب ولهذا كانت الشريعة بلا حقيقة عاطلة، والحقيقة بلا شريعة باطلة ، إذ أنه فى الحقيقة معرفة الحق تعالى ولا أشرف من معرفته سبحانه وهو العلم القدسى الذى ما خلق الله تعالى الإنس والجن إلا له كما قال تعالى ﴿ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما أى يعرفونى. قال رسول ﷺ : علم الباطن سر من أسرار الله وحكم من أحكام الله يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده[1] وعلى ذلك فالحكم الشرعى حق الحكمة الحقيقية حق ، وطريق أهل الله التجلى والمحبة، وذكرهم التطلع والالتفات إلى الوجود الحق وطريق أهل الظاهر الدليل والبرهان والاجتهاد والقياس وذكرهم تلاوة الإسم بالله مع الوقوف على الحدود وكلا الأمرين حق واحد فى نظر العارف، ولكن للحكم لسان، وللحكمة بيان والله سبحانه وتعالى المستعان وعليه الاعتماد فى بيان طريق السير للوصول إليه تعالى وعلوم الحقيقة جاءت عن الله كما ذكرنا فهل اصحابها تركوا حكما من أحكام الله تعالى.

أهل الحقيقة لا يخالفون الشريعة:

وكما كانت علوم الحقيقة قد جاءتنا عن الله تعالى وعن انبيائه ورسله، ونحن ما رأينا أحدا من أهل علم الطريقة والحقيقة ترك حكما من أحكام الله ولا ألغى علما شرعياً ولا

(١) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير.

وقف فى موطن من مواطن المخلفات الشرعية بل لازموا الأعمال الصالحة فى ظواهرهم والمراقبات الربانية فى بواطنهم وكانوا أحق بها وأهلها ولا عبرة بكلام طائفة من الزنادقة الذين ينسبون أنفسهم إلى علم الحقيقة ويتكلمون بكلمات غير لائقة فى الشريعة وينسبونها لعلماء الحقيقة، فانهم ليسوا بأهل الحقيقة ولا تلك الكلمات ذهب أهل الحقيقة ولا هى مرادهم وحاشا أحباب الله العارفون أن يكونوا لشريعة الله مخالفين ولم تزل تسرى هذه العلوم الإلهية فى القلوب إلى أن وصلت إلينا ولله الحمد فتلقيناها من سادات كرام جهابذة أئمة فى الدين وحفظناها عنهم بشرطها المعتبر عند أهلها على ما يرضى الله ورسوله والمؤمنون من غير زيف ولا خروج عن مذهب أهل السنة والجماعة.

هكذا تكون العلوم والمعارف وأهلها ناجون واصلون إلى الله عز وجل وصاحب هذه النماذج فى علوم الحقيقة يقول فى مجال خدمته لشيخه النابلسى . وهو الذى أخذ عنه هذه العلوم.

من أين أخذ البيتمانى علومه؟

نرى البيتمانى يقول قمت فى خدمة سيدى وبركتى وامامى فى طريق الحق العارف بالله تعالى المشهور بين الأنام الشيخ عبدالغنى بن الشيخ اسماعيل النابلسى. نزيل صالحية دمشق الشام قدس الله روحه ونور ضريحه أربع عشرة سنة استمد منه علوم الحقيقة حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى وحصل لى ببركته الخير الكثير وكان فتوحى فى طريق القوم على يده وأجازنى فى ذلك الاجازة العامة والخاصة مراراً وأذن لى بالتدريس فى طريق القوم فى حياته وأقرأت جماعة فى زمانه فى علوم الحقيقة وكان يدعو لى بالفتوح فى طريق القوم، ولشيخنا النابلسى مدرسة حرصت على نشر العلم بطرق متعددة والمهم أن شيخنا قطب هذا الزمان قدس الله روحه ونور ضريحه وكان من كبار الورثة المشار إليهم بالبنان فى تبليغ العلوم.

المدرسة تنشر العلم:

يرى البيتمانى أن مدرسة الشيخ النابلسى قامت بنشر العلم وان استاذها النابلسى يبلغ العلم عن الله ورسوله فيقول قد بلغ عن الله ورسوله فى ميراثه المحمدى جد التبليغ وأظهر الحق للخلق كالشمس فى وسط الظهيرة وأزال ظلمة الباطل عن وجه هذا الزمان

فبين الأحكام والحقائق وكشف الألتباس عن مشارب أهل الطريق وتكلم بحقائق الإسلام وبين ذلك للانام فآمن به غالب أهل زمانه وصالحوه على ذلك وصاروا من اخوانه وتبركوا بما هنالك وأنكر عليه أهل النفوس الضعيفة[1] ذلك العلم لجهلهم به وعدم تذوقهم لمعانيه السامية وهل علماء الحقيقة يجهلون علوم غيرهم. بل هم عالمون عارفون بذلك كله علماء الحقيقة يعرفون علوم غيرهم.

يقول البيتماني في مجال ذلك أن علماء الحقيقة إذا وجدتهم لايذكرون غير علمهم الذي هو علم الحقيقة ولا يبحثون في غيره ولا يتعرضون له بوجه مخالف فلا تظن أنهم جاهلون بغير علمهم وأنهم ينكرون شيئا منه أو انهم مستغنون عنه فتلك إسأت الأدب معهم. وذلك لأن علم الحقيقة أشرف العلوم وأفضلها لانتسابه في جميع أعماله واحواله وحدوده المشروعة وأحكامه المرتبة على العبيد أمرا ونهيا ومقاصده ومباحثه ومعارفه إلى الله تعالى وحده لا شريك له كما قال تعالى ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء قدير﴾ هكذا كان علماء الحقيقة دائما أصحاب آداب وفضائل يعملون بما في كتاب الله وسنة رسوله ولا يطعنون على أحد إلا من خرج على تعاليم الشرع الحكيم وانني سوف اذكر حاصل ذلك فأقول:

حاصل الأمر:

وحاصل الأمر أن طريق أهل الله هو دين الله تعالى الذي تدينت به الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ومن تبعهم في خواص أممهم وهو الإسلام في تمام الإحسان وهو الدين القيم والملة الحنفية، وهو الذ يبقى مع العبد في الآخرة وان علمهم هو علم اليقين الذي هو معرفة العبد بربه من حيث مقام الربوبية وهو علم الله تعالى الذي علمهم من لدن التقوى إذ المؤمن ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله ويسمع بسمع الله لأن الأبصار والأسماع والأفئدة بيده تعالى فيرى من يشاء ويسمع من يشاء وينطق من يشاء فإذا تنورباطن العبد بنورالتقوى وانجلى من ظلمة طبعه باتباع الكتاب والسنة وامن بالغيب واسلم وجهه لله تعالى ارتقى عند ذلك من درجات الكمال إلى عالم الروح فتشرق أنوار الهداية على قلبه فيصل حينئذ إلى حد الإيمان وهو التحقق والاذعان بالكشف والعيان لا

(١) ص ١٧٨ من كتاب السهام الرشيقة في قلوب الناهين عن علم الحقيقة مخطوط بدمشق للبيتماني.

بالدليل والبرهان كما ورد أن من أحب لقاء الله أحب الله تعالى لقاءه وكل من ارتجى كرمه تعالى فهو محبوب له والمقصود من العلوم معرفة الله عز وجل هذه مدرسة النابلسى .

وهذه نماذج من علوم الحقيقة رددها الذين ظلوا بعد الإمام النابلسى ينظرون العلم ويربون التلاميذ والاتباع مستمدين ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الذى كان استاذهم الشيخ عبدالغنى النابلسى يربيهم عليها ويغرس فيهم الفهم الصحيح لمعانى الطريق وعلم الحقيقة خالية من الزيف والضلال. مبينا ما كان عليه التصوف وعلومه فى الدولة العثمانية وانتشار الطرق اذ بلغت الحركة الصوفية قمتها فى اسيا الشرقية مع نشأة الدولة العثمانية فى القرن الحادى عشر الميلادى أنه لا يبدوا أن كل قرية أو حى تجارى فى المدن الشامية كان على صلة بطريق من الطرق الصوفية حتى أن اعلاميته كان لها أتباع فى رجال الدولة وهو أن الطريق الأوحد الذى يمكن للعلماء بواسطته ان يقيموا توازنا بين الشريعة والتصوف هو أن يصلوا التصوف من الداخل ومن ثم فقد أدى بهم هذا إلى احياء ونشر الطرق الصحيحة مثل النقشبندية التى تأسست فى آسيا الوسطى فى القرن الرابع عشر الميلادى وأصبح لها دعاة من الهنود ومن أجل ذلك تم المزج بين الشريعة والتصوف ولم يكن يمر دون ان يطبع بصماته الواضحة على الفكر الدينى بصورته التقليدية. اذ حل القرن الثامن عشر الميلادى بادرت جماعات من المفكرين النابهين إلى ارساء أسس علم الكلام بطريقة تختلف كثيراً عن المتون التقليدية وذلك باعطاء قدر كبير من الأهمية والتأكيد على العناصر النفسية والأخلاقية فى الدين. وان بين المسمع اللامع فى هذه الحركة التى لم تقابل بعد بالاهتمام الكافى الذى تستمده. ذلك العظمة المشهور. عبدالغنى النابلسى[1] فى الفترة من ١٦٤١ إلى ١٧٣١ ميلادية هكذا كانت مدرسة النابلسى رائد وعلما من أعلام الفكر الحديث فى عصره ونحن تركنا تلاميذه يتحدثون عنه ورأينا بما حكموا عليه بسعة الأفق وغزارة العلم. وكذا الذين كتبوا عنه يرون أنه صاحب مدرسة علمية لاتضارع.

(١) ص ١٧٢ المذهب المحمدى لمؤلفة جب ترجمة للغة الأنجليزية.



خاتمة
نتائج واقتراحات

سأتحدث فى هذه الخاتمة عن النتائج التى وصلت إليها وعن الاقتراحات التى أوصى بتنفيذها:

أما النتائج فأهمها مايأتى:

ظهر مما تقدم أن الحياة السياسية التى أحاطت بالبلاد الشامية خلال فترة حكم الدولة العثمانية التى أهملت العلم والعلماء ومن ذلك تعثرت الحياة العلمية فى بلاد الشام ونتج عن ذلك فوضى فى البلاد واختلافات كثيرة هذه الحالة جعلت العلماء يتحركون ويدركون مدى خطورة الموقف وخاصة التعدى عليهم وسلب أموال الشعب وانتهاك الحرمات وانحلال الاخلاق وغير ذلك من الأمور التى حدثت فى دمشق فى هذه الفترة وكان لابد للعلماء من التصدى للحكام والوقوف ضدهم ومساندة الشعب والنهوض بالعلم مهما كانت الظروف وبرز كثير من الشخصيات العلمية العامة فى هذا المضمار ولكن كان أبرز هذه الشخصيات وأهمها الشيخ عبد الغنى النابلسى الذى مثل النهضة فى بلاد الشام وكان الرائد لها كما ذكر ذلك الدكتور جمال الدين فى هذا الشأن حيث قال إن خير من يمثل النهضة فى الشام هو الشيخ عبد الغنى النابلسى وعلى ذلك فلابد من ابراز أهم خصائص هذا العالم.

أولا – أن الشيخ النابلسى ولد فى سنة ١١٥٠ هجرية وتوفى سنة ١١٤٣ هجرية خلافا لما ذكره الدكتور أبو العلا عفيفى فى تاريخ وفاته من أنه توفى فى سنة ١١٤٤ هجرية وهذا التاريخ غير حقيقى لأنى بحثت عن مصدره فلم أعثر له على مصدر يسنده ويؤيده وكل المراجع التى تحدثت عن النابلسى ذكرت أنه توفى فى عام ١١٤٣ هجرية كما ذكرنا آنفا.

ثانيا - أن الشيخ عبد الغنى النابلسى كان خلال القرن الذى عاش فيه زعيم الحياتين الدينية والأدبية فى بلاد الشام دون منازع فقد كان متعدد الثقافة غزير الانتاج ألف فى موضوعات كثيرة متعددة.

ثالثا - شغف الأمام النابلسى منذ صباه بالتصوف وراقته حياة الزهد والعبادة فاتصل بشيخ الطريقتين القادرية والنقشبندية وسار على نهج الكتاب والسنة ولم ينصرف فى شبابه إلى ماكان ينصرف إليه أنداده من حياة اللهو والمتعة وإنما أخذ لنفسه خلوة فى منزله ولزم هذه الخلوة سبع سنوات اولا.

رابعا - عكف النابلسى على دراسة مؤلفات ثلاثة من كبار المتصوفة الذين مزجوا الفلسفة بالتصوف وهم محى الدين بن عربى وأبن سبعين وعفيف الدين التلمسانى.

خامسا - كان عبد الغنى النابلسى أديبا مرهف الحس وشاعرا ـــ ولهذا كان شعره فى معظم الأحوال وسيلته للتعبير عن نفسه وعن احاسيسه الدينة والصوفية وقد بدأ فى شبابه فنظم قصيدة طويلة فى مدح الرسول اسماها البديات وهى أول نتاجه الفكرى.

سادسا - كان النابلسى محبا للرحلة وله رحلات كثيرة زار فيها معظم أجزاء العالم الإسلامى وفى رحلاته كان دائم الصلة بالعلماء والمتصوفة يأخذ عنهم ويأخذون عنه وقد ألف النابلسى كتبا كثيرة فى وصف هذه الرحلات.

سابعا - اتصل النابلسى بأعلام الفكر والأدب والتصوف الذين عاصروه واستفاد منهم واستفادوا منه ويعتبر الشيخ النابلسى بحق شيخ مشايخ الشام فى عهده وقد وصفه تلميذة المرادى فى ترجمته بأنه أعظم من ترجم له علما وولاية وزهدا وشهرة ودراية والمرادى صادق فى وصفه فقد تتلمذ على النابلسى كل علماء عصره فما منهم إلا واخذ عنه أو حضر دروسه أو قرأ عليه أو كان من مريديه.

ثامنا - قضى الشيخ النابلسى حياته كلها إماما متعبدا أو مدرسا أو مؤلفا ولهذا كثرت مؤلفاته وهذه تدل على أن النابلسى كان موسوع الثقافة كثير الانتاج العلمى والفكرى.

تاسعا - يعد النابلسى من أقطاب شعراء الصوفية وإن كان لايستطيع اللحاق بأبن الفارض وهو فى أغراضه أوضح من أبن عربى وهو أقرب منه إلى البيئات الشعبية وهو لايخرج فى شعره عن دائرة التصوف إلا قليلا.

عاشرا - الشيخ عبد الغنى النابلسى الذى داوم الاطلاع على كتب الإمام محى الدين نراه يفسر نظرية وحدة الوجود تفسيراً يخرج به الإمام محى الدين عن القول بوحدة الوجود صراحة وكما يرد على الذين طعنوا على الشيخ الاكبر ويقول أن هؤلاء لم يفهموا المراد من كلام الشيخ وأن كل قول يخالف النصوص القرآنية فهو مردود وأورد العديد من الآدلة على هذا التفسير وخاصة: جعله الفرق بين الوجود والموجود أساسا لهذا التفسير وهو العمدة عنده وإن كان النابلسى ندب نفسه للدفاع عن القائلين بوحدة الوجود فنرى أن الإمام الشعرانى سبقه إلى ذلك ونفى عن الشيخ محى الدين بن عربى القول بوحدة الوجود لقد حدثنا الشعرانى فى مقدمة كتابه اليواقيت والجواهر أن أفاقا من أهل اليمن غير واضح العقيدة اسمه أبن الخياط كتب مسائل فى درج وأرسلها إلى العلماء فى سائر انحاء العالم الإسلامى وقال هذه عقائد الشيخ محى الدين وكتب فيها عقائد ذائفه ومسائل فارقة لاجماع المسلمين وخداع العلماء ووقع كثير منهم فى الشرك فكتبوا بحسب السؤال وشنعوا على من يعتقدون غير تثبت بالشيخ عن ذلك بمعزل ، وأكثر من ذلك بأنه أنبأنا بأنه عندما اخذ فى تأليف مختصر لكتاب الفتوحات رأى فيه أشياء كثيرة لاتتفق مع ماعليه أهل السنة والجماعة فحذفها وتوقف فيها ثم لم أزل كذلك أظن أن المواضيع التى حذفتها ثابته عن الشيخ محى الدين حتى قدم علينا الأخ العالم الشريف الشيخ شمس الدين محمد بن السيد أبو الطيب المدنى المتوفى سنة ٩٥٥هجرية فذاكرته فى ذلك فأخرج لى نسخة من الفتوحات التى قابلها على النسخة التى عليها خط الشيخ محى الدين نفسه (قونية) فلم أر فيها شيئا مما توقفت فيه وحذفته فعلمت أن النسخ التى بمصر الأن كلها كتبت على النسخة التى دسوا على الشيخ فيها ما يخالف عقائد أهل السنة والجماعة كما وقع له ذلك فى كتاب الفصوص وغيره هذه الرواية التى سقناها للشعرانى والشعرانى فى قمة النزاهة والعدل وحب الحقيقة ومن الذين يرون أن الأمام محى الدين مدسوس عليه القول بوحدة الوجود الدكتور محمد غلاب يقول يزعم فريق من المستشرقين أن الإمام محى الدين كان من القائلين بوحدة الوجود وقد تبع هذا الرأى الخاطئ عدد من كتابنا المحدثين الذين عرضوا للجانب الصوفى عامة أوتناولوا هذا الإمام الجليل خاصة بل نحن فى طليعة حياتنا العلمية قد اعتقدنا صحة هذا الزعم لأننا لم نكن بعد قد رأينا تلك النصوص الناصعة القاطعة التى ذكرها إبن عربى فى كتبه مرات كثيرة ولذلك نحن لانتردد هنا بل

نجزم جزما لاسبيل إلى الشك فيه لأن هذا الرأى زائف بعيدا عن الحقيقة بعد العدم عن الوجود سواء أكان صادرا على الجهل والسطحية أم عن سوء النية المبيت كما ألفنا أن نلتقى بالنوعين كثيرا فى كتب المستشرقين غير أنه يجب علينا وضعا للحق فى نصابه أن نقرر هنا أن عددا من القدماء الذين لاأخلاق لهم ولانزاهة عندهم قد دسوا على هذا الإمام مالم يقله بل لم يدر له بخلد مدفوعين بالاحقاد الخاصة أوالتعصب الأعمى ثم ذكر الدكتور غلاب نصا عن الشيخ محى الدين قال (أعلم أن الله تعالى واحد باجماع وقيام الواحد يتنافى عن أن يحل فيه شيء أو يحل هو فى شيء أويتحد بشيء وقال فى باب الأسرار مايأتى: لايجوز لعارف أن يقول: أنا الله ولو بلغ أقصى دراجات القرب، وحاشا العارف من هذا حاشاه[1].

هذا ماذكره الشعرانى والدكتور غلاب فى نفى وحدة الوجود والحلول والاتحاد عن الإمام محى الدين وشيخنا النابلسى عندما فسر وحدة الوجود بل ودافع عنها ورد على القائلين بأن المتصوفة أطلقوا وحدة الوجود بين الخالق والمخلوق لم يرتض النابلسى هذا القول بل فند ذلك وفسر وحدة الوجود وبين المراد منها وقرر أن كل قول يخالف الكتاب والسنة فصاحبه زنديق بل ملحد فى الدين.

الحادى عشر - يرى شيخنا النابلسى نفى الحلول والاتحاد ويرد على الذين قالوا بنظرية الحلول والاتحاد وينزه الخالق جل وعلا عن أن يحل بشيء أو يتحد بشيء كما يفند أقوال القائلين ويرد على طعن الطاعنين وان المتصوفة الحقيقيين: لايخرجون عن الكتاب والسنة قيد انملة. وإن ماخطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

الثانى عشر - هذا ولاينسى القارىء ان أهمية النابلسى ترجع إلى ما أثر عنه فى عصره من الدعوة إلى الوحدة الايمانية والرجوع إلى العقيدة الصحيحة والتمسك بالكتاب والسنة المطهرة. وردع المخالفين للدين الخارجين على تعاليم الشرع الحكيم والوقوف أمام الحكام الغير مبالين المنتهكين لحدود الشرع القويم.

الثالث عشر - ويجب أن ننبه القارئ إلى أن هناك ثروة أدبية وفلسفية أثارها التصوف الذى انتشر فى عصر الإمام النابلسى الذى كانت تشجعه الدولة العثمانية ولكن النابلسى وقف أمام تيار الدروشة والشعوذة والامور الخارجة عن حد الشرع ودعا إلى

(١) ص ٣٥٦ من كتاب المعرفة عند مفكرى المسلمين للدكتور محمد غلاب.

مافيه سبيل نصرة الحق والرجوع بالعقيدة إلى مشربها الاصلى وهذا كله شاهد على تأثيره فى الاتباع والمريدين.

الرابع عشر - الشيخ النابلسى قضى أيام حياته بين المحابر والدفاتر والاقلام مفتشا على المسائل الغامضة فيستخرجها ويجلوها للقراء وأن أثار قلمه العديدة تنبىء عن زكائه وجلده وسهره الليالى واستمراره على التحبير والتصنيف فى شتى المواضع حتى ذهب فى سبيل ذلك إلى كل حسن، وقد رب كثيرون من أهل عصره فى المحاربة فى مضمار الدين والاجتهاد توصلا إلى شهرته الواسعة فباءوا بالفشل وأنى لهم أن يدركوا شوطه والشاعر يقول:

ومن طلب العلى من غير كد *** سيدركها اذا شاب الغراب

الخامس عشر - ويجب الاشارة هنا إلى قضية هامة من قضايا الفكر المعاصر تحدث عنها الدكتور ابو العلا عفيفى عند التعرض لايمان فرعون وقبول توبته عندما حقق كتاب فصوص الحكم للشيخ الأكبر محى الدين بن عربى، وهذه القضية إنه نسب القول صراحة فى إيمان فروعون إلى الإمام محى الدين وأستند فى ذلك إلى كلام من الشيخ النابلسى والشيخ القيشانى قد شرح كل منهما كتاب فصوص الحكم. للشيخ محى الدين بن عربى. ودافع عنه فى عدة قضايا هامة فى التصوف مثل وحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها والحق أن الدكتور أبو العلا عفيفى قد جانبه الصواب حين نسب القول بإيمان فروعون إلى هذا العالم وتأييد النابلسى والقيشانى له وعدم التحقق من الرأى الصواب فى ذلك حيث أن الشيخ عبد الغنى النابلسى عندما تحدث عن توبة إلياس وتعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا أمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرين﴾ وقال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ وقد أجمع العلماء على أن الإيمان فى وقت مشاهدة اليأس والكذاب غير مقبول من أحد بمقتضى هذه الآية ولم يستثن الله تعالى من ذلك إلا قوم يونس قال تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾[1] وشيخنا النابلسى له فى ذلك كلام كثير واننى سوف أذكر حاصل

(١)

هذا الرأى فأقول: يرى شيخنا النابلسى. ان الذهاب إلى قبول توبة فرعون وعدم قبولها أمر لايترتب عليه طعن فى جناب الربوبية ولافى جناب الانبياء، عليهم السلام. ولايلزم من ذلك نقص فى ملك الله تعالى. وحقيقة هذا الامر من المغيبات ونحن مع النصوص ننصت إلى ما تنطق به فنحدث به كشفا عن معانيها بنور الإيمان والالهام فليترك كل وأحد وما يذهب إليه من ذلك حيث لانور واضح يقطع الاحتمال والله الاعلم بحقائق الأحوال. والحكمة فى عدم قبول الإيمان فى وقت مشاهدة العذاب لان ذلك وقت انغلاق باب التوبة بالموت فلا يبقى للتوبة باب تدخل منه إلى حضرة الله تعالى عند خروجها من هذا التائب. فإن كل كافر لابد أن يتوب من كفره عند موته، ولكن يصادف باب التوبة مغلوقا فلا يفتح له كما قال تعالى: ﴿لاتفتح لهم ابواب السماء﴾ وقال تعالى: ﴿يوم لاينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل. وإن الإنسان فى مدة حياته فى ليل فإذا مات طلع نهاره. ولهذا قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع.. الخ[1] هذا وقد ايده فى ذلك الشيخ محمد رشيد رضا وسار على منواله وتفسيره هذه الآيات التى ذكرها شيخنا النابلسى فى عدم قبول توبة فرعون. وقال إن الإيمان لاينفع عند وقوع عذاب الاستئصال الذى هو نهاية أجل القوم كما أنه لاينفع عند موت الشخص الخ.. إلى أن قال ومن البديهى أن التوبة من الكفر والمعصية إنما تنفع بالرجوع إلى الساعة على أن اليأس من الشىء بالفعل لايقل أن يكون صادقا فى ادعائه الإيمان أو طلب له بالقول ولعله أراد بقوله حينئذ أنه من جماعة المسلمين أى أنه موطن نفسه على أن يكون منهم إنجاه الله تعالى وإنه كان يرجو بهذا إن ينجيه الله تعالى. كما نجا قوم موسى وقومه من نازلة من عذاب الله[2].

هذه قضية واحدة من عدة قضايا تمس الفكر المعاصر ليس مجال الحديث عنها فى هذا البحث ويكفى ما أشرت إليه. وكيف أن النابلسى لايقول بإيمان فرعون وقبول توبته عن ذلك لاينفعه وسار مع التفاسير القرآنية وأن الشيخ محمد وحيد رضا جاء رأيه مثل ما قال النابلسى عجبا كيف يفوت الدكتور أبو العلا مثل هذا وينسب القول فيها إلى هؤلاء العلماء .

(١) ص ٨٢ من كتاب الفتح الربانى والفيض الرحمانى للنابلسى مطبوع ببيروت سنة ١٩٦٠ .

(٢) ص ٤٧٦ جـ١١ من كتاب تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا طبع سنة ١٣٥٣هـ وبمكتبة الأزهر رقم ١٢٧ .

السادس عشر - هذه شخصية النابلسى كان لها شأن فى أواخر القرن الحادى عشر وصدر القرن الثانى عشر من الهجرة النبوية الشريفة. كان لها شأن يوم كان التصوف يجلب لاصحابه ألوف الالوف من المريدين والاتباع، فكان عبد الغنى النابلسى مشغل الناس فى مصر والشام والحجاز والعراق. وهو موصول العهد بأسرة البكرى فى القاهرة فكان حين يزور مصر ينزل بأولئك الاشراف.

السابع عشر - واننا لنتمثل النابلسى شيخنا جليلا رزينا فى حديثه مطرحا المهازلة والمفاكهة. مستعينا من منادمة الناس بمسامرة كتبه وأوراقه فى كسر بيته الى أن طاب له العيش فيه ولم يفارق فى أواخر حياته معيدا النظر فى كل ما صنفه فى أسفاره، منقطعا إلى خدمة ربه شديد الحفاظ على عقائد دينه مستمتعا بصرير قلمه.

ويحتمل ان النابلسى كان ضنينا بالزمن ويشق عليه ان يذهب سدى فعزم ما صاحبة قلمه ومحبرته واستلتب النظم والنثر وجال ميدانها جولات موفقة. وإن يكن قد كبا به جواد يراعه أحيانا. ولكن لكل فارس كبوات ولكل عالم هفوات ومر قلمه على الحروف فى مباحث متنوعة فأعرب النفوس وخلف من نفائس مأثر مايشهد له بسعة الأطلاع وعمق التفكير والاختيار وحرصه الشديد على العلم والعلماء والمريدين. والاتباع.

الثامن عشر - يجب الإشارة هنا إلى الاسئلة التى تراود كثيرا من الناس عن التصوف والمتصوف والاسئلة هى كما يلى:

١ - تحول التصوف من فترة عملية تطبيقية للإسلام إلى مصطلحات غامضة وأفكار مبهمة وعقائد دخيلة على الإسلام.

٢ - تحول المتصوف إلى العزلة والانطواء والبعد عن الحياة العامة مع أنهم كانوا فى الماضى يتخذون العزلة القليلة زادا لمواجهة الحياة واعبائها.

٣ - عدم تمسكهم بالنصوص واعتقادهم أن الكتب المؤلفة فى الإسلام إنما هى قشور وأما اللب فهو ما يقوله الشيخ المتصدر للطريقة لأنه بزعمهم يأخذ العلم مباشرة عن الله ورسوله.

٤ - وكان من نتيجة ذلك أن رجحوا الألهام على الشرع فى كثير من الأمور مثل الذكر غير المشروع والرقص والاستعانة بغير الله.

٥ - ربط التلميذ بالاستاذ ربطا عقائديا بحيث لايستطيع التلميذ أن يكون بين يدى شيخه إلا كالميت بين يدى المغسل. ومعنى ذلك أنهم أهملوا القوة المفكرة فى التلميذ بحيث يبقى امعة لايرجى منه أى تفتح فكرى.

٦ - تفسيرهم للتوكل تفسيرا لايلائم روح الإسلام ونصوصه فتراهم يعتقدون أن بالإشارة يأتيه رزقه ولم يعمل وينتصر على اعدائه ولو لم يعد العدة وبذلك أصبح أكثر المتصوفة فى العالم الإسلامى عاطلين عن العمل وبما انهم ينظرون المال من أجل العيش فقد التمسوه من طريق غير صحيحة كالشعوذه والجلوس إلى كثير من المقامات التى صنعت للعلماء والصالحين يتسولون بحجة انهم ينفعون أويضرون.

٧ - اعتقادهم فى الاشخاص الذين يقولون عنهم انهم أولياء بحيث أنهم يزعمون أن العالم كله يسير وتنتظم شئونه بهم فهم الذين يحركون ويسكنون وينصرون ويخزلون ...الخ.

٨ - وبما أن الربط كان قائما بين هؤلاء المتصوفة فقد استطاع الاستعمار أن يستغل كثيرا منهم وخاصة فى أفريقيا وفى الهند وفى غيرها مثل الطريقة التيجانية التى أهدرت كثيرا من تعاليم الإسلام وعلى رأسها الجهاد مما جعل الاستعمار يبقى فترة أطول.

هذه الأمثلة التى تدور فى اذهان غالبية الناس وخاصة العلماء فى دمشق قد سألونى هذه الأسئلة وكتبوها وطلبوا منى الاجابة عليها باعتبار أنى اكتب عن شخصية عالمية متصوفة مشهورة وتتمثل الاجابة عن هذه الأسئلة كلها بأن المتصوف الحقيقى الذى يسير على نهج الكتاب والسنة المحمدية وأن الذى يحيد عن ذلك لايسمى متصوفا ولايطلق عليه اسم الصوفية وشيخنا النابلسى من القائلين بأن أى خروج عن تعاليم الدين يخرج من دائرة الإيمان الصحيح وأن دعوى أن الصوفية كانت من أسباب بقاء الاستعمار فى افريقيا أوغيرها دعوى غير صادقة اذ غالبية المتصوفة الحقيقيين قاوموا الاستعمار بشتى ألوانه بفكرهم وبعلمهم وبأشتراكهم فى الحروب داخل صفوف الجيش.

هذه شخصية النابلسى التى تناولتها بالبحث وأنى أؤكد أن النابلسى شخصية يجب دراستها دراسة متنوعة ومتعددة وكذلك لأنه متعدد الثقافة وهو يمثل النهضة الحديثة فى عصره أثناء الحكم العثمانى ومن كان كذلك فعلى طلاب الحقيقة والدارسين أن يوجهوا

قبلتهم نحو النابلسى كى يضيفوا إلى المكتبة الإسلامية تراثا علميا جديرا بالدراسة وتفيد العالم الإسلامى ويكشف عن حقيقة هذا العالم الذى يعتبر الرائد الأول فى عصره فى العالم الإسلامى كله.

التاسع عشر:

حاول النابلسى تنقية التصوف مما شابه من أقوال وأفعال خاصة فى العصر العثمانى الذى شجع التصوف والمتصوفه وكثرت الدروشة والطرق المتعددة ولكن النابلسى رسم الطريق الصحيح للصوفى وإن أى خروج على الدين لايسمى صاحبة متصوفا عاب على الذين يقولون بسقوط التكليف والتفرقة بين الحقيقة والشريعة وتحكيم الذوق وحده وفى التعبير بما لم يشرع الله وحدد مبادئ الصوفية ورأى تخليص الإنسان من الماديات وتزهيده فى الدنيا وترغيبه فى الآخرة.

هذا واخيرا فلى أقتراحان أوصى بتنفيذها .. أحدهما القيام بدارسة الإمام النابلسى واخراجها اخراجا لاتكرار فيه فإن الملاحظ على بعض مؤلفاته التكرار فى المسائل وتناول الموضوع فى غير كتاب فمثلا وحدة الوجود والحقيقة والطريقة ومسائل الفقه عموما فى عدة من كتبه مثل الوجود الحق والشهود الصدق، الوجود ومرآة الشهود، وإيضاح المعبود من وحدة الوجود وشرح مقدمة إبن العماد وغيرها فاذا اخرجت مؤلفاته الاخراج الصحيح سهل على الدارس تناولها.

الاقتراح الثانى

تشجيع الباحثين على هذا اللون من الدراسة واحياء آثار هؤلاء الرواد الاحرار من المفكرين من أمثال شيخنا النابلسى وغيره فإذا تم هذا انتفع الدارسون بآثارهم ووقفوا على ثروة ثرية فى العقائد والفقه واللغة والأدب والاخلاق قد تراكم عليها غبار السنين دون أن تنال ما تستحق من الدراسة والتقدير وإلى جانب هذا فهذا واجب تحتمه المررئة والوفاء لهؤلاء الذين لم يألوا جهدا فى سبيل احياء العلوم والمعارف كل فى دائرة تخصصه.

وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

القاهرة فى ١٣٩٣ هجرية

١٩٧٤ ميلادية.

أهم مراجع البحث

اسم الكتاب	اسم المؤلف	ملاحظات
حرف ألف		
١ - القرآن الكريم		
٢ - الأحاديث النبوية		
٣ - أبو الحسن الشاذلى	عبد الحليم محمود	مطابع مصر سنة ١٩٦٧ لجنة البيان العربى
٤ - الابتهاج بمناسك الحج	النابلسى	خط بدمشق رقم ٥٣١٦ مجموعة المكتبة الظاهرية
٥ - الاحاديث المنثورة والاخبار المأثورة	النابلسى	خط بدمشق رقم ١٩٢١ مجموعة المكتبة الظاهرية
٦ - أحياء علوم الدين	للغزالى	مطابع لجنة نشر الثقافة الإسلامية بمصر سنة ١٣٥٦هـ
٧ - أدب المريد	النابلسى	خط بدمشق رقم ١٩٢١ ضمن مجموعة سنة ١٣٥٦هـ
٨ - ارسلان الدمشقى	تحقيق عزه حصرية	طبع بمطبعة العلم بدمشق سنة ١٣٨٥هـ
٩ - إزاله الخفا عن حلية المصطفى	النابلسى	خط بدمشق ٥٢٩٦ تصوف مكتبة الظاهرية
١٠ - اشراق المعالم فى احكام المظالم	النابلسى	خط بدمشق ٥٣١٦ مجموعة مكتبة الظاهرية
١١ - الاعلام	د. محمود مصافى	مطبعة الأزهر بالقاهرة
١٢ - اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء	محمد راغب الطباخ	مطبعة بيروت لبنان

١٣ – اعلام الموقعين عن رب العالمين	ابن قيم الجوزى	مطبعة التردى بمصر ١٢٩٢هـ
١٤ – الاقتصاد فى الاعتقاد	للغزالى	مطبعة صبيح بالقاهرة سنة ١٣٨٢هـ
١٥ – الإمام القشيرى	د. ابراهيم بسيونى	مطبوعات مجمع البحوث سنة ١٣٩٢هـ
١٦ – الأنس الوافر فيمن قال أنا مؤمن فهو كافر	النابلسى	خط بدمشق دون رقم
١٧ – الأنوار الالهية فى شرح المقدمه السنوسية	النابلسى	خط بدمشق ١١٠٢٦ توحيد المكتبة الظاهرية
١٨ – أنوار السلوك فى أسرار الملوك	النابلسى	خط بدمشق ٩٩ تصوف المكتبة الظاهرية
١٩ – أهل الحق العارفون بالله	محمد الحافظ التيجانى	دار الطباعة الحديثة مصر سنة ١٣٨٢هـ
٢٠ – أوراد الأمام النابلسى	النابلسى	خط بدمشق ٦٤٠١ أوراد المكتبة الظاهرية
٢١ – ايضاح الدلالات فى جواز سماع الالآت	النابلسى	المطبعة الخلفية بدمشق سنة ١٣٠٢هـ
٢٢ – ايضاح المقصود عن معنى وحدة الوجود	النابلسى	مطبعة العلم بدمشق سنة ١٩٦٩ وبمكتبة الأزهر ٣٣٥٧٨ حلم تصوف
٢٣ – ايقاظ الهمم بشرح الحكم	أحمد بن عجيبة الحسين	مطبعة الحلبى سنة ١٩٦١م

(حرف الباء)

٢٤ – بداية المريد ونهاية السعيد	النابلسى	مكتبة الأزهر تحت رقم ٤٨٤٥٩ حليم.

الكتاب	المؤلف	الطبعة
٢٥ – بسط مدد التوفيق فيما يتعلق باحكام الطريق	لبعض مشايخ الصوفى	مطبعة صبيح بدون تاريخ للطبع
٢٦ – بقية الله خير بعد الفناء فى السير	النابلسى	مكتبة الظاهرية بدمشق خط رقم ٦٠٦٩ ضمن مجموعة
٢٧ – بواطن القرآن ومواطن العرفان	النابلسى	المكتبة الظاهرية بدمشق خط رقم ٩٨٩٨ علوم قرآن
٢٨ – البيان والتبيين	للجاحظ	طبع بمصر مطبعة الاستقامه سنة ١٩٤٢م

(حرف التاء)

الكتاب	المؤلف	الطبعة
٢٩ – تاريخ آداب اللغة العربية	جورجى زيدان	مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١١م
٣٠ – تاريخ بغداد	أحمد بن الخطيب	مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣٩م
٣١ – تاريخ التصوف فى الإسلام	ترجمة صادق نشأت عن الفارسية	مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٧٠م
٣٢ – تاريخ سلاطين آل عثمان	عزت يوسف بك آصف	مطبعة العمومية بمصر
٣٣ – تاريخ الإسلام السياسى	د. حسن إبراهيم حسن	مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢م
٣٤ – تأييد الحقيقة العلية	للسيوطى تعليق عبد الله القمارى	المطبعة الاسلامية بمصر سنة ١٣٥٢هـ
٣٥ – التحرير الحاوى بشرح البضاوى	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٩٨٢٤ تفسير
٣٦ – تحفة ذوى العرفان فى مولد سيد ولد عدنان	النابلسى	مطبعة الفيحاء بدمشق سنة ١٣٣٢هـ

الكتاب	المؤلف	ملاحظات
٣٧ – التحفة النابلسية فى الرحمة الطرابلسية	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموعة ٢٢٣٠١
٣٨ – تحقيق الانتصار فى اتفاق الأشعرى والماتريدى على خلق الاختيار	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧٢٠٥ توحيد
٣٩ – تحقيق الذوق والرشف فى معنى المخالفة بين أهل الكشف	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٧٤٩٠ تصوف
٤٠ – التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق	المرحوم د. زكى مبارك	طبع مصر سنة ١٩٣٨م بكتبة الأزهر ١٤٦٦ تصوف
٤١ – التصوف بين الحق والخلق	محمد فهمى شفقه	طبع دمشق بمطبعة العلم ١٩٧٠م
٤٢ – التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى	د. توفيق الطويل	طبع بمصر مطبعة الاعتماد
٤٣ – التصوف فى الإسلام منابعه وأطواره	الشيخ صادف عرجون	طبع بمصر مطبعة الاتحاد العربى ١٣٨٩هـ
٤٤ – التصوف المقارن	د. محمد غلاب	مطبعة مصر
٤٥ – التعرف لمذهب أهل التصوف	أبو بكر الكلاباذانى	طبع بمصر دار الاتحاد العربى للطباعة
٤٦ – تعطير الأنام فى تعبير المنام	النابلسى	طبع بمصر سنة ١٣٤٧هـ
٤٧ – تلبيس ابليس	لابن الجوزى	مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٠هـ
٤٨ – تمهيد السنة فى تجريد السنة	النابلسى	خط بدمشق ٧١٤٢ حديث
٤٩ – التنبيه من النوم فى حكم مواجيد القوم	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ١٠٠ تصوف

٥٠ – تنبيه العقول على اعتقاد الصوفية التجسيم والحلول والاتحاد	ابراهيم الكورانى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق
٥١ – تنبة من يلهى على صحة الذكر	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق٩١٢١ مجموعة
٥٢ – توثيق الرتبة فى تحقيق الخطبة	النابلسى	مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٩١٢١ مجموعة
٥٣ – التوفيق الجلى بين الاشعرى والحنبلى	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٥٥٥٥ بدمشق

(حرف الجيم)

٥٤ – الجامع لأحكام القرآن	القرطبى	طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٨
٥٥ – الجامع الصغير	السيوطى	طبع مصر مكتبة الأزهر رقم ٩٦٦
٥٦ – جامع بيان العلم وفضله	ابن عمر القرطبى تحقيق عبد الرحمن عثمان	مطبعة العاصمة بمصر رقم ٨٩٣ بمكتبة الأزهر
٥٧ – الجواب العلى عن حال الولى	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤٠٠ تصوف
٥٨ – الجواب المقصود عن سؤال المعبود	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٩٠٦٩ مجموعة
٥٩ – الجود عن وحدة الوجود	للقشاش	خط تحت يدنا
٦٠ – جمع الأسرار فى منع الاشرار من الطعن فى الصوفية الاخيار	النابلسى	خط بدمشق رقم ٦٣٩٤ تصوف
٦١ – جواهر النصوص فى حل كلمات الفصوص	النابلسى	مطابع مصر مكتبة الأزهر رقم ٦٣٢ تصوف

(حــــرف الحــــاء)

٦٢ – الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية	النابلسى	مطابع مصر ١٨٦٢م
٦٣ – الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق	د. جمال الدين الشيال	مطابع مصر بدون تاريخ
٦٤ – الحضرة الانسية فى الرحلة القدسية	النابلسى	مطبعة الاخلاص بمصر سنة ١٨٦٢م
٦٥ – الحقيقة والمجازفى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز	النابلسى	خط دمشق ٥٤ تاريخ بالمكتبة الظاهرية
٦٦ – الحقيقة فى نظر الغزالى	د. سليما دنيا	مطبعة الحلبى
٦٧ – حلة الذهب الابريز فى الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٨٣٦٦ تاريخ

(حــــرف الخــــاء)

٦٨ – الخطط المسماه بالمواعظ والاعتبار	لنقريزى	مطبعة النيل بمصر
٦٩ – خطط الشام	محمد كردى على	المطبعة الحديثة بدمشق سنة ١٩٢٥م
٧٠ – خلاصة التحقيق فى بيان حكم التقليد والتلفيق	النابلسى	خط بدمشق رقم ٥٣١٦ ضمن مجموعة
٧١ – خمرة الحان ورنة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان	النابلسى	طبع دمشق سنة ١٩٦٩م
٧٢ – خمرة بابل وغناء البلابل	النابلسى	خط بدمشق ٦١١٧ أدب
٧٣ – خمسون مجلسا من مجالس الشام	النابلسى	خط بدمشق ٩١٢١ مجاميع

(حرف الدال)

٧٤ – دائرة المعارف العربية	البستانى	مطبعة الهلال بمصر رقم
٧٥ – دائرة المعارف الإسلامية	لمجموعة من المستشرقين	١٩٠٦ مكتبة الأزهر
٧٦ – دائرة المعارف فى القرن العشرين	محمد فريد وجدى	مطابع النهضة المصرية سنة ١٩٢٣
٧٧ – دراسات فى تاريخ الأدب الحديث	د. عبد الكريم وافق	١٩٦٧م طبع دمشق
٧٨ – الدعاء بأسماء الله الحسنى	النابلسى	خط بدمشق رقم ١٠٦٦١
٧٩ – دفع الاختلاف بين القاضى والكشاف	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدون رقم
٨٠ – ديوان الحقائق	النابلسى	طبع بولاق سنة ١٣٠٢هـ
٨١ – ديوان الدواوين	النابلسى	خط بدمشق رقم ٧٢١٠
٨٢ – ديوان خطب النابلسى	النابلسى	خط بدمشق رقم ٦٤٣٤

(حرف الذال)

٨٣ – ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الأحاديث	النابلسى	طبع جمعية النشر والتأليف الأزهرية سنة ١٣٥٢هـ

(حرف الراء)

٨٤ – رد التعنيف على المعنف	النابلسى	خط بدمشق رقم ٩١١٩ ملل
٨٥ – رد الجاهل إلى الصواب	النابلسى	خط بدمشق رقم ٦٠٩٩ توحيد
٨٦ – رد المتين على منتقصى العارف محى الدين	النابلسى	خط بدمشق رقم ٩٨٧٣ تصوف
٨٧ – رد المفترى على الطعن فى الششترى	النابلسى	خط بمكتبة الأزهر رقم ٤٥٧٨٩
٨٨ – رسائل ابن سبعين	تحقيق عبد الرحمن بدوى	دار الطباعة الحديثة بمصر ١٩٦٥م

٨٩ – رسالة تتعلق بالانسان هل هو هذا الهيكل المحسوس	النابلسى	خط بدمشق رقم ٥٧ مجموعة
٩٠ – رسالة التلطيف الباطنى والتكليف الظاهرى	النابلسى	خط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٧٢٠٥ تصوف
٩١ – رسالة غيث القبول	النابلسى	خط بدمشق ضمن مجموعة ٥٣١٦
٩٢ – رسالة فتح الانفلاق	النابلسى	خط بدمشق ضمن مجموعة ٥٣١٦
٩٣ – رسالة مفتاح الفتوح	النابلسى	خط بدمشق رقم ٦٠٤٧ توحيد
٩٤ – رسالة المسلك الجلى	النابلسى	مطبوع بمصر سنة ١٩٤٦م
٩٥ – رسالة المستفيد فى علم التجويد	النابلسى	خط بدمشق رقم ٤٩٣٣ توحيد
٩٦ – رسالة نفحة القبول فى مدح الرسول	النابلسى	خط بدمشق رقم ٩٤١٧ مدح
٩٧ – رسالة فى الانتصار لابن عربى	النابلسى	خط بدمشق رقم ١٠٠ مجموع
٩٨ – رسالة فى بيان عبارة وقعت فى حاشية المولى خسرو على البيضاوى	النابلسى	خط بدمشق رقم ٩٢١ تفسير
٩٩ – الرسالة القشيرية	النابلسى	مطابع صبيح القاهرة سنة ١٩٤٧م
١٠٠ – الرسالة القدسية	النابلسى	خط بدمشق رقم ٦٨٤٤ تاريخ
١٠١ – رشحات الاقلام فى شرح كفاية العلام	النابلسى	خط بدمشق رقم ٥٠٨٦ فقه
١٠٢ – رفع الريب عن حضره الغيب	النابلسى	خط بدمشق رقم ٦٩٥١ تصوف

١٠٣ - رواد النهضة الحديثة عبود مارون طبع بيروت بدون تاريخ
١٠٤ - رؤيا الانام فى بيان الاجازة فى المنام النابلسى خط بدمشق مجموع رقم ٩١١٩
١٠٥ - رائحة الجنة فى شرح اضاءة الدجنة النابلسى مطبعة الحلبى ومكتبة الأزهر ٥٠١٢ تصوف

(حرف الزاى)

١٠٦ - زبدة الفائدة فى الجواب من الابيات الواردة النابلسى خط بدمشق رقم ٦٥٤٨ أدب
١٠٧ - زهرة الحديقة فى ذكر رجال الطريقة النابلسى خط بدمشق رقم ٧١٩١ تصوف
١٠٨ - زيادة البسطة فى بيان علم نقطة النابلسى خط بدمشق مجموع ٩٩٠

(حرف السين)

١٠٩ - سلك الدور فى أعيان القرن الثانى عشر محمد خليل المرادى طبع مصر مكتبة الأزهر ١٠١٠ تاريخ
١١٠ - السهام الرشيقة فى قلوب الناهين عن علم الحقيقة للبيتمانى خط بدمشق ضمن مجموع ١٤٣٢
١١١ - سواقى السيارات إلى مراقى السموات النابلسى خط بدمشق ضمن مجموع ٩٣٢١
١١٢ - السيوف الحداد فى أعناق أهل الزندقة والالحاد مصطفى البكرى الصديق طبع بمطعبة العشماوى مصر سنة ١٣٥٠.

(حرف الشين)

١١٣ - الشمس على جناح طائر فى مقام الواقف السائر النابلسى خط بدمشق رقم ٥٧ تصوف مجموع
١١٤ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ابن العمار طبع القاهرة سنة ١٣٥١هـ تصوف

١١٥ - شرح التحفة المرسلة	النابلسي	خط بدمشق رقم ٦١٨٥
١١٦ - شرح ديباجات المثنوى	النابلسي	خط بدمشق رقم ٥٥٦٨ توحيد
١١٧ - شرح ديوان ابن الفارض	النابلسي	طبع بمصر وخط بدمشق ٥٥٦٩
١١٨ - شرح سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية	للتفتازاني	طبع القاهرة سنة ١٣٢١هـ
١١٩ - شرح الاشباه والنظائر	النابلسي	خط بدمشق رقم ٧٢١١ فقة
١٢٠ - شرح الطريقة النقشبندية	النابلسي	خط بدمشق رقم ٥٠٣٣ تصوف
١٢١ - شرح الاقليد الفريد في تجريد التوحيد	النابلسي	خط بدمشق رقم ٩٨٦٦ توحيد
١٢٢ - شرح نفحات الازهار على نغمات الاسحار في مدح النبي المختار	النابلسي	خط بدمشق رقم ٨٠٣٦ مديح
١٢٣ - شرح وحدة الوجود	النابلسي	خط بدمشق رقم ٢٩٢٩ تصوف
١٢٤ - شطحات الصوفية	عبد الرحمن بدوي	مطبعة لجنة التأليف والنشر سنة ١٩٤٩

(حرف الصاد)

١٢٥ - صحيح مسلم بشرح النووي	للإمام مسلم	الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧هـ
١٢٦ - صرف العنان إلى قراءة حفص عن سليمان	النابلسي	خط بدمشق ٦٠٤٠ قراءات ١٣٤٣هـ
١٢٧ - الصلح بين الاخوان في حكم ايام الدخان	النابلسي	مطبوع بمطبعة الهداية بدمشق مطبوع بدون تاريخ
١٢٨ - الصوفية في الإسلام	نيكلسون ترجمة نور الدين شريبة	مطبعة الخانجي عام ١٩٥٢

١٢٩ – الصوفية فى الهامهم   د. حسن المناوى   طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

(حرف الضاد)

١٣٠ – المعلقة البدرية فى شرح القصيدة المضرية   النابلسى   خط بدمشق رقم ٩٨٨٤ أدب

(حرف الطاء)

١٣١ – الظل المدود فى معنى وحدة الوجود   النابلسى   خط بمكتبة الازهر رقم

(حرف العين)

١٣٢ – العبير فى التعبير   النابلسى   خط بدمشق رقم ٦٣٧٩ أدب

١٣٣ – عجائب الاثار فى التراجم والاخبار   الجبرتى   طبع بمصر

١٣٤ – عذر الأئمة فى نصح الأمة   النابلسى   خط بدمشق ٦٩٧٩ تصوف

١٣٥ – عقود الجوهر فيمن لهم خمسون مصنفا فمائه فأكثر   جميل بك العظيم   طبع بيروت سنة ١٣٢٦ هجرية

١٣٦ – العقود اللؤلؤية فى طريق السادة الصوفية   النابلسى   مطبعة المقتبس دمشق سنة ١٣٢٩ هجرية

١٣٧ – علم الملاحة فى علم الفلاحه   النابلسى   طبع دمشق سنة ١٢٩١ هجرية

١٣٨ – عنوان الآيات فى أوائل الايات   النابلسى   خط بدمشق رقم ٤٢٦٧ علوم قرآن

١٣٩ – عوارف المعارف   للسهروردى   بمكتبة الأزهر رقم ٥٦٦١٣

(حرف الغين)

١٤٠ – الغيث المنبجس فى حكم المصبوغ بالنجس   النابلسى   خط بدمشق ضمن مجموع ٥٣١٦

(حرف الفاء)

العنوان	المؤلف	المصدر
١٤١ – الفتح الربانى بالفيض الرحمانى	النابلسى	خط بدمشق رقم ٧١٤١ تصوف
١٤٢ – الفتح الثرى فى الشيخ عبد الغنى	مصطفى البكرى	خط بدار الكتب المصرية رقم ١٩٨٢ مجاميع
١٤٣ – الفتح المكى واللمح الملكى	النابلسى	خط بدمشق مجموع ٧٤٧٩
١٤٤ – الفتوحات المدنية	النابلسى	خط بدمشق مجموع ٧٤٧٩
١٤٥ – الفتوحات المكية	لابن عربى	طبع دار المعارف بمصر
١٤٦ – الفرق بين الفرق	البغدادى	طبع دار الكتب المصرية الكبرى
١٤٧ – الفصل فى الملل والاهواء والنحل	ابن حزم	مطبعة المطبوعات بمصر ١٣١٧هـ
١٤٨ – فصوص الحكم	ابن عربى	مطبعة الزمان ومكتبة الأزهر ١٣٠٤هـ، قرم ٦٣٢ تصوف
١٤٩ – فى التصوف الإسلامى وتاريخه نيكلوسوف	تحقيق أبو العلا عفيفى	طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٨٨هجرية

(حرف القاف)

العنوان	المؤلف	المصدر
١٥٠ – قطرة السماء ونضرة العلماء	النابلسى	خط بدمشق رقم ٧٠٨٧
١٥١ – قلائد المرجان فى عقائد الإيمان	النابلسى	خط بدمشق رقم ٦٠٢٠
١٥٢ – القول الأبين شرح قصيدة أبى مدين	النابلسى	خط بدمشق رقم ١١٠٦٤ أدب

(حرف الكاف)

العنوان	المؤلف	المصدر
١٥٣ – كشف الخفاء	للجلونى	مكتبة كلية أصول الدين ٧٤٦٧ح

العنوان	المؤلف	الطبع / المخطوط
١٥٤ – كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض	النابلسى	طبع مصر وخط دمشق ٨٢٨٥د
١٥٥ – كشف الستر عن فريضة الوتر	النابلسى	مطبعة السعادة مصر ١٣٧٠هـ
١٥٦ – كشف النور عن اصحاب القبور	النابلسى	خط بدمشق مجموع ٥٧
١٥٧ – كفاية الغلام	النابلسى	طبع القاهرة سنة ١٣٠٨هـ
١٥٨ – كنز الحق المبين	النابلسى	خط بدمشق رقم ٣٢٣ حديث
١٥٩ – الكوكب السارى فى حقيقة الجزء الاختيارى	النابلسى	خط بدمشق رقم ٩٣٠٤ توحيد
١٦٠ – الكوكب المتلالى شرح قصيدة الغزالى	النابلسى	خط بدمشق رقم ٥١١٧ تصوف
١٦١ – الكواكب الدرية شرح المقدمة النابلسية	النابلسى	خط بدمشق رقم ٩١٢١ مجموع
١٦٢ – كوكب الصبح فى ازالة ليل القبح	النابلسى	خط بدمشق ٧٤٨٩ فقه
١٦٣ – كوكب المبانى وموكب المعانى	النابلسى	خط بدمشق ٨٥٧٤ أدب

(حرف اللام)

العنوان	المؤلف	الطبع / المخطوط
١٦٤ – لسان البيان فى منهل العرفان	السيد ابراهيم الحسينى	مطبعة الظاهر مصر ١٣٢٣هـ
١٦٥ – اللمع	ابى نصرالسراج الطوسى	نشره نيكلسون سنة ١٩١٤م
١٦٦ – لمعان النجدى فى شرح تجليات محمود أفندى	النابلسى	خط بدمشق رقم ٤٧٩ تصوف
١٦٧ – لمعان الأنوار فى المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار	النابلسى	خط بدمشق مجموع رقم ٩١١٩

١٦٨ – لمعة النور المضية شرح الالبيات السبعة الزائدة عن الخمرية الفارضية	النابلسى	خط بدمشق رقم ٩١٥ أدب
١٦٩ – اللؤلؤ المكنون فى الإخبار عم سيكون	النابلسى	خط بدمشق رقم ٧٥٠٢ تصوف

(حرف الميم)

١٧٠ – مجموعة الرسائل والمسائل	ابن تيمية	مطبعة المنار القاهرة سنة ١٣٢٦هـ
١٧١ – مجموعة رسائل النابلسى	النابلسى	خط بدمشق ٧٩٧٩ معارف عامه
١٧٢ – مختصر الحقيقة والمجاز	النابلسى	خط بدمشق رقم ٣٨٦ تاريخ
١٧٣ – مختصر من سنن ابى داود	الحافظ المنذرى	مطبعة السنة المحمدية القاهرة سنة ١٩٥٦م
١٧٤ – مدارج السالكين بين منازل أياك نعبد وأياك نستعين	ابن قيم الجوزى	مطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٣٧٥هـ
١٧٥ – المطالب الوافية بشرح العرائس السنية	النابلسى	خط بدمشق رقم ٨٤٩٤ توحيد
١٧٦ – المعرفة عند مفكرى المسلمين	د. محمد غلاب	مطبعة دار الجيل مصر
١٧٧ – المعارف البهية فى شرح الحقيقة الجيلية	النابلسى	خط بدمشق رقم ٩١١٨ تصوف
١٧٨ – معالم الطريق إلى الله	أبو الفيض المنوفى	مطبعة نهضة مصر سنة
١٧٩ – مفتاح المعية فى الطريقة النقشبندية	النابلسى	خط بدمشق مجموع ٦٠٩٦

الكتاب	المؤلف	مكانه
١٨٠ – مفتاح الفتوح فى مشكأة الجسم	النابلسى	خط بدمشق رقم ٧٤٨٧ تصوف
١٨١ – مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون	مطبوع ببولاق سنة ١٢٨٤هـ
١٨٢ – مقالات الاسلاميين	ابو الحسن الاشعرى	مطبوع الاستانه تحت رقم ٢٦٥٨ مكتبة الأزهر
١٨٣ – المقاصد المحصة فى كى المحمصة	النابلسى	خط بدمشق مجموع ٥٣١٦
١٨٤ – مناجاة الحكيم ومنافاة القديم	النابلسى	خط بدمشق رقم ٦١١٨ تصوف
١٨٥ – المنقذ من الضلال (الغزالى)	تحقيق د. عبد الحليم محمود	طبع مصر ١٩٦٤م
١٨٦ – من اعلام التصوف الإسلامى	طه عبد الباقى سرور	نهضة مصر سنة ١٩٦٩م
١٨٧ – المواقف	عضد الدين الايجى	مطبوع بمصر السعادة ٣٢٥هـ

(حرف النون)

الكتاب	المؤلف	مكانه
١٨٨ – نتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم	النابلسى	خط بدمشق رقم ٦٩٧٩ تصوف
١٨٩ – النظر المشرفى فى قول ابن الفارض عرفت أم لم تعرف	النابلسى	مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٥٧ مجاميع
١٩٠ – النفحات المنتشرة فى الجواب عن الاسئلة العشرة	النابلسى	خط بدمشق رقم ٧٤٨٨ فقه
١٩١ – نهاية المراد شرح هدية بن العماد	النابلسى	خط بدمشق رقم ٨٠٤١ فقه
١٩٢ – نور الأفئدة شرح المرشدة	النابلسى	خط بدمشق رقم ٦٥٨٨ توحيد

(حرف الهاء)

١٩٣ – هدية الفقير وتحية الوزير	خط النابلسى	خط بدمشق رقم ٧٤٩١
١٩٤ – هذه هى الصوفية	عبد الرحمن الوكيل	مطبعة السنة المحمدية مصر السنة ١٣٧٥هجرية

(حرف الواو)

١٩٥ – الوجود الحق والخطاب الصدق	النابلسى	خط بدمشق رقم ٥٣٦٥ توحيد
١٩٦ – الوجود ومرآة الشهود	النابلسى	خط بدمشق مجموع ٦٠٦٩
١٩٧ – الورد الأنسى والوارد القدسى فى ترجمة العارف بالله النابلسى	نجم الدين العزى العامرى	خط بالمكتبة المصرية بمصر تحت رقم ١٩٨٢ تاريخ
١٩٨ – وسائل التحقيق ووسائل التوفيق	النابلسى	خط بدمشق ٨٠٦٨ تصوف
١٩٩ – وفياة الأعيان وأبناء الزمان	بن خلكان	طبع بمصر تاريخ
٢٠٠ – يوانع الرطب فى بدائع الخطب	النابلسى	خط بدمشق رقم ٩٠٥٧ معارف عامة

فهرس تفصيلي

فهرس إجمالي

مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفون/فاكس : (٢٠٢) ٥٤٠٢٥٩٨